

صنعة الأسيطة

الجزء الخامس

تَارُ الْكِتَابِ الْخَيْرِ

كِتَابُ

صَنِيعُ الْأَكْبَادِ

نَالِيَتُ

الْشَيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلْقَشَنِيِّ

الجزء الخامس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

سنة ١٣٢٣ هـ
م ١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقصود الثاني

(في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية)

قد تقدّم في الكلام على مملكة الديار المصرية ومُضافاتها ذكرُ جزيرة العرب، وأنه يحدها: من جهة الغرب بحر القلزم، ومن جهة الجنوب بحر الهند، ومن جهة الشرق بحر فارس، ومن جهة الشمال الفُرات. وأنها تحتوى الحجاز ونجدا وتهامة واليمن واليمامة والبحرين، وقطعةً من بادية الشام، وقطعةً من بادية العراق.

وتقدّم هناك الكلام على ما هو مضاف إلى مملكة الديار المصرية منها. منها مكة، والمدينة، على الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام، والتَّحِيّة والإكرام، واليَبْع، وما هو من بادية الشام كَتَدْمُر ونحوها.

والمقصود هنا الكلام على باقي أقطارها، التي لم تدخل في مضافات الديار المصرية.

ويتوجه القصد منها إلى ثلاثة أقطار:

القَطْرُ الأول

(الْيَمَنُ)

قال في "اللباب" : بفتح المثناة التحتية والميم وفي آخرها نون . قال : وينسب إليه يَمَنِيٌّ وَيَمَانِيٌّ . وهو قطعة من جزيرة العرب : يَحُدُّهَا من الغرب بحر القَزْمُ ، ومن الجنوب بحر الهند ، ومن الشَّمال بحر فارس ، ومن الشرق حدود مكة حيث الموضع المعروف بِطَلْحَةِ الْمَلِكِ ، وما على سَمْتِ ذلك إلى بحر فارس .

وقد وردت السَّنة بتفضيله بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الْإِيْمَانُ يَمَانٍ" .

وَأُخْتَلِفَ في سبب تسميته باليمن ف قيل : سُمِّيَ يَمَنِينَ بن قحطان . وقيل : إن قحطان نَفْسَهُ كان يَسْمَى يَمَنِينَ . وقيل : سُمِّيَ يَمَنِينَ بن قِدَار . وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه عن يمين الكعبة . قال "أبن الكلبي" : سميت بذلك لتيامنهم إليها . قال "أبن عباس" ^(١) : استتب الناس وهم العرب فتيامنوا إلى اليمن فسميت بذلك . وقيل : تيامنت بنو يَظُنْ إليها فسميت بذلك . وقيل : لما كثرت الناس بمكة وتفرقوا عنها ، التأمت بنو يَمَنَ إلى اليمن وهو أَيْمَنُ الأرض .

وهو إقليم متسع له ذِكْرٌ في القديم ، وبه كان قومٌ سبياً المنصوص خبرهم في سورة "سبأ" ، وَيُقْبِسُ المذكور عرشها في سورة "النمل" .

وقد ذكر "البكري" : أن عَرْضَهُ ستُّ عشرة مرحلة ، وطولُهُ عشرون مرحلة . قال في "مسالك الأبصار" : وله ذكر قديم . قال : وهو كثير الأمطار ، ولكن لا تَنشَأُ منه السَّحْبُ ، ويمطر المطر في الغالب من وقت الزوال إلى أخريات النهار .

(١) عبارة "باقوت" عن أبن عباس تفرقت العرب فن تيامن منهم سميت اليمن .

قال الحكيم "صلاح الدين محمد بن البرهان": وأكثر مطره في أخريات الربيع إلى وسط الصيف . وهو إلى الحر أميل ؛ وبه الأنهار الجارية ، والمروج الفيح ، والأشجار المتكاثفة في بعض أماكنه ؛ وله ارتفاع صلاح من الأموال ؛ وغالب أمواله موجبات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة ، مع مالها من دخل البلاد .

وذكر عن الحكيم صلاح الدين المذكور ، أن لأهل اليمن سيادات بينهم محفوظة ، وسعادات عندهم ملحوظة ؛ ولأكبرها حظ من رفاهية العيش والتنعيم والتفنن في المأكل : يطبخ في بيت الرجل منهم عدة ألوان ، ويعمل فيها السكر والقلوب ، وتطيب أوانيها بالعطر والبحور ؛ ويكون لأحدهم الحاشية والغاشية ؛ وفي بيته العدد الصالح من الإماء ؛ وعلى بابه جملة من الخدم والعبيد والخصيان من الهند والحبوش ، ولهم الديارات الجليلة ، والمباني الآتقة ، إلا الرخام ودهان الذهب واللازورد ، فإنه من خواص السلطان ، لا يشاركه فيه غيره من الرعايا . وإنما تفرش دور أعيانهم بالخافق ونحوه ؛ على أن ابن البرهان قد غص من اليمن في أثناء كلامه فقال : وأسم اليمن أكبر منه ، لا تعد في بلاد الخصب بلادته .

وذكر في "مسالك الأبصار" أنه ليس باليمن أسواق مرضية دائمة ، إنما يقام لها سوق يوم الجمعة : تجلب فيه الأجلاب ، ويخرج أرباب الصنائع والبضائع بضائعهم وصنائعهم : فيبيع من يبيع ، ويشترى من يشتري ، من أعوزه شيء في وسط الجمعة لا يكاد يجده إلا المأكل .

ثم اليمن على قسمين :

القسم الأول

(التَّهائم)

وهي المنخفض من بلاده . قال في "مسالك الأبصار" : وهي باردة الهواء
طيبة المسكن . وفيه أربع جُمَل :

الجملة الأولى

(في ذكر ما أشتمل عليه من القواعد والمُذُن)

قال في "مسالك الأبصار" : وهو يشتمل على عدة بلاد ، وقلاع ، وحصون حصينة ،
ولكن يفصل البر ما بين بعضها عن بعض . وبه قاعدتان :

القاعدة الأولى

(تعز)

وهي مصيَّف صاحب اليمن . قال في "تقويم البلدان" : بكسر المشاة من فوق^(١)
والعين المهملة وزاي معجمة في الآخر . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم
السبعة . قال : والقياس حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض
ثلاث عشرة درجة وأربعون دقيقة . قال : وهي في زماننا هذا مقر ملوك اليمن
(يعني من أولاد رسول الآتي ذكرهم في الكلام على ملوكه) .

ثم قال : وهي حصن في الجبال ، مُطلٌّ على التهائم وأراضي زبيد ، وفوقها منبره
يقال له مهلة ، قد ساق له صاحب اليمن الميساء من الجبال التي فوقها ، وبني فيها
أبنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك .

(١) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بفتح التاء وكسر العين وقال المجد كَقِيلُ .

قال في "الروض المعطار" : ولم تزل حصنا للوك . قال : وهو بلد كثير الماء ، بارد الهواء ، كثير الفاكهة . قال : ولسطانهم بستان يعرف بالينعات ، فيه قبة ملوكية ، ومقعد سلطاني ، فرشهما وأزرهما من الرخام الملوّن ، وبهما عمدة قليلة المثل ، يحرق فيهما الماء من ثغرات تملأ العين حسنا ، والأذن طربا ، بصفاء نيرها ، وطيب حريرها ، وترعى شبابيكهما على أشجار قد نُقلت إليه من كل مكان : تجمع بين فواكه الشام والهند ، لا يقف ناظر على بستان أحسن منه جمعا ، ولا أجمع منه حسنا ، ولا أتم صورة ولا معنى .

القاعدة الثانية

(زَيْد)

وهي مشققة صاحب اليمن من بني رسول . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الزاي المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت ودال مهملة . وهي مدينة من تهائم اليمن . قال في "العبر" : بناها محمد بن إبراهيم ، بن عبيد الله ، بن زياد ، ابن أبيه في خلافة المأمون . وموقعها في أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض أربع عشرة درجة وعشر دقائق . قال في "العبر" : وهي مدينة مسورة ، وبها كان مقام بني زياد ملوك اليمن ، وهم الذين بنوها ، ثم غلب عليها أبو الصليحي . ثم صارت قاعدة بني رسول . وهي قصبة التهائم ، وهي مبنية في مستو من الأرض . عن البحر على أقل من يوم ، وماؤها من الآبار ، وبها نخيل كثيرة ، وعليها سور ، وفيها عمانية أبواب .

قال البيروني : وهى فُرْضة اليمن ، وبها مجتمع التجار من الحجاز ومصر والحبشة ، ومنها تخرج بضائع الهند والصين . قال المهلبى : ولها ساحل يعرف بغلا فقة ، وبينهما خمسة عشر ميلا .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى شديدة الحر لا يبرد مأوها ولا هواؤها ، وهى أوسع رقعة وأكثر بناء ، ولها نهر جارٍ بظاهرها ، ومساكن السلطان فيها فى نهاية العظمة من فرش الرخام والسقوف .

وباليمن عدة مدن سوى القواعد المتقدمة الذكر .

منها (عدن) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح العين والبدال المهملتين ونون فى الآخر . وهى من تهائم اليمن . قال : وهى خارجة إلى الجنوب عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ، والعرض تسع عشرة درجة . قال فى "الروض المبطر" : وأول من نزلها عدن ابن سبأ فعرفت به . قال فى "تقويم البلدان" : ويقال لها عدن أنين - بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح المثناة التحتية ثم نون - وقال فى "المشترك" : عن سيبويه بكسر الهمزة ، وهو رجل من حمير أضيف إليه عدن . قال فى "العبر" : وهو أنين ابن زهير ، بن الغوث ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن حمير .

وذكر "الأزهري" أن سبب تسميتها بذلك أن الحبشة [عبرت] ^(١) فى سفنهم إليها ، وخرجوا منها فقالوا (عدونه) يريدون خرجنا ، فسميت عدن لذلك . وقيل مأخوذة من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به . وهى على ساحل البحر ذات حط وإقلاع . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى أعظم المراسى باليمن ، وتكاد تكون ثلاثة تغز

(١) الزيادة عن "معجم البلدان" لياقوت .

وَزَيْدٌ فِي الذِّكْرِ، وَبِهَا قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مَبْنِيَّةٌ، وَهِيَ خِرَانَةُ مَالِ مُلُوكِ أَيْمَنَ، إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ، وَهِيَ فُرْصَةُ الْيَمَنِ، وَمَحْطُ رِحَالِ التُّجَّارِ، لَمْ تَزَلْ بِلَدَ تِجَارَةٍ مِنْ زَمَنِ التَّبَاعَةِ وَإِلَى زَمَانِنَا، عَلَيْهَا تَرِدُ الْمَرَكَبُ الْوَاصِلَةُ مِنَ الْحِجَازِ وَالسَّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَالْحَبْشَةِ، وَيَتَارَأْهُلُ كُلُّ إِقْلِيمٍ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِقْلِيمُهُمْ مِنَ الْبَضَائِعِ .
 قَالَ "صَلَّاحُ الدِّينِ بْنِ الْحَكِيمِ": وَلَا يَخْلُو أَسْبُوعٌ مِنْ عِدَّةِ سَفْنٍ وَتُجَّارٍ وَارِدِينَ عَلَيْهَا، وَبَضَائِعُ شَتَّى وَمَتَاجِرَ مَنْوَعَةٍ، وَالْمَقِيمُ بِهَا فِي مَكَاسِبِ وَافَرَةٍ، وَتُجَّارٌ مُرْجِحَةٌ، وَلِحَظَّ الْمَرَكَبِ عَلَيْهَا وَإِقْلَاعُهَا مَوَاسِمٌ مَشْهُورَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ نَاقُودَةُ السَّفَرِ مَرَكَبَ إِلَى جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، أَقَامَ فِيهَا عَالِمًا بَرَنَكٌ خَاصٌّ بِهِ، فَيَعْلَمُ التُّجَّارُ بِسَفَرِهِ، وَيَتَسَامَعُ النَّاسُ فَيَبْقَى كَذَلِكَ أَيَّامًا، وَيَقَعُ الْإِهْتِمَامُ بِالرَّحِيلِ، وَتُسَارِعُ التُّجَّارُ فِي ثَقْلِ أَمْتَعَتِهِمْ، وَحَوْطِهِمْ الْعَبِيدَ بِالْقَهَاشِ السَّرِيِّ وَالْأَسْلِحَةَ النَّافِعَةَ، وَتُصَبِّ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْأَسْوَاقُ، وَيُخْرَجُ أَهْلُ عَدَنَ لِلتَّفَرُّجِ هُنَاكَ .

قَالَ فِي "الْعَبَرِ": وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ جِهَةٍ شَمَالِيهَا عَلَى بُعْدِ جَبَلٍ دَائِرٍ إِلَى الْبَحْرِ يَنْتَقِبُ فِيهِ مِنْ طَرَفِيهِ ثَقْبَانِ كَالْبَابَيْنِ، بَيْنَهُمَا عَلَى ظَهْرِ الْجَبَلِ مَسِيرَةُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَلَيْسَ لِأَهْلِهَا دُخُولٌ وَلَا خُرُوجٌ إِلَّا عَلَى هَذَيْنِ الثَّقْبَيْنِ أَوْ مِنَ الْبَحْرِ . وَكَانَ مُلْكُهَا لِبَنِي مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ، ثُمَّ لِبَنِي زِيَادَ: أَصْحَابِ زَيْدٍ، ثُمَّ أَتَرَعَهَا مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ الْمَكْرَمِ الصَّلَاحِيِّ، وَصَفَا الْمُلْكَ فِيهَا لِبَنِي الزَّرَّعِ مِنْهُمْ، وَبَقِيَتْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى مُلْكُهَا مِنْهُمْ (تُورَانُ شَاه) .
 أَبُو أَيُّوبَ: أَوَّلُ مُلُوكِ الْيَمَنِ مِنَ الْإِيُوثِيَّةِ، وَمِنْ الْإِيُوثِيَّةِ أَتَتْ قَلْتُ لِبَنِي رَسُولِ مُلُوكِ الْيَمَنِ الْآنَ .

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنْ الْحَكِيمِ "صَلَّاحِ الدِّينِ بْنِ الْبَرْهَانَ" أَنَّهُ أَقَامَ بِهَا مَدَّةً، وَقَالَ إِنَّ الْمَقِيمَ بِهَا يَحْتَاجُ إِلَى كُلْفَةٍ فِي الثَّقَاتِ: لِرُتِفَاعِ الْأَسْعَارِ بِهَا فِي الْمَالِ كُلِّ

(١) فِي مَادَّةِ (ن خ ذ) مِنَ الْقَامُوسِ "النَّوَاحِلَةُ مَلَائِكَةُ سَفْنِ الْبَحْرِ أَوْ كَلَّافُهُمْ مَعْرَبَةً لِوَحْدَةِ نَاقِدَةٍ" فَانْظُرْهُ .

والمشارب ، ويحتاج المقيم بها إلى ما يتبدد به في اليوم مرات في زمن قوة الحر .
قال : ولكنهم لا يبالون بكثرة الكلف ، ولا بسوء المقام لكثرة الأموال النامية .

ومنها (ظفار) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الظاء المعجمة والفاء وألف وراء
مهملة . قال : وهي من تهائم اليمن ، من أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .
قال في "القانون" : حيث الطول سبع وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة
درجة وثلاثون دقيقة .

قال الشَّهَلِيّ : وهي مدينة عظيمة ، بناها مالك بن أبرهة ذي المنار . وذكر
في "العبر" أنها كانت دار ملك التبابعة ، وحرَّبها أحمد النَّاخُوذَةُ سنة تسع عشرة
وستائة (١) لأنها لم يكن لها مرسى ، وبني على الساحل مدينة ظفار بالضم ،
وسمَّاهم الأحمديَّة .

قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة على ساحل خور قد خرج من البحر
الجنوبي وطعن في البر في جهة الشمال نحو مائة ميل ، ومدينة ظفار على طرفه ،
ولا تخرج المراكب من ظفار في هذا الخور إلا بريح البر ، ويُقلع منها في الخور المذكور
إلى الهند . قال : وهي قاعدة بلاد الشَّحْر ، ويوجد في أرضها كثير من نبات الهند
كالرايح والتَّنبُل ، وسمَّاهُ ظفار رمال الأحقاف التي كان بها قوم عاد ، وهي المذكورة
في القرآن ، وبينها وبين صنعاء أربعة وعشرون فرسخاً . قال : وعن بعضهم أن لها
بساتين على السَّوَّاءِ .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي في زماننا لأولاد الواثق ابن عم صاحب اليمن .
قال : وهم وإن أطلق عليهم اسم الملك تُواب له . وذكر أن البضائع منها تُثَقَّل

(١) عبارة "العبر" (ج ٤ ص ٢٢٦) مدينة ضفا بضم الضاد المعجمة اه .

في زوارق حتى تخرج من خورها، ثم تُوسق في السفن . قال في "العبر" : وكانت منزلة الملوك في صدر الدولتين .

ومنها (حَلَى) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء المهملة وسكون اللام ثم ياء مشاة من تحت . وهي بلدة من اليمن ، واقعة في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أطراف اليمن من جهة الحجاز وتعرف بحلى ابن يعقوب .

ومنها (المهجم) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وجميم . وهي مدينة من تهائم اليمن ، واقعة في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض ست عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أجل مدن اليمن ، وهي عن زبيد ثلاثة أيام [وهي] في الشرق والشمال عن زبيد ، وعن صنعاء على ست مراحل . قال الإدريسي : ومن عدن على ست مراحل .

ومنها (حصن الدملوة) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الدال المهملة وسكون الميم ثم لام وواو وهاء في الآخر . وهو حصن من حصون اليمن ، واقع في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال أبو العقول : حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهو حصن في شمال عدن في جبال اليمن . قال ابن سعيد : وهو على الجبل المتد من الجنوب إلى الشمال ، وهو خزانة صاحب اليمن ، ويضرب بامتاعه وحصانته المثل .

(١) ضبطها ياقوت في معجمه فقال - بضم أوله وسكون ثانيه وضم اللام وفتح الواو .

ومنها (الشَّرْحَةُ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهمله وجيم وهاء . وهى مينا على ساحل البحر ، واقعة فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض سبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى صغيرة وبيوتها أخصاص .

ومنها (جُبْلَةُ) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الجيم وسكون الباء الموحدة ولام مفتوحة وهاء . وهى مدينة بين عدَدَ وصنعاء ، واقعة فى الإقليم الأول . قال : وقياس قول أبى العقول أنها حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثلاث عشرة درجة وعشر دقائق . قال : وهى على نهرين ولذلك يقال لها مدينة النهرين . قال بعض الثقات : وبينها وبين تَعَزَّ دون يوم ، وهى عن تَعَزَّ فى الشرق بمسيلة يسيرة إلى الشمال .

ومنها (الجَنَدُ) . قال فى "اللباب" : بالجيم والنون المفتوحتين ودال مهملة فى الآخر . وهى مدينة شمالي تَعَزَّ ، على نحو نصف مرحلة منها ، واقعة فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . وهى عن صنعاء على ثمانية وأربعين فرسخا ، وعن ظفار على أربعة وعشرين فرسخا .

وقال الشريف الإدريسي : هى بين دَمَارَ وبين زَيْدَ . وهو بلد جليل به مسجد جامع يُنسب لمُعَاذِ بْنِ جَبَلِ الصَّحَابِيّ رضى الله عنه ، وعلى القرب من الجَنَدِ وادى سَكُولٍ ، ومنه يسير فى صحارى إلى جبل عَرَضُهُ أحد وعشرون فرسخا ، ثم يسير فى صحراء ورمال إلى مدينة زَيْدَ . والجَنَدُ بلد وخم فى غاية الوخامة ، وأهلله شيعة .

ومنها (سَرَيْنَ) . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . وهي بلدة على تسعة عشر فرسخا من حَلِيٍّ ، في جهة الشمال منها ، واقعة في آخر الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض عشرون درجة . وقال المهلب : هي مدينة على ساحل البحر على أربعة أيام من مكة . قال الإدريسي : وهي على القرب من قرية يَمَلَمَ : ميقات أهل اليمن للإحرام .

ومنها (مِرْبَاطُ) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الميم وسكون الراء المهملة ثم باء موحدة وألف بعدها طاءً مهملة . وهي بليدة على ساحل خور طَفَّارِ المقدم ذكره . قال : وهي خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب أومنه . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وسبعون درجة ، والعرض اثنتا عشرة درجة . قال ابن سعيد : وهي في الشرق والجنوب عن طَفَّارِ . قال الإدريسي : وقبر هود عليه السلام منها على خمسة أيام . قال في "نزهة المشتاق" : ويجبال مِرْبَاطُ ينبت شجرُ اللِّبَانِ ، ومنها يجهز إلى البلاد .

ومنها (بلاد مَهْرَةَ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم ثم هاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . والمراد بمَهْرَةَ بنو مَهْرَةَ بن حِيدَانَ : قبيلة من قبائل اليمن ، وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسعى "بنهاية الأرب في معرفة قبائل العرب" . وموقعها في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : وآخرها حيث الطول خمس وسبعون درجة ، والعرض ست عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وليس بها نخيل ولا زرع وإنما أموال أهلها الإبل . قال : وألستهم مستعجمة لا يكاد يُوقَف عليها ، ويُنسب إليها البُحْتُ المفضلة ، ويحمل منها اللِّبَان إلى الآفاق .

ومنها (الشَّحْر) بكسر الشين المعجمة وسكون الحاء المهملة وراء مهملة في الآخر.
قال ياقوت الحموي : وهي بليدة صغيرة، ولم يزد على ذلك . والذي يظهر أن لها
إقليما ينسب إليها، وإليها ينسب العنبر الشَّحْرِيُّ على ما تقدم القول عليه في الكلام على
ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في المقالة الأولى .

الجملة الثانية

(في ذكر حيوانه ، وحبوبه ، وفواكهه ، ورياحينه ومعاملاته ، وأسعاره)
وأنا أذكر جملة من ذلك على ما ذكره في "مسالك الأبصار" عن أبي جعفر أحمد
ابن محمد المتدسي المعروف بابن غانم كاتب الإنشاء بها، وأبي محمد عبد الباقي بن
عبد المجيد اليمني الكاتب

أما حيوانه - فبه من الحيوان الخيل العربية الفائقة، والبغال الجيدة للركوب
والحل، والحمر، والإبل، والبقر، والغنم، ومن الطير الدجاج، والإوز، والحمام،
وفيها من الوحوش الزرافة والأسد، والفيلان، والقردة، وغير ذلك .

وأما حبوبه - فبه من الحبوب الحنطة والشعير والذرة والأرز والسَّمْسِم، وغالب
قوتهم الذرة وأقله الحنطة والشعير .

وأما فواكهه فبه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والخوخ، والتوت،
والموز، والليمون، والأترج، في أنواع أخرى من الفاكهة قليلة المقدار، وبه البطيخ
الأخضر والأصفر .

قال ابن البرهان : وغالب ما يوجد بمصر من الفواكه يوجد باليمن ، إلا أنه بالغ في وصف السفرجل به .

وأما أسعاره فرخيّة في الغالب . وذكر ابن البرهان أن الحنطة فيه تغلّو، والحبّوم فيه رخيصة .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصلة إلى اليمن)

وله طريقان : طريق في البرّ، وطريق في البحر .

أما طريقه في البرّ، فالطريق من مصر إلى مكة معروفة . قال في "تقويم البلدان" : ومن مكة إلى عدن نحو شهر . قال : ولها طريقان : أحدهما على ساحل البحر، وهو الأبعد . والثاني على تجران، وجرش، وصعدة، وصنعاء، وهو الأقرب .

وأما في البحر، فن مصر إلى السويس ثلاثة أيام في البرّ، ثم يركب في البحر إلى زبيد وعدن . وربما عدل المسافرون عن السويس إلى الطور فتطول الطريق في البرّ، وتقصّر في البحر، وربما وقع السفر إلى قوص في النيل أو في البرّ، ثم من قوص إلى عيذاب أو إلى القصير، فيركب في البحر إلى زبيد أو عدن .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوكه : جاهليّة وإسلاما)

أما ملوكه في الجاهلية فعلى عشر طبقات :

الطبقة الأولى

(العادية)

وهم بنو عاد بن عوص ، بن إرم ، بن سام ، بن نوح عليه السلام .
وكانت منازلهم بالأحقاف من اليمن ، وعمّان من البحرين إلى حضرموت
والشحر .

وأول من ملكها منهم (عاد) المقدم ذكره . ويقال : إنه أول من ملك
من العرب وطال عمره وكثر ولده ، حتى يقال إنه ولد أربعة آلاف ولد ذكر
لصلبه ، وتزوج ألف امرأة ، وعاش ألف سنة ومائتي سنة . وقال البيهقي :
عاش ثلثمائة سنة .

ثم ملك بعده ابنه (شديد) بن عاد .

ثم ملك بعده ابنه الثاني (شدّاد) بن عاد وسار في الممالك ، وأستولى على كثير من
بلاد الشام والعراق والهند ويقال إنه ملك مصر أيضا .

ثم ملك بعده ابنه (إرم) بن عاد .

والذي ذكره المسعودي أنه ملك بعد عاد بن عوص ابنه عاد بن عاد وأن جيرون
ابن سعد بن عاد كان من ملوكهم ، وأنه الذي أخطأ مدينة دمشق ومصرها ، وإليه
ينسب باب جيرون بها كما تقدم في الكلام عليها في مضافات الديار المصرية .

وذكر ابن سعيد : أن شدّاد بن بدّاد ، بن هداد ، بن شدّاد بن عاد غلب
قبط بن قبط على أسافل الديار المصرية ، ثم هلك هناك ، ويقال إن ملكهم على عهد

هود عليه السلام كان اسمه الخَلْجَان بن عاد، بن رقيم، بن عاد الأكبر، ولقمان بن عاد
ابن عاديا بن صداقا بن لقمان، وكفر الخلدجان، وأهلك الله من كفر منهم بالريح العقيم .
وأنقل ملك لقمان إلى ولده (لُقَيْم) وأنصل ملك لقمان ورهطه ألف سنة أو أكثر
إلى أن غلبهم عليه يَعْرُب بن قَطَان الآتي ذكره .

الطبقة الثانية

(الْقَحْطَانِيَّة)

وأول من ملك منهم (قَطَانُ) بن عابر، بن أرغشذ، بن سام، بن نوح عليه
السلام . قال المؤيد صاحب حماة : وهو أول من ملك اليمن وليس التاج .
ثم ملك بعده أبنته (يَعْرُبُ) بن قَطَان، وغلب عادا على اليمن، وعظم ملكه .
وهو أول من حيّاه قومه بتحية الملك، وولى أخاه حَضْرَمَوْتَ بن قَطَان على بلاد
حَضْرَمَوْتَ فعرفت به، وولى أخاه عُثْمَانَ بن قَطَان على بلاد عُثْمَانَ من البحرين
فُعُرفت به .

ثم ملك بعده أبنته (يَشْجُبُ) بن يَعْرُب .

ثم ملك بعده أبنته (عَبْدُ شَمْسٍ) وأكثر الغزو والسبي، فسمى سبأ، وبني قصر
سبأ ومدينة مأرب باليمن . ويقال : إنه غزا مصر، وبني بها مدينة عَيْنِ شَمْسٍ،
التي أثرها بالقرب من المطرية الآن .

ثم ملك بعده أبنته (حَمِيرُ) خمسين سنة، وهو أول من نتوج بالذهب .

ثم ملك بعده أبنته (وائِلُ) . وقيل : بل ملك بعده أخوه (كَهْلَانُ) .

ثم ملك بعد وائل ابنه (السَّكْسَكُ) .

ثم ملك بعده ابنه (يَعْقُرُ) بن السَّكْسَكِ .

ثم غلب على المُلْكِ (عامر) بن باران ، بن عوف ، بن حمير ، ويعرف
بذى رِيَّاش .

ثم ملك بعده ابنه (المُعَاوِر) وأسمه النعمان بن يَعْقُرِ المقدم ذكره .

ثم ملك بعده ابنه (أَسْمَحُ) ^(١) بن النعمان ، فاضطرب أمر حمير ، وصار ملكهم
في طوائف إلى أن ظهرت ملوك التَّبَايَعَةِ .

ويقال : إنه ملك منهم (أَبِينُ) بن زُهَيْر ، بن الغوث ، بن أَيْمَن ، بن الهميسع ،
وإليه تنسب عدنُّ أَبِينِ على ما تقدم ذكره .

وملك منهم أيضا (عبد شمس) بن وائل ، بن الغوث ، بن حيدان ، بن قَطَن ،
ابن عَرِيب ، بن زُهَيْر ، بن أَيْمَن ، بن الهميسع ، بن حمير .

وملك منهم أيضا (حَسَّانُ) بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جُشَم ،
ابن عبد شمس .

ثم ملك بعده أخوه (أُقْمَانُ) . ثم أخوه (ذو شدد) : وهو ذو مَرَّانْد . ثم ابنه
(الصَّعْبُ) ويقال : إنه ذو القرنين . ويقال : إن بني كَهْلَانَ بن سبأ داوُلُوا
بني حمير في الملك .

وملك منهم (جَبَّارُ) بن غالب ، بن زيد ، بن كَهْلَانَ ، وأنه ملك من شعوب قَطَان
أيضا (نَجْرَانُ) بن زيد ، بن يَعْرُب ، بن قَطَان ، وبه عرفت نَجْرَانُ المقدم ذكرها .

(١) في "العبر" : أَسْمَحُ بتقديم الحاء على الميم .

الطبقة الثالثة

(البابعة)

إِذَا بَعْنَى أَنَّ النَّاسَ يَتَّبِعُونَهُمْ كَمَا قَالَ السَّهِيلِيُّ وَالزُّنْحَشَرِيُّ ؛ وَإِذَا بَعْنَى أَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا قَالَ أَبُو سَيْدَةَ . قَالَ فِي " الْعَبَرِ " : وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ ظَفَارِ .

وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ (الْحَارِثُ) بْنُ ذِي شَدَدٍ ، بْنُ الْمِلْطَاطِ ، بْنُ عَمْرٍو ، بْنُ ذِي يَقْدَمَ ، بْنُ الصَّوَارِ ، بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ ، بْنُ وَائِلٍ ، بْنُ الْغَوْثِ ، بْنُ حِيدَانَ ، بْنُ قَطْنٍ ، أَبُو عَرَبٍ بْنُ زُهَيْرٍ ، بْنُ الْغَوْثِ بْنُ أَيْمَنَ بْنِ الْهَمَيْسَعِ ، بْنُ حَمِيرٍ ، بْنُ سَبِيلٍ . وَاسْمُ الرَّائِسِ لِأَنَّهُ لَمَّا مَلَكَ النَّاسَ رَاسَهُمْ بِالْعِطَاءِ . قَالَ السَّهِيلِيُّ وَكَانَ مُؤْمِنًا .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (أَبْرَهَةُ ذُو الْمَنَارِ) مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً قَالَ الْمَسْعُودِيُّ . وَقَالَ أَبُو هِشَامٍ هُوَ أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّعْبِ ، بْنُ ذِي مَرَائِدٍ ، بْنُ الْمِلْطَاطِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ ، وَاسْمُهُ ذَا الْمَنَارِ لِأَنَّهُ رَفَعَ مَنَارًا يُنَادِي بِهِ

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (إِفْرِيقُشُ) بْنُ أَبْرَهَةَ مِائَةً وَسِتِينَ سَنَةً .

وَقَالَ هِشَامُ أَبُو الْكَلْبِيِّ هُوَ إِفْرِيقُشُ ، بْنُ قَيْسٍ ، بْنُ صَيْفِيٍّ أَخِي الْحَارِثِ الرَّائِسِ وَسَارَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَفَتَحَ أَفْرِيقِيَّةَ فَعُرِفَتْ بِهِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (عَمْرٍو الْعَبْدُ) بْنُ أَبْرَهَةَ الْمَعْرُوفِ بِذِي الْأَذْعَارِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً . قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : وَاسْمُهُ ذَا الْأَذْعَارِ لِكَثْرَةِ دُغْرِ النَّاسِ مِنْهُ . قَالَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ .

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ : عَمْرٍو بْنُ أَبْرَهَةَ ذِي الْمَنَارِ ، بْنُ الْحَارِثِ الرَّائِسِ ، بْنُ قَيْسٍ ، ابْنُ صَيْفِيٍّ ، بْنُ سَبِيلِ الْأَصْغَرِ .

ثم ملك بعده (الهدّاد) بن شُرْحَيْل ، بن عمرو ذى الأذعار ست سنين
أو عشر سنين ، وهو ذو الصّرح .

ثم ملك بعده أبنته (بَلْقِيسُ) بنت الهدّاد بن شُرْحَيْل سبع سنين وهى صاحبة
القصة مع سليمان عليه السلام .

وقال الطبرى : بَلْقِيسُ هى يَلَقَمَةُ بنت لَيْشَرَخ بن الحارث بن قيس .

ثم ملك بعدها (سليمان) عليه السلام . ثم أقاموا فى ملكه وملك بنه أربعا
وعشرين سنة .

ثم ملك (ناشر) بن عمرو ذى الأذعار . ويقال له ناشر نعم ، وربما قيل ناشر أنعم ،
سمى بذلك لإنعامه عليهم . وقال السهيلي : ناشر بن عمرو . ثم قال : ويقال له
ناشر النعم . وقال المسعودي : ناشر بن عمرو ذى الأذعار . وقيل ناشر بن عمرو ،
ابن يعفر ، بن شُرْحَيْل ، بن عمرو ذى الأذعار ، وسار إلى وادى الرمل بأقصى
الغرب ، فلم يجد وراءه مدّبا ، فنصب صيّبا من نحاس ، وزبر عليه بالمُسْنَدِ
”هذا الصنم لناشر أنعم ، ليس وراءه مدّهب ، فلا يتكلّف أحد ذلك فيعطّب“ .

ثم ملك بعده ابنه (شمر) ^(١) مائة وستين سنة . ويقال له شمر مرعش ، سمي بذلك
لأرتعاش كان به . وقال السهيلي : شمر بن مالك ، ومالك هو الأمّوك . ويقال
إنه وطئ أرض العراق وفارس وخراسان وأفتح مدائنهما ، ونحرب مدينة الصفد
وراء نهر جيحون ، فقالت العجم : شمر كند أى شمر نحرب ، وبني هناك مدينة
فسميت بذلك ، ثم عُرِّبَتْ سَمَرْقَنْد . ويقال : إنه الذى بنى الحيرة بالعراق . وملك
بلاد الروم واستعمل عليها ماهان قيصر .

(١) كذا فى ”العبر“ أيضا وفى ”السبائك“ ثلاثا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (تبع الأقرن) ثلاثا وخمسين سنة ، وقيل ثلاثا وستين سنة وأسمه زيد ، قال المسعودي : وهو ابن شمر مرعش ، وقال الطبري : ابن عمرو ذي الأذعار . قال السهيلي : وسمى الأقرن لشامة كانت في قرنه .
ثم ملك بعده ابنه (كليكب) ،

ثم ملك بعده (تبان) أسعد أبو كرب ، بن قيس ، بن زيد الأقرن ، بن عمرو ذي الأذعار ، وهو تبع الآخر . ويقال له الرائد ، وكان على عهد يستأسف أحد ملوك الفرس الكيانية وحافده أردشير ، وملك اليمن والحجاز والعراق والشام ، وغزا بلاد الترك والتبت والصين ، ويقال : إنه ترك ببلاد التبت قوما من حمير ، هم بها إلى الآن ، وغزا القسطنطينية ومر في طريقه بالعراق فتحير قومه فبنى هناك مدينة سماها الحيرة ، وقد مر الكلام عليها مع العراق في الكلام على مملكة إيران ، ويقال إنه أول من كسا الكعبة الملاء وجعل لبابها مفتاحا وأوصى ولاتها من جرهم بتطهيرها ودام ملكه ثلاثمائة وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده (ربيعة) بن نصر ، بن الحارث ، بن نمارة ، بن لحم . ويقال ربيعة ، ابن نصر ، بن أبي حارثة ، بن عمرو ، بن عامر . وبعضهم يعكس فيقول نصر بن ربيعة ، ثم رأى رؤيا هالته فسار بأهله إلى العراق وأقام بالحيرة ، ومن عقبه كان النعمان ابن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر .
ثم ملك بعده (حسن ذو معاهر) بن تبان أسعد أبي كرب .

ثم ملك بعده أخوه (عمرو) بن تبان أسعد أبي كرب ويسمى الموثنان ثلاثا وستين سنة ، ومات عن أولاد صغار وأكبرهم قد استهوتة الجن ، فوثب على ملك التابعة (عبد كلال) بن مثوب ، فملك أربعا وتسعين سنة وهو تبع الأصغر ، وله مغاز وآثار بعيدة .

ثم ملك بعده اخوه لأمه (مرثد) بن عبد كلال سبعا وثلاثين سنة .

[ثم ملك من بعده أبنة وليعة بن مرثد^(١) .

ثم ملك بعده (أبرهة بن الصَّباح) بن لحيعة ، بن شيبه ، بن مرثد ، بن نيف
أبن مَيْدَى كَرْب ، بن عبد الله ، بن عمرو ، بن ذى أصبح الحارث ، بن مالك ،
وقيل إنما ملك تهمامة فقط .

ثم ملك بعده (حسان بن عمرو) بن تَيْع ، بن كَلَيْكَرْب سبعا وخمسين سنة .

ثم ملك بعده (لحيعة) بن يئوف ذو شَنَاتر سبعا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده (ذو نُوَاس زُرْعَة) تَيْع بن تَبَان أسعد أبي كَرْب ثمانين سنة ،
ويسمى يُوْسُف ، وكان يدين باليهودية وحمل الناس عليه .

ثم ملك بعده (ذو جَدَن) وأسمه عَلس بن زيد ، بن الحارث ، بن زيد الجُمهور .
وقيل : عَلس بن الحارث ، بن زيد ، بن الغوث ، بن سعد ، بن عَوْف ، بن عَدِي ،
ابن مالك ، بن زيد الجُمهور ، وهو آخر ملوك اليمن من العرب . وقيل غير ذلك من
تقديم وتأخير وتبديل أسم بأسم .

وبالجملة فأخبار التَّابِعة غير مضبوطة ، وأمورهم غير مُحَقَّقة . قال المسعودي : ولا
يسمى أحد منهم تَبَعًا حتى يملك اليمن والشَّحْر وحَضْرَمَوْت ، على أن الطبري قد
ذكر أن المَلِك من ملوك اليمن لا يتجاوز مَخْلَافَه ، وإن تجاوزه فبمسافة يسيرة .

الطبقة الرابعة

(الحبشة)

وأول من ملك منهم (أرياط) بعثه صاحب الحبشة مقدما على جيوشه حين تهود ذو نواس وأحرق الإنجيل ، ففتح اليمن واستقر في ملكه .

ثم ملك بعده (أبرهة الأشرم) وهو صاحب الفيل الذي جاء به لتخريب الكعبة .
ثم ملك بعده ابنه (يكنوم) .

ثم ملك بعده أخوه (مسروق) وهو آخر ملوك اليمن من الحبشة .

الطبقة الخامسة

(الفرس)

وأول من ملك منهم (وهزَر) وذلك أن سيف بن ذي يزن ، بن عابر ، بن أسلم ،
ابن زيد ، بن غوث ، بن سعد ، بن عوف ، بن عدي ، بن مالك ، بن زيد الجمهور
الحميري ، استجاش كسرى أنوشروان : ملك الفرس على مسروق بن أبرهة آخر
ملوك الحبشة باليمن فأسعه بجيش ، ففتح به اليمن وأستتابه فيه ، فقتله بعض
من أستخلصه من الحبشة ، فولى كسرى (وهزَر) مكانه وهلك ، فأقام كسرى مكانه
ابنه (المرزبان) ثم هلك ، فأقام مكانه (خذخسرو) بن السيجان بن المرزبان ، ثم عزله
وولى على اليمن (بادان) فلم يزل به إلى أن كانت البعة فأسلم وفشا الإسلام باليمن ،
ونتابت الوفود منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الطبقة السادسة

(عُمَّالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ)

لَمَّا أَسْلَمَ (بِإِذْنِ) نَائِبِ كَسْرَى، وَلَاحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ خَلَائِفِ الْيَمَنِ، وَكَانَ مَنْزِلُهُ بِصَنْعَاءَ: دَارَ مَمْلَكَةِ التَّبَاعَةِ، وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَوَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَهَ (شَهْرَ) بْنِ إِذْنِ عَلَى صَنْعَاءَ، وَوَلَّى عَلَى كُلِّ جِهَةٍ وَاحِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ خَرَجَ (الْأَسْوَدُ الْعَنَسِيُّ) فَقَتَلَ شَهْرَ بْنَ إِذْنِ، وَأَخْرَجَ سَائِرَ عُمَّالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَأَسْتَوْلَى (قَيْسُ بْنُ عَبْدِ يَعْنُوثَ) الْمُرَادِيُّ عَلَى صَنْعَاءَ، وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ وَلَّى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيَّ).

ثُمَّ وَلَّى بَعْدَهُ (الْمُهَاجِرَ) بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ، وَ(عُكْرَمَةَ) بْنَ أَبِي جَهْلٍ، عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ، ثُمَّ أَسْتَقَرَّ الْيَمَنِ فِي وَلايَةِ (يَعْلَى بْنِ مُنْبَهٍ).

ثُمَّ وَلَّى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ (عُبَيْدُ اللَّهِ) بْنُ عَبَّاسٍ، ثُمَّ أَخَاهُ (عَبْدُ اللَّهِ).

ثُمَّ وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَلَى صَنْعَاءَ (فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيَّ)، وَمَاتَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ.

ثُمَّ جَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ أَيْمَنَ فِي وَلايَةِ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ، حِينَ بَعَثَهُ لِقِتَالِ ابْنِ الزَّيْرِ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَسَبْعِينَ.

ثُمَّ كَانَ بِهِ (يَوْسُفَ) بْنُ عَمْرِو سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَةٍ.

ثم لما جاءت دولة بني العباس ، ولّى السفّاح : أوّل خلفائهم على اليمن عمّه (داود) وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، فوّلّى مكانه (عمر) بن زيد ، بن عبد الله ، ابن عبد المّدان ، وتوفّى سنة أربع وثلاثين ومائة ، فوّلّى السفّاح مكانه (عليّ بن الربيع) ابن عبيد الله .

ثم في سنة ثلاث وخمسين ومائة كان عليها (يزيد) بن منصور ، ثم عزله المهديّ في خلافته ، ووّلّى مكانه (رجاء بن رَوْح) .

ثم وّلّى بعده (عليّ بن سليمان) ثم عزله سنة اثنتين وستين ومائة ، ووّلّى مكانه (عبد الله بن سليمان) . ثم عزله سنة ثلاث وستين ومائة ، ووّلّى مكانه (منصور بن يزيد) . ثم عزله في سنة ست وستين ومائة ، ووّلّى مكانه (عبد الله بن سليمان الربعي) . ثم ولى سليمان بن يزيد^(١) ثانياً .

ثم وّلّى الرشيد سنة أربع وثمانين ومائة حمّادا اليزيدي .

الطبقة السابعة

(ملوكها من بني زياد)

لم تزل تَوَابُ الخلفاء متواليةً على اليمن إلى أيام المأمون ، فاضطرب أمر اليمن ، فوجه المأمون إليه (محمد بن إبراهيم) بن عبيد الله ، بن زياد ، بن أبيه ، ففتح اليمن وملكه ، وبني مدينة زَيْد في سنة أربع ومائتين ، ووّلّى مولاه جعفرًا على الجبال ، فعُرفت بخلاف جعفر إلى الآن .

ثم ملك اليمن بعده أبْنه (إبراهيم) بن محمد [ثم أبْنه زياد بن إبراهيم]^(٢) .

(١) كذا في الأصول ولم يسبق ذكر سليمان بن يزيد في ولايتها فقلعه من زيادة الناصح وأن ثانياً راجع إلى عبد الله بن سليمان الخ كما يؤخذ من الكامل .

(٢) الزيادة عن "العبر وأبي الفداء" ليستقيم الكلام .

ثم ملك بعده أخوه (أبو الجَيْش) إِسْحَاقُ بن إبراهيم وطالت مدته، وتوفي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وخلف طفلاً فتولت أخته هند بنت أبي الجَيْش كفالته، وتولت معها عبد لأبي الجَيْش اسمه رشيد فبقى حتى مات، فتولت مكانه حسين بن سلامة (وسلامة اسم أمه) وصار وزيراً لهند وأخوها حتى ماتا .

ثم ملكوا عليهم طفلاً اسمه (إبراهيم) وقيل (عبد الله) بن زياد، وقام بأمره عمته وعبد من عبيد حسين بن سلامة اسمه (مرجان) ثم قبض (قيس) عبد مرجان على الطفل وعينه في سنة سبع وأربعمئة وأستبد بالملك، ثم قتل قيس بن يزيد .

وملك بعده (نجاح) عبد مرجان أيضاً وعظم شأنه، وركب بالمظلة وضربت السكة باسمه، وبقي حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة .

وملك بعده ابنه (سعيد الأحول) بن نجاح .

ثم غلب على الملك المكرم (أحمد بن علي الصليحي) في سنة إحدى وثمانين وأربعمئة . وقيل سنة ثمانين، وأقام بن يزيد .

ثم ملكها (جياش بن نجاح) في بقايا سنة إحدى وثمانين، ومات سنة ثمان وتسعين وأربعمئة .

(١)
[ثم ملك بعده ابنه فاتك] ثم ملك بعده (منصور بن فاتك) بن جياش بن نجاح .

ثم ملك بعده ابنه (فاتك) بن منصور بن فاتك .

ثم ملك بعده ابن عمه (فاتك بن محمد) بن فاتك، بن جياش، بن نجاح في سنة إحدى وثلاثين وخمسمئة، وقتل في سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة . وهو آخر ملوك بني نجاح .

الطبقة الثامنة

(ملوكها من بنى مهديّ)

لما قُتِلَ فاتك، ملك بعده (علي بن مهديّ) واستقرّ في دار الملك بزبيد في رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة، ومات بعد شهرين وأحد وعشرين يوماً، وكان مذهبه التكفير بالمعاصي وقتل من خالف مذهبه.

ثم ملك بعده أبوه (مهديّ بن عليّ) بن مهديّ.

ثم ملك بعده أبوه (عبد النبيّ) بن مهديّ.

ثم ملك بعده عمه ^(١) (عبد الله) بن مهديّ.

ثم عاد (عبد النبيّ) ثانياً، وهو آخرهم.

الطبقة التاسعة

(ملوكها من بنى أيوب ملك مصر)

وأول من ملكها منهم (شمس الدولة ثوران شاه بن أيوب) سيّره إليها أخوه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" صاحب الديار المصرية في سنة تسع وستين وخمسمائة، ففتح زبيد وأسر صاحبها (عبد النبيّ). ثم ملك عدن وأسر صاحبها (ياسر) واستولى على اليمن لأخيه صلاح الدين، ثم استتاب ثوران شاه عليّ زبيد حطّان بن كامل بن متقد الكنانى، ورجع إلى الشام في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، فأضاف إليه أخوه السلطان صلاح الدين الإسكندرية، وبقيت نوابه باليمن يحملون إليه الأموال من زبيد إلى أن توفّي بالإسكندرية في سنة ست وسبعين

(١) صوابه "أخوه" كما في تاريخي أبي الفداء والقرمانى.

ونخسامة ، فاضطرب أمرُ اليمين ، فوجهَ السلطانُ صلاح الدين إليه أميرا ، فعزل عنه حطّان بن كامل وتولّى مكانه ، ثم توفى الأمير فعاد حطّان إلى ولايته .

ثم بعث السلطان صلاح الدين أخاه (سيف الإسلام طغتكين) بن أيوب إلى اليمين فقبض على حطّان وأستقرّ في مملكة اليمين ، وبقي به حتى مات بزبيد في سنة ثلاث وتسعين وخمسائة .

ثم ملك بعده ابنه (الملك العزيز إسماعيل) فأساء السيرة فقتله أمراؤه .

وملك بعده أخوه (الناصر) صغيرا ، فقام بتدبير مملكته ستمر مملوك أبيه أربع سنين ثم مات ، فترجّح أمّ الناصر غازي بن جبريل : أحد أمراء دولته وقام بتدبيرها ، ثم مات الناصر وبقي (غازي) في المملكة فقتله جماعة من العرب ، فغلبت أمّ الناصر على زبيد .

وكان (سليمان بن شاهنشاه) بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد خرج فقيرا ، فاتفق أن وافى اليمين فترجّح أمّ الناصر وملك اليمين فأساء السيرة ، فبعث إليه عمّه الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر ، ابنه (الملك المسعود) أطلس المعروف بأقيس ، في جيش فملك اليمين من سليمان ، ثم كره المقيم فيه فسار قاصدا الشام فتوفى بمكة ، وهو آخر ملوكها من بني أيوب .

الطبعة العاشرة

(دولة بني رسول . وهم القائمون بها الآن)

وأوّل من ملكها منهم علي بن رسول . وذلك أنه لما توفى الملك المسعود أقيس ابن الملك الكامل محمد ، كان معه أمير اخور لانيه اسمه رسول ، فلما خرج الملك

المسعود يريد الشام ، استخلف على اليمن (علي بن رسول) المذكور ، فاستقر نائباً باليمن لبني أيوب حتى مات سنة ثلاثين وستمائة ، ووقع في " التعريف " :
أن المستقر في اليمن أولاً هو رسول والد علي المذكور ، ولم أره في تاريخ .

ثم استقر بعد علي بن رسول المذكور في النيابة ولده الملك المنصور (عمر ابن علي) . ثم تغلب على اليمن وخرج عن طاعة بني أيوب ملوك مصر ، واستقل بملك اليمن ، وتلقب بالملك المنصور ، ثم قتل في سنة ثمان وأربعين وستمائة .

وملك بعده ابنه الملك المظفر شمس الدين (يوسف بن عمر) بن علي بن رسول ، وصفاً له ملك اليمن وطالت مدته ، وأرسل إلى الملك المنصور قلاوون صاحب الديار المصرية حينئذ هدية نفيسة ، وسأل أن يكتب له أماناً ، فقبلت هديته وكتب له بالأمان ، وقررت عليه إتاوة الملوك مصر ، وأعيدت رسله في سنة ثمانين وستمائة . ومات بقلعة تيز سنة أربع وتسعين وستمائة .

وملك بعده ابنه الأشرف محمد الدين (عمر بن المظفر يوسف) وبقي حتى مات سنة ست وتسعين وستمائة .

ثم ملك بعده أخوه الملك المؤيد (هنري الدين داود) واستمر على مواصلة ملوك مصر الهدايا والتحف والضريبة المقررة عليه . وتمذهب بمذهب الشافعي رضي الله عنه واشتغل بالعلم وأعتنى بجمع الكتب ، حتى اشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد ، وبر العلماء ، وكانت تحفه تصل إلى الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله في كل وقت ، وتوفي سنة إحدى وعشرين وسبعائة .

وملك بعده ابنه الملك المجاهد (سيف الدين علي) وكان في الايام الناصرية

”محمد بن قلاوون“ صاحب الديار المصرية ، فأساء السيرة ، فقبض عليه وخُلِع وحُيس في سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة .

وملك بعده عمه الملك المنصور (أيوب بن المظفر يوسف) ثم قتله شيعة المجاهد ، وأعادوا الملك المجاهد . وكان الظاهر أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بحصن الدملوة المقدم ذكره فعصى عليه ، وملك عدن وغيرها . وبعث الملك المجاهد للناصر ”محمد بن قلاوون“ يستصرخه على الظاهر عبد الله . فجهز إليه العساكر فوصلت إليه سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأوقعوا الصلح بينهما على أن تكون الدملوة للظاهر المذكور ، وتمهد اليمن للجاهد ، واستنزل الظاهر عن الدملوة ، ثم قبض عليه وقتله .

ثم حج المجاهد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة في أيام الملك ”الناصر حسن“
أبن محمد بن قلاوون صاحب مصر .

وكان الأمير طاز أحد أكبر أمراء الديار المصرية قد حج ، وأشيع أن المجاهد يريد كسوة الكعبة في تلك السنة ، ف وقعت الفتنة بين العسكر المصري والمجاهد ، فانهزم المجاهد ونهبت عساكره وسائر أهل اليمن ، وأسرى المجاهد صاحب اليمن وحمل إلى مصر فاعتقل بها ، ثم أطلق سنة ثنتين وخمسين وسبعمائة في دولة الصالح ، ووجه معه بالأمير قشتمر المنصوري ليوصله إلى بلاده ، فلما بلغ به الينبع ، آرتاب منه في الحرب ، فرجع به إلى مصر ، فحُيس في الكرك من بلاد الشام ، ثم أطلق وأعيد إلى ملكه ، وأقام على مداراة صاحب مصر إلى أن توفي سنة ست وستين وسبعمائة .

(١) عبارة ”العبر“ فرده وحجسه بالكرك .

وملك بعده أبنه الملك الأفضل (عباس) بن المجاهد على ، فاستقام له مُلك اليمن وبقى حتى مات سنة ثمان وسبعين وسبعائة .

وملك بعده أبنه الملك المنصور (محمد) ومات .

وملك أخوه الملك الأشرف (إسماعيل) بن الأفضل عباس ، فاستقام أمره بها ، ثم مات .

وولى بعده أبنه ^(١) وهو بن الأشرف إسماعيل ، بن الأفضل عباس ، أبن المجاهد على ، بن المؤيد داود ، بن المظفر يوسف ، بن المنصور عمر ، بن على ، أبن رسول ، وهو باق باليمن إلى آخر سنة اثنتى عشرة وثمانائة .

وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها في المكتبات إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في ترتيب هذه المملكة على ما هي عليه في زمن بنى رسول :

ملوكها الآن : في مقدار عساكرها ، وزى جُندها ، وبين أرباب

وظائفها ، وحال سلطانها)

أما مقدار عساكرها . فقد قال في "مسالك الأبصار" : أخبرنى أفضى القضاة ،

أبو الربيع : سليمان بن محمد ، بن الصدر سليمان (وكان قد توجه إلى اليمن ، وخدم في ديوان الحيوش به) أن جمع جُند اليمن لا يبلغ ألفى فارس . قال : وينضاف إليهم من العرب المدافعين في طاعته مثلهم ، وأراني جريدة للجيش تشهد بما قال .

(١) بياض في الاصل .

وذكر أن غالب جُنْدِه من الغُرباء . ونَقَلَ عن الحَكِيم "صَلاح الدين بن البرهان" أن الإمرة عندهم قد تُطْلَقُ على من ليس بأمير ، وأما الإمرة الحقيقية التي ترفع بها الأعلام والكُؤوسات ، فإنها لمن قَلَّ ، وربما أنه لا يتعدى عدَّةُ الأمراء بها عشرة نفر .

وأما زِيُّ السلطان والجُنْدُ بها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن لِبَاسَ السلطان وعامة الجند باليمن أَقْبَى إسلامية ، ضِيْقَةُ الأَكْمام ، مَزْنَدَةٌ على الأيدي ، وفي أوساطهم مَنَاطِقُ مشدودة ، وعلى رؤوسهم تَخَافِيفُ لانس ، وفي أرجلهم الدلا كسات ، وهي أخفاف من القماش الحرير الأطلس والعَتَّابِي وغير ذلك .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : وقد حضر علي بن عمر بن يوسف الشهابي : أحدُ أمراء الملك المجاهد باليمن إلى الديار المصرية ، في وحشة حصلت بينه وبين سلطانه ، وهو بهذا الزِّيَّ خلا الدلا كس فإنه قلعه ولبس الخُفَّ المعتاد بالديار المصرية ، وكان يحضُرُ المُرْكَبَ السلطاني بالديار المصرية ، وهو على هذا الزِّيَّ .

وأما شعار السلطنة ، فقد ذكر عن الحَكِيم بن البرهان أيضا أن شعار سلطان اليمن وَرْدَةٌ حمراء في أرض بيضاء . قال المقر الشهابي بن فضل الله : ورأيت أنا السَّنَجَقَ اليمني ، وقد رُفِعَ في عَرَافَاتِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ ، وهو أبيض فيه وردات حمراء كثيرة .

وأما أرباب الوظائف ، فنقل عن ابن البرهان أن باليمن أرباب وظائف : من النائب ، والوزير ، والحاجب ، وكاتب السر ، وكاتب الجيش وديوان المال . وبها وظائف الشاذ والولاية ، وأنه يتشبه بالديار المصرية في أكثر أحواله . قال : أما كُتَّابُ الإنشاء ثُمَّ ، فإنه لا يجتمعهم رئيس يرأس عليهم يقرأ ما يرد على السلطان

وَيُجَآوِبُ عَنْهُ وَيَتَلَقَّى الْمُرَاسِمَ وَيَنْفِذُهَا ، وَإِنَّمَا السُّلْطَانُ إِذَا دَعَتْ حَاجَتُهُ إِلَى كِتَابَةِ كُتُبٍ ، بَعَثَ إِلَى كُلِّ مِنْهُمْ مَا يَكْتُبُهُ . فَإِذَا كَتَبَ السُّلْطَانُ مَارِسَمَ لَهُ بِهِ ، بَعَثَهُ عَلَى يَدِ أَحَدِ الْخِصْيَانِ فَقَدَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَيُعَلِّمُ فِيهِ وَيَنْفِذُهُ .

قَالَ الْمُقَرَّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ : وَعَادَةُ مَا يَكْتُبُ عَنْهُ فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ كَعَادَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فِي الْمِصْطَلَحِ . قَالَ : وَرَأَيْتُ عَلَامَةَ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ دَاوُدَ عَلَى تَوْقِيعِ مِثَالِهَا "الشَّاكِرُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَائِهِ" فِي سَطْرٍ ، وَتَحْتَهُ "دَاوُدُ" فِي سَطْرِ آخَرٍ .

وَأَمَّا تَرْتِيبُ أَحْوَالِ السُّلْطَانِ ، فَقَدْ ذَكَرْتُ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ صَاحِبَ الْيَمَنِ قَلِيلٌ التَّصَدُّى لِإِقَامَةِ رُسُومِ الْمَوَآكِبِ وَالْخِدْمَةِ وَالْإِجْتِمَاعِ بِوَلَاةِ الْأُمُورِ بِبَابِهِ ، فَإِذَا أَحْتَاجَ أَحَدُ مِنْ أَمْرَائِهِ وَجَنَدِهِ إِلَى مُرَاجَعَتِهِ فِي أَمْرٍ ، كَتَبَ إِلَيْهِ قِصَّةَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا ، فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ مَا يَرَاهُ ، وَكَذَلِكَ إِذَا رُفِعَتْ إِلَيْهِ قِصَصُ الْمَظَالِمِ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ عَلَيْهَا بِخَطِّهِ بِمَا فِيهِ إِنْصَافُ الْمَظْلُومِ .

وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ الْبَرَهَانَ : أَنَّ مَلُوكَ الْيَمَنِ أَوْقَاتُهُمْ مَقْصُورَةٌ عَلَى لَدَائِهِمْ ، وَانْخِلُوعٌ مَعَ خَطَايَاهُمْ وَخَاصَّتِهِمْ مِنَ التَّدْمَاءِ وَالْمُطَرِّينِ ، فَلَا يَكَادُ السُّلْطَانُ يُرَى ، بَلْ وَلَا يَسْمَعُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ خَبْرًا لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، وَأَهْلُ خَاصَّتِهِ الْمُقَرَّبُونَ الْخِصْيَانُ ؛ وَلَهُ أَرْبَابٌ وَظَائِفٌ لِلْوُقُوفِ بِأُمُورِهِ ، وَهُوَ يَنْحَوِي فِي أُمُورِهِ مَنَحِيَّ صَاحِبِ مِصْرَ : يَتَسَمَّعُ أَخْبَارَهُ ، وَيَحَاوِلُ اقْتِنَاءَ آثَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ ، وَأَوْضَاعِ دَوْلَتِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ، وَلَا تَحْقِيقُ عَلَيْهِ تِلْكَ الرَّايَةِ ؛ لِتَقْصُورِ مَدَدِ بِلَادِهِ ، وَقَلَّةِ عَدَدِ أَجْنَادِهِ ؛ وَلِلتَّجَارِ عِنْدَهُمْ مَوْضِعٌ جَلِيلٌ ، لِأَنَّ غَالِبَ مَتَحَصَّلَاتِ الْيَمَنِ مِنْهُمْ وَبَسْبِهِمْ ، وَغَالِبَ دَخْلِهِ مِنَ التَّجَارِ وَالْجَلَّابَةِ بَرًّا وَبَحْرًا . وَلِذَلِكَ كَانَتْ مَمْلَكَةُ بَنِي رَسُولِ هَذِهِ أَكْثَرَ مَا لَا مِنْ مَمْلَكَةِ الشَّرَفَاءِ بِصَنْعَاءَ وَمَا وَالَاهَا لِجَبَاوَرَةِ مَمْلَكَةِ بَنِي رَسُولِ الْبَحْرِ .

وصاحب اليمن لا ينزل في أسفاره إلا في قصور مبنية له في منازل معروفة من بلاده ،
 حيث أراد النزول بمنزلة وجد بها قصرًا مبنياً ينزل به . قال : وإنما تجتمع لهم
 الأموال لقلة الكلف في الخرج والمصاريف والتكاليف ، ولأن الهند يمددهم
 بمراكبه ، ويواصلهم ببضائعها .

قال في "مسالك الأبصار" : ولا تزال ملوك اليمن تستجلب من مصر والشام
 طوائف من أرباب الصناعات والبضائع ببضائعهم على اختلافها . قال اقصى
 القضاة أبو الربيع سليمان بن الصدر سليمان : وصاحب هذه المملكة أبدا يرغب
 في الغرباء ، ويحسن تلقائهم غاية الإحسان ، ويستخدمهم بما يناسب كلاً منهم ،
 ويتقدمهم في كل وقت بما يأخذ به قلوبهم ويوطنهم عنده .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن ملوك هذه المملكة : أنهم لم يزالوا مقصودين
 من آفاق الأرض ، قل أن يبقى حفيد في صنعة من الصنائع إلا ويصنع لأحدهم
 شيئاً على اسمه ، ويحيد فيه بحسب الطاقة ، ثم يجهزه إليه ويقصده به فيقدمه
 إليه ، فيقبل عليه ويقبل منه ، ويحسن نزله ، ويسني جائزته ، ثم إن أقام في بابه ،
 أقام مكرماً محترماً ، أو عاد محبواً محبوراً ، يحزلون من نعمهم العطايا ، ويثقلون
 بكرمهم المطايا ، ما قصدهم قاصد إلا وحصل له من البر والإيناس وتوزيع الكرامة
 ما يسليهم عن الأوطان ، ولكنهم لا يسمعون بعود غريب ، ولا يصفحون في زل
 عن بعيد ولا قريب ، فإن أراد الارتحال عن دارهم ، مكثوه من العود كما جاءهم ،
 وخرج عنهم على أسوأ حال ، مسلواً ما استفاد عندهم من نعمة ، عقاباً له على
 مفارقتهم لأبوابهم لا يخلوا بما جادوا به . أما من قدم إليهم القول بأنه أتاهم راحلاً

لأُمِّيَّاءَ ، وزائراً لِمُسْتَدِيَّاءَ ، فإنهم لا يُكَلِّفُونَهُ المَقَامَ لَدَيْهِمْ ، ولا دَوَاماً في النزول عليهم ، بل يُجْزِلُونَ إِفَادَتَهُ ، وَيُجَمِّلُونَ إِعَادَتَهُ .

ثم بعد أن ذكر ما بين صاحب اليمن هذا وبين إمام الزيدية بايمن من المشاجرة والمهادنة تارةً والمفاخضة أخرى ، قال : وصاحبُ اليمن لا عدوَّ له ، لأنه محبوبٌ ببحرٍ زاهر وبرٍّ منقطعٍ من كل جهة ، وللمسالمة بينه وبينهم ، فهو لهذا قريُّ العَيْنِ ، خالي البال ، لا يُهَيِّمُهُ إِلَّا صَيْدٌ ، ولا يَهَيِّجُهُ إِلَّا بَلْبَالٌ . قال : وهم مع ذلك على شِدَّةِ ضَبْطٍ لبلادهم ومَنْ فيها ، وأحترازهم على طُرُقها برًّا وبحراً من كل جهة ، لا يخفى عليهم داخل يدخل إليها ، ولا خارج يُخْرِجُ منها ؛ ومع ذلك فهو يُدَارِي صاحبَ مصر ويهاديه ، لمكان إمكان تسلُّطه عليه من البر والبحر الحجازي ؛ ولذلك آكَتَبَ الملكُ ” المؤيد داود ” وصيةً أوصى فيها الملك الناصر ” محمد بن قلاوون ” صاحب الديار المصرية على أبنه الملك المجاهد على . فلما مات المؤيد نجم على أبنه المجاهد نجم ، فبعث بوصية أبيه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجهز معه عسكرياً إلى اليمن فمنعه من عدوه الناجم عليه ، ومكَّن له في اليمن وبسط يده فيه .

القسم الثاني

(من اليمن النجود)

وهي ما أرتفع من الأرض ؛ وبها مستقرُّ أئمة الزيدية الآن . قال في ” مسالك الأبصار ” : وهي شديدة الحرِّ ، وقد أنطوى فيها جزءٌ من اليمن ، وإن كان ما بيد أولاد رسول هو الجزء الوافر الأعظم . وفيه أربع جمل :

الجملة الأولى

(فما أشتمت عليه من النواحي، والمدن، والبلاد)

قال في "مسالك الأبصار" حدثني الحكيم صلاح الدين بن البرهان : أن اليمن منقسم إلى قسمين : سواحل ، وجبال ، وأن السواحل كلها لبني رسول ، والجبال كلها أو غالبها للأشراف . قال : وهي أقل دخلا من السواحل : لمدد البحر لتلك واتصال سبيلها عنه ، وانقطاع المدد عن هذه البلاد لانقطاع سبيلها من كل جهة .

قال : وحدثني أبو جعفر بن غانم : أن بلاد الشرفاء هؤلاء متصلة ببلاد السراة ، إلى الطائف ، إلى مكة المعظمة .

قال : وهي جبال شامخة ، ذات عيون دافقة ومياه جارية ، على قرى متصلة ، الواحدة إلى جانب الأخرى ، وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم ، لا يضمهم ملك ملك ، ولا يجمعهم حكم سلطان ، ولا تخلو قرية منها من أشجار وعروش وذوات فواكه أكثرها العنب واللوز ، ولها زروع أكثرها الشعير ، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب ، وضائق بها الحظائر .

قال : وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشرعية ووقوف معها ، يعضون على دينهم بالتواجد ، ويقرون كل من يتر بهم ، ويضيّقونه مدة مقامه حتى يفارقهم . وإذا دبحوا لضيقتهم شاة ، قدموا له جميع لحمها ورأسها وأكارعها وكبدتها وقلوبها وكرشها ، فيأكل ويحمل معه ما يحمل . ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفّره ، لوقوع العداوة بينهم .

ثم هي تشمل على عدة حصون وبلاد مُحَصَّبة .

وقاعدتها مدينة (صَنَعَاء) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وسكون النون وعين مهملة وألف ممدودة . وهى مدينة من نُجُود اليمن ، واقعةً فى أوائل الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الاطوال" حيث الطول سبع وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "الروض المعطار" : وأسمها الأول « أَوَال » ^(١) يعنى بضم الهمزة وفتح الواو من الأولية بلغتهم . فلما واقفها الحبشة ونظروا إلى بنائها ، قالوا : هذه صنعة ، ومعناه بلغتهم حصينة فسميت صنعاء من يومئذ . قال : والنسبة إليها صَنَعَانِيٌّ على غير قياس . ويقال : إنها أول مدينة بُنِيَتْ باليمن .

ثم اختلف : ف قيل بناها سَامُ بن نوح عليه السلام ؛ وذلك أنه طلب مكانا معتدل الحرارة والبرودة فلم يجد ذلك إلا فى مكان صنعاء فبنى هذه المدينة هناك . وقيل بَنَاهَا عَادٌ .

قال فى "تقويم البلدان" : وهى من اعظم مُدُن اليمن ؛ وبها اسواق ومتاجر كثيرة ؛ ولها شبه بدمشق : لكثرة مياهها وأشجارها ؛ وهواؤها معتدل ؛ وتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف ؛ وفى أطول يوم فى السنة يكون الشاخص عند الاستواء لا ظل له .

وقال فى موضع آخر : تُشَبِّه بَعْلَبَكَّ فى الشام ، لتماها الحسن وحُسْنُهَا التَّام ؛ وكثرة الفواكه ، تقع بها الأمطار والبرد . وهى كرسى ملوك اليمن فى القديم ، ويقال إنها كانت دار ملك التَّبابعة . قال فى "الروض المعطار" : وهى على نهر صغير يأتى

(١) كذا فى "العبر" أيضا والذي فى معجم البلدان والقاموس فى مادة أزل أن أسم صنعاء "أزال" كسحاب أى بالزأى المعجمة فتأمل .

إليها من جبل في شمالها، ويمتدُّ مُنَحْدِرًا إلى مدينة دَمَارَ، ويصب في البحر الهندي،
وعمارتها متصلة؛ وليس في بلاد اليمن أقدم منها عمارَةً، ولا أوسع منها قُطْرًا .

قال في "تقويم البلدان" : وكانت في القديم كرمى مملكة إين . قال : وبها
تلٌ عظيم يعرف بعمدان، كان قصرا يترله ملوكها . قال في "الروض المعطار" :
وهو أحد البيوت السبعة التي بُنيت على اسم الكواكب السبعة ، بناه الضحَّاك على
اسم الزهرة ؛ وكانت الأمم تحجُّه فهدمه عثمانُ رضى الله عنه فصار تَلًّا عظيمًا .
قال في "تقويم البلدان" : وهي شرقيَّ عدنَ بشمال في الجبال .

ولها عدة بلاد وحصون مضافة إليها، جارية في أعمالها .

منها (حَلَّانُ) - بفتح الكاف وسكون الحاء المهملة ثم لام ألف ونون
في الآخر . وهي قلعة من عمل صنعاء على القرب منها . قال ابن سعيد : كان بها
في أول المائة الرابعة بنو يعفر من بقايا التبايسة . قال : ولم يكن لها نبأهة
في الملوك إلى أن سكنها بنو الصليحي ، وغلب عليها الزيدية ، ثم السليانيون بعد
بنى الصليحي .

ومنها (نَجْرَانُ) . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة
وألف ونون في الآخر . قال الأزهري : وسميت بنجران بن زيد ، بن سبيل ،
ابن يشجب ، بن يعرب ، بن قِطان . وهي بلدة من بلاد قبيلة همدان ، واقعة
في الإقليم الأول . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة ،
والعرض تسع عشرة درجة .

قال في "تقويم البلدان" : وهي بليدة فيها نخيل ، بين عدنَ وحَضْرَمَوْتِ ،
في جبال بين قرى ومدائن وعمائر ومياه ؛ تشتمل على أحياء من إين ؛ وبها يُتخذُ

الأدم ؛ وهى شرقى صنعاء بشمال ؛ وبها أشجار ، وبينها وبين صنعاء عشر مراحل ، ومنها إلى مكة عشرون يوماً فى طريق معتدل . وجعلها صاحب الحكام صقعا مفردا عن اليمن .

ومنها (صعدة) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الصاد وسكون العين المهملتين ودال مهملة وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : والنسبة إليها صاعدى على غير قياس . قال فى "القانون" : وتسمى (غيل) أيضا . وهى بلدة على ستين فرسخا من صنعاء ، وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست عشرة درجة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة عامرة أهلة خصبة ، وبها مدايح الأدم وجلود البقر ، التى تُتخذ منها النعال .

ومنها (خيوان) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الخاء المعجمة وسكون المشاة من تحت وفتح الواو ، ثم ألف بعدها نون . وهى صقع معروف باليمن ، واقع فى الإقليم الأول . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وإحدى وعشرون دقيقة ، والعرض خمس عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بلاد تشتمل على قرى ومزارع ومياه ، معمورة بأهلها ، وبها أصناف من قبائل اليمن . قال المهلبى : وهى طرف منازل بنى الضحاك من بنى يعفر من بقايا التبابعة ، وماؤها من السماء . قال الإدريسى : وبينها وبين صعدة ستة عشر فرسخا . وقال المهلبى : بينهما أربعة وعشرون ميلا .

ومنها (جرش) . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الجيم وفتح الراء المهملة وشين (١) [معجمة] فى الآخر . وهى بلدة باليمن ، موقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وستون درجةً ونحسون دقيقةً ، والعرضُ سبعَ عشرةَ درجة . وهي بلدةٌ بها نخيل ، مشتملةٌ على أحياء من اليمن ، ويُتخذ بها الأدمُ الكثير . قال في "العزيزي" : وهي بلدةٌ صالحة ، وحولها من شجر القرظ مالا يُحصى ، وبها مدابغ كثيرة . قال الإدريسي : وهي مدينةٌ تجران متقاربتان في المقدار والعمارة ، ولهما مزارعٌ وضياحٌ وبينهما ستُّ مراحل .

ومنها (مأربُ) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وهمزة ساكنة وراء مهملة مكسورة وفي آخرها باء موحدة . وذكر أنه رآها مكتوبةً في الصحاح كذلك ؛ ثم قال : والمشهور فتح الهزمة ومدّها . وهي مدينةٌ على ثلاثِ مراحلٍ من صنعاء ، واقعةٌ في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطولُ ثمانٌ وستون درجة ، والعرضُ أربعَ عشرةَ درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في آخر جبال حَضْرَمَوْت ، ويقال لها مدينةٌ سَبِيّا ، تسميّةٌ لها باسم بانيها ، وبها كان السُّد . قال : وكانت قاعدةً التابعة وهي اليوم خرابٌ .

ومنها (حَضْرَمَوْت) . قال في "اللباب" : بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة ، وبعدها ميم مفتوحة وواو ساكنة وتاء مثناة من فوقها في الآخر . وهي ناحيةٌ من نواحي اليمن ، وأعمالها أعمال عريضةٌ ، ذاتُ شجر ونخل ومزارع .

(١) قال الأزهرى : وسميت حَضْرَمَوْت بحاضر ، بن سنان ، بن إبراهيم ، وكان أول من نزلها .

(١) كذا في تاريخ أبي الفدا أيضا . وفي معجم ياقوت "سميت بحاضرميت وهو أول من نزلها" .

قال صاحب "العبر" : وكانت بلاد حَضْرَمَوْتِ لعادٍ مع البحرين وعمَّانَ ،
ثم غلبهم عليها بنو يَعْرُبَ بنِ قُطَابَ ، حين وثى أولادُه البلادَ أعطى هذه أبْنَه
حَضْرَمَوْتِ فَعُرِفَتْ به . والنسبة إليها حَضْرَمِيٌّ ، وقصبتها مدينة "شِبَامَ" . قال
في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف وميم ، وهم
أَبْنُ الأَثِيرِ في "اللباب" ^(١) : فجعل شِبَامَ قَبِيلَةً لابلدا . قال في "تقويم البلدان" :
وهي خارِجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" :
وهي حيثُ الطولُ إحدى وسبعون درجةً ، والعرضُ اثنتا عشرة درجة وثلاثون
دقيقةً ، وهي قلعة فوق جبلٍ منبع فيه قُرَى ومزارعٌ كثيرةٌ . قال في "الغريزى" :
وفيه سُكَّانٌ كثيرةٌ . قال : وفيه معدنُ العقيق والجَنْزَع . وبينها وبين صنعاء أحدٌ
وعشرون فرسخاً ، وقيل إحدى عشرة مرحلةً ، وبينها وبين ذِمَارِ مرحلةٌ واحدة .

الجملة الثانية

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

قد تقدّم أن الطريق من مصر إلى مكة معروفة . قال أَبْنُ خرداذبه : ثم من
مكة إلى بَرِّابن المرتفع ، ثم إلى قَرْنِ المَنَازِل : قرية عظيمة ، وهي ميقاتُ أهل
اليمن للحجّ منه يُحْرِمُونَ ، ثم إلى القُتُق : وهي قرية كبيرة ، ثم إلى صَقْر ، ثم إلى
ثُرْبَةٍ : وهي قرية كبيرة ، ثم إلى كُدَيٍّ ، وفيها نخيل وعيون ، ثم إلى رَنْيَةٍ ، وفيها نخيل
وعيون أيضاً ، ثم إلى تَبَالَةٍ ، وهي مدينة كبيرة فيها عيون جارية ، ثم إلى جَسَدَاءَ
وفيها بَرُّولا أهل فيها ، ثم إلى كَشَةٍ ، وهي قرية عظيمة فيها عيون وحَرَسٌ ، ثم إلى

(١) عبارة "معجم البلدان" وغلط أَبْنُ الأَثِيرِ في تغليطه للسمعاني حيث قال شِبَامَ قَبِيلَةٌ وليست بمكان
[فلعل لفظ في اللباب من زيادة الناح]

بِشَّة يَقْطَان ، وفيها ماءٌ ظاهر وكَرَم ، والحرس منها على ثلاثة أميال ؛ ثم إلى المَهْجَرَة ، وهي قرية عظيمة فيها عيون وفيها بين سروم راح والمَهْجَرَة طَاحَة المَلَّة : وهي شجرة عظيمة . وهناك حَدٌّ ما بين عَمَل مكة المشرفة وعَمَل اليمن ؛ ثم منها إلى عَرِيقَة ، وماؤها قليل ولا أهل فيها ؛ ثم إلى صَعْدَة ، وقد تقدّم ذكرها ؛ ثم إلى الأَعْمَشِيَّة ، وفيها عين صغيرة ولا أهل فيها ؛ ثم إلى خِيَوَان ، وقد تقدّم ذكرها ؛ ثم إلى أثَافَت ، وهي مدينة فيها زرع وكَرَم وعيون ؛ ثم إلى مدينة صَنْعَاء ، وهي قاعدة هذه المملكة على ما تقدّم .

الجملة الثالثة

(فَيَمُنْ ملك هذه المملكة إلى زماننا)

قد تقدّم في الكلام على صنعاء أنها كانت قاعدة مُلْك التَّابِغَة ، وقد مرَّ القولُ عليهم في الكلام على ملوك اليمن في مملكة بنى رَسُول ، في القسم الأول من اليمن .

أما حَضْرَمَوْتُ ، فقد قال عليّ بن عبد العزيز الجُرْجَانِي : ^(١) إنه كان لهم في الجاهلية ملوك يُقَارِبُونَ مُلُوكَ التَّابِغَة في عُلُوِّ الصَّيْتِ وَنَبَاهَةِ الدَّكْرِ . ثم قال : وقد ذكر جماعة من العلماء أن أول من آنسَطَ يَدَهُ منهم ، وارتفع ذكره (عَمْرُو بْنُ الْأَشْثَبِ) أَبْنُ رَبِيعَة ، بن يرام ، بن حَضْرَمَوْتُ ، ثم خلفه أبْنُهُ (نَمِرُ الْأَزْجِ) فملكهم مائة سنة ، وقاتل العاقلة .

ثم ملك بعده أبْنُهُ (كُرَيْبٌ ، ذُو كَرَابِ) بن نمر الأزج مائة وثلاثا وثلاثين سنة .

ثم ملك بعده (مَرْثَدُ ذُو مِرَانِ) بن كُرَيْب مائة وأربعين سنة ؛ وكان يسكن مَأْرِبَ ، ثم تحوّل إلى حَضْرَمَوْتُ .

(١) نقل في "العبر" ج ٢ ص ٣٠ هذه العبارة بزيادة في الملوك وبعض تغيير في أسمائهم فارجع إليه .

ثم ملك بعده أبنه (عَلْقَمَة، ذَوْقِيْقَان) بن مرثد ذى مُرَّان ثلاثين سنة .

ثم ملك بعده أبنه (ذَوْعِيل) بن ذى قيقان عشرين سنة . ثم تحوّل من حضرموت إلى صنعاء وأشتدت وطأته . وهو أوّل من غزا الرُّوم من ملوك اليمن ، وأدخل الحرير والديباج اليمن .

ثم ملك بعده أبنه (بدعيل بن ذى عيل) أربع سنين ، وبني بها حصونا وخلف آثارا .

ثم ملك بعده أبنه (يدنو ذو حمار) بن بدعيل بحضرموت وبحر فارس ، وكان في أيام سابور ذى الأكثاف من ملوك الفرس ، ودام ملكه ثمانين سنة ؛ وهو أوّل من اتخذ الحجاب من ملوكهم .

ثم ملك بعده أبنه (لِشْرَح) ذو الملك ، بن ودب ، بن ذى حمار ، بن عاد من بلاد حضرموت مائة سنة ، وهو أوّل من رتب المراتب ، وأقام الحرس من ملوكهم .

ثم ملك بعده (ينعم) بن ذى الملك دثار بن جذيمة .

ثم ملك بعده (ساجي) بن نمر ، وفي أيامه تغلبت الحبشة على اليمن ، وقد مرّ القول على ملكهم ثم ملك الفرس بعدهم إلى ظهور الإسلام في الكلام على ملوك اليمن في القسم الأوّل من اليمن ، فأغنى عن إعادته هنا .

وأما نَجْرَانُ وَجَرْشُ ، فإنهما [كانا] بيدي جُرْهُم من القحطانية ؛ ثم غلبهم على ذلك بنو حُمير ، وصاروا ولايةً للتبابعة ؛ فكان كلّ من ملك منهم يسمّى أفعى . ومنهم كان الأفعى الذى حكم بين أولاد نِزَارِ بن معد بن عدنان في قصتهم المشهورة .

ثم نزل نَجْرَانُ بنو مذحج ، وأستولوا عليها ؛ ثم نزل في جوارهم الحارث بن كعب الأزدي فغلبهم عليها ، وأنتهت رياسة بنى الحارث فيها إلى بنى الديان ؛ ثم صارت

إلى بنى عبد المَدَّان ، إلى أن كان منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يزيد ، فأسلم على يد خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وكان منهم زياد بن عبد الله بن عبد المَدَّان خال السَّفَّاح ، ولَّاه نجران واليمامة ، وخلف أبنه محمدا ويحيى ، ودخلت المائة الرابعة والملك بها لبنى أبي الحُود بن عبد المَدَّان ، واتصل مجيئهم وكان آخرهم عبد القيس الذى أخذ على بن مهدي الملك من يده .

أما فى الإسلام ، فقد تقدّم فى الكلام على القسم الأوّل من اليمن أيضا أنه لما ظهر الإسلام أسلم باذان نائب الفرس على اليمن ، وتتابع أهل اليمن فى الإسلام ، وولى النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء شهر بن باذان المذكور ، فلما خرج الأسود العنسى ، أخرج عمّال النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن على ما تقدّم ، وزحف إلى صنعاء فملكها وقتل شهر بن باذان وتزوج امرأته . فلما قُتل العنسى ورجع عمّال النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، استبد بصنعاء قيس بن عبد يعوث المرادى ، وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمر على ذلك .

ثم كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، فولى على اليمن (فيروز الديلمي) ثم ولى بعده (المهاجر بن أبى أمية) . ثم توالى عمّال الخلفاء على اليمن على ما تقدّم فى الكلام على القسم الأوّل من اليمن . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن كان أوّل المائة الرابعة بعد الهجرة أو ما قاربها ، فغلب على صنعاء وما والاها بنو يعفر من بقايا التباغة . قال ابن سعيد : وكان دار ملكتهم كحلان ، وهى قلعة من عمل صنعاء بالقرب منها ، ولم أقف على تفاصيل أحوالهم وأسماء ملوكهم .

ثم كانت دولة أئمة الزيدية القاسمين بها إلى الآن ، وهم بنو القاسم الرّسى ،

(١) ابن إبراهيم طباطبا، بن إسماعيل الديباج، بن عبد الله، بن الحسن المشي، بن الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان مبدأ أمرهم أن محمد بن إبراهيم طباطبا خرج بالكوفة في خلافة المأمون ، في سنة تسع وتسعين ومائة ودعا إلى نفسه ، وكان شيعته من الزيدية وغيرهم يقولون : إنه مستحق للإمامة بالتوارث من آبائه عن جده إبراهيم الإمام ، وغلب على كثير من بلاد العراق ، ثم نحدت سورته ، فطلب المأمون أخاه القاسم الرسي فهرب إلى الهند ، ولم يزل به حتى هلك سنة خمس وأربعين ومائتين ، فرجع ابنه الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا إلى اليمن ، فكان من عقبه هؤلاء الأئمة .

وأول من خرج منهم باليمن (يحيى بن الحسين الزاهد) بن القاسم الرسي ودعا لنفسه بصعدة وتلقب بالهادي ، وبويع بالإمامة سنة ثمان وثمانين ومائتين في حياة أبيه الحسين ، وجمع الشيعة وغيرهم وحارب إبراهيم بن يعفر ، ويقال أسد بن يعفر ، القائم من أعقاب التبابعة بصنعاء وكلان ، وملك صنعاء ونجران وضرب السكة باسمه .

قال في "مسالك الأبصار" : واستجاب الناس لدعائه ، وصلوا بصلاته وأمنوا على دعائه ، وقام فيهم مقاما عظيما ، وأثر فيهم من الصلاح أثرا مشهودا . قال : وفي ذلك يقول :

بَنِي حَسَنِ إِنِّي نَهَضْتُ بِأَرْكُمُ * وَثَارَ كِتَابِ اللَّهِ وَالْحَقِّ وَالسَّنَنِ
وَصَيَّرْتُ نَفْسِي لِلْحَوَادِثِ عُرْضَةً * وَغَبْتُ عَنِ الْإِخْوَانِ وَالْأَهْلِ وَالْوَطَنِ

ثم أرتجعهما بنو يعفر منه ورجع هو إلى صعدة ، فتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين ، لعشر سنين من بيعته . قال ابن المحاب : وله مصنفات في الحلال

(١) في "كامل" ابن الأثير إبراهيم بدل عبد الله .

والحرام . وقال غيره ، كان مجتهداً في الأحكام الشرعية ؛ وله في الفقه آراء غريبة ،
وتأليف بين الشيعة مشهورة . قال ابن حزم : ولم يبعد في الفقه عن الجماعة
كل البعد .

قال الصوليّ : ثم ولي بعده ابنه (محمد المرتضى) وتمت له البيعة ؛ فاضطرب
الناس عليه . قال في "أنساب الطالبين" : وأضطرب إلى تجريد السيف فجرده .
وفي ذلك يقول :

كدر الورْد علينا بالصّدْر * فِعْلٌ مَنْ بَدَلَ حَقًّا أَوْ كَفَرَ
أَيُّهَا الأُمَّةُ عُدِيْ لِلْهُدَى * وَدَعِيْ عَنْكَ أَحَادِيثَ البَشَرِ
عَدِمَتِي الْبَيْضُ وَالسُّمْرُ مَعًا * وَتَبَدَّلْتُ رُقَادًا بِسَهَرِ
لَأَجْرَتٍ عَلَى أَعْدَائِنَا * نَارَ حَرْبٍ بِضَرَامٍ وَشَرَرِ

ومات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته .

وولي بعده أخوه (الناصر) فاستقام ملكه .

ثم ولي بعده ابنه (الحسين) المنتجب (بالجم) ومات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

وولي بعده أخوه (القاسم المختار) بعهد من أخيه المذكور ، وقتله أبو القاسم بن
الضحاك الهمداني سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

وولي بعده صاعدة (جعفر الرشيد) ثم بعده أخوه (المختار) ثم أخوه (الحسن
المنتجب) ثم أخوه (محمد المهدي) .

قال "ابن الحباب" : ولم تزل إمامتهم بصاعدة مطردة إلى أن وقع الخلاف بينهم
وجاء السليمانيون أمراء مكة حين غلبة الهواشم عليهم فغلبوا على صاعدة في المائة
السادسة .

قال ابن سعيد : وقام بها منهم (أحمد بن حمزة) بن سليمان ، بن داود ،
ابن عبد الله ، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط ، وغلب على زييد وملكها من
بنى مهدي ، ثم أترعها بنو مهدي منه ، وغاد إلى صعدة ومات .

فولي بعده ابنه المنصور (عبد الله) بن أحمد بن حمزة ، وأمدت يده مع الناصر
لدين الله خليفة بنى العباس ببغداد ، وبعث دُعَاة إلى الديلم والحبيل ، فخطب
له بهما وأقيم له بهما ولاية . وكان بينه وبين سيف الإسلام بن أيوب ، ثم الملك
مسعود ابن الملك الكامل حروب باليمن . وبقي حتى توفي سنة ثلاثين وستمائة
عن عمر طويل .

وولي بعده ابنه (أحمد) بن المنصور عبد الله بن أحمد بن حمزة ، ولقب بالمتوكل
صغيرا ولم يُخطب له بالإمامة لصغر سنه .

وكان بنو الرسي حين غلب عليهم السليمانيون بصعدة أووا إلى جبل شرق
صعدة ، فلم يرحوا عنه ، والخبر شائع بأن الأمر يرجع إليهم ، إلى أن كان المتوكل
أحمد من السليمانيين ، فبايع الزيدية أحمد الموطئ ، بن الحسين المنتجب ، بن أحمد
الناصر ، بن يحيى الهادي ، بن الحسين ، بن القاسم الرسي ، بن إبراهيم طباطبا ،
المقدم ذكره في سنة خمس وأربعين وستمائة .

وكان الموطئ فقيها أدبيا عالما بمذهبهم ، قواما صواما ، فأهمَّ عمر بن علي بن رسول
صاحب زييد شأنه ، فحاصره بحصن ملا سنة فلم يصل إليه ، وتمكن أمر الموطئ
وملك عشرين حصنا ، وزحف إلى صعدة فغلب السليمانيين عليها ، فترل أحمد
المتوكل : إمام السليمانيين إليه ، وبايعه في سنة تسع وأربعين وستمائة ، وجمع سنة
خمسين وستمائة وبقي أمر الزيدية بصعدة في عقبه .

وقد ذكر المقرّ الشهابيّ بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أنه سأل تاج الدين عبد الباقي اليانقيّ أحد كتّاب اليمن عن تفاصيل أحوال هذه الأئمة فقال : إن أئمة الزيديين كثيرون ، والمشهور منهم المؤيّد بالله ، والمنصور بالله ، والمهديّ بالله ، والمطهر يحيى بن حمزة . قال : ويحيى بن حمزة هو الذي كان آخرًا على عهد الملك المؤيّد داود بن يوسف صاحب اليمن ، وكانت الهدنة تكون بينهما .

وذكر في "التعريف" أن الإمامة في زمانه كانت في بني المطهر . ثم قال : وآسم الإمام القائم في وقتنا حمزة . ثم قال : ويكون بينه وبين الملك الرسوليّ باليمن مُهادنات ومُفاسّحات تارةً وتارةً . قال قاضي القضاة وليّ الدين بن خلدون في تاريخه : وقد سمعت بمصر أن الإمام بصّعة كان قبل الثمانين والسبعائة على ابن محمد من أعقابهم ، وتوفي قبل الثمانين ، ووليّ ابنه صلاح ، وبايعه الزيدية . وكان بعضهم يقول فيه : إنه ليس بإمام لعدم اجتماع شروط الإمامة ، فيقول : أنا لكم على ما شئتم : إمام أو سلطان .

ثم مات صلاح آخر سنة ثلاث وتسعين وسبعائة ، وقام بعده ابنه (نجّاح) وأمتنع الزيدية من بيعته . فقال : أنا محتسب لله تعالى .

قلت : وقد وهم في "التعريف" : بفعل هذه الأئمة من بقايا الحسينيين القائمين بأمل الشطّ من بلاد طبرستان ، وأن القائم منهم بأمل الشطّ بطبرستان هو الداعي المعروف بالعلويّ من الزيدية ، وهو الحسن ، بن زيد ، بن محمد ، بن إسماعيل ، بن الحسن السبط ، بن عليّ ، بن أبي طالب رضي الله عنه . خرج سنة خمس وخمسين ومائتين أو ما يقاربها ، فملك طبرستان وجرّجان وسائر أعمالهما ثم مات ، وقام أخوه (محمد بن زيد) مقامه . وكان لشيعته من الزيدية دولةً هناك ، ثم انقرضت وورثها

الناصر الأطروش ، وهو (الحسن) بن عليّ ، بن الحسين ، بن عليّ ، بن عمر ، بن عليّ زين العابدين ، بن الحسين السبط ، بن عليّ ، بن أبي طالب ، وكان له دولة هناك . ثم خرج عليّ الأطروش من الزيدية الداعى الأصغر ، وهو (الحسن) بن القاسم ، ابن عليّ ، بن عبد الرحمن ، بن القاسم ، بن محمد البطحائيّ ، بن القاسم ، بن الحسن ، ابن زيد ، بن الحسن السبط ، وجرى بينه وبين الأطروش حروب إلى أن قتل سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، ويجمع الداعى الأصغر مع الداعى الأكبر في الحسن ابن زيد ، وليس بنو الرسى الذين منهم أئمة اليمن من هؤلاء بوجه .

الجملة الثالثة

(في ترتيب مملكة هذا الإمام)

قال في "التعريف" بعد أن ذكر إمام زمانه : وهذا الإمام وكل من كان قبله على طريقة ما عدوها ، وهي إمارة أعرابية ، لا كبر في صدورهما ، ولا شتم في عرائنها ، وهم على مسكة من التقوى ، وتردّ بشعار الزهد ، يجلس في ندى قومه كواحد منهم ، ويتحدث فيهم ويحكم بينهم ، سواءً عنده المشروف والشريف ، والقوى والضعيف . قال : وربما أشتري سلعته بيده ، ومشى بها في أسواق بلده ، لا يغلظ الحجاب ، ولا يكلّ الأمور إلى الوزراء والحجاب ، يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسّع ، ولا تكثر [غير مشبع] ^(١) . هكذا هو وكل من سلف قبله ، مع عليل شامل ، وفضل كامل .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن تاج الدين عبد الباقي اليماني الكاتب نحو ذلك ، فقال : وأئمتهم لا يحبّون ولا يحبّون ، ولا يروّن التفخيم والتعظيم ، الإمام

(١) الزيادة عن التعريف .

كواحد من شيعته : في مأكله ومشربه وملبسه ، وقيامه وقعوده ، وركوبه ونزوله ، وعامة أموره ؛ يجلس ويحلس ، ويعود المرضى ، ويصلي بالناس وعلى الجنائز ، ويسمع الموتى ، ويحضر دفن بعضهم . قال : ولشيعته فيه حسن اعتقاد ، ويستشفون بدعائه ، ويمتزون يده على مرضاهم ، ويستسقون المطر به إذا أجذبوا ، وبياغوث في ذلك مبالغه عظيمة . قال "المقر الشهابي" بن فضل الله : ولا يكبر لإمام هذه سيرته (في التواضع لله وحسن المعاملة لخلقه ، وهو من ذلك الأصل الطاهر ، والعنصر الطيب) أن يُجاب دعاؤه ، ويتقبل منه . وينادى ببلاد هذا الإمام في الأذان "بحي على خير العمل" بدل الحيعلتين ، كما كان ينادى بذلك في تأذين أهل مصر في دولة الخلفاء الفاطميين بها . قال في "التعريف" : وأمرأ مكة تسر طاعته ، ولا تفارق جماعته . قال ابن غانم : هذا الإمام يعتقد في نفسه ويعتقد أشياء فيه انه إمام معصوم ، مفترض الطاعة ، تتعقد به عندهم الجمعة والجماعة ؛ ويرون أن ملوك الارض وسلاطين الأقطار يلزمهم طاعته ومبايعته ، حتى خلفاء بني العباس ؛ وأن جميع من مات منهم مات عاصيا بترك مبايعته ومتابعته . قال : وهم يزعمون ويزعم لهم أن سيكون لهم دولة يُدال بها بين الأمم ، وتملك منتهى الهمم ؛ وأن الإمام الحجة المنتظر في آخر الزمان منهم .

وذكر عن رسول هذا الإمام ، الواصل إلى مصر : أن الأئمة في هذا البيت أهل علم يتوارثونه : إمام عن إمام ، وقائم عن قائم . وذكر عن بعض من مر بهم انه فارقهم في سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة وهم لا يشكون أنه قد آن أو أن ظهورهم ، وحين ملكهم . ولهم رعايا تختلف إلى البلاد ، وتجتمع بمن هو على رأيهم . يتربصون ضعف الدولة في أقطار الأرض .

وحكى "المقر الشهابي بن فضل الله" عن قاضي القضاة كمال الدين محمد بن الزمكاني قاضي حلب : أنه مات رجلٌ من شيعتهم بحلب ، فُوجِدَ عنده صندوقان ، ضمَّهما كُتُبٌ من أئمة هذه البلاد إلى ذلك الرجل وإلى سلفه ، يستعرفون فيها الأخبار ، وأحوال الشيعة ، والسؤال عن أناس منهم ؛ وأن في بعضها : ولا يؤخر مددٌ من هنا من إخوانكم المؤمنين في هذه البلاد الشاسعة ، وهو حق لله فيه تركية أموالكم ، ومددٌ إخوانكم من الضعفاء وآتقوا الله ﴿ اَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ .

ونقل عن الشيخ شهاب الدين بن غانم : أنه حدّثه عند وصوله من اليمن أنّ هذا الإمام في منعة منيعه ، وذروة رفيعه ؛ وأنه يركب في نحو ثلاثة آلاف فارس ، وأنّ عسكره من الرحالة ، خلق لا جسم . وذكر عن أقام عندهم : أنهم أهل نجدة وبأس ، وشجاعة ورأى ؛ غير أنّ عددهم قليل ، وسلاحهم ليس بكثير : لضيق أيديهم ، وقلة دخول بلادهم . ونقل عن تاج الدين عبد الباقي اليمني : أن قومه معه على الطوعية والالتقياد ، لا يخرج أحد منهم له عن نصّ ، ولا يشاركه فيما يميّز به .

قال ابن غانم : وزىّ هذا الإمام وأتباعه زىّ العرب في لباسهم والعمامة والحنك ؛ بخلاف ما تقدّم من زىّ صاحب اليمن من بنى رسول . قال الشيخ شهاب الدين بن غانم : وهذا الإمام لا يزال صاحبُ اليمن يرعى جانبَه ، وفي كل وقت تُعقد بينهما العقود ، وتكتب الهدن ، وتوثق الموائيق ، وتُستَطر الشروط .

قال في "التعريف" : وقد وصل إلينا بمصر في الأيام الناصرية (سقى الله تعالى عهدها) رسولٌ من هذا الإمام بكتاب اطلال فيه الشكوى من صاحب اليمن ، وعدّد قبائحه ، وتشر على عيون الناس فضائحه ؛ وأستنصر بممدد يأتي تحت الأعلام

المنصورة لإجلاله عن دياره ، وإجرائه مجرى الذين ظلموا في تعجيل دماره .
وقال : إنه إذا حضرت الحيوش المؤيدة قام معها ، وقاد إليها الأشراف والعرب
أجمعها ، ثم إذا استنقذ منه ما بيده أنعم عليه ببعضه ، وأعطى منه ما هو إلى جانب
أرضه . قال : فكتبتُ إليه مؤذنا بالإجابة ، مؤذيا إليه ما يقتضى إعجابه ، وضمن
الجواب أنه لا رغبة لنا في السلب ، وأن النصرة تكون لله خالصة وله كل البلاد
لاقدر ما طلب .

وسيتأتى ذكر المكتبة إلى هذا الإمام عن الأبواب السلطانية ، في الكلام على
المكتبات ، في المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القُطْرُ الثَّانِي

(مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية
”بلاد البحرين“ تشنية بحر)

قال في ”تقويم البلدان“ : بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وفتح الراء
المهملة وسكون المثناة من تحت ثم نون . وهى قطعة من جزيرة العرب المذكورة .
قال في ”تقويم البلدان“ : وهى ناحية من نواحى نجد ، على شطّ بحر فارس ،
ولها قرى كثيرة . قال : وهى (هجر) ونهايتها الشرقية الشمالية قال فى ”الأطوال“
ونهايتها من الشمال فى الإقليم الثانى حيث الطول أربع وسبعون درجة وعشرون
دقيقة ، والعرض خمس وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة .

قال فى ”المشترك“ : ويقال للبحرين هجر أيضا - بفتح الهاء والجيم ثم راء
مهملة وليست هجر مدينةً بعينها . قال الأزهري : وإنما سميت هجر بالبحرين
ببحيرة بها عند الاحساء وبالبحر الملح يعنى بحر فارس ، والنسبة إلى البحرين

بجُرَانِيّ . قال الجوهرى : والنسبة إلى هجر هاجرٍ على غير قياس . قال الأزهري :
وسميت هجر بهجر بنت المكنف ، وهى التى بنتها .
وفى ثلاث جمل :

الجملة الأولى

(فما تشتمل عليه من المدن)

وقاعدتها (عُمان) قال فى "اللباب" : بضم العين المهملة وفتح الميم ونون
فى الآخر بعد الألف . قال الأزهري : وسميت بعمان بن نعان بن إبراهيم
عليه السلام ، وموقعها فى الإقليم الأول . قال : وهى على البحر تحت البصرة .
قال المهلبى : وهى مدينة جليلة ، بها مرسى السفن من السند والهند والزيج ، وليس
على بحر فارس مدينة أجل منها ، وأعمالها نحو ثلثمائة فرسخ . قال : وهى ديار الأزد
قال فى "تقويم البلدان" : وهى بلدة كثيرة النخيل والقواكه ، ولكنها حارة جداً .
وكانت القصبة فى القديم مدينة صحار . قال فى "تقويم البلدان" : بضم الصاد
وفتح الحاء المهملتين كما فى الصحاح . قال : وهى اليوم نحراب .
وبها بلاد أخرى غير ذلك .

منها (الأحساء) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح
السين المهملتين وألف فى الآخر . قال فى "المشترك" : والأحساء جمع حصى ،
وهو رمل يغوص فيه الماء ، حتى إذا صار إلى صلابة الأرض أمسكته فتحفر
عنه العرب وتستخرجه . وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .
قال فى "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،

(١) فى معجم ياقوت "يفشان" وفى "العبر" سميت بعمان بن لخطان أول من نزلها بولاية أخيه يعرب .

وَالْعَرَضُ اثْنَتَانِ وَعَشْرُونَ دَرَجَةً . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : ذَاتُ نَخِيلٍ كَثِيرٍ ، وَمِيَاهٍ جَارِيَةٍ ، وَمَنَابِعُهَا حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ ، وَنَخِيلُهَا بِقَدْرِ غُوطَةِ دِمَشْقَ ، وَهُوَ مُسْتَدِيرٌ عَلَيْهَا ، وَهِيَ فِي الْبَرِيَّةِ ، فِي الْغَرْبِ عَنِ الْقَطِيفِ بِمِيلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ ، عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنْهَا . قَالَ : وَتَعْرِفُ بِأَحْسَاءِ بْنِ سَعْدٍ .

وَمِنْهَا (الْقَطِيفُ) . قَالَ فِي "الْبَابِ" : بَفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمَشْنَةِ مِنْ تَحْتِ وَفَاءٍ فِي الْآخِرِ . وَهِيَ بَلَدَةٌ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنَ الْأَحْسَاءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالشَّامِ ، وَاقِعَةٌ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَالْقِيَاسُ أَنَّهَا حَيْثُ الطُّولُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ دَرَجَةً وَخَمْسٌ وَخَمْسُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرَضُ اثْنَتَانِ وَعَشْرُونَ دَرَجَةً وَخَمْسٌ وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَهِيَ عَلَى شَطِّ بَحْرِ فَارَسَ ، وَبِهَا مَغَاصُ لُؤْلُؤٍ ، وَبِهَا نَخِيلٌ دُونَ نَخِيلِ الْأَحْسَاءِ . قَالَ : وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا أَنَّ لَهَا سُورًا وَخَنْدَقًا وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ ، وَالْبَحْرُ إِذَا مَدَّ يَصِلُ إِلَى سُورِهَا وَإِذَا جَزَرَ يَنْكَشِفُ بَعْضُ الْأَرْضِ ؛ وَهِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْأَحْسَاءِ . قَالَ : وَلَهَا خَوْرٌ فِي الْبَحْرِ تَدْخُلُ فِيهِ الْمَرَاقِبُ الْكِبَارُ الْمَوْسِقَةُ فِي حَالَةِ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ سِتَّةُ أَيَّامٍ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ عُثْمَانَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ .

وَمِنْهَا (كَاطِمَةُ) . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : بِكَافٍ وَأَلْفٍ وَظَاءٍ مَعْجَمَةٌ مَكْسُورَةٌ وَمِيمٌ وَهَاءٌ . قَالَ : وَهِيَ جَوْنٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْقَطِيفِ ، فِي سَمْتِ الْجَنُوبِ عَنِ الْبَصْرَةِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَصْرَةِ مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَطِيفِ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قد ذكر صاحب "العبر" : أنها كانت في القديم لعاد مع حضر موت والشحر وما والاها، ثم غلب عليها بعد ذلك بنو يعرب بن قحطان .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصّل إليها)

قد تقدّم في الكلام على مملكة إيران الطريق من مملكة مصر إلى البصرة . قال ابن خرداذبه : ثم من البصرة إلى عبّادان، ثم إلى الحدودة^(١)، ثم إلى عرّفاء، ثم إلى الزابوقة، ثم إلى المغز، ثم إلى عصا، ثم إلى المعرس، ثم إلى خليجة، ثم إلى حسان، ثم إلى القرى، ثم إلى مسيلحة، ثم إلى حمض، ثم إلى ساحل هجر، ثم إلى العفّير، ثم إلى القطن، ثم إلى السبّخة، ثم إلى عُمان .

وذكر لها طريقا أخرى من مكة إليها على الساحل : وهي من مكة، إلى جدّة، إلى منزل، ثم إلى الشعيبة، ثم إلى المرجاب، ثم إلى أغيار، ثم إلى السرين، ثم إلى مرسى حلى، ثم إلى مرسى صنكان، ثم إلى سجين، ثم إلى مخلاف الحكم، ثم إلى الجودّة، ثم إلى مخلاف عك، ثم إلى غلاقة، ثم إلى مخلاف زبيد، ثم إلى المندب، ثم إلى مخلاف الرّكب، ثم إلى المنجلة، ثم إلى مخلاف بنى مجيد، ثم إلى مغاص اللؤلؤ، ثم إلى عدن، ثم إلى مخلاف لحج، ثم إلى قرية عبد الله بن مدحج، ثم إلى مخلاف كندة، ثم إلى الشّحر، ثم إلى ساحل همّاه، ثم إلى عوكلان، ثم إلى فرق، ثم إلى عُمان . وهي طريق بعيدة .

(١) لم يتفق نسخ "ابن خرداذبه" في بعض الأماكن فنقولنا في كثير منها على الأصل .

ولعربها مكاتبات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما سيأتى ذكره
فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

القُطْر الثالث

(مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "اليَمَامَة")

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح المثناة من تحت والميم وألف وميم وهاء
فى الآخر . وهى قِطْعَةٌ من جزيرة العرب من الحجاز ، وعليه جرى الفقهاء فحكوا
بتحريم مُقام الكُفْرِ بها كما بسائر أقطار الحجاز ؛ وهى فى سمت الشرق عن مكة
المُشْرِفة . قال البيهقى : وهى مُلك منقطع بعمله ؛ ويُحَدِّثُها من جهة الشرق
البحرين ، ومن الغرب أطراف اليمن والحجاز ، ومن الجنوب نَجْرَان من نواحي اليمن ،
ومن الشمال نجد والحجاز ؛ وأرضها تسمى العُرُوض : لاعتراضها بين الحجاز والبحرين ؛
وطولها عشرون مرحلة . وهى فى جهة الغرب عن القطيف ، وبينهما نحو أربع
مراحل ، وبينها وبين مكة أربعة أيام . وسميت اليمامة باسم امرأة : وهى اليمامة
بنت سَهْم بن طَسَم ، كانت تنزلها إلى أن قتلها عبد كلال وصلبها على بابها فسميت
بها ، سَمَّاها بذلك تَبَعُ الْآخِر . قال فى "تقويم البلدان" : وكان اسمها فى القديم
جَوْا بفتح الجيم وسكون الواو . قال فى "تقويم البلدان" : وهى عن البصرة على
ست عشرة مرحلة ، وعن الكوفة مثل ذلك . قال فى "تقويم البلدان" : وبها
من القُرب عين ماء مَتَسَعَةٌ ومائوها سارحٌ ، وذكر أنها [أكثرُ نَحِيلًا من] سائر الحجاز ،

(١) لعل الصواب وشد الواو .

(٢) بياض فى الأصل والصحيح من التقويم .

(١)
ثم نقل عن رآها في زمانه أن بها آبارا وقليل نخل، وكأنه حكى عما كانت
عليه في القدم، وبها واد يسمى - الخرج - بجاء معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة
وجيم في الآخر، كما هو مضبوط في الصحاح .
وفيه ثلاث جمل :

الجملة الاولى

(فما آثمت عليه من البلدان)

قد ذكر في "تقويم البلدان" عن أخبره من رآها في زمانه أن بها عدة قرى :
وبها الحنطة والشعير كثير . وقاعدتها دون مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، واقعة
في أوائل الإقليم الثاني . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة
ونخس وأربعون دقيقة، والعرض إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

ومن بلادها (سجبر) قال في "المشارك" : بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم
وراء مهملة في الآخر . وهي في الغرب عن مدينة اليمامة، على مرحلتين منها،
وبعضهم يجعلها قاعدة اليمامة . وموقعها في أوائل الإقليم الثاني . قال في "تقويم
البلدان" : والقياس أنها حيث الطول إحدى وسبعون درجة وعشر دقائق ،
والعرض اثنتان وعشرون درجة . قال : وبها قبور الشهداء الذين قتلوا في حرب
مسيامة الكذاب .

(١) يراى في الأصل ولعله حكى ذلك معبرا عما الخ .

الجملة الثانية

(في ذكر ملوكها)

قال صاحب "العبر" : كانت هي والطائف بيد بنى هزان بن يعفر بن السكسك ، إلى ان غلبهم عليها (طسم) . ثم غلبهم عليها (جديس) ، ومنهم زرقاء اليمامة . ثم استولى عليها (بنو حنيفة) وكان منهم هوزة بن علي ، وهو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام . ثم ملكها من بنى حنيفة (ثمامة) بن أثال على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسر ثم أسلم . ثم كان بها منهم (مسيلمة الكذاب) زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقتل في حرب المسلمين معه . وكان لبني (الأخيضر) من الطالبيين بها دولة .

وأول من ملكها منهم (محمد بن الأخيضر) بن يوسف ، بن إبراهيم ، بن موسى الجون ، بن عبد الله ، بن الحسن المثنى ، بن الحسن السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان استيلاؤه عليها أيام المستعين الخليفة العباسي . ثم ملكها بعده آبنه (يوسف) ثم (آبنه الحسن) ثم آبنه (أحمد) ولم يزل ملكها فيهم إلى أن غلب عليهم القرامطة على ما تقدم ذكره في الكلام على بلاد البحرين .

قال ابن سعيد : وسألت عرب البحرين في سنة ^(١) لمن اليمامة اليوم ؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر .

قلت : ولم أقف لعربها على ذكر في المكاتبات السلطانية بالديار المصرية .

(١) في "العبر" بدل قوله في سنة "وبعض مدح" .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصّل إليها)

قد تقدّم أنها في جهة الشرق عن مكة ، وأنّ بينهما أربعة أيام ، وطريق مكة معروف على ما تقدّم .

أما ما ذكره ابن خرداذبه من طريقها على البصرة - فن البصرة إلى المنجشانية ،^(١) ثم إلى الكُفَيْر ، ثم إلى الرُّحَيْل ، ثم إلى الشَّجِي ، ثم إلى الحَفَر ، ثم إلى ماوِيّة ، ثم إلى ذات العُشْر ، ثم إلى الينسوعة ، ثم إلى السُّمَيْنَة ، ثم إلى النَّبَاج ، ثم إلى العمومية ، ثم إلى القَرَيْتَيْن ، ثم إلى سُوَيْقَة ، ثم إلى صِداة ، ثم إلى السُّد ، ثم إلى السقي ، ثم إلى المنبئية ، ثم إلى السَّفْح ، ثم إلى المريقة ، ثم إلى اليمامة ، والبصرة قد تقدّم أكثر الطريق إليها في الكلام على مملكة إيران .

القُطْر الرابع

(مملكة الهند ومُضافاتها)

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مملكة عظيمة الشأن ، لا تُقَاس في الأرض بمملكة سواها : لا لتساع أقطارها ، وكثرة أموالها وعساكرها ، وأبهة ساطانها في رُكوبه ونُزوله ، ودَسّت مُلكه ، وفي صِيبتها وُسْمعتها كفاية . ثم قال : ولقد كنت أسمع من الأخبار الطائفة والكتُب المصنّفة ما يملأ العين والسمع ، وكنت لا أقف على حقيقة أخبارها بُعدها منا ، وتَسَائِي ديارها عَنَّا ، ثم تَبَعَت ذلك من الرواة ، فوجدت أكثر مما كنت أسمع ، وأجلّ مما كنت أظن . وحسبك ببلاد في بحرها الدرّ ، وفي برّها الذهب ، وفي جبالها الياقوت والماس ، وفي شعابها العود والكافور ،

(١) اختلفت نسخ "ابن خرداذبه" في أسماء البلدان فأثبتها طابعه في هامشه ولكنّا عوّلنا في الكثير على ما في الأصل .

وفي مُدُنْهَا أَسْرَةَ المُلُوكِ ، ومن وُحُوشِهَا الفَيْلُ وَالكَرْكَدَنْ ، ومن حديدِهَا سِيُوفُ الهند ؛ وأسعارُهَا رَخِيَّةٌ ، وعساكرُهَا لَا تُعَدُّ ، وممالكُهَا لَا تُحَدُّ ؛ ولأهلُهَا الحِكْمَةُ وَوُفُورُ العقلِ ، وهم أَمْلَكُ الأُمَمِ لَشَهَوَاتِهِمْ ، وَأَبْذَلُهمُ لِلنَّفُوسِ فِيمَا يُظَنُّ بِهِ الزُّلْفَى .

قال : وقد وصف محمد بن عبد الرحيم الاقليشي هذه المملكة في كتابه "تحفة الألباب" فقال : المُلْكُ العَظِيمُ ، وَالْعَدْلُ الكَثِيرُ ، وَالنِّعْمَةُ الجَزِيلَةُ ، وَالسِّيَاسَةُ الحَسَنَةُ ، وَالرِّضَا الدَّائِمُ ، وَالْأَمْنُ الَّذِي لَا خَوْفَ مَعَهُ فِي بِلَادِ الهِنْدِ . وَأَهْلُ الهِنْدِ أَعْلَمُ النَّاسِ بِأَنْوَاعِ الحِكْمَةِ وَالطَّبِّ وَالْمُهَنْدَسَةِ وَالصَّنَاعَاتِ الْعَجِيبَةِ . ثم قال : وفي جبالهم وجزائرهم يَنْبُتُ شَجَرُ العُودِ وَالْكَافُورِ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الطِّيبِ : كَالْقَرْنَفُلِ وَالسَّنْبُلِ وَالِدَارِصِينِي ، وَالْقِرْقِفَةِ ، وَالسَّلِيلِيخَةِ ، وَالْقَاتِلَةِ ، وَالْجَبَابَةِ ، وَالْبَسْبَاسَةِ ، وَأَنْوَاعِ العَقَاقِيرِ . وَعِنْدَهُمْ غَزَالُ الْمِسْكِ وَسِنُورُ الزَّبَادِ ؛ هَذَا مَعَ مَا هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ عَلَيْهِ مِنْ اتِّسَاعِ الْأَقْطَارِ ، وَتَبَاعُدِ الْأَرْجَاءِ ، وَتَنَائِي الْجَوَانِبِ .

فقد حكى في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ مبارك بن محمود الأنباري : أَنَّ عَرَضَ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ مَا بَيْنَ سُومَنَاتٍ وَسَرَنْدِيبَ إِلَى غَرْزَةِ ، وَطُولُهَا مِنَ الْقُرْصَةِ الْمُقَابِلَةِ لَعَدَنَ إِلَى سَدِّ الإسْكَندَرِ عِنْدَ مَخْرَجِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيْطِ ، وَأَنَّ مَسَافَةَ ذَلِكَ ثَلَاثُ سَنِينَ فِي مِثْلِهَا بِالسَّيْرِ الْمُعْتَادِ ، كُلُّهَا مُتَّصِلَةٌ الْمُدُنِ ذَوَاتِ الْمَنَابِرِ وَالْأَسْرَةِ ، وَالْأَعْمَالِ ، وَالْقُرَى ، وَالضِّيَاعِ ، وَالرَّسَاتِيقِ ، وَالْأَسْوَاقِ ؛ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهَا خَرَابٌ . بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ ثِقَةٌ ثَبَتَ عَارِفٌ بِمَا يَحْكِيهِ إِلَّا أَنَّهُ آسْتَبَعَدَ هَذَا الْمُقْدَارَ ، وَقَالَ : إِنْ جَمِيعُ الْعَمُورِ لَا يَبْقَى بِهَذِهِ الْمَسَافَةِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ أَنَّ هَذِهِ مَسَافَةٌ مِنْ يَتَسَقَّلُ فِيهَا حَتَّى يَحِيطَ بِجَمِيعِهَا مَكَانًا مَكَانًا ، فَيَحْتَمِلُ عَلَى مَا فِيهِ .

وفيه إحدى عشرة جملة :

الجملة الأولى

(فيما أشتمت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وتحتوى هذه المملكة على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول

(إقليم السِّند وما آنخرط في سلكه من مكران ، وطوران ،

والبدهة ، وبلاد [القُفس] والبُلوص)

فأما السِّند ، فبكسر السين المهملة وسكون النون ودال مهملة في الآخر . قال ابن حوقل : ويحيط به من جهة الغرب حدود كَرْمَان ، وتأم الحد مفازة سِيستان ؛ ومن جهة الجنوب مفازة هي فيما بين كَرْمَان والبحر الهندي ، والبحر جنوبي المفازة ؛ ومن جهة الشرق بحر فارس أيضا : لأن البحر يتقوس على كَرْمَان والسِّند ، حتى يصير له دُخلة شرق بلاد السِّند ؛ ومن جهة الشمال قطعة من الهند . قال ابن خردادبه : وبالسند القُسط ، والقنأ ، والخيزران .

وقاعدته (المنصورة) — قال في ” تقويم البلدان “ : بفتح الميم وسكون النون وضم الصاد المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة بالسِّند واقعة في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول خمس وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وعشرون درجة وأثنان وأربعون دقيقة . قال في ” القانون “ : وأسمها القديم يَمْهُو وإنما سميت المنصورة لأن الذي فتحها من المسلمين قال نُصْرْنَا . وقال المهلبى : إنما سميت المنصورة لأن عُمر بن حنص المروفي بهزار مرَد بناها في أيام أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وسمّاها بلقبه .

قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة يحيط بها خليج من نهر مهران (وهو نهر يأتى من الملتان) فهى كالجزيرة ولكنها بلدة حارة وليس بها سوى النخيل ؛ وبها قصب السكر، وبها أيضا تمر على قدر التفاح شديد الحموضة، يسمى اليمومة .
وبها عدة مدن وبلاد أيضا .

منها (الديبل) — قال فى ” اللباب “ : بفتح الدال المهملة وسكون المشاة من تحتها وضم الباء الموحدة ولام فى الآخر . وهى بلدة على ساحل البحر، واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وعشرون درجة وعشرون دقيقة .
قال فى ” تقويم البلدان “ : وهى بلدة صغيرة على ساحل ماء السند شديدة الحر .
قال ابن حوقل : وهى شرقى مهران، وهى فرضة تلك البلاد . وقال فى ” اللباب “ : إنها على البحر الهندى قريبة من السند . قال ابن سعيد : وهى فى دخلة من البر فى خليج السند؛ وهى اكبر فرض السند وأشهرها ؛ ويجلب منها المتاع الديبلى .
قال فى ” تقويم البلدان “ : وبها سمس كثير، ويجلب إليها التمر من البصرة، وبينها وبين المنصورة ست مراحل .

ومنها (البيرون) . قال فى ” اللباب “ : بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وضم الراء المهملة وبعدها واو ونون فى الآخر . وهى مدينة من أعمال الديبل بينها وبين المنصورة ، واقعة فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال فى ” القانون “ : حيث الطول أربع وتسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى من فرض بلاد السند التى عليها خليجهم المالح الخارج من بحر فارس . قال فى ” العزيزى “ :

وأهلها مسلمون ، ومنها إلى المنصورة خمسة عشر فرسخا . قال ابن سعيد : وإليها ينسب أبو الريحان البيروني ، يعني صاحب "القانون" في أطوال البلاد وعروضها . ومنها (سدوسان) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين وضم الدال المهملتين وواو ثم سين مهملة ثانية مفتوحة وألف ونون . وهي مدينة غربي نهر مهران ، واقعة في أوائل الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول أربع وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال ابن حوقل : وهي خصبة كثيرة الخير وحولها قرى ورستاق ، وهي ذات أسواق جليلة .

ومنها (المولتان) قال في "تقويم البلدان" : بضم الميم وسكون اللام ثم تاء مشاة فوقية وألف ونون . قال : وهي في أكثر الكتب مكتوبة بواو . وهي مدينة من السند فيما ذكره أبو الريحان البيروني ، وإن كان ابن حوقل جعلها من الهند وعليه جرى في "مسالك الأبصار" لأن البيروني أقعد بذلك منه : لأن السند بلاده فهو بها أخبر ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وتسعون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أصغر من المنصورة .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن بعض المصنفات أن قرى الملتان مائة ألف قرية وستة وعشرون ألف قرية . قال المهلب : وأعمال الملتان واسعة من قرب حد مكران من الجنوب إلى حد المنصورة ، وبينها وبين غزنة ثمانية وستون فرسخا .

ومنها (أزور) . قال ابن حوقل : وهي مدينة تقارب الملتان في الكبر ، وعليها سوران وهي على نهر مهران . وقال في "العنبري" : هي مدينة كبيرة وأهلها

مسلمون في طاعة صاحب المنصورة وبينهما ثلاثون فرسخاً ، قال في ” القانون “ :
حيث الطول خمس وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون
درجة وعشر دقائق .



وأما مُكرَّان ، فقال في ” اللباب “ : بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة
وألف ونون . قال ابن حوقل : وهي ناحية واسعة عريضة ، والغالب عليها المفاوز
والقحط والضيق . وقد اختلف كلام صاحب تقويم البلدان فيها فذكر في الكلام
على السند أنها منه ، وذكر في كلامه على مُكرَّان في ضمن بلاد السند أنها من كرمان .

وقاعدتها (التَّيز) قال في ” اللباب “ : بالتاء المثناة الفوقية الممالئة ثم ياء آخر
الحروف وزاى معجمة في الآخر ، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة
قال ابن سعيد : حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة
وخمس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي فُرْضة مُكرَّان وتلك النواحي ، وهي على
شَطِّ نهر مِهْران في غربيِّه بقرب الخليج المفتوح من مِهْران على ظهر المنصورة .



وأما طُوران . فناحية على خمس عشرة مرحلة من المنصورة . قال في ” القانون “ :
وقصبتها (قَنْدَايِل) قال : وهي حيث الطول خمس وتسعون درجة ، والعرض
ثمان وعشرون درجة .

وذكر ابن حوقل أن قصبة طُوران (قُزْدَار) قال في ” اللباب “ : بضم
القاف وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وألف وراء مهملة . وقد نقل
في ” تقويم البلدان “ عن إخبار من رآها أنها قُلَيْعة . قال في ” تقويم البلدان “ :

وهي كالقرية لصغرها، وهي في وِطَاءَةٍ من الأرض على تِلِيلٍ، وحولها بعض بساتين .
وذكر في "اللباب" أن قُزْدَارَ نَاحِيَةٍ من نواحي الهند . قال في "تقويم البلدان" :
وبينها وبين المُلتان نحو عشرين مرحلة .



وأما البُدْهة ، فقال ابن حوقل : وهي مفترشة ما بين حدود طُورانَ ومُكرانَ
والمُلتان ومُدن المنصورة ؛ وهي في غربِ نهرِ مِهْرانَ وأهلها أهل إبل كالبادية ،
ولهم أخصاصٌ وآجامٌ . قال في "تقويم البلدان" : ومن المنصورة إلى أول البُدْهة
خمس مراحل ، ومن أراد البُدْهة من المنصورة احتاج إلى عبور نهر مِهْران .

الإقليم الثاني

(إقليم الهند)

قال في "الأنساب" : بكسر الهاء وسكون النون ودال مهملة في الآخر . قال
في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من جهة الغرب بحرُ فارس ، وقامه حدود
السند ؛ ومن جهة الجنوب البحرُ الهندي ؛ ومن جهة الشرق المفاوِزُ الفاصلة بين
الهند والصين ؛ ولم يذكر الحد الذي من جهة الشمال . وذكر في "مسالك الأبصار"
أن حده من جهة الشمال بلادُ التُّرك . وذكر عن الشيخ مبارك الأتباتي : أنه ليس
في هذه المملكة خراب سوى مسافة عشرين يوما مما يلي غَزَنَةَ ، لتجاذب صاحب
الهند وصاحب تُرْكُستانَ وما وراء النهر بأطراف المنازعة ، أو جبال معطلة ،
أو شعواء^(١) مشتبكة .

(١) كذا في الأصل بالواو وصوابه بالراء كما في المسالك والشعراء الأرض ذات الشجر أو كثيرته .

قال صاحب "مسالك الأبصار" : وسألت الشيخ مبارك الأنباتي عن برّ الهند وضواحيه فقال : إن به أنهاراً تمتدّة تقارب ألف نهر كبار وصغار، منها ما يضاهاى النيل عظمًا ، ومنها ما هو دونه ، ومنها ما هو مثل بقية الأنهار . وعلى صغار الأنهار القرى والمدن ؛ وبه الأشجار الكثيفة والمروج الفيج . قال : وهى بلاد معتدلة لا تتفاوت حالات فصولها ، ليست مفرطة في حر ولا برد ؛ بل كأن كل أوقاتها ربيع ؛ وتهب بها الأهوية والنسيم اللطيف ، وتتوالى بها الأمطار مدة أربعة أشهر ؛ وأكثرها في أخريات الربيع إلى ما يليه من الصيف .

ثم لملكة الهند قاعدتان :

القاعدة الأولى (مدينة دلي)

قال فى "تقويم البلدان" : بدال مهملة ولام مشددة مكسورة ثم مشناة تحتية ، ولم يتعرّض لضبط الدال والناس ينطقون بها بالفتح والضم . وسمّاها صاحب "تقويم البلدان" فى تاريخه دهلي بابدال اللام هاء . وهى مدينة ذات إقليم متسع ، وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال فى "القانون" : حيث الطول مائة وثمان وعشرون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة كبيرة فى مستوي من الأرض ، وتربتها مختلطة بالحجر والرمل ، وعليها سور من آجر ، وسورها أكبر من سور حماة ، وهى بعيدة من البحر ، ويمر على فرسخ منها نهر كبير دون الفرات ، وبها بساتين قليلة وليس بها غناب ، وتطر فى الصيف ؛ ويجمعها منارة لم يعلم فى الدنيا مثلها ، مبنية من حجر أحمر ودرجها نحو ثلثمائة درجة ؛ وهى كبيرة الأضلاع ، عظيمة الارتفاع ، واسعة الأسفل وارتفاعها يقارب منارة الإسكندرية .

وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ برهان الدين بن الخلال البزّي الكوفي :
أن علوّها في نحو ستمائة ذراع . وذكر عن الشيخ مبارك الأنباتي أن دَلَى مدائنُ جمعت
ولكل مدينة منها اسم يخصها ودَلَى واحدة منها . قال الشيخ أبو بكر بن الخلال :
وجملة ما يطلق عليه الآن اسم دَلَى إحدى وعشرون مدينةً .

قال الشيخ مبارك : وهي مُمَيَّلَةٌ طولاً وعرضاً ، يكون دَوْرُ عُمرانها أربعين ميلاً ،
وبناؤها بالحجر والأجر ، وسقوفها بالخشب ، وأرضها مفروشة بحجر أبيض شبيه
بالرخام ، ولا يَبْنَى بها أكثر من طبقتين وربما أَقْصِرَ على طبقة واحدة ، ولا يَفْرِشُ
دَوْرَه فيها بالرخام إلا السلطان . قال : وفيها ألف مدرسة ، منها مدرسة واحدة
للشافعية وبقية الخنفية ، وبها نحو سبعين بيمارستاناً ، وتسمى بها دَوْرُ الشفاء ،
وبها وببلادها من الرُّبُط والخوانق نحو ألفين ، وفيها الزيارات العظيمة ، والأسواق
المتنّدة ، والحمامات الكثيرة ، وشرب أهلها من ماء المطر ، تجتمع الأمطار فيها
في أحواض وسِيعَة كل حوض قُطْرُه غَلْوَة سهم أو أكثر . أما مياه الاستعمال وشرب
الدواب فمن آبار قرية المستقي ، أطول ما فيها سبعة أذرع . وقد صارت دَلَى قاعدةً
لجميع الهند [ومُسْتَقَرُّ السلطان] وبها قصور ومنازل خاصة بسكنه وسكن حريمه ،
ومقاصير جواريه وحظاياهم وبيوت خدمه ومماليكه ، لا يسكن معه أحد من الخانات
ولا من الأمراء ، ولا يكون بها أحد منهم إلا إذا حضر للخدمة ثم ينصرف كل واحد
منهم إلى بيته . ولها بساكنين من جهاتها الثلاث : الشرق ، والجنوب ، والشمال
على استقامة ، كل خط اثنا عشر ميلاً ، أما الجهة الغربية فعاطلة من ذلك لمقاربة
جبل هابة . ووراء ذلك مُدُنٌ وأقاليم متعددة .

القاعدة الثانية

(مدينة الدواكير)

ومدينة الدواكير بفتح الدال المهملة والواو وألف بعدها كاف مكسورة ثم ياء
 مشناة تحتية وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة ذات إقليم متسع . وقد ذكر
 في "مسالك الأبصار" عن الشيخ مبارك الأنباتي : أنها مدينة قديمة جدها السلطان
 محمد بن طغلقشاه، وسمّاها "قبة الإسلام" . وذكر أنه فارقها ولم تتكامل بعد،
 وأن السلطان المذكور كان قد قسمها على أن تبنى محلات لأهل كل طائفة محلة :
 الجند في محلة ، والوزراء في محلة ، والحكّاب في محلة ، والقضاة والعلماء في محلة ،
 والمشايخ والفقراء في محلة ، وفي كل محلة ما يحتاج إليه من المساجد ، والأسواق ،
 والحمامات ، والطواحين ، والأفران ، وأرباب الصنائع من كل نوع حتى الصوّاع
 والصّبّاغين ، والدّبّاغين ، بحيث لا يحتاج أهل محلة إلى أخرى في بيع ولا شراء ،
 ولا أخذ ولا عطاء : لتكون كل محلة كأنها مدينة مفردة قائمة بذاتها .

واعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عن بعض المسافرين إلى الهند
 أن بلاد الهند على ثلاثة أقسام :

القسم الأول — بلاد الجزرات

قال في "تقويم البلدان" : بالبحيم والزاي المعجمة والراء المهملة ثم الف وتاء
 مشناة فوق . وبها عدّة مدن وبلاد .

منها (نَهْلُوارة) بالنون والهاء واللام والواو ثم ألف وراء مهملة وهاء . وقال
 ابن سعيد : نَهْرُوالة ، فقدم الراء وأثر اللام ، وكذلك نقله في "تقويم البلدان"

عن بعض المسافرين . وفي " نزهة المشتاق " هروارة براءين . وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في " القانون " : حيث الطول ثمان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي غربي إقليم المنيبار الآتي ذكره . قال : وهي أكبر من كنبات ، وعمارتها مفرقة بين البساتين والمياه ، وهي عن البحر على مسيرة ثلاثة أيام . قال صاحب حماة في " تاريخه " : وهي من أعظم بلاد الهند .

ومنها (كنبات) قال في " تقويم البلدان " : بالكاف ونون ساكنة وباء موحدة ثم ألف وياء مثناة تحتية وتاء مثناة من فوقها ، ومقتضى ما في " مسالك الأبصار " : أن يكون اسمها أنبات بإبدال الكاف همزة ، فإنه ينسب إليها أنباتي . وهي مدينة على ساحل بحر الهند ، موقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في " القانون " : حيث الطول تسع وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وذكر في " تقويم البلدان " : عن سافر إليها أنها غربي المنيبار على خور من البحر طوله مسيرة ثلاثة أيام . قال : وهي مدينة حسنة ، أكبر من المعتزة من بلاد الشام في المقدار ، وأبنيتها بالأجر ، وبها الرخام الأبيض ، وبها بساتين قليلة .

ومنها (تانه) . قال في " تقويم البلدان " : قال أبو العقول نقلا عن عبد الرحمن الريان الهندي - بفتح المثناة الفوقية ثم ألف ونون وهاء . وهي بلدة على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في " القانون " : حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة وعشرون دقيقة ، والعرض تسع عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي من مشارق الجزرات . قال ابن سعيد : وهي مشهورة على السن التجار . قال : وأهل هذا الساحل جميعهم

كُفَّار يعبدون الأنداد ، والمسلمون ساكنون معهم . قال الإدريسي : وأرضها وجبالها تُنبت القنأ والطباشير ويحمل منها إلى الآفاق . قال أبو الرِّيحان : والنسبة إليها تانِشِي ومنها الثياب التانِشِيَّة .

ومنها (صُومَنَاتُ) قال في "تقويم البلدان" : بالصاد المهملة ويقال بالسين المهملة ثم واو ساكنة وميم ونون مفتوحتين ثم ألف وتاء مثناة فوقية في الآخر ، وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ سبع وتسعون درجة وعشر دقائق ، والعرضُ اثنتان وعشرون درجة وخمسة عشرة دقيقة . قال في "القانون" : وهي على الساحل في أرض البَوَازِيج . قال ابن سعيد : وهي مشهورة على ألسنة المسافرين ، وتعرف ببلاد اللار ، وموضعها في جهة داخلية في البحر فيَنطَحُّها كثير من مراكب عدن لأنها ليست في جَوْن ، ولها خَوْر ينزل من الجبل الكبير الذي في شماليها إلى شرقيها ، وكان بها صنم تعظمه الهندو يُضاف إليها ، فيقال : "صنم صُومَنَات" فكسره يمين الدولة "محمود بن سُبُكْتِكِين" عند فتحها كما هو مذكور في التواريخ .

ومنها (سَنَدَانُ) بالسين المهملة والنون والdal المهملة والألف والنون ، هكذا ذكره في "تقويم البلدان" : ونقل لفظه عن المهلبِي في "العزيزي" . وقال بعض المسافرين إنها (سَنَدَابُور) بالسين المهملة والنون والdal المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة في الآخر . وهي مدينة على ثلاثة أيام من تانَّة ، موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ مائة وأربع دَرَج وعشرون دقيقة ، والعرضُ تسع عشرة درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين : وهي على جَوْن في البحر الأخضر ، وهي آخر إقليم الجزُرات . قال في "القانون" : وهي على الساحل . قال في "العزيزي" :

وبينها وبين المنصورة خمسة عشر فرسخاً، وهى تجمع الطرق . قال : وهى بلاد القسطنطينية والقيصرية، وهى من أجل القرض التى على البحر .

ومنها (ناكور) قال فى "تقويم البلدان" : بفتح النون وألف وكاف مضمومة وواو وراء مهملة فى الآخر . وهى مدينة على أربعة أيام من دلى .

ومنها (جالور) بفتح الجيم ثم ألف ولام مضمومة وواو وراء مهملة . وهى على تل تراب نحو قلعة مصيف بين ناكور وبين نهر والة . ويقال إنه لم يعص على صاحب دلى من الجزرات غير جالور .

(١) ومنها (منورى) . قال فى "القانون" : وهى بين القرضة وبين المعبر إلى سرنديب حيث الطول مائة وعشرون درجة، والعرض ثلاث عشرة درجة .

القسم الثانى — من إقليم الهند بلاد المنىبار

(٢) قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم وكسر النون وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة فى الآخر . وهى إقليم من أقاليم الهند فى الشرق عن بلاد الجزرات المقدم ذكرها . قال : والمنىبار هى بلاد الفلفل . ثم قال : والفلفل فى شجرة عناقيد كعناقيد الدخن، وشجره ربما ألف على غيره من الأشجار كما تلتف الدوالي، وبها بلاد ... (٣) ... وجميع بلاد المنىبار مخضرة كثيرة المياه والأشجار الملتفة .

(١) وقعت فى "التقويم" بالبدال المهملة بدل الواو ولم يضبطها .

(٢) ذكرها ياقوت باللام بدل النون .

(٣) بياض فى الأصل ولعله "كثيرة" .

منها (هَنَوْر) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهاء والنون المشددة والواو وراء مهملة . وهي غربي سَندأبور من بلاد الجزرات المقدم ذكرها، فتكون أول بلاد المنيبار من الغرب . قال : ولها بساين كثيرة .

ومنها (بَاسْرُور) بالباء الموحدة وبالسين المفتوحة والراءين المهملات . وهي بلدة صغيرة شرقي هَنَوْر المقدمة الذكر .

ومنها (مَنَجْرُور) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون النون وفتح الجيم وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وراء مهملة . وهي شرقي بَاسْرُور المقدمة الذكر . قال : وهي من أكبر بلاد المنيبار، ومليكها كافر، ووراءها بثلاثة أيام جبل عظيم داخل في البحر، يرى للسافرين من بُعد، يسمى "رأس هيلي" بفتح الهاء وسكون الياء المثناة من تحت وكسر اللام ثم ياء مثناة تحتية في الآخر .

ومنها (تَندُور) بالتاء المثناة الفوقية المفتوحة وسكون النون ثم دال مهملة وياء آخر الحروف مضمومة وواو وراء مهملة . وهي بلدة شرقي "رأس هيلي" لها بساين كثيرة .

ومنها (الشَّالِيَات) بفتح الشين المعجمة وألف ولام مكسورة وياء آخر الحروف ثم ألف وتاء مثناة فوقية .

ومنها (الشَّنْكِلي) بالشين المعجمة المكسورة [وسكون النون ^(١)] وكاف ولام وياء آخر الحروف . وهي بلدة بالقرب من الشَّالِيَات .

ومنها (الكَوْلَم) قال في "تقويم البلدان" : بالكاف المفتوحة والواو الساكنة

(١) الزيادة من تقويم البلدان .

ثم لام مفتوحة وميم في الآخر . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" : حيث الطول مائة وعشر درجات ، والعرض ثمان عشرة درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي آخر بلاد الفلفل من الشرق ، ومنها يُقْلَع إلى عدن . قال صاحب "تقويم البلدان" : وحكى لي بعض المسافرين أنها على خور من البحر في مستوي من الأرض وأرضها مُرْمِلة ، وهي كثيرة البساتين ، وبها شجر البَقَم : وهو شجر كشجر الرمان ، وورقه يُسَبِّه ورق العناب ، وفيها حارة للمسلمين وبها جامع .

القسم الثالث — من إقليم الهند بلاد المعبر

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم راء مهملة . وهي شرقي بلاد الكوالم بثلاثة أيام أو أربعة . قال في "تقويم البلدان" : وينبغي أن تكون بميلة إلى الجنوب . قال ابن سعيد : وهو مشهور على الألسن ، ومنه يُجَلَّب اللانِس ، وبها يُضْرَب المثل في قصارها . قال : وفي شماليها جبال متصلة ببلاد بلهرا ملك ملوك الهند ، وفي غربيها يُصْبُ نهر الصوليان في البحر . وذكر في "مسالك الأبصار" عن قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن بلاد المعبر تشتمل على عدة جزائر كبار .

وبه عدة مدن وبلاد .

منها (بيرداول) قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة التحتية وسكون الراء وفتح الدال المهملة وألف وواو ولام . قال : وهي قسبة بلاد المعبر ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :

حيث الطول مائة وأثنتان وأربعون درجة ، والعرض سبع عشرة درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة سلطان المعبر ، وإليه تُجلب الخيول من البلاد .

ثم أعلم أن وراء ما تقدم بلاداً أخرى ذكرها في "تقويم البلدان" .

منها (ماهورة) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم والألف والهاء والواو ثم راء مهملة وهاء . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيث الطول مائة درجة وأربع درج ، والعرض سبع وعشرون درجة . قال ابن سعيد : وهى على جانبى نهر كُنْكَ فى آنحداره من قَنُوج إلى بحر الهند . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بلد البراهمة ، وهم عبّاد الهند ينسبون إلى البرهمن أول حكمائهم . قال ابن سعيد : وقلائعهم بها لا تُرام .

ومنها (لَوْهَوْر) قال فى "اللباب" : بفتح اللام وسكون الواوين بينهما هاء مفتوحة وفى الآخر راء مهملة . قال : ويقال لها أيضاً لَهَاوْر . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال فى "الأطوال" : حيث الطول مائة درجة والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال فى "اللباب" : وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير ، خرج منها جماعة من أهل العلم .

ومنها (قَنُوج) قال فى "تقويم البلدان" : بكسر القاف وفتح النون المشددة والواو ثم جيم . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول مائة وإحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . وذكر فى "الأطوال" الطول بنقص سبع وعشرين درجة ، والعرض بزيادة ست درج . قال ابن سعيد : وهى قاعدة لَهَاوْر ، وهى بين ذراعين من نهر

كنك . وقال المهلبى : هى فى أقاصى الهند فى جهة الشرق عن الملتان على مائتين وأثنين وثمانين فرسخا . قال : وهى مِصر الهند وأعظم المُدن بها . ثم قال : وقد بالغ الناس فى تعظيمها حتى قالوا : إن بها ثلثمائة سوق للجوهر ، ولملكها ألفان وخمسمائة فيل ؛ وهى كثيرة معادن الذهب . قال فى ” نزهة المشتاق “ : هى مدينة حسنة ، كثيرة التجارات ، ومن مدنها قشِيرُ الخارجة ، وقشِيرُ الداخلة . قال : وملكها يسمى القنوج باسمها .

ومنها (جبال قامرون) قال فى ” تقويم البلدان “ : بفتح القاف وألف وميم وراء مهملة ثم واو ونون . وهى حجاز بين الهند والصين ، وعدّها فى ” القانون “ من الجزائر . قال : وهى خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب قال فى ” القانون “ و ” الأطوال “ : حيث الطول مائة وخمس وعشرون درجة ، والعرض عشر درج ، ومدينة الملك شرقياً ، وبها معدن العود القامرونى .

قلت : وذكر فى ” مسالك الأبصار “ عن قاضى القضاة سراج الدين الهندى : أن فى مملكة صاحب الهند ثلاثة وعشرين إقليما ، عد منها بعض ما تقدم ذكره ، وهى : إقليم دهلي ، وإقليم الدواكير ، وإقليم الملتان ، وإقليم كهران ، وإقليم سامانا ، وإقليم سبوستان ، وإقليم وجا ، وإقليم هاسى ، وإقليم سرستى ، وإقليم المعبر ، وإقليم تلك ، وإقليم بكرات ، وإقليم بدلون ، وإقليم عوض ، وإقليم القنوج ، وإقليم لكونتى ، وإقليم بهار ، وإقليم كره ، وإقليم ملاوه ، وإقليم لهاور ، وإقليم كلافور ، وإقليم جاجنكر ، وإقليم تلنج ، وإقليم دور سمند .

ثم قال : وهذه الأقاليم تشتمل على ألف مدينة ومائتى مدينة ، كلها مدن ذوات نيايات : كبار وصغار ، وجميعها الأعمال والقرى العامرة الأهلة . وقال إنه لا يعرف

عَدَّ قُرَاهَا ، إِلَّا أَنْ إِقْلِيمَ الْقِنُوجِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ لُكَّا ، كُلُّ لُكٍّ مِائَةُ أَلْفِ قَرْيَةٍ ، فَتَكُونُ أَسْتَى عِشْرَ أَلْفِ أَلْفِ قَرْيَةٍ ، وَإِقْلِيمُ تَلَنَكٍ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ لُكَّا ، فَيَكُونُ ثَلَاثَةُ أَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفِ قَرْيَةٍ ، وَإِقْلِيمُ مَلَاوَهٍ أَكْبَرُ مِنْ إِقْلِيمِ الْقِنُوجِ فِي الْجُمْلَةِ .

وَحَكَى عَنِ الشَّيْخِ مَبَارَكِ الْأَنْبَاتِيِّ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْكَثْنَوِيِّ مَاتَ أَلْفَ مَرَكَبٍ صَغَارِ خِفَافٍ لِلسَّيْرِ ، إِذَا رَمَى الرَّامِي فِي إِحْدَاهَا سَهْمًا وَقَعَ فِي وَسْطِهَا لِسُرْعَةِ جَرَّيَانِهَا . وَمَنْ الْمَرَاكِبُ الْبَكَارُ مَا فِيهِ الطَّوَاخِينُ وَالْأَفْرَانُ وَالْأَسْوَاقُ ، وَرَبَّمَا لَمْ يَعْرِفْ بَعْضُ رُكَّابِهِ بَعْضًا إِلَّا بَعْدَ مَدَّةٍ لَا تَتَسَاعَى وَعِظْمُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا الْعَهْدَةُ فِيهِ عَلَيْهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَحْرَ الْهِنْدِ جَزَائِرٌ عَظِيمَةٌ مَعْدُودَةٌ فِي أَعْمَالِهِ ، يَكُونُ بَعْضُهَا مَمْلَكَةً مُنْفَرَدَةً . مِنْهَا (جَزِيرَةُ سَرَنْدِيبِ) قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : بِفَتْحِ السِّينِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَسُكُونِ النُّونِ وَكَسْرِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثْنَاةِ مِنْ تَحْتِ ثَمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ . قَالَ : وَيُقَالُ لَهَا جَزِيرَةُ سِنْكَادِيبِ ، كَأَنَّهُ بِاللِّسَانِ الْهِنْدِيِّ ، وَمَوْقِعُهَا خَارِجٌ عَنِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ إِلَى الْجَنُوبِ قَالَ "فِي الْأَطْوَالِ" : حَيْثُ الطُّوْلُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ عِشْرُ دَرَجَةٍ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَيُسَمَّى هَذِهِ الْجَزِيرَةُ جَبَلٌ عَظِيمٌ عَلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ ، أَسْمُهُ جَبَلُ الرَّهُونِ ، يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلَيْهِ هُبُوطَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ أَبُو خَرْدَاذِبَةَ : وَهُوَ جَبَلٌ ذَاهِبٌ فِي السَّمَاءِ ، يَرَاهُ أَهْلُ الْمَرَاكِبِ عَلَى مَسِيرَةِ عِشْرِينَ يَوْمًا وَأَقَلَّ وَأَكْثَرَ .

وَذَكَرَتِ الْبَرَاهِمَةُ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ هَذَا الْجَبَلِ أَثَرُ قَدَمِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : قَدَمٌ وَاحِدَةٌ مَغْمُوسَةٌ فِي الْحَجَرِ ، وَأَنَّهُ خَطَا الْخَطْوَةَ الْأُخْرَى إِلَى الْهِنْدِ ، وَهُوَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ . قَالَ : وَعَلَى هَذَا الْجَبَلِ شَبِيهٌ بِالْبَرْقِ أَبَدًا ، وَعَلَيْهِ الْعُودُ وَسَائِرُ الْعِطْرِ وَالْأَفَاوِيهِ ، وَعَلَيْهِ وَحَوَالِيهِ الْيَاقُوتُ وَالْوَانُ كَلُّهَا ، وَفِي وَادِيهِ الْمَسَّاسُ وَالسَّنْبَادِجُ ،

وغزال المسك ، وسنور الزباد ، وفي أنهار هذه الجزيرة اللؤلؤ ، وحولها في البحر مَخَاصِئُ اللؤلؤ ، ونهرها هو المعظم عند الهنود . قال ابن سعيد : ومدينتها تسمى أغنا . وهي حيث الطول مائة وأربع وعشرون درجة .

ومنها (جزيرة الرانج) . قال في " تقويم البلدان " : والظاهر أنها بالراء المهملة والألف والنون ثم جيم في الآخر ، وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول . قال في " الأطوال " : وطولها مائة وثلاث عشرة درجة ، ولا عرض لها ، وفيها عمارة وزرع ونارجيل وغير ذلك . قال في " كتاب الأطوال " : وجبالها ترى من جبال اليمن ، وبها جبال تشتعل النار فيها دائماً ، وترى تلك النار في البحر من مسيرة أيام ، وبها حيات تبتلع الرجل والخاموس ، وفي البحر عند لهاور " دور " وهو مكان يدور فيه الماء ، ويخشى على المراكب عنده . قال ابن خردادبه : وفيها حيات عظام تبتلع الرجل والخاموس والفيل ، وفيها شجر الكافور ، تظل الشجرة منه مائة إنسان وعجائب لا تحصى .

ومنها (جزيرة لامري) قال في " تقويم البلدان " : بلام وألف وميم وراء مهملة ثم ياء آخر الحروف ، وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال في " الأطوال " : حيث الطول مائة وست وعشرون درجة ، والعرض تسع درج . قال في " تقويم البلدان " : وهي معدن البقم والخيزران .

ومنها (جزيرة كلة) قال في " تقويم البلدان " : بالكاف واللام وهاء في الآخر . وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال في " القانوف " : حيث الطول مائة وثلاثون درجة ، ولا عرض لها . قال في " تقويم البلدان " : وهي فُرْضة ما بين عمان والصين . قال المهلب : وفيها مدينة عاهرة يسكنها المسلمون وغيرهم

وبها معادن الرصاص ومنابت الخيزران وشجر الكافور ، وبينها وبين جزائر المهراج عشرون عَجْرَى .

ومنها (جزيرة المهراج) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بالميم والهاء والراء المهملة ثم ألف وجيم في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وهي جزيرة سَرِيرَة ، وموقعها في الجنوب من خطّ الاستواء قال في الأطوال : حيث الطول مائة وأربعون درجة ، والعرض في الجنوب درجة واحدة . قال ابن سعيد : وهي عدّة جزائر ، وصاحبها من أغنياء ملوك الهند وأكثرهم ذهباً وفضة . وجزيرته الكبيرة هي التي فيها مقرّ ملكه ، وعدّها المهلبى في جزائر الصين ، وقال : إنها عامرة أهلة ، وإنه إذا أقلع المركب منها طالباً للصين واجهه في البحر جبالٌ ممتدة ، داخله في البحر مسيرة عشرة أيام ، فإذا قُرب المسافرون منها وجدوا فيها أبواباً وفُرَجاً في أثناء ذلك الجبل ، يُمَضَى كلُّ باب منها إلى بلد من بلدان الصين . وعدّ ابن سعيد سَرِيرَة من جزائر الرانج ، وقال : إن طولها من الشمال إلى الجنوب أربعمائة ميل ، وعرضها في كلِّ طرف من الجنوبيّ والشماليّ نحو مائة وستين ميلاً ، وسَرِيرَة مدينة في وسطها ، ثم يدخل منها جَوْن إلى البحر وهي على نهر .

ومنها (جزيرة أندراي) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال والراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة وفي الأخيرة مشاة من تحتها .

ومنها (جزيرة الجاوة) . قال في "تقويم البلدان" : وهي جزيرة كبيرة مشهورة بكثرة العنقاير . قال : وطرف هذه الجزيرة الغربيّ حيث الطول مائة وخمس وأربعون درجة ، والعرض خمس درج . قال : وفي جنوبيّ جزيرة الجاوة مدينة

فَنُصُور ، التي ينسب إليها الكافور الفَنُصُورى ؛ وهي حيث الطول مائة وخمس وأربعون درجة ، والعرض درجة واحدة ونصف .

ومنها (جزيرة الصَّنْف) . التي يُنسَب إليها العُودُ الصَّنْفى . وهي من أشهر الجزائر الموجودة في الكُتُب ؛ وطولها من الغرب إلى الشرق نحو مائتى ميل ، وعرضها أقل من ذلك ، ومدىنتها حيث الطول اثنتان وستون درجة .

ومنها (جزيرة قِمَار) التي يُنسَب إليها العُود القِمَارى وهو دون الصَّنْفى ، ومدىنتها قِمَار حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض درجتان ، وشرقها جزائر الصين . ومنها (جزيرة الرامى) . قال ابن خرداذبه : وبها الكرَّكَدَن وجواميس لأذنان لها ، وبها البَقَم ، وفيها ناس عِراء في غِيَاض لا يُفْهَم ما يقولون ، كلامهم صَفير ، يستَوْحِشون من الناس ، طول كلِّ إنسان منهم أربعة أشبار ، للرجل منهم ذكر صغير ، وللرأة فرج صغير ، وشعر رؤوسهم زَغَبٌ أحمر ، يتسلَّقون على الأشجار بأيديهم . وفي البحر هناك ناس بيض ، يلحَقون المراكب سباحةً والمراكب في شدَّة جريها ، يبيعون العنبر بالحديد يحملونه في أفواههم ؛ وجزيرة فيها ناس سود يأكلون الناس أحياء ، وجبل طِينُهُ فِضَّةٌ تظهر بالنار .

الجملة الثانية

(في حيوانها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ مبارك الأتباتى : أنَّ بها الخيل على نوعين : عِرابٍ وبرَادين ، وأكثرها ما لا يحمِد فعله . قال : ولذلك تُجَلَّب الخيل إلى الهند من جميع ماجاوره من بلاد الترك ، وتُقاد له العِراب من البحرين وبلاد اليمن والعراق ، وإن كان في داخل الهند خيل عِراب يُتعالى في أثمانها ولكنها

قليلة. قال : ومتى طال مُكثُ الخيل بالهند انحلت . وعندهم الغال والحجير، ولكنها مذمومة الركوب عندهم ، حتى لا يَسْتَحْسِنَ فقيه ولا ذو علم ركوب بغلة .

أما الحمار فإن ركوبه عندهم مَذَلَّةٌ وعارٌ عظيم ، وخاصَّتهم تحل أثقالهم على الخيل ، وعامتهم تحل على البقر من فوق الأنف ، وهي عندهم كثيرة ، وبها الجمال قليلة لا تكون إلا للسلطان وأتباعه : من الخانات ، والأمراء ، والوزراء ، وأكابر الدولة ، وبها من المواشي السائمية ما لا يحصى : من الجواميس والأبقار والأغنام والمعز ، وبها من دَوَاجِن الطير الدجاج والحمام والإوز وهو أقل أنواعه ، وإن الدجاج عندهم في قدر خلق الإوز . وبها من الوحوش الفيل ، والكَرَكْدُن . وقد تقدّم ذكرهما في الكلام على الوحوش فيما يحتاج الكاتب إلى وصفه من الحيوان في المقالة الأولى ، في غير ذلك من الوحوش التي لا تُعَدُّ .

الجملة الثالثة

(في حبوبها ، وقوا كهها ، ورأحينها ، وخضرواتها ، وغير ذلك)

أما الحبوب فقد ذُكر عن الشيخ مبارك الأنباري أن بها الأرز على أحد وعشرين نوعاً ، وبها من سائر الحبوب الحنطة ، والشعير ، والقمح ، والعدس ، والماش ، واللوبياء ، والسَّمْسِم ، أما الفول فلا يوجد عندهم . قال في "مسالك الأبصار" : ولعل عدمه من حيث إنهم قوم حكماء ، والفول عندهم مما يفسد جوهر العقل ، ولذلك حرمت الصابئة أكله .

وأما الفواكه ففيه التين ، والعنب على قلة ، والرمان الكثير : من الحلو ، والمز ، والحامض إلى غير ذلك من الفواكه : كاللوز ، والخوخ ، والتوت المسمى بالفِرْصاد ،

(١) لعله مصحف عن الكنف .

وبها فواكه أخرى لا يُعهد مثلها بمصر والشام ، كالعنباء وغيرها ، والسفرجل على قلة ، والكُمثرى ، والتفاح ، وهما أقل من القليل ، ولكنهما والسفرجل تُجلب إليه . وبها من الفواكه المستحسنة الرائحة ، وهو المسمى عندهم بالنارجيل ، والعامّة تسميه جوز الهند . وبه البطيخ الأخضر والأصفر ، والخيار ، والقثاء ، والعجور ، وبه من الحمضات الأترج ، والليمون ، والليم ، والنارنج . أما الحمُر وهو التمر الهندي فكثير باديها .

وأما الخضراوات فقصب السكر بلادها كثير للغاية ، ومنه نوع أسود صلب المعجم ، وهو أجوده للإمتصاص لا الاعتصار ، ولا يوجد في غيرها ، ويعمل من بقية أنواعه السكر الكثير : من التّبات وغيره ، ولكنه لا يُجد بل يكون كالسميد الأبيض . وعندهم من الخضراوات اللّفت ، والجَزَر ، والقرع ، والباذنجان ، والهليون ، والزنجبيل ، والسلق ، والبصل ، والقوم وهو الثوم ، والشمار ، والصمغ . وأما الرياحين ، فبها الورد ، والينفور ، والبنفسج ، والبان ، والخلاف ، والعبر ، والنرجس ، والفاغية وهي التامر حنّاء .

وأما غير ذلك فعندهم العسل أكثر من الكثير ، والشيرج ومنه وقودهم ، والزيت يأتهم مجلوبا . أما الشمع فلا يوجد إلا في دور السلطان ، ولا يُسمح فيه لأحد ، والحلوى على خمسة وستين نوعا ، والفقاع ، والأشربة ، والأطعمة على ما لا يكاد يوجد في غير ما هنا لك . وبه من أرباب الصنائع صنائع السيوف ، والقسي ، والرّماح ، والزرد ، وسائر أنواع السلاح ، والصواع ، والزراكية ، وغيرهم من سائر أرباب الصنائع .

وللسلطان يدِّي دارِ طراز ، فيها أربعة آلاف قَرَّاز ، تَعْمَلُ الأَقَشَةُ المتَّوَعَةُ لِلخَلْعِ
وَالكَسَاوَى ^(١) والإطلاقات ، مع مايجمل إليه من قُمَاشِ الصين والعراق والإسكندرية .

الجملة الرابعة

(في المعاملات)

أ. نقودهم ، فقد ذكر الشيخ مبارك الأنباتي : أن لهم أربع دراهم يتعاملون بها .
أحدها — الهشتكاني . وهو وزن الدرهم النُّقْرة بمعاملة مصر ، وجَوَّازُه جَوَّازُه ،
لا يكاد يتفاوت ما بينهما ، والدرهم الهشتكاني المذكور عنه ثمان جتيلات ، كل
جتيل أربعة أفلس ، فيكون عنه آشين وثلاثين فلساً .

الثاني — الدرهم السلطاني . ويسمى وكاني ، وهو رُبْعُ درْهَمٍ من الدراهم
المِصرِيَّةِ ، وكل درهم من السلطانية عنه جتيلان ، ولهذا الدرهم السلطاني نِصْفُ
يسمى جتيل واحد .

الثالث — الششتكاني . وهو نصف ورُبْعُ درهم هشتكاني ، ويكون تقديره
بالدراهم السلطانية ثلاثة دراهم .

الرابع — الدرهم الدرازد هكاني . وجَوَّازُه بنِصْفِ ورِبْعِ درهم هشتكاني أيضاً ،
فيكون بمقدار الششتكاني ، ثم كل ثمانية دراهم هشتكانيَّة تسمى تنكه .

أما الذهب عندهم فالمِثْقَالُ ، وكل ثلاثة مثاقيل تسمى تنكه ، ويعبر عن تنكه
الذهب بالتنكه الحمراء ، وعن تنكه الفِضَّةِ بالتنكه البيضاء ، وكل مائة ألف تنكه

(١) جاري العامة في هذا الجمع والاختصاص كسأه كما في القاموس .

من الذهب أو الفضة تسمى لُكًّا ، إلا أنه يعبر عن لك الذهب باللُكِّ الأحمر ، وعن لك الفضة باللك الأبيض .

وأما رطلهم فيسمى عندهم ستر ، وزنته سبعون مثقالا ، فتكون زنته بالدرهم المصرية مائة درهم ودرهمين وثلاثي درهم ، وكل أربعين سترًا من واحد ، وجميع مبيعاتهم بالوزن أما الكيل فلا يعرف عندهم .

الجملة الخامسة

(في الأسعار)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أسعار الهند في زمانه نقلا عن قاضي القضاة سراج الدين الهندي وغيره فقال : إن الحارِية الخدامة لانتعدى قيمتها بمدينة دهلي ثمان تنكات ، واللواتي يصلحن للخدمة والفراش خمس عشرة تنكة . وفي غير دهلي أرخص من ذلك حتى قال القاضي سراج الدين : إنه اشترى عبدا مراهما نقاءا بأربعة دراهم . ثم قال : ومع هذا الرخص إن من الحواري الهنديّات من تبلغ قيمتها عشرين ألف تنكة وأكثر لحسنهن ولطفهن .

ونقل عن الشيخ مبارك الأنباري (وكان فيما قبل الثلاثين والسبعائة) فقال : إن أوساط الأسعار حينئذ أن تكون الحنطة كل من بدرهم ونصف هشتكاني ، والشعير كل من بدرهم واحد هشتكاني ، والأرز كل من بدرهم ونصف وربع هشتكاني ، إلا أنواعا معروفة من الأرز فإنها أغلى من ذلك ، والحمص كل منين بدرهم هشتكاني ، ولحم البقر والمعز كل أربعة أستار بدرهم سلطاني ، والإوز كل طائر بدرهمين هشتكانية ، والدجاج كل أربعة أطيّار بدرهم هشتكاني ، والسكر كل

خمسة أستار بدرهم هشتكاني ، والرأس الغنم الجيدة السمينة بتنكة (وهي ثمانية دراهم هشتكانية) والبقرة الجيدة بتنكتين (وهما ستة عشر درهما هشتكانية) وربما كانت بأقل ، والجاموس كذلك .

أما الحمام والغُصُفُور وأنواع الطير فبأقل ثمن ، وأنواع الصيد من الوحش والطير كثيرة ، وأكثر ما كلهم لحم البقر والمعز مع كثرة الضأن عندهم إلا أنهم اعتادوا أكل ذلك .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن الخجندى أنه قال : أكلت أنا وثلاثة نفر رفاق في بعض بلاد دليّ لحماً بقرياً وخبزاً وسمناً حتى شبعنا بجيتل : وهو أربعة افلس كما تقدم .

الجملة السادسة

(في الطريق الموصلة إلى مملكتي السند والهند)

اعلم أن لهذه المملكة عدة طرق :

الطريق الأول — طريق البحر، قد تقدم في الكلام على الطريق الموصلة إلى اليمن ذكر الطريق من سواحل مصر : من السويس ، والطور ، والقصير ، وعيذاب إلى عدن من اليمن في هذا البحر ، ومن عدن إلى أن يركب في بحر الهند المتصل ببحر القلزم ، إلى سواحل السند والهند ، ويخرج إلى أي البلاد أراد من القرض الموصلة إليها .

الطريق الثاني — طريق بحر فارس ، قد تقدم في الكلام على مملكة إيران ذكر الطريق الموصلة من حبّ إلى بغداد ، ثم من بغداد إلى البصرة . قال ابن خردادبه :

ثم من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخاً ، ثم إلى الخشبات ^(١) فرسخان ، ومنها يُركب في بحر فارس :

فمن أراد طريق البر إلى السند والهند ، جاز هذا البحر إلى هُرمز : مدينة كُرمَان ، ومنها يتوصل إلى السند ثم الهند ثم الصين .

ومن أراد الطريق في البحر ، فقد ذكر ابن خردادبه : أن من أبلّة البصرة في نهر الأبلّة إلى جزيرة خارك في نخل فارس سبعين فرسخاً ، ومنها إلى جزيرة لابن ثمانين فرسخاً ، ثم إلى جزيرة أبرون سبعة فراسخ ، ثم إلى جزيرة حَيْن سبعة فراسخ ، ثم إلى جزيرة كيش سبعة فراسخ ، ثم إلى جزيرة أبركاوان ثمانية عشر فرسخاً ، ثم إلى جزيرة أرموز سبعة فراسخ ، ثم إلى بار سبعة أيام ، وهي الحد بين فارس والسند ، ثم إلى الديك ثمانية أيام ، ثم إلى مصب مهْران في البحر فرسخان ، ثم من مهْران إلى بكين أول أرض الهند أربعة أيام ، ثم إلى المسند فرسخان ، ثم إلى كُول فرسخان ، ثم إلى سندان ثمانية عشر فرسخاً ، ثم إلى ملي خمسة أيام ، ثم إلى بلين يومان . ثم يفترق الطريق في البحر :

فمن أخذ على الساحل — فمن بلين إلى باس يومان . ثم إلى السنجلي وكبشكان يومان ، ثم إلى كودا مصب نهر فريد ثلاثة فراسخ ، ثم إلى كيلكان يومان ، ثم منها إلى سمندر ، ومن سمندر إلى أورسير اثنا عشر فرسخاً ، ثم إلى أبينه أربعة أيام ، ثم إلى سرنديب يومان .

(١) الخشبات علامات في البحر لراكب تنهى إليها ولا تتجاوزها خوفاً من الجزر لتلا تلحق الأرض .

أنظر التقويم (ص ٣٠٩) .

ومن أراد جهة الصين عدل من بلّين وجعل سرّنديب عن يساره . فمن جزيرة سرّنديب إلى جزيرة لنجالوس عشرة أيام إلى خمسة عشر يوماً ، ثم إلى جزيرة كلة ستة أيام . وعن يسارها جزيرة بالوس على يومين ، ثم على خمسة عشر يوماً بلاد تنبت العطر .

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك الهند)

(١) جماعةٌ منهم ملوك الكُفّر ، أسماؤهم أعجمية لا حاجة إلى ذكرهم ، فأضر بنا عنهم .

وأما في الإسلام فأقول من أخذ في فتح ما فتح من الهند بنو سُبُكْتِكِين : ملوك غزنة ، المتقدم ذكرهم في مملكة خوارزم والقبچاق وما مع ذلك .

ففتح ميين الدولة (محمود بن سُبُكْتِكِين) منه مدينة بهاطية . وهي مدينة حصينة عالية السور وراء الملتان ، في سنة ست وتسعين وثلثمائة ، وسار إلى بيده ملك الهند ، فهرب منه إلى مدينته المعروفة بكاليجار ، فحاصره فيها حتى صالحه على مال ، فأخذ المال وألبسه خلعتَه ، واستغنى من شدّ وسطه بالمنطقة فلم يُعِفّه من ذلك ، فشدها على كُرّه .

ثم فتح (إبراهيم بن مسعود) منهم حصوناً منه في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

(١) بياض في الأصل ولعله أما قبل الإسلام فلعلها جماعة من الخ .

(٢) ذكر أبو الفداء فتحها في حوادث سنة ٩٥ ومسيره إلى ملكها في سنة ٩٦ .

(٣) عبارة أبي الفدا "قلعته" .

ثم كانت دولة الغورية بغزنة أيضا . ففتح شهاب الدين أبو المظفر (محمد بن سام) ^(١) ابن الحسين الغوري منه مدينة لكهنؤ في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وأتبعها بفتح الكثير من بلادهم ، وبلغ من النكاية في ملوكهم ما لم يبلغه أحد من ملوك الإسلام قبله ، وتمكن من بلاد الهند ، وأقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلي التي هي قاعدة الهند ، وبعث أيبك المذكور عساكره ، فملك من الهند أمانا كن مادخلها مسلم قبله حتى قاربت جهة الصين .

ثم فتح (شهاب الدين محمد) المذكور أيضا بعد ذلك نهرواله في سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، وتوالت ملوك المسلمين وفتوحاتهم في الهند إلى أن كان (محمد بن طغلقشاه) في زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية ، فقوى سلطانه بالهند ، وكثرت عساكره ، وأخذ في الفتوح حتى فتح معظم الهند .

قال في "مسالك الأبصار" قال الشيخ مبارك الأنباقي : وأول ما فتح منه مملكة تلك ، وهي واسعة السداد ، كثيرة القرى ، عدة قراها تسعمائة ألف قرية وتسعمائة قرية . ثم فتح بلاد جاجنكر ، وبها سبعون مدينة جليلة كلها على البحر ، دخلها من الجواهر والقمّاش المنوع ، والطيب ، والأفاويه ، ثم فتح بلاد لكتوتى ، وهي كرسى تسعة ملوك . ثم فتح بلاد دواكير . ويقال لها دكير ، ولها أربع وثمانون قلعة جليات المقدار . ونقل عن الشيخ برهان الدين أبي بكر بن الخلال البزى : أن بها ألف ألف قرية ومائتي ألف قرية . ثم فتح بلاد دور سمند ، وكان بها السلطان بلال الدبو وخمسة ملوك كُفار . ثم فتح بلاد المعبر : وهو إقليم جليل له تسعون مدينة بنادر على البحر ، يجي من دخلها الطيب ، والألانس ، والقمّاش المنوع ، ولطائف الآفاق .

(١) الذي في العبر وتاريخ ابن الأثير أنه فتحها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وهو الصواب .

وذكر أنه حصل له من الأموال بسبب الفتوح التي فتحها مالا يكاد السامع يصدقه . فحكى عن الشيخ برهان الدين أبي بكر بن الخلال المتقدم ذكره : أنه حاصر ملكاً على حد بلاد الدواكير ، فسأله أن يكف عنه على أن يرسل إليه من الدواب ما يختار ليحمله له مالا ، فسأله عن قدر ما عنده من المال فأجابه فقال : إنه كان قبلي سبعة ملوك ، جمع كل واحد منهم سبعين ألف صهرج متسعة من المال ، فأجابه إلى ذلك ، وختم على تلك الصهاريج باسمه وتركها بحالها ، وأقر الملك باسم ذلك الملك ، وأمر بإقامته عنده ، وجعل له ثلثاً بثلث الملكة .

وحكى عن علي بن منصور العقيلي من عرب البحرين أنه تواتر عندهم من الأخبار أن هذا السلطان فتح مدينة بها بحيرة ماء ، في وسطها بيت بر معظم عندهم يقصدونه بالنذر ، وكلما أتى له بنذر رُمي في تلك البحيرة ، فصرف الماء عنها وأخذ ما كان بها من الذهب ، فكان وسق مائتي فيل وآلاف من البقر ، إلى غير ذلك مما يكاد العقل أن ينكره ، ولذلك حصل عنده من الأموال مالا يأخذه الحصر ، وآتست أموال عساكره حتى جاوزت الوصف ، حتى حكى الشيخ تاج الدين بن أبي المجاهد السمرقندي : أنه غضب على بعض خاناته لشربه الخمر فأمسكه وأخذ ماله ، فكان جملة ما وجد له من الذهب ألف ألف مثقال وسبعة وثلاثين ألف مثقال ، ومقدار ذلك ثلاثة وأربعون ألف قنطار وسبعون قنطاراً ، وهو مع ذلك يعطي العطاء الجزيل ويصل بالأموال الجمّة .

فقد حكى ابن الحكيم الطياري : أن شخصاً قدم له كتباً ، فحسب له حصة من جوهر كان بين يديه ، قيمتها عشرون ألف مثقال من الذهب .

وحكى الشريف السمرقندي : أن شخصاً قدم له اثنتين وعشرين حبة من البطيخ الأصفر ، حملها إليه من بخارى ، فأمر له بثلاثة آلاف مثقال من الذهب .

وحكى الشيخ أبو بكر بن أبي الحسن الملتاني أنه استفاض عنه أنه التزم أنه لا ينطق في إطلاقاته بأقل من ثلاثة آلاف مثقال، إلى غير ذلك من العطاء الذي يخرق العقول .

وحكى عن قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أنه مع كثرة البذل وسعة العطاء في هباته وما يُنفقه في جيوشه وعساكره لا يُنفق نصف دخل بلاده .

قلت : ثم بعد محمد شاه ولي هذه المملكة من أقاربه سلطان اسمه (فيروزشاه) وبقي في الملك نحو أربعين سنة . ثم تنقلت المملكة في يدهم إلى أن كان من ثمرتك ما كان من فتح دلي ونهبها .

ثم آل الأمر بعده إلى سلطان من بيت الملك ، اسمه (محمود خان) وهو القائم بها إلى الآن . وقد صارت الدواكير منها لسلطان بمفرده ، وأسمه اليوم السلطان (غياث الدين) .

الجملة الثامنة

(في ذكر عساكر هذه المملكة ، وأرباب وظائفها على ما ذكره في "مسالك الأبصار" عن دولة السلطان محمد بن طغلقشاه المتقدم ذكره ، نقلا عن الشيخ مبارك الأنباتي وغيره)

أما عساكره ، فقد ذكر أنها تشتمل على تسعمائة ألف فارس : منهم من هو بحضرته ، ومنهم من هو في سائر البلاد ، يحجى عليهم كلهم ديوانه ، وأن عسكره مجتمع من الترك والخطا والفرس والهنود وغيرهم من الأجناس . وكلهم بالخيال المسومة ، والسلاح الفائق ، والتجمل الظاهر ، وأن أعلى عسكره الخانات ، ثم الملوك ، ثم الأمراء ، ثم الاصفهسلارية ، ثم الجنند .

وذكر أن في خدمته ثمانينَ خانا أو أكثرَ ، وأن لكل واحد منهم من الأتباع مايناسبه : لثان عشرة آلاف فارس ، وللبا ألف فارس ، ولأُمير مائة فارس ، وللأصفهسلاوية دون ذلك . وأن الأصفهسلاوية لا يؤهل أحد منهم للقرب من السلطان ، وإنما يكون منهم الولاة ومن يجرى مجراهم ، وأن له عشرة آلاف مملوك أترك ، وعشرة آلاف خادم خصى ، وألف خزندار ، وألف بشمقدار ، وله مائتا ألف عبد ركابية ، تلبس السلاح وتمشي في ركابه ، وتقاتل رجالة بين يديه ، وأن جميع الجُند تختص بالسلطان ، ويجري عليهم ديوانه حتى من في خدمة الخانات والمملوك والأمرء ، لا يجري عليهم إقطاع من جهة من هم في خدمته كما في مصر والشام .

وأما أربابُ الوظائف من أرباب السيوف ، فله نائبٌ كبير ، يسمَّى بـلغتهم امرئ وأربعة نوابٍ دونه ، يسمَّى كل واحد منهم شق ، وله الحُجَّاب ومن يجرى مجراهم من سائر أرباب الوظائف . وأما من أرباب الأقاليم ، فله وزيرٌ عظيم ، وله أربعة كُتَّاب سر ، يسمَّى كل واحد منهم بـلغتهم ديران ، ولكل منهم تقدير ثلثائة كاتب .

وأما القضاة فله قاضى قضاةٍ عظيم الشأن ، وله خمسٌ وشيخٌ شيوخ ، وله ألف طبيب ومائتا طبيب .

وأما غير هؤلاء فله ألف بازدار، تحمل الطيور الجوارح للصيد راكبة الخيل، وثلاثة آلاف سواق لتحصيل الصيد، وخمسمائة نديم، وألفان ومائتان من الملاحى غير مماليكه الملاحى، وهى ألف مملوك يرسم تعليم الغناء خاصة، وألف شاعر بالعربية، والفارسية، والهندية، من ذوى الذوق اللطيف. يجرى على جميع أولئك ديوانه مع طهارة الذيل والعفة فى الظاهر والباطن.

الجملة التاسعة

(في زيّ أهل هذه المملكة)

أما أربابُ السُّيوفِ فنُقِلَ عن الشيخِ مُباركِ الأنباري : أن لبسَ السلطانِ والخاناتِ والملوكِ ، وسائرِ أربابِ السُّيوفِ تزيّاتٌ ، وتكلاواتٌ ، وأقيّةٌ إسلاميّةٌ ، محصّرةٌ الأوساطِ خوارزميةٌ ، وعمائمٌ صغارٌ لا تتعدّى العمامةَ منها خمسةٌ أذرعٌ أو ستةٌ ، وأن لبسَهم من البياضِ والجُوخِ .

وحكى عن الشريفِ ناصرِ الدينِ محمدِ الحسينيّ الأدي أنّ غالبَ لبسَهم تزيّةٌ مُزركشةٌ بالذهبِ ، ومنهم من يلبسُ مطرّزَ الكمينِ بزركيشٍ ، ومنهم من يعملُ الطرازَ بين كتفيه مثلَ المُغلِّ ، وأقباعُهم مربّعةٌ الأنياسُاطُ ، مُرصّعةٌ بالجواهرِ ، وغالبُ ترصيعهم بالياقوتِ والماسِ ، ويضفرونَ شعورَهم ذوائبَ ، كما كان يفعلُ بمصرَ والشامِ في أوّلِ الدولةِ التركيّةِ ، إلا أنّهم يجعلونَ في الذوائبِ شراريبَ من حريرٍ ، ويُشدّونَ في أوساطهم المَنَاطِقَ من الذهبِ والفضّةِ ، ويلبسونَ الأخفافَ والمهاميزَ ، ولا يُشدّونَ السُّيوفَ في أوساطهم إلا في السّفَرِ خاصّةً .

وأما الوزراءُ والكُتّابُ ، فزيّهم مثلُ زيّ الجنّدِ ، إلا أنّهم لا يُشدّونَ المَنَاطِقَ ، وربما أرخى بعضهم العذبةَ الصّغيرةَ من قُدّامِهِ كما تفعلُ الصّوفيّةُ .

وأما القضاةُ والعلماءُ ، فلبسُهم فرجياتٌ شبيهاتٌ بالجنّاداتِ ودَرَارِعُ .

وحكى عن قاضي القضاةِ سراجِ الدينِ الهنديّ أنّه لا يلبسُ عندهم ثيابَ الكُتّانِ المجلوبةَ من الرُّوسِ والإسكندريةِ إلا مَنْ ألبسه له السلطانُ ، وإنما لبسُهم من القُطنِ الرّبيعِ الذي يفوقُ البَغْدادِيَّ حُسْنًا ، وأنّه لا يركبُ بالسُّروجِ الملبّسةَ والمُحلّاةَ بالذهبِ إلا مَنْ أنعمَ عليه بها السلطانُ .

الجملة العاشرة

(في أرزاق أهل دولة السلطان بهذه المملكة)

أما الجُندُ ، فتُقل من الشيخ مبارك الأنباتي أنه يكون للخانات والملوك والأمراء والاصفهلارية بلادٌ مقررة عليهم من الديوان إقطاعاً لهم .

وذكر أن إقطاع النائب الكبير المسمى بأمرت يكون إقلياً عظيماً كالعراق . ولكل خان لُكَّان ، كلُّ لك مائة ألف تنكة ، كل تنكة ثمانية دراهم ، ولكل ملك من ستين ألف تنكة إلى خمسين ألف تنكة ، ولكل أمير من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة ، وللصفهلارية من عشرين ألف تنكة إلى ما حولها ، ولكل جُندى من عشرة آلاف تنكة إلى ألف تنكة ، ولكل مملوك من الممالك السلطانية من خمسة آلاف تنكة إلى ألف تنكة ، مع الطعام والكسوة وعَلِيق الخيل لجميعهم على السلطان . ولكل عبد من العبيد السلطانية في كل شهر عشر تنكات بيضاء ، ومَنان من الحنطة والأرز ، وفي كل يوم ثلاثة أَسْتار من اللحم ، وفي كل سنة أربع كساوٍ .

وأما أرباب الأقلام ، فإن الوزير يكون له إقليم عظيم نحو العراق إقطاعاً له ، ولكل واحد من كُتَّاب السر الأربعة مدينةً من المُدن البَآدِر العظيمة الدَّخْل ، ولأَكْبَرُ كُتَّابهم قُرَى وضياع . ومنهم من يكون له خمسون قريةً . ولكل من الكُتَّاب الصَّغار عشرة آلاف تنكة . ولقاضي القضاة المعبر عنه بصدرجهان عشر قُرَى ، يكون متحصلاًها نحو ستين ألف تنكة ، ولشيخ الشيوخ مثله ، ولحَسِبَ قريةً يكون متحصلاًها نحو ثمانية آلاف تنكة .

وأما غير هؤلاء من سائر أرباب الوظائف ، فذكر أنه يكون لبعض النُدماء قريتان ولبعضهم قريةً ، ولكل واحد منهم من أربعين ألف تنكة إلى ثلاثين ألف تنكة

إلى عشرين ألف تنكة على مقادير مراتبهم ، مع الكساوى والخالّج والإفتقادات ،
وليُقَسَّ على ذلك .

الجملة الحادية عشرة

(فى ترتيب أحوال هذه المملكة)

وتختلِفُ الحال فى ذلك باختلاف أحوال السلطان .

أما الخِدْمَةُ ، فخدمتان : إحداهما الخِدْمَةُ اليَوْمِيَّةُ ، فإنه فى كل يوم يُمَدُّ الخِوَانُ
فى قصر السلطان : ويأكل منه عشرون ألف نفر من الخانات ، والملوك ، والأمراء ،
والاصفهلارية ، وأعيان الجُند ، ويمدُّ للسلطان خِوَانٌ خاصٌّ ، ويحضُّرُه معه
من الفقهاء مائتا فقيه فى الغداء والعشاء لياكلوا معه ويبحثوا بين يديه .

وحكى عن الشيخ أبى بكر بن الخلال : أنه سأل طبّاخ هذا السلطان عن ذبيحته
فى كل يوم - فقال : ألفان وخمسمائة رأس من البتر ، وألفاً رأس من الغنم ، غير
الخيل المسمّنة وأنواع الطير .

والثانية - الجُمُعِيَّةُ ، فحكى عن الشيخ محمد الخجندى : أن لهذا السلطان يوم
الثلاثاء جلوساً عاماً فى ساحة عظيمة متسعة إلى غاية ، يضرب له فيها حيرٌ كبير
سلطانى ، يجلس فى صدره على تحت عالٍ مصقّق بالذهب ، وتقف أرباب الدولة
حوله يميناً وشمالاً ، وخلفه السلاح دارية وأرباب الوظائف قيام بين يديه على
منازلهم ؛ ولا يجلس إلا الخانات وصدرجهان « وهو قاضى القضاة » والديبران
« وهو كاتب السر الذى تكون له التوبة » ويقف الحجاب أمامه ، وينادى مناداة
عامة : إن من كان له شكوى أو حاجة فليحضُرْ ؛ فيحضُر من له شكوى أو حاجة ،
فيقف بين يديه فلا يمنع حتى ينهى حاله ، ويأمر السلطان فيه أمره .

ومن عادته أن لا يدخل عليه أحدٌ ومعه سلاحُ البتّةِ حتّى ولا سيّكين صغيرةً ؛ ويكون جلوسه داخل سبعة أبواب ، ينزل الداخلون عليه على الباب الأوّل ، وربما أذن بعضهم بالركوب إلى الباب السادس . وعلى الباب الأوّل منها رجل معه بوق ، فإذا جاء أحدٌ من الخانات أو المملوك أو أكابر الأمراء ، نفخ في البوق إعلماً للسلطان أنه قد جاءه رجل كبير : ليكون دائماً على يقظة من أمره . ولا يزال ينفخ في البوق حتّى يقارب الداخل الباب السابع ، فيجلس كلّ من دخل عند ذلك الباب حتّى يجتمع الكل ، فإذا تكاملوا أذن لهم في الدخول ، فإذا دخلوا جلس من له أهليّة الجلوس ووقف الباقيون ؛ وجلس القضاة والوزير وكاتب السرّ في مكان لا يقع فيه نظر السلطان عليهم ، ومُدّ الخوان . ثمّ يُقدّم الحجاب قصص أرباب المظالم وغيرهم ، ولكل قوم حاجب يأخذ قصصهم ، ثم يرفعون جميع القصص إلى حاجب مُقدّم على الكل ؛ فيعرضها على السلطان ويسمع ما يأمر فيها . فإذا قام السلطان جلس ذلك الحاجب إلى كاتب السرّ فأدّى إليه الرسائل في ذلك فينفذها . ثم يقوم السلطان من مجلسه ذلك ويدخل إلى مجلس خاصّ ، ويدخل عليه العلماء فيجالسهم ويحدّثهم ويأكل معهم ؛ ثم ينصرفون ، ويدخل السلطان إلى دُوره .

أما حاله في الركوب ، فإنه كان في قصوره يركب وعلى رأسه اِطّتر والسلاح داريّة وراءه محمولا بأيديهم السلاح . وحوله قريبُ آتني عشر ألف مملوك ، جميعهم ليس فيهم راكبٌ إلا حامل اِطّتر والسلاح داريّة والحمداريّة حملة القماش إن كان في غير قصوره . وعلى رأسه أعلامٌ سودٌ في أوساطها تينّ عظيم من الذهب ؛ ولا يحل أحدٌ أعلاماً سوداً إلا له خاصّة . وفي ميسرته أعلامٌ حمراء ، فيها تينتان ذهب أيضاً . وطبوله الذي يدق بها في الإقامة والسفر على مثل الإسكندر .

وهو مائتا حمل نقارات ، وأربعون حملا من الكؤسات الجكار ، وعشرون بوقاً ، وعشرة صنوج .

قال الشيخ مبارك الأنباتي : ويحمل على رأسه الجحر إن كان في غير الحرب ، فإن كان في الحرب حمل على رأسه سبعة جتورة ، منها آثنان مرصعان لا يقومان لنفاستهما . قال : ولدسته من الفخامة والعظمة والقوانين الشاهنشاهية ما لا يكون مثله إلا لاسكندر ذي القرنين أو لملك شاه بن ألب أرسلان .

ثم إن كان في الصيد فإنه يخرج في خف من اللباس في نحو مائة ألف فارس ، ومائتي فيل ، ويحمل معه أربعة قصور على ثمانية جمال ، كل قصر على مائتي جمال ملبسة جميعها بستور الحرير المذهبة ، وكل قصر طبقتان غير الحليم والخركاوات . فان كان يتنقل من مكان إلى مكان للتنزه وما في معناه ، فيكون معه نحو ثلاثين ألف فارس ، وألف جنيب مسرجة ملجمة ، مابين ملبس بالذهب ومطوق وفيها المرصع بالجواهر والياقيت .

وإن كان في الحرب ، فإنه يركب وعلى رأسه سبعة جتورة ، وترتيبه في الحرب على ما ذكره قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن يقف السلطان في القلب وحوله الأئمة والعلماء ، والرماة قدامه وخلفه ، وتمتد الميمنة والميسرة موصولة بالجناحين ، وأمامه الفيلة الملبسة بالبركصطوانات الحديد وعليها الأبراج المسترة فيها المقاتلة ، وفي تلك الأبراج منافذ لرمي الشباب وقوارير النفط ، وأمام الفيلة العبيد المشاة في خف من اللباس بالسُّتور والسلاح ، فيسحبون حبال الفيلة والخيول في الميمنة والميسرة ، تضم أطراف ... (١) ... من حول الفيلة ومن ورائها حتى لا يجد هارب له مقراً .

(١) بياض بالأصل ولعله تضم أطراف " الجيش من الخ " .

أما غير السلطان من عساكره ، فقد جرت عادتهم أن الخانات والملوك والأمراء لا يركب أحد منهم في السفر والحضر إلا بالأعلام ، وأكثر ما يحمل الخان معه سبعة أعلام ، وأقل ما يحمل الأمير ثلاثة ، وأكثر ما يحتر الخان في الحضر عشر جنائب ، وأكثر ما يحتر الأمير في الحضر جنبيان ، وفي السفر يتعاطى كل أحد منهم قدر طاقته .

وأما اتصال الأخبار بالسلطان ، فذكر قاضي القضاة سراج الدين الهندي : أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال : فأحوال الرعية له ناس يخاطبون الرعية ، ويطاعون على أخبارهم ، فن أطلع منهم على شيء أنهاه إلى من فوقه ، وينهيه الآخر إلى من فوقه حتى يتصل بالسلطان . وأحوال البلاد النائية لاتصال الأخبار منها من السرعة ما ليس في غيرها من الممالك ، وذلك أن بين أمهات الأقاليم وبين قصر السلطان أماكن متقاربة ، مشبهة بمراكز البريد بمصر والشام إلا أن هذه الأماكن قريبة المدى بعضها من بعض ، بين كل مكانين نحو أربع غلوات سهم أو دونها ، في كل مكان عشرة ساعة من له خفة وقوة ، ويحمل الكتب بينه وبين من يليه ، ويعدو بأشد ما يمكنه إلى أن يوصله إلى الآخر ليعدو به كذلك إلى مقصده ، فيصل الكتب من المكان البعيد في أقرب وقت . وفي كل مكان من هذه الأمكنة مسجد وسوق وبركة ماء . وبين دلي وقبة الإسلام اللتين هما قاعدتا المملكة طبول مرتبة في أمكنة خاصة ، فحيثما كان في مدينة وفتح باب الأخرى أو أغلق يدق الطبل ، فإذا سمعه ما يحاوره دق ، فيعلم خبر فتح المدينة وفتح باب الأخرى وغلقه .

الفصل الثانى

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(فى الممالك والبلدان الغربية عن مملكة الديار المصرية ، وما سامت
ذلك ووالاه من الجهة الشمالية . وفيه أربع ممالك)

المملكة الأولى

(مملكة تونس وما أضيف إليها . وفيه اثنتان وعشرون جملة)

الجملة الأولى

(فى بيان موقعها من الأقاليم السبعة [وحدودها])

[أما موقعها من الأقاليم السبعة] فإن أكثرها واقع فى الإقليم الثالث ، وبعضها واقع فى أواخر الثانى .

وأما حدودها فعلى ما أشار إليه فى " التعريف " : حدّها من الشرق العقبة الفاصلة بينها وبين الديار المصرية ، ومن الشمال البحر الرومى ، ومن الغرب جزائر بنى مرغنّان الآتى ذكرها ، ومن الجنوب آخر بلاد الجريد والأرض السّواخة إلى ما يقال إن فيه المدينة المسماة بمدينة النّحاس .

قال فى " مسالك الأنصار " : وحدّها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جباوة المسكونة بأئم من السودان . وحدّها من الشرق آخر حدود أطرابلس ، وهى داخلة فى التحديد . وحدّها من الشمال البحر الشامى : وهو الرومى . وحدّها من الغرب آخر حدود بدليس المجاورة لجزائر بنى مرغنّان ، آخر عمالة صاحب برّ العدو .

وقد نقل في "تقويم البلدان" في الكلام على بونة عن ابن سعيد أن آخر سلطنة
بجاية من الشرق مدينة بونة الآتي ذكرها، وأنها أول سلطنة أفريقية من الغرب .
قال في "مسالك الأبصار": وطولها خمس وثلاثون يوما، وعرضها عشرون يوما .

الجملة الثانية

(في بيان ما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال
وما أنطوى عليه كل عمل)

وهذه المملكة تشتمل على عمالين :

(١)
العمل الأول — أفريقية . قال في "تقويم البلدان": بفتح الهمزة وسكون
الفاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء المشناة تحت وكسر القاف ومثناة تحت بعدها
هاء في الآخر . وقد اختلف في سبب تسميتها أفريقية . فقيل إن أفريقس أحد
تباعه اليمن أفتحها وأستولى عليها فسميت بذلك . وقيل إنما سميت بفارق بن
[بيمصر بن حام بن نوح عليه السلام] .^(٣)

وكانت قاعدتها القديمة (سُيْطَلَة) بضم السين المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون
المثناة من تحتها وفتح الطاء المهملة واللام وفي آخرها هاء . وهي مدينة أزلية في الإقليم
الثالث من الأقاليم السبعة، حيث الطول ثلاثون درجة ، والعرض ثلاثون درجة
وثلاثون دقيقة . وبها آثار عظيمة تدل على عظم أمرها .

-
- (١) ضبطها ياقوت بكسر الهمزة وتبعناه فيما تقدم ويظهر أن فيه لغتين .
(٢) في المعجم والسنائك أفريقس بياء بعد القاف وسين مهملة في الآخر . وفي العبر كالأصل إلا أنه
بالمعجمة وقد تقدم بها كثيرا .
(٣) بياض بالأصل والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت .
(٤) في معجم ياقوت وطاء مكسورة .

قال الإدريسي^(١) : وكانت قبل الإسلام مدينة أفريسيس ملك الروم الأفارقة ، فتحها المسلمون في صدر الإسلام وقتلوا ملكها المذكور .

ثم صارت قاعدتها في أول الإسلام (القيروان)^(٢) . بفتح القاف وسكون المشنة تحت وفتح الراء المهملة وواو وألف وفي آخرها نون . وهي مدينة في الإقليم الثالث أيضا حيث الطول ثمان وعشرون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، بنيت في صدر الإسلام بعد فتح أفريقيا في جنوبي جبل شماليا ، وهي في صحراء ، وشرب أهلها من ماء الآبار وقال في "العزيزي" : من ماء المطر ، وليس لها ماء جار ، ولها واد في قبلة المدينة به ماء ملح يستعمله الناس فيما يحتاجونه . قال في "العزيزي" : وهي أجل مدن الغرب (يعني في القديم) . وكان عليها سور عظيم هدمه زيادة الله بن الأغلب . قال الإدريسي : وبينها وبين سيطة سبعون ميلا .

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك (المهدية) بفتح الميم وسكون الهاء وكسر الدال المهملة نسبة إلى المهدي . وهي مدينة بناها عبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين بمصر في سنة ثلاث وثلثمائة ، وموقعها في الإقليم الثالث أيضا من الأقاليم السبعة حيث الطول ثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة فيما ذكره ابن سعيد . وهي على طرف داخل في البحر كهيئة كف متصل بزند ، والبحر محيط بها غير مدخلها ، وهو مكان ضيق كما في سبتة . ولها سور حصين شاهق في الهواء ، مبنى بالحجر الأبيض بأبراج عظام . وبها القصور الحسنة المطلة على البحر .

(١) في التقويم "جرجيس" وفي المعجم جرجير .

(٢) من هنا الى الكلام على الطبقة الثانية من القياسرة قبل ظهور دين النصرانية مقابل أيضا على قطعة وجدت بدار الكتب الأزهرية .

(٣) لم يذكر العرض ، وذكر في "تقويم البلدان" عن ابن سعيد أنه إحدى وثلاثون درجة .

ثم صارت قاعدتها بعد ذلك (تُونُس) بضم المثناة من فوق وسكون الواو وضم النون وفي آخرها سين مهملة ، وهى قاعدة هذه المملكة الآن ، ومُسْتَقَرَّ سلطانها . وهى مدينة قديمة البناء ، واقعة فى الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وهى على بُحيرة مالحة خارجة من البحر الرُّومى ، طولها عشرة أميال وتُونُس على آخرها .

قال البكرى : ودور هذه البحيرة نحو أربعة وعشرين ميلا . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة جليلة ، لها مياهٌ ضعيفةٌ جاريةٌ يُزْرَعُ عليها ، وفيها الحِصْب وكثرة الغلات . وهى فى وطأةٍ من الأرض فى سفح جبل يُعرف بأَمِّ عَمْرُو ، يَسْتَدِيرُهَا خَنْدَقٌ وَسُورٌ حَصِينٌ ، ولها ثلاثة أرباض كبيرة من جهاتها ، وأرضها سبخة ، وجميع بنائها بالحجر والأجر ، وأبنيتها مسقفة بالأخشاب ، ودور أكبرها مفروشة بالرخام . ودم فى "الروض المعطار" بيوتها فقال هى كما يقال : ظاهرُها رُخَامٌ ، وباطنُها سُخَامٌ . وشرب أهلها من الآبار ، وبيوتها صهاريجٌ يُجْمَعُ فيها ماءُ المطر لغسل القماش ونحوه ، وبها الحمامات والأسواق الجليلة ، وبها ثلاثُ مدارس : وهى الشامية والفرضية ، ومدرسة الهواء ، وبها البساتين البعيدة والقريبة منها ، والبساتين محيطة بِبُحِيرَتِهَا الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهَا مِنْ جَنُوبِهَا .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومذ خلا الأندلس من أهله ، وأووا إلى جناح ملوكها ، مَصْرُوا إقليمها ، ونوعوا بها الغراس ، فكثرَت مستنزهاتها ، وأمتد بسِيط بساتينها . قال : وبها يُعْمَلُ الْقُمَاشُ الْأَفْرِيقُ : وهو ثياب رفّاع من القطن والكَنّان معا ومن الكَنّان وحده ، وهو أمتع من النّصافى البغدادى وأحسن ، ومنه جُلُّ كَسَاوى أهل المَغرب . وللسلاطان بها قلعةٌ جليلةٌ يَسْكُنُهَا ، يُعْبَرُونَ عَنْهَا بِالْقَصْبَةِ كما هو

مصطلح المغاربة في تسمية القلعة بالقصبة ، وللساطن بها بستانان : أحدهما ملاصق
أرباض البلد يسمى برأس الطابية ، والثاني بعيد من البساتين يسمى بأبي فهور ،
بينه وبين البلد نحو ثلاثة أميال ، والماء مُنْسَق إليهما من ساقية بجبل يعرف
بجبل زَغَوَان بفتح الزاى وسكون الغين المعجمتين ونون في الآخر ، على مسيرة يومين
من تُونُس .

وأما ما أَشْتَمَلْتُ عليه من المُدُن سوى القواعد المتقدمة الذكر .

فمن مشارق تُونُس (سُوْسَة) بضم السين المهملة وسكون الواو وفتح السين
الثانية ثم هاء . وهى مدينة على ساحل البحر ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم
السبعة ، حيث الطول أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق ، والعرض اثنتان وثلاثون
درجة وأربعون دقيقة . وهى في جنوبى تُونُس وشرقيها في طرف داخل في البحر .
قال في "العزى" : وهى مدينة أزلية بها سوق وفنادق وحمامات . قال الإدريسي :
وهى عامرة بالناس ، كثيرة المتاجر ، والمسافرون إليها قاصدون وعنها صادرون ،
وعليها سور من حجر حصين .

وذكر في "مسالك الأبصار" : أن عليها سورا من لبن ، وأنها قليلة العارة
لأستلاء العرب عليها .

ومنها (صَفَاقُس) بفتح الصاد المهملة ثم فاء وألف وقاف مضمومة وفي آخرها
سين مهملة . وهى مدينة على ساحل البحر شرقى المهدية ، واقعة في الإقليم الثالث
قال ابن سعيد حيث الطول خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض
إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة
صغيرة في مستوي من الأرض ، وجنوبيها جبل يسمى جبل السبع بفتح السين المهملة

والباء الموحدة وعين مهملة في الآخر . يستدير عليها سُورٌ ، وشُرْبٌ أهلها من الآبار ؛ ولها بسايتنٌ قليلة ؛ ومن بحرها يُستَخْرَجُ الصُّوفُ المعروفُ عند العامة بصُوفِ السَّمَكِ المتَّخِذُ منه الثيابُ النَّفِيسَةُ . قال ابن سعيد : أنا رأيته كيف يُخْرَجُ ، يفوص الغَوَاصون في البحر فيُخْرِجونَ كجائِمٍ شبيهةً بالبصل بأعناق ، في أعلاها زُؤيرةٌ ، فتُنشَرُ في الشمس فتَنْفُخُ تلك الكجائِمُ عن وِبرَةٍ فيَمْشِطُ ويؤْخَذُ صوفُه فيُغْزَلُ ، ويعمل منه طعمة لقيام من الحرير ، وتُنسَجُ منه الثيابُ .

ومنها (قَابِسُ) بفتح القاف وألف ثم باء موحدة وفي آخرها سينٌ مهملة . وهي مدينة في الإقليم الثالث ، حيثُ الطولُ اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ، والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة ، على ثلاثة أميال من البحر . قال في " العزيرى " : وعليها سُورٌ وخَنْدُقٌ . قال في " تقويم البلدان " : وهي في أفريقية كدِمْشَقٍ في الشام ، يَنْزِلُ إليها نهران من الجبل في جَنُوبِهَا ، يَخْتَرِقَانِ في غُوطَتِهَا . قال : وقد خُصَّتْ من بلاد أفريقية بِالْمُوزِ وَحَبِّ العزيرى وَالْحِيارِ .

ومنها (أَطْرَابُلسُ) بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين وألف وباء موحدة بعدها لام مضمومتان وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة شرقي تَوْسٍ على البحر ، واقعةٌ في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيثُ الطولُ ثمان وثلاثون درجة ، والعرضُ اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي آخرُ المُدُنِ التي شرقيَّ القَيْرَوَانِ ، وإذا فارقها المسافر مشرقاً لا يجد مدينةً فيها حَمَامٌ حتى يصل الإسكندرية . وبنائها بالصَّخَرِ ، وهي واسعة الكُورة ، وبها الخِصْبُ الكثير ، وليس بها ماءٌ جارٍ ، بل بها جَبَابٌ عليها سواق . قال في " العزيرى " : وبها مَرْتَبَتَانِ للراكب .

ومنها (قَصْرُ أَحْمَدَ) وضبطه معروف ، وموقعه في أوّل الإقليم الرابع ، حيث الطول إحدى وأربعون درجة وأثنان وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهو حدّ أفريقيا من الشرق وحدّ برقة من الغرب . وهو قرية صغيرة ، وحولَه قصور نحو اثني عشر ميلا ، وهي بلاد زيتون ونخيل ، وأهلها يجلبون الخيل للإسكندرية ، ومنها يركب المسافر البرية إلى الشرق .

ومن مغارب تونس على مسيرة يومين (باجة) قال في "المشترك" بفتح الباء الموحدة وألف وتخفيف الجيم ثم هاء . وهي مدينة بالإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . وهي مدينة كبيرة ، ولها بساتين قليلة وعيون ماء ، وعليها سور حصين ، مبنية في مستوى من الأرض ، على نحو يوم من البحر ، ويقابلها على البحر مرسى الحرز .

ومنها (نَبْرْت) بفتح النون وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وفي آخرها تاء مثناة من فوق ، وقيل هي بتقديم الموحدة على النون . وهي مرسى تونس ، وموقعها في الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة على نهر يجري في شرقها وعليه مستترها . قال في "تقويم البلدان" : ولها بحيرة حلوة في جنوبيها ، وبحيرة مالحة في شرقها ، تصب كل واحدة منهما في الأخرى ستة أشهر ، فلا الحلوة تفسد بالمالحة ولا المالحة تعذب بالحلوة . قال الشيخ عبد الواحد : أما زيادة الحلوة فبكثره السيول أيام الشتاء ، وتقل عنها السيول في أيام الصيف فتعلو عليها المالحة .

ومنها (بُونة) قال في "اللباب" بضم الباء الموحدة وسكون الواو ثم نون وهاء .
 قال في "مسالك الأبصار" : وهي المسماة الآن بَلَدُ الْعُنَاب ؛ وهي مدينة على ساحل
 البحر في أول الإقليم الرابع قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وعشرون درجة ،
 والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي مدينة
 جليسة عامرة خصب الزرع ، كثيرة الفواكه ، رحية ، بظاها معادن الحديد ،
 ويزرع بها الكتان الكثير . قال : وحدث بها عن قريب مغاص مرجان ، ولكن
 ليس كمرجان مرسي الحرز .

ومن قبلي تونس للجنوب (بلاد الحريد) .

ومنها (توزر) . قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بضم المثناة
 من فوق وسكون الراو وفتح الزاي المعجمة وراء مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم
 الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ست وثلاثون درجة وسبع دقائق ، والعرض
 تسع وعشرون درجة وثمان دقائق . وهي قاعدة بلاد الحريد ، وبها بساتين
 ومحمضات ونخيل وزيتون ، ولها نهر يسمى بساتينها ، والمطر بها قليل ، ويزرع
 بها الكتان والحناء . قال في "تقويم البلدان" : وبذلك وقيلة المطر تشبه مصر .
 وقد عابها في "الروض المعطار" بأن أهلها يبيعون ما يتحصل في مراحيضهم من رجيع
 الناس ، فيحلون به بقولهم وبساتينهم ؛ ولكنهم لا يرغبون فيه إلا إذا كان جافاً ،
 فيحملهم ذلك على عدم الاستنجاء في مراحيضهم ، ويخرج أحدهم من بيته حتى
 يأتي القناة فيستنجي من ماءها ، وربما أخذ أحدهم المراحيض على قارة الطريق
 للواردين عليها ليأخذ ما يتحصل من ذلك فيبيعه .

ومنها (قَفْصَة) بفتح القاف وسكون الفاء ثم صاد مهملة وهاء في الآخر .
وموقعها في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وثلاثون درجة ،
والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة مشهورة
من بلاد الجريد بها النخيل والفستق . قال : ولا يكون الفستق ببلاد المغرب
إلا في قَفْصَة . وبها من الفواكه والمشومات أنواع كثيرة ؛ ومنها يُحَلَّب
دُهْنُ البَنْفَسَجِ وَخُلُّ العُنْصَلِ ؛ وإليها يُنسَبُ جلدُ الأروى المتخذُ منه النعال
الشديدة اللبونة .

ومنها (المَسِيلَة) قال في "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بكسر الميم
والسين المهملة وسكون المثناة من تحت وفي آخرها لام ألف ، والجاري على الألسنة
فتح الميم وهاء في الآخر . وهي مدينة من بلاد الجريد ، موقعها في الإقليم الثالث
قال ابن سعيد حيث الطول ثلاث وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض
تسع وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "العزيزي" : وهي مدينة
مُحدثة ، بناها القائمُ الفاطمي سنة خمس عشرة وثلثمائة . قال ابن سعيد : ولها
نهر يُمرُّ بغربها ويغوص في رمال الصحارى .

ومنها (بَسْكِرَة) قال في "اللباب" بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون
السين المهملة وكاف وراء مهملة بعدها هاء . وهي مدينة من بلاد الجريد ،
في أواخر الإقليم الثاني قال ابن سعيد حيث الطول أربع وعشرون درجة وخمس
وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد :
وهي قاعدة بلاد الزَّاب ، ولها بلادُ ذاتُ نخيل وفواكه وزروع كثيرة ؛ ومنها يُحَلَّبُ
الثرُّ الطيبُ إلى تَوْسَ وبجاية .

ومنها (طُرَا) قال في "تقويم البلدان" عن عبد الواحد : بضم الطاء وتشديد
الراء المهملتين وفي آخرها ألف ، ونُقِلَ عن بعضهم إبدال الألف هاءً . وهي مدينة
من بلاد الجَرِيد في الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطولُ سبع وثلاثون درجةً
وعشرون دقيقةً ، والعرضُ تسعٌ وعشرون درجةً . قال في "تقويم البلدان" :
وبها يُعملُ الزُّجاجُ الصَّافِي وتفاصيل الصوف ، ومنها يُحَلَّبُ إلى الإسكندرية .

(١)
ومنها (غَدَامُسُ) بفتح الغين والذال المعجمتين وألف وميم مكسورة وسين
مهملة . وهي مدينة في الصحراء جنوبي بلاد الجَرِيد ، على طريق السودان المعروفين
بالكُتَيْم . قال : في "العزيزي" : وهي مدينة جليلة عامرة ، في وَسَطِهَا عَيْنٌ أَزَلِيَّةٌ
عليها أثرُ بُنيانِ رُومِيٍّ عجيب ، يَفِيضُ الماءُ منها وَيَقْتَسِمُهُ أَهْلُ المدينة بأقسام
معلومة وعليه يَزْرَعُونَ . وأهلها قوم من البربر مسلمون . قال في "تقويم البلدان" :
وبها الجلود المفضلة ، وليس لهم رئيس سِوَى مشايخهم .

ومنها (قلعة سِنَان) . قال في "مسالك الأبصار" : وهو قصر لا يُعرف على وجه
الأرض أَحْصَنُ منه ، على رأس جبل منقطعٍ عن سائر الجبال في غاية العُلُوِّ ، بحيث
يَقْصُرُ سَهْمُ الْعَقَّارِ عن الوصول إليه ، يَرْتَقِي إليه من سَلَمٍ نُقِرَ في الحجر طوله مائة
وتسعون درجةً ، وبه مَصَانِعٌ يَجْتَمِعُ فيها ماء المطر ، وبأسفله عَيْنُ ماء عليها أشجار
كثيرةٌ الفواكه .

(١) أوردتها ياقوت باهمال دالها ونص على فتح الغين وضمها ونحوه في القاموس .

العمل الثاني

(بلاد بجاية)

وبجاية بكسر الباء الموحدة وفتح الجيم وألف ثم ياء مشناة تحت وهاء في الآخر مدينة من مدن الغرب الأوسط ، واقعة في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : هي قاعدة الغرب الأوسط ، وهي مقابل طرطوشة من الأندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة قديمة مسورة ، أضيف إلى جانبها ربض أدير عليه سور ضام لِنطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد . قال : والربض في وطاة ، والمدينة القديمة في سفح جبل ، يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها . قال في "تقويم البلدان" : ولها نهر في شرقها ، على شاطئه البساتين والمتار . قال في "مسالك الأبصار" : وبها عينان من الماء : إحداها كبيرة ومنها شرب أهلها ، ولها نهر جار على نحو ميلين منها ، تحف به البساتين والمناظر على ضفتيه ممتدة نحو آثي عشر ميلا ، متصلا بعضها ببعض لا انفصال بينها إلا ما يسلك عليه إلى البساتين ، إلى أن يصب في بحر الروم . وبضفتيه للسلطان بستانان متقابلان شرقا وغربا الشرق منهما يسمى الربيع .

وغربي بجاية (جراز بنى مرغان) بفتح الميم وسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نون بينهما ألف الأولى منهما مشددة ، كما في "تقويم البلدان" عن الشيخ شعيب ، وبعضهم يسقط النون الأخيرة . وفي "مسالك الأبصار" : مرغانة بزيادة هاء في الآخر . وهي فُرْضة مشهورة هناك . قال في "مسالك الأبصار" :

وهى بلدة حسنة على ساحل البحر ، تقابل (مَيُورْقَة) من بلاد الأندلس ، بانحراف يسير ، وبعدها عن بجاية ستة أيام .

ومن المَدُن التى بأعمال البجاية (قُسْطِينَة) قال فى ” تقويم البلدان “ : بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء . قال : وعن بعض المتأخرين أن بعد السين وقبل الطاء نونا ، وحينئذ فتكون بضم السين وسكون النون . وهى مدينة من الغرب الأوسط فى أواخر الإقليم الثالث قال ابن سعيد حيث الطول ست وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأثنتان وعشرون دقيقة . قال فى ” تقويم البلدان “ : وهى على آخر مملكة بجاية وأول مملكة أفريقية . قال الإدريسى : وهى على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض استدارة ، لا يتوصل إليه إلا من جهة باب فى غربها ليس بكثير السعة ، ويحيط بها الوادى من جميع جهاتها . قال فى ” تقويم البلدان “ : ولها نهر يصب فى حندقها يُسمع له دوى هائل ، ويرى النهر فى قعر الحندق مثل ذؤابة النجم لشدة ارتفاع البلد عن الحندق . قال الإدريسى : وهى مدينة عامرة ، وبها أسواق وتجارات . قال : وتقيم الحنطة فى مطايرها مائة سنة لا تفسد .

وشرق قُسْطِينَة فى آخر مملكة بجاية (مَرْسَى الْحَرَز) بفتح الحاء المعجمة والراء المهملة وزاى معجمة فى الآخر . ومنه يستخرج المَرَجَان من قعر البحر على ما تقدم فى الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى وصفه من المقالة الأولى .

ومنها (سَطِيف) بفتح السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء . وهى مدينة من الغرب الأوسط فى الإقليم الثالث قال فى ” الأطوال “ حيث الطول سبع وعشرون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . وهى مدينة

حصينة ، بينها وبين قُسْطِينَةَ أربع مراحل ، ولها حصن في جهة الجنوب ، عن بحاية على مرحلتين منها ؛ ولها كُورَةٌ تشتمل على قُرَى كثيرة غزيرة المياه كثيرة الشجر المثمر بضروب من الفواكه ؛ وبها الجُوز الكثير ، ومنها يُجَل إلى سائر البلاد .

ومنها (تَاهَرْتُ) - قال في "الباب" : بفتح التاء المشناة فوق وألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية . قال في "تقويم البلدان" : وقلْتُ من خط ابن سعيد عوض الألف ياء مشناة تحت قال وهو الأصح لأن ابن سعيد مغربي فاضل . وهي مدينة من الغرب الأوسط ، وقيل من أفريقية في الإقليم الثالث قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة ، كثيرة الزرع ، كانت قاعدة الغرب الأوسط وبها كان مقام ملوك "بنى رستم" حتى انقرضت دولتهم بدولة الفاطميين خلفاء مصر . وذكر الإدريسي أنها كانت في القديم مدينتين : القديمة منهما على رأس جبل ليس بالعالى . قال في "العزيزي" : وتاهرت القديمة تسمى "تاهرت عبد الخالق" وهي مدينة جليلة كانت قديماً تسمى "بغداد المغرب" وتاهرت الجديدة على مرحلة منها ، وهي أعظم من تاهرت القديمة ، والمياه تحترق دور أهلها . وهي ذات أسواق عامرة ، وبأرضها مزارع وضياع جمّة ، ويمر بها نهر يأتيها من جهة المغرب ؛ ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع فيه ، منه شرب أهلها ؛ وبها البساتين الكثيرة الموثقة ، والفواكه الحسنة ، والسفرجل الذي ليس له نظير : طعماً وشماً ؛ ولها قلعة عظيمة مشرفة على سوقها . وتاهرت كثيرة البرد ، كثيرة الغيوم والتّج ، وسورها من الحجر ، ولها ثلاثة أبواب : باب الصفا ، وهو باب الأندلس ؛ وباب النازل ؛ وباب المطاحن .

(١) في "المعجم" أربعة أبواب باب الصفا وباب الأندلس الخ .

وأما الطريق الموصل إليها ، فقد ذكر صاحب "الذيل" على كامل ابن الأثير في التاريخ عن ايدغدى التليلى وايدغدى الخوارزمى ، حين توجهها رسولين إلى الغرب في سنة ست وسبعائة : أن من إسكندرية إلى طلمينا ، ومنها إلى سرت ، ومنها إلى سراتة ، ومنها إلى طهيجورة ، ومنها إلى طرابلس ، ومنها إلى قابس ، ومنها إلى صفاقس ، ومنها إلى المهدية ، ومنها إلى سوسة ، ومنها إلى تونس .
وأما طريقها في البحر ، فمن إسكندرية إلى تونس .

الجملة الرابعة

(في ذكر زروعها ، وحبوبها ، وفواكهها ، وبقوطا ، ورياحينها)

أما زروعها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تُزرع على الأمطار ، وأن بها من الحبوب القمح ، والشعير ، والحص ، والفول ، والمدس ، والذرة ، والدخن ، والجلبان ، واليسلا ، وأسماها عندهم البسين . أما الأرض فمحبوب إليها .

وأما فواكهها ، فيها من الفواكه العنب والتين ، كل منهما على أنواع مختلفة والرمان : الحلو والمز والحامض ، والسفرجل ، والتفاح ، والكمثرى ، والخاب ، والزعرور ، والحوخ ، والمشمش على أنواع ، والتوت الأبيض ، والفِرصاد ، وهو التوت الأسود ، والقراصيا ، والزيتون ، والأترج ، والليمون ، والليم ، والنارج . أما الحوز بها فقليل ، وكذلك النخيل ، والفستق ، والبندق مفقود بها وكذلك الموز . قال في "مسالك الأبصار" : وبها فاكهة تسمى مصغ فوق قدر البندقة ، لونها بين الحمرة والصفرة ، وطعمها بين الحموضة والقبض شبيه بطعم السفرجل ، يوجد في الشتاء ، يقطع من شجرة غضا فيدنى ، ويثقل كما يفعل بالموز فينضج ويؤكل

حينئذ . ويوجد بها قصب السكر على قلة ولا يعتصر بها . وبها البطيخ الأصفر على أنواع ، والبطيخ الأخضر مع قلة ، وأسمه عندهم الدلاع ، وكذلك الحيار والقنأ . وبها اللوبيا ، والأفت ، والباذنجان ، والقنيط ، والكرب ، والرجلة ، والبقلة اليمانية ، وأسمها عندهم بلندس ، والحس ، والهندباء على أنواع ، وسائر البقول والملوخيا على قلة ، والحليون ، والصعتر .

وبها من الرياحين الآس ، والورد ومعظمه أبيض ، والياسمين ، والنرجس ، والليثوفر الأصفر والترنجاني ، والمنثور ، والمرزنجوش ، والبنفسج ، والسوسن ، والزعفران ، والحبق ، والنمّام .

الجملة الخامسة

(في مواشها ، ووحوشها ، وطورها)

أما مواشها ، ففيها الخيل العراب المشابهة لخليل برقة ، والبغال ، والحمر ، والإبل ، والبقرة ، وغنم الضأن والمعز .

وأما وحوشها ، ففيها الغزلان ، وبقرة الوحش وحمره ، والنعام ، وغير ذلك .

وأما طورها ، ففيها الدجاج ، والحمام كثيرا ، والإوز بقلة ، وبها الكراكي ، وهي صيد الملوك كما بمصر ، وكذلك غيرها من طيور الصيد .

الجملة السادسة

(فيما يتعلق بمعاملاتها : من الدنانير ، والدراهم ،

والأرطال ، والمكايل ، والأسعار)

(١)

أما الدنانير ، فإنها تُضْرَبُ باسمِ مَلِكِهِمْ ، وَزِنَةُ كُلِّ دِينَارٍ مِنْ دَنَانِيرِهِمْ
ويعبرون عنه بالدینار الكبير ، وذهبهم دُونُ الذهبِ المِصرِيِّ في الجَوْدَةِ ، فهو ينقُصُ
عنه في السَّعْرِ .

وأما الدراهم ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن أبي عبد الله بن القَوَيْعِ :
أن دراهمهم على نوعين : أحدهما يُعرَفُ بالقديم ، والآخر بالجديد ، ووزنهما واحد
إلا أن الحديد منهما خالِصُ الفِصَّةِ والقديم مغشوشٌ بالنحاس للعاملة ، وتفاوت
ما بينهما أن كل عشرة دراهم عتيقة بثمانية دراهم جديدة ؛ وإذا أُطْلِقَ الدرهم عندهم
فالمراد به القديم دُونَ الجديد ؛ ثم مُصْطَلَحُهُمْ أن كل عشرة دراهم عتيقة بدینار ،
وهذا الدینار عندهم مسمًى لا حقيقة له ، كالدينار الجیشی بمصر ، والرائج بإيران .
وأما أرطالها ، فزنة كل رِطْلٍ ست عشرة أوقية ، كل أوقية أحد وعشرون درهما
من دراهمها .

وأما كيلها ، فلهم كيلان : أحدهما يسمى القفيز ، وهو ست عشرة وِیة ، كل
وِیة اثنا عشر مُدًا قَرَوِيًّا ، وهو يقارب المَدَّ النبوی ، على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام والتحية والإكرام . وهو أيضا ثمانية أمدادٍ بالكيل الحَفِصِيّ : وهو كيل
قدّره ملوكها الحَفِصِيُّونَ : آباء ملوكها القائمين بها الآن ، بقدر مُدٍّ ونصف من المَدَّ
المقدّم ذكره . والثاني يسمى الصَّحْفَةُ ، وكل صَحْفَةٍ اثنا عشر مُدًا بالحَفِصِيّ .

(١) بیاض بأصلی المكتبة الخديوية والمكتبة الازهرية .

الجملة السابعة

(في ذكر أسعارها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن أوسط الأسعار بها في غالب الأوقات أن يكون كل قفيز من القمح بخمسين درهما ، والشعير دون ذلك . قال : وغالب سعر اللحم الضأن عندهم كل رطل أفريق بدرهم قديم ، وبقية اللحوم دونه في القيمة ، وفي الربيع ينحط السعر عن هذا القدر . وذكر أن الدجاجة الجيدة عندهم بدرهمين جديدين . ثم قال : وأحوالها مقارنة في ذلك للديار المصرية لقرب المجاورة . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن تونس وبجاية في المعاملة والسعر متقاربتان .

الجملة الثامنة

(في صفات أهل هذه المملكة في الجملة)

قال في "مسالك الأبصار" : ولأهل أفريقية لطف أخلاق وشمالك بالنسبة إلى أهل بلاد المغرب : يجاورتهم مصر وقربهم من أهلها ، ومخالطتهم إياهم ، ومخالطة من سكن عندهم من أهل إسبيلية من الأندلس . وهم من هم ! خفة روح ، وحلاوة بادرة . قال : وهم على كل حال أهل انطباع ، وكرم طباع ، وناهيك من بلاد من شعر ملكها السلطان أبي العباس قوله :

مَوَاطِنًا فِي دَهْرِهِنَّ عَجَائِبُ * وَأَزْمَانُنَا لَمْ تَعْدُنَّ الْغَرَائِبُ
مَوَاطِنُ لَمْ تَحْكِ التَّوَارِيخُ مِثْلَهَا * وَلَا حَدَّثَتْ عَنْهَا اللَّيَالِي الذَّوَاهِبُ

وقوله :

أَنْظُرْ إِلَيْنَا [تَجِدُنَا] مَا بَنَا دَهْشٌ ، * وَكَيْفَ يَطْرُقُ أَسَدُ الْغَابَةِ الدَّهْشُ ؟
لَا تَعْرِفُ الْحَادِثَ الْمَرْهُوبَ أَنْفُسَنَا ! * فَاثْنَا بَارْتِكَابِ الْمَوْتِ نَنْتَعِشُ !

وقوله :

عَسَى اللَّهُ يَدِينِي لِلْمُحِبِّينَ أَوْبَةً * فَتُشْفَى قُلُوبُ مِنْهُمْ وَصُورُ
وَكَمْ مِنْ قِصَى الدَّارِ أَمْسَى بِحُزْنِهِ ، * فَأَعَقَبَهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ سُورُ
وَإِذَا كَانَ هَذَا رِقَّةَ طَبَعِ السُّلْطَانِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ؟ .

الجملة التاسعة

(في ذكر مَنْ مَلَكَهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا)

أما مُلُوكُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّ بِلَادَ الْمَغْرِبِ كُلَّهَا كَانَتْ مَعَ الْبَرْبَرِ ، ثُمَّ
غَلِبَهُمُ الرُّومُ الْكَيْتَمُ عَلَيْهَا ، وَافْتَتَحُوا قَاعِدَتَهَا (قَرْطَاجَنَّةً) وَمَلَكَوْهَا ، ثُمَّ جَرَى بَيْنَ الرُّومِ
وَالْبَرْبَرِ قِتْنٌ كَثِيرَةٌ كَانَتْ آخِرُهَا أَنْ وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْمُدُنُ وَالْبِلَادُ
السَّاحِلِيَّةُ لِلرُّومِ ، وَالْجِبَالُ وَالصَّحَارَى لِلْبَرْبَرِ ، ثُمَّ زَاخَمَ الْفَرَنْجُ الرُّومَ فِي الْبِلَادِ ، وَجَاءَ
الْإِسْلَامُ وَالْمُسْتَوَلِيُّ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ مُلُوكِ الْفَرَنْجَةِ " حَرْجِيس " مَلَكَهُمْ ، وَكَانَ
مُلْكُهُ مُتَصِلًا مِنْ طَرَابُلُسَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ ،
وَكُرْسَى مُلْكِهِ بِمَدِينَةِ (سَبِطَلَّةَ) ، وَبَقِيَتْ فِي يَدِهِ حَتَّى آتَتْهَا الْمُسْلِمُونَ مِنْهُ فِي سَرِيَّةِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ .

وَأَمَّا مُلُوكُهَا فِي الْإِسْلَامِ ، فَعَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ :

الطبقة الأولى

(الخلفاء)

قد تقدم أن أول من أفتتحها (عبد الله بن أبي سرح) في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، زحف إليها في عشرين ألفاً من الصحابة و بكار العرب ، ففرق جموع النصرانية الذين كانوا بها : من الفرنجة ، والروم ، والبربر ، وهدم سبيلها : قاعدتها وخزنها ، وعاشت خيول العرب في ديارهم إلى أن صالحوا عبد الله بن أبي سرح بثلاثمائة قطار من الذهب ، وقفل عنهم سنة سبع وعشرين من الهجرة ، بعد فتح مصر بسبع سنين أو ثمان .

ثم أغزاه معاوية بن أبي سفيان (معاوية بن حديج السكوني) سنة أربع وثلاثين . ثم ولّى معاوية (عقبة بن نافع) بن عبد قيس النهري سنة خمس وأربعين ، فبنى عقبة القيروان .

ثم استعمل معاوية على مصر وأفريقية (مسلمة بن مخلد) فعزل عقبة عن أفريقية ، وولى عليها (مولاة أبا المهاجرين) سنة خمس وخمسين . ولما استقل يزيد بن معاوية بالخلافة ، رجع عقبة بن نافع إلى أفريقية سنة ثنتين وستين .

[ثم ولّى عبد الملك بن مروان عليها زهير بن قيس البلوي في سنة سبع وستين إلى أن قُتل في سنة تسع وستين فولّى عليها ^(١) (حسان بن النعمان) الغساني ، فسار ودخل القيروان ، وأفتتح قرطاجنة عنوة وحرباً ، فخرجت عليه الكاهنة ملكة

(١) الزيادة عن ابن الأثير في مواضع منه ليستقيم الكلام .

الغرب فهزمته ، ثم عاد إليها وقتلها ، وأستولى على بلادها [ثم رجع إلى عبد الملك وأستخلف على أفريقية رجلا اسمه صالح .

ثم وثى الوليد بن عبد الملك ^(١) [موسى بن نصير) بضم النون ، فقدم القيروان وبها صالح . ثم قفل موسى إلى المشرق وأستخلف على أفريقية ابنه عبد الله .

ثم عزله سليمان بن عبد الملك في خلافته ، ووثى مكانه (محمد بن يزيد) .

ثم وثى عمر بن عبد العزيز في خلافته (إسماعيل) بن عبيد الله بن أبي المهاجر .

ثم وثى يزيد بن عبد الملك (يزيد بن أبي مسلم) مولى الحجاج وكتبه ، فقدمها سنة إحدى ومائة فقتله البربر ، وردوا محمد بن يزيد الذي كان عليهم قبله إلى ولايته ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك بذلك فأقره عليهم .

ثم وثى يزيد بن عبد الملك (بشر بن صفوان الكلبي) فقدمها سنة ثلاث ومائة ، ومات سنة تسع ومائة .

ثم عزله هشام بن عبد الملك ^(٢) ، ووثى مكانه (عبيدة بن عبد الرحمن السلمي) فقدمها سنة عشر ومائة ، ثم عزل هشام عبيدة ، ووثى مكانه (عبد الله بن الحبحاب) مولى بني سلول ، فقدمها سنة أربع عشرة ومائة ، وبني جامع تونس ، وأتخذ بها دار الصناعة للراكب البحرية .

ثم عزله هشام بن عبد الملك ووثى مكانه (كلثوم بن عياض) ثم قتل فبعث هشام ابن عبد الملك على أفريقية (حنظلة بن صفوان الكلبي) فقدمها سنة أربع وعشرين

(١) الزيادة عن ابن الاثير .

(٢) كذا في " العبر " أيضا وعبارة " الكامل " فاستعمل هشام بعده عبيدة الخ وهو المناسب .

ومائة، ونُحِرَ عليه (عبد الرحمن بن حبيب) سنة ست وعشرين ومائة، فقفِلَ حنظلُهُ إلى المشرق سنة سبع وعشرين، وأستقل عبد الرحمن بملك أفريقية .

وولي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فكتب له بولايتها .

ثم كانت دولة بني العباس فأقزَه عليها السَّفَّاح، ثم المنصور، ثم قُتِلَ سنة سبع وثلاثين لعشر سنين من إمارته وأشترك في إمارتها (حبيب بن عبد الرحمن، وعمه عمران بن حبيب، وأخوه إلياس بن عبد الرحمن) ثم قتله عبد الملك بن أبي الجعد ثم غلب عليها (عبد الأعلى بن السَّمْح المَعافري) .

ثم ولي أبو جعفر المنصور (محمد بن الأشعث) الحِزَاعِي، فقدم القيروان سنة خمس وأربعين ومائة، وبني سُورها .

ثم ثارت عليه المَصْرِيَّة وأخرجوه منها سنة ثمان وأربعين، وولوا عليهم (عيسى بن موسى) الحِزَاسَانِي .

ثم ولي أبو جعفر المنصور عليها (الأغلب بن سالم) بن عقال بن خفاجة بن سَوَادَة التيمي بعده، فقدم القيروان وسَكَنَ الناس، ثم قُتِلَ سنة خمسٍ ومائة، وقام بأمر أفريقية المخارق بن غفار .

ولما بلغ المنصور قُتْلُ الأغلب، بعث مكانه عمر بن حفص بن قبيصة، ابن أبي صُفْرَة التيمي أنحى المهلب، فقدمها سنة إحدى وخمسين . ثم آتَتْ قُتِلَ عليه البربر فضْعُف أمره، فولَّى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب، ابن أبي صفرة التيمي، ودخل القيروان متصِفَ سنة خمس وخمسين، وهلك سنة سبعين ومائة في خلافة هرون الرشيد، وقام بأمره بعده أبْنُهُ (داود) .

ثم ولى الرشيد أخاه (رَوْحَ بن حاتم) فقدمها منتصف سنة إحدى وسبعين ومائة، ومات في رمضان سنة أربع وسبعين، فقام حبيب بن نصر مكانه، وسار ابنه (الفضل) إلى الرشيد فولّاه مكان أبيه، فعاد إلى القيروان في المحرم سنة سبع وسبعين ومائة، ثم قتله ابن الجارود في منتصف سنة ثمان وسبعين ومائة فولّى الرشيد مكانه (هرّمة بن أعين) فسار إلى القيروان، وقدمها سنة تسع وسبعين ومائة، ثم استعفى فأعفاه الرشيد لسنتين ونصف من ولايته .

وولى مكانه (محمد بن مقاتل الكعبي) فقدم القيروان في رمضان سنة إحدى وثمانين، وكان سيئ السيرة .

ثم ولى الرشيد (إبراهيم بن الأغلب) فقدم أفريقية منتصف سنة أربع وثمانين ومائة، وأبنتى مدينة العباسية بالقرب من القيروان وانتقل إليها . وفي ولايته ظهرت دعوة الأدارسة من العلوية بالمغرب الأقصى . ثم مات إبراهيم في شوال سنة ست وتسعين ومائة بعد أن عهد لابنه أبي العباس (عبد الله بن إبراهيم) بن الأغلب بالولاية، فقدم القيروان في صفر سنة سبع وتسعين ومائة . ثم مات في ذي الحجة سنة إحدى ومائتين .

وولى مكانه أخوه (زيادة الله بن إبراهيم) وجاءه التقليد من قبل "المأمون"؛ وفي ولايته كان ابتداء فتح صقلية على يد أسد بن الفرات، وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين ومائتين لإحدى وعشرين سنة ونصف من ولايته .

وولى مكانه أخوه (أبو عقال الأغلب) بن إبراهيم بن الأغلب، وتوفي في ربيع سنة ست وعشرين ومائتين .

وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَغْلَبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ) فَدَانَتْ لَهُ أَفْرِيقِيَّةٌ ، وَبَنَى مَدِينَةً بِقُرْبِ تَاهَرْتَ وَسَمَّاها الْعَبَّاسِيَّةَ ، سَنَةَ سَبْعِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَبَنَى قَصْرَ سُوسَةَ وَجَامِعَهَا سَنَةَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتِينَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ (أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَغْلَبِ) فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَكَانَ مُوَلَّعًا بِالْعِمَارَةِ ، فَبَنَى بِأَفْرِيقِيَّةٍ نَحْوًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ حِصْنٍ ، وَتَوَفَّى آخِرَ سَنَةِ تِسْعِ وَأَرْبَعِينَ لَثَمَانَ سِنِينَ مِنْ وِلَايَتِهِ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ (زِيَادَةُ اللَّهِ الْأَصْغَرُ) بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ ، وَتَوَفَّى آخِرَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَمِائَتِينَ .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ (مُحَمَّدُ أَبُو الْغَرَانِيقِ) بْنُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَحْمَدَ ، فَفَتَحَ جَزِيرَةَ مَالِطَةَ سَنَةَ خَمْسِ وَخَمْسِينَ وَمِائَتِينَ ، وَبَنَى حُصُونًا وَمَحَارِسَ عَلَى مَسِيرَةِ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ بَرْقَةِ فِي جِهَةِ الْمَغْرِبِ وَهِيَ الْآنَ مَعْرُوفَةٌ بِهِ . وَفِي أَيَّامِهِ كَانَ أَكْثَرُ فُتُوحٍ صَقْلِيَّةٍ . فَلَمَّا مَاتَ حَمَلَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ أَخِي أَبِي الْغَرَانِيقِ عَلَى الْوِلَايَةِ عَلَيْهِمُ الْحُسْنُ سَيْرَتُهُ فَأَمْتَنَعَ ، ثُمَّ أَجَابَ وَانْتَقَلَ إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ وَقَامَ بِالْأَمْرِ أَحْسَنَ قِيَامٍ . وَكَانَ عَادِلًا حَازِمًا فَقَطَعَ أَهْلَ الْبَغْيِ وَالْفُسَادَ وَجَلَسَ لِسَمَاعِ الظُّلَامَاتِ ، وَبَنَى الْحُصُونِ وَالْمَحَارِسِ بِسُوَاوِلِ الْبَحْرِ ، حَتَّى كَانَتْ النَّارُ تُوقَدُ فِي سَاحِلِ سَبْتَةِ الْإِنْذَارِ بِالْعَدُوِّ فَيَتَصَلُّ بِإِقَادِهَا بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَبَنَى سُورَ سُوسَةَ وَانْتَقَلَ إِلَى تُونُسَ فَسَكَنَهَا . وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَتْ دَعْوَةُ الْعُبَيْدِيِّينَ بِالْمَغْرِبِ ، ثُمَّ مَاتَ سَنَةَ تِسْعِ وَثَمَانِينَ وَمِائَتِينَ .

وَوَلِيَ ابْنُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْغَرَانِيقِ ، وَكَانَ عَادِلًا ،

حَسَنَ السَّيْرَةِ ، بصيرا بالحروب ، فنزل تُرُوسَ مَكَانَ أَبِيهِ ودخلوا في أمره جملةً
وجرى بينه وبينه حروب ، ثم قتل في شعبان سنة تسعين ومائتين .

وولى ابنه أبو مضر (زيادة الله) فأقبل على اللَّذَاتِ وَاللَّهْوِ ، وأهمل أمورَ المُلْكِ ،
وقتل أخاه وعمومته وأخواته ، وقوى حال الدعاة لعبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين
بمصر فحمل زيادةُ الله أمواله وأثقاله ولحق بمصر ، فمنعه عاملها من الدُّخُولِ إليها إلا
بأمر المقتدر الخليفة ، فسار إلى العراق فاستأذن عليه ، فأتاه كتاب المقتدر بالرجوع إلى
القيروان وإظهار الدَّعْوَةِ ، فوصل إلى مصر فأصابه بها علة سقط منها شعره ، ورجع
إلى القُدُس فمات بها ، وأنقرضت دولة بني الأغلب بالمغرب .

الطبقة الثانية

(٢)
(العبيديون)

وكان مَبْدَأُ أمرهم أن محمدا الحبيب بن جعفر المَصَدِّق ، بن محمد المكتوم ، بن
إسماعيل الإمام ، بن جعفر الصادق ، بن محمد الباقر ، بن علي زين العابدين ، بن
الحسين السَّبَّط ، بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، كان مقبياً بِسَلْمِيَّةَ من أعمال
حِمْص ، وكان أهلُ شِيعَتِهِم بالعراق واليمن وغيرهما يتعاهدونه بالزيارة إذا زاروا قبر
الحسين عليه السلام ، فلما أدركته الوفاة عهد إلى ابنه عبيد الله وقال له : أنت
المهدي وتهاجر بعدى هجرة بعيدة وتلقى محنة شديدة ، وشاع خبر ذلك في الناس ،

(١) في الكلام سقط أو اختصار نخل والذي يؤخذ من "العبر" أن أبا عبد الله الشيعي استولى في عهد
أبي العباس هذا على تكامة ودخلوا في أمره كافة وحصلت بينه وبين أبي العباس حروب كانت نهايتها انهزام
الشيعي وهدم قصره . ثم إن زيادة الله بن أبي العباس هذا صانع بعض الخدم على قتل أبيه فقتل نامسا
في شعبان سنة تسعين ومائتين ١٥ ملخصا من ج ٤ ص ٢٠٥ .

(٢) في نسخة المكتبة الأزهرية زيادة [من الفاطميين وأتباعهم] .

وَاتَّصَلَ بِالْمَكْتَفَى خَلِيفَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ بِبَغْدَادَ فَطْلَبَهُ فَفَزَّ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْعِرَاقِ ، ثُمَّ لَحِقَ بِمِصْرَ وَمَعَهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ غُلَامًا حَدَّثَنَا وَخَاصَّتُهُ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبِلَادِ الْغَرِيبَةِ ، فَعَزَمَ عَلَى التَّوَقُّفِ بِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ فِي زَيِّْ التُّجَّارِ ، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، فَوْرَدَ عَلَى عَامِلِهَا كِتَابٌ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَحَبَسَهُ هُوَ وَابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ . وَلَمَّا اسْتَفْجَلَ أَمْرُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ ، اسْتَخْلَفَ عَلَى أَفْرِيقِيَّةَ أَخَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ وَارْتَحَلَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ ، فَأَخْرَجَ الْمَهْدِيَّ وَابْنَهُ مِنَ الْحَبْسِ وَبَايَعَ لِلْمَهْدِيِّ ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَنَزَلُوا رُقَادَةَ فِي رَبِيعِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَبُوعٍ لِلْمَهْدِيِّ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ وَاسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَبَعَثَ الْعُمَالُ عَلَى النَّوَاحِي .

وَوُلِيَ عَهْدَهُ ابْنُهُ (أبا القاسم محمدًا) وَيُقَالُ نَزَارَ ، وَبَنَى مَدِينَةَ الْمَهْدِيَّةِ ، وَجَعَلَهَا دَارَ مُلْكِهِ . وَلَمَّا فَرِغَ مِنْهَا صَعِدَ عَلَى سُورِهَا وَرَمَى بِسَهْمٍ فِي جِهَةِ الْمَغْرِبِ ، وَقَالَ : إِلَى هُنَا يَنْتَهِي صَاحِبُ الْحِمَارِ [فَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ خَرَجَ بِالْمَغْرِبِ خَارِجِيَّ اسْمُهُ أَبُو يَزِيدَ يَعْرِفُ بِصَاحِبِ الْحِمَارِ وَتَبِعَهُ النَّاسُ فَقَصَدَ مَدِينَةَ الْمَهْدِيَّةِ يَرِيدُ فَتَحَهَا فَاتَمَّتْهُ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى سَهْمُ الْمَهْدِيِّ ثُمَّ رَجَعَ مِنْ حَيْثُ أَتَى فَعَظَّمَ أَمْرَ الْمَهْدِيِّ] ^(١) . وَأَسْتَوْلَى عَلَى فَاسَ ، وَدَخَلَ مَلُوكُهَا مِنَ الْأَدَارِسَةِ تَحْتَ طَاعَتِهِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ، وَمَهْدِ الْمَغْرِبِ ، وَدَوَّخَ أَقْطَارَهُ ، وَتُوفِيَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ خِلَافَتِهِ .

وَوُلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ) الْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَهُ ، وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ أَبُو يَزِيدَ صَاحِبُ الْحِمَارِ . وَتُوفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَكَانَ قَدْ عَهِدَ إِلَى ابْنِهِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ ، وَكَتَمَ مَوْتَ أَبِيهِ فَلَمْ يَتَسَمَّ بِالْخَلِيفَةِ وَلَا غَيْرَ

(١) الزيادة من النسخة الأزهرية .

السَّكَّةَ وَالْخَطْبَةَ وَالْبُنُودَ؛ وَتُوْفِّي سَلَحَ رَمْضَانَ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ لِسَبْعِ سَنِينَ مِنْ خِلَافَتِهِ .

وَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (الْمُعْزُ لِدِينِ اللَّهِ مَعَدَّ) فَاسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ ، وَانْتَهَتْ مَمْلَكَتُهُ بِالْغَرْبِ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَافْتَتَحَ مِصْرَ عَلَى يَدِ قَائِدِهِ "جَوْهَر" فِي مَتَصَفِّ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَاخْتَطَّ لَهُ الْقَاهِرَةُ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمُعْزُ إِلَى مِصْرَ ، وَدَخَلَ الْقَاهِرَةَ لِحَمْسٍ مِنْ رَمْضَانَ سَنَةِ ثَنَيْنِ وَسَتِينَ وَثَلَاثِينَ عَلَى مَا سَبَقَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَمْلَكَةِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بنى زيرى)

كَانَ الْمُعْزُ مَعَدَّ الْفَاطِمِيَّ حِينَ قَدِمَ مِصْرَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ اسْتَخْلَفَ عَلَى أُفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ (بُلْكَيْنَ بْنِ زِيرَى) بْنُ مِيَّادِ الْبَرْبَرِيِّ ، وَيُقَالُ : الْحَمِيرِيُّ وَأَنْزَلَهُ الْقَيْرَوَانَ ، وَسَمَّاهُ يُوسُفَ ، وَكَانَ أَبُو الْفَتْوحِ ، وَلَقَّبَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَ حَتَّى تُوْفِيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ وَمَاتَ الْمُعْزُ بِالْقَاهِرَةِ ، وَأَنْتَقَلَتِ الْخِلَافَةُ بَعْدَهُ إِلَى ابْنِهِ الْعَزِيزِ نَزَارَ ، فَوُلَّى عَلَى أُفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ بَعْدَ بُلْكَيْنِ ابْنَهُ (الْمَنْصُورَ بْنِ بُلْكَيْنِ) بُولَايَةَ عَهْدٍ مِنْ أَبِيهِ وَبَقِيَ حَتَّى تُوْفِيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِينَ .

وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَعْدَهُ (ابْنُهُ بِادِيسُ) بْنُ الْمَنْصُورِ فَبَقِيَ حَتَّى تُوْفِيَ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ بِمَعْسَكِهِ فَجَاءَ وَهُوَ نَائِمٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ .

وَبَوَّعَ ابْنَهُ (الْمُعْزُ بْنُ بِادِيسِ) وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِي سَنِينَ ، وَاسْتَمَرَّ مُلْكُهُ بِأُفْرِيقِيَّةَ وَعَظُمَ مُلْكُهُ بِهَا ، وَكَانَ الْمُعْزُ مُتَحَرِّفًا عَنِ الرَّفْضِ وَالتَّشْيِيعِ ، مُتَحَدِّثًا لِلْسُّنَّةِ ، وَأَعْلَنَ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ وَلَايَتِهِ ، ثُمَّ كَانَ آخِرَ أَمْرِهِ أَنْ خَلَعَ طَاعَةَ الْعَبِيدِيِّينَ ، وَقَطَعَ الْخَطْبَةَ لَهُمْ

بأفريقية سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر العبيدي خليفة مصر، وخطب للقائم بن القادر الخليفة العباسي ببغداد، فاضطرب لذلك ملكه، وثارَت عليه الثوار، وملكوا منه التواحي، ومات المعز سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وقام بأمره من بعده ابنه (تيم بن المعز بن باديس) وغلبه العرب على أفريقية، فلم يكن له إلا ماضية الشور، واستمرت الثوار في أيامه وبقي حتى هلك سنة إحدى وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (يحيى بن تيم) فراجع طاعة العبيديين خلفاء مصر، ووصلته منهم المخاطبات والهدايا والتحف، وأكثر في غزو النصارى من الفرنجة وغيرهم، حتى لقبوه بالجرية من وراء البحر، ومات فجأة في قصره سنة تسع وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (علي بن يحيى) وقام بالأمر على طاعة خلفاء العبيديين بمصر، ومات سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وملك بعده ابنه (الحسن بن علي) وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وقام بأمره مولاة صندل، ثم مولاة موفق، وغلبه النصارى على المهديّة وبلاد الساحل كلها إلى أن استنقذها منهم عبد المؤمن شيخ الموحدين، ولحق الحسن بالجزائر ونزل بها إلى أن فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين وخمسمائة بعد ملكهم المغرب والأندلس، فخرج إلى عسد المؤمن فأحسن إليه وبقي معه حتى أفتتح المهديّة فأنزله بها، فأقام بها ثمانين سنين، ثم سار إلى مرّاكش فمات في طريقه، وأنقرضت دولة بني باديس من أفريقية في أيامهم عند وقوع الفتن .

(١) في قطعة المكتبة الازهرية بدل هذه الكلمات [وزالت بها دعوة العبيديين] .

الطبقة الرابعة

(الموحدون أصحاب المهدي بن تومرت، وهم القائلون بها إلى الآن)

وكان أول من أفتتحها منهم (عبد المؤمن بن علي) أحد أصحاب ابن تومرت والخليفة بعده . وذلك أنه لما وقع بها ما تقدم من الاضطراب وقيام الثوار واستيلائهم على النواحي ، وكان الموحدون قد استولوا على الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط إلى بجاية ، بعث عبد المؤمن المذكور العساكر إلى أفريقية مع ابنه عبد الله في سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، فافتتح أفريقية ، واستكمل فتحها سنة ست وخمسين . وولّى عليها ابنه السيد أبو موسى (عمران بن عبد المؤمن) وأسرّه علي بن يحيى المعروف بابن غانية عند فتحه بجاية ، وأعتقله بها في صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

ولما ولي (المنصور يعقوب بن عبد المؤمن) بعد أبيه عبد المؤمن ، وليّ علي أفريقية في أول ولايته أبا سعيد ابن الشيخ أبي حفص عمر ، ثم غلب ابن غانية على أكثر بلاد أفريقية واستولى على تونس ، وخطب للخليفة العباسي ببغداد ، ثم جهّز الناصر أبو المنصور بن عبد المؤمن الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص من مرّاكش إلى أفريقية سنة ثنتين وستمائة فانتزعها من ابن غانية ، ثم وصل الناصر ابن المنصور إلى أفريقية بعد ذلك ودخل تونس ، وأقام بها إلى منتصف سنة ثلاث وستمائة ، وعزم على الرحيل إلى مرّاكش فروى نظره فيمن يوليه أمرها فوقع اختياره على الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص ، ورحل الناصر إلى المغرب وقعد مقعد الإمارة بقصبة تونس يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستمائة وبقي حتى توفى مفتوح سنة ثمان عشرة وستمائة .

وولى بعده أبنه الأمير (أبو زيد عبد الرحمن) وقعد بمجلس أبيه في الإمارة، وورد كتاب المستنصر بن الناصر خليفة بني عبد المؤمن بعزله لثلاثة أشهر من ولايته .

وولى المستنصر مكانه السيد أبا العلي (إدريس بن يوسف) بن عبد المؤمن ، ودخل إلى تونس في ذى القعدة من السنة المذكورة ، فنزل بالقصبة ورثب الأمور ، ومات بتونس سنة عشرين وستمائة .

ثم مات المستنصر وصار الأمر (لعبد الواحد المخلوع) ابن يوسف بن عبد المؤمن ، فبعث بولاية أفريقية إلى (أبي زيد) بن أبي العلي .

ثم صار الأمر إلى العادل فولى (أبا محمد عبد الله) بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، ودخل تونس سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأقام في إمارته إلى أن ثار عليه أخوه الأمير (أبو زكريا يحيى) بن أبي محمد عبد الواحد وولى مكانه ، ودخل تونس في رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ، وأفتح قسنطينة وبجاية سنة ست وعشرين وأنتزعهما من بني عبد المؤمن .

ثم ملك تلمسان من يدهم بعد ذلك وبايعه أهل الأندلس ، ومات ببونة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة لثنتين وعشرين سنة من ولايته .

وبويع بعده أبنه وولى عهده المستنصر بالله (أبو عبد الله محمد) ودخل تونس في رجب من السنة المذكورة ، فجدد بيعته بها وهو أول من تلقب من الحفصيين بالقب الخلافة كما سيأتى . وأنتمى أمره إلى أن بويع له بمكة المعظمة ، وبعث بالبيعة إليه ، وأستولى على ما كان بيد أبيه من الغرب الأوسط ببجاية وقسنطينة ، وفتح الجزائر ، وبقي حتى مات يوم الأضحى سنة خمس وسبعين وستمائة .

وَبُيِّعَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (الوَائِقُ يَحْيَى) بْنُ الْمُسْتَنْصِرِ لَيْلَةَ مَوْتِ أَبِيهِ ، فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَبَسَطَ فِي الرِّعَاةِ الْعَدْلَ وَالْعَطَاءَ ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلَ بَحَايَةِ الْبَيْعَةِ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ عُمُّهُ (أَبُو إِسْحَاقَ) أَخُو الْمُسْتَنْصِرِ وَدَخَلَ بَحَايَةَ ، وَبَايَعَهُ أَهْلُهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَسْتَوْلَى عَلَى قُسْطَنْطِيْنَةَ ، وَقَوَّى أَمْرَهُ بِبَحَايَةِ وَمَا مَعَهَا ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْوَائِقُ بْنُ الْمُسْتَنْصِرِ ، فَتَيَقَّنَ ذَهَابَ الْمَلِكِ مِنْهُ فَانْخَلَعَ عَنِ الْأَمْرِ لِعَمِّهِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى ، وَمِنْ هُنَاكَ عُرِفَ بِالْمَخْلُوعِ وَأَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَبَلَغَ ذَلِكَ السُّلْطَانُ أَبَا إِسْحَاقَ فَسَارَ إِلَى ثُوْنُسَ ، وَدَخَلَهَا فِي نِصْفِ رَبِيعِ الْآخِرِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْمَمْلَكَةِ جَمِيعَهَا ، وَأَعْتَقَلَ الْوَائِقَ وَبَنِيهِ ، ثُمَّ دَسَّ عَلَيْهِمْ مَنْ ذَبَحَهُمْ فِي اللَّيْلِ فِي صَفَرِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَبَقِيَ حَتَّى خَرَجَ عَلَيْهِ (أَحْمَدُ بْنُ رَوْقٍ) ^(١) بْنُ أَبِي عِمْرَانَ مِنْ بَيْتَاتِ بَحَايَةِ الطَّارِئِينَ عَلَيْهَا مِنَ الْمَسِيْلَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَكَانَ شَبِيهًا بِالْفَضْلِ ابْنِ يَحْيَى الْمَخْلُوعِ فَعُرِفَ بِالْدَّعِيِّ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى ثُوْنُسَ بَعْدَ خُرُوجِ السُّلْطَانِ أَبِي إِسْحَاقَ مِنْهَا ، وَلَحِقَ أَبُو إِسْحَاقَ بِبَحَايَةِ فَفَنَعَهُ ابْنُهُ الْأَمِيرُ أَبُو فَارِسَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهَا فَانْخَلَعَ لَهُ عَنْهَا وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِهِ فِي آخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ فَبَايَعُوهُ وَتَلَقَّبَ بِالْمُعْتَمِدِ ، ثُمَّ كَانَ بَيْنَ الدَّعِيِّ وَالْأَمِيرِ أَبِي فَارِسَ وَاقِعَةٌ قَتْلُ فِيهَا الْأَمِيرِ أَبُو فَارِسَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَمَانِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَخَرَجَ السُّلْطَانُ أَبُو إِسْحَاقَ فَلَحِقَ بِنِيسَانَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَا ، وَدَخَلَ أَهْلُ بَحَايَةِ فِي طَاعَةِ الدَّعِيِّ .

ثُمَّ خَرَجَ عَلَى الدَّعِيِّ الْأَمِيرُ (أَبُو حَفْصَ عُمَرُ بْنُ يَحْيَى) بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصَ ، فَكَانَتْ بَيْنَهُمَا حَرْبٌ أَنْهَزَمَ الدَّعِيُّ فِي آخِرِهَا . وَأَسْتَوْلَى أَبُو حَفْصَ عَلَى ثُوْنُسَ وَسَائِرِ

(١) فِي "الْعَبْر" أَحْمَدُ بْنُ مَرْزُوقٍ وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

المملكة ، وتلقب بالمستنصر وأختني الدعي ، ثم ظفر به أبو حفص بعد ذلك وقتله ، وبايعه أهل تلمسان وطرابلس وما بينهما .

ونرح الأمير (أبو زكريا يحيى) ابن السلطان أبي إسحاق على بجاية وقسطنطينة فلكهما وأقطعهما عن مملكة أفريقية ، وقسم دولة الموحدين بدولتين ، ولم يزل السلطان أبو حفص في ملكه إلى أن مريض في ذي الحجة سنة أربع وستين وستمائة ومات آخر ذي الحجة من السنة المذكورة .

وكان الواقف بن المستنصر لما قُتل هو وأبوه ترك جارية حاملاً ، فسماه الشيخ محمد المرجاني « محمد » وأطعم الفقراء يومئذ عَصِيدَةً من عَصِيدَةِ الْبَرِّ فلقب بأبي عَصِيدَةٍ ، فلما مات السلطان أبو حفص بايع الناس (أبا عَصِيدَةٍ) المتقدم ذكره . ومات الأمير أبو زكريا صاحب بجاية وما معها على رأس المائة السابعة . وقام بعده في تلك الناحية وليّ عهده ابنه (أبو البقاء خالد) فاستمر في تلك الناحية ، وبقى السلطان أبو عَصِيدَةٍ في مملكة أفريقية حتى مات في ربيع الآخر سنة تسع وسبعائة ولم يخلف ابناً .

وكان بالقصر (أبو بكر بن عبد الرحمن) بن أبي بكر ، بن يحيى ، بن عبد الواحد ، ابن أبي حفص في كفالة السلطان أبي عَصِيدَةٍ فلما مات أبو عَصِيدَةٍ بايعه أهل تُونُس ، ثم ارتحل السلطان أبو البقاء خالد : صاحبُ بجاية إلى جهة تُونُس طالبا مُلْكُهَا بعد أبي عَصِيدَةٍ ، فخرج (أبو بكر الشهيد) في أهل تُونُس للقاءه فانهمزوا عنه ، وقبض على أبي بكر الشهيد وأعتقل ثم قُتل بعد ذلك فسمى الشهيد ، وأستقل السلطان أبو البقاء خالد بملك تُونُس وبجاية وحاز جميع المملكة ، وتلقب الناصر لدين الله وبقى حتى بويع (أبو يحيى زكريا بن أحمد) بن محمد اللخاني ، بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص : فبويع بطرابلس ، وخرج على أبي البقاء خالد نخافه فخلع نفسه

فاعتقل وجاء السلطان أبو يحيى على أثره في رجب سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، فبُويِعَ البيعة العامة ودخل تُوُسٌ وأستولى عليها ، ثم اضطرب عليه أمره ، فخرج من تُوُسٍ إلى قابس أول سنة سبع عشرة وسبعمائة بعد أن استخلف تُوُسٌ ، وأنهى إلى قابس فأقام بها وصرف [العمال] في جهاتها ، وقصد السلطان أبو بكر صاحب بجاية تُوُسٌ ، وكان بينه وبين أهلها وقعة انتهت الحال في آخرها إلى أن السلطان أبو بكر رجع إلى بجاية . وبايع أهل تُوُسٍ محمدا المعروف (بأبي ضربة) ابن السلطان أبي يحيى في سنة سبع عشرة المذكورة .

ثم قصد السلطان أبو بكر صاحب بجاية تُوُسٌ ^(١) ، وبها أبو ضربة فغلبه عليها ، ودخلها في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وبُويِعَ بها البيعة العامة . ولحق السلطان أبو يحيى الحلياني بصرى أيام الملك الناصر "محمد بن قلاوون" فأحسن نزله وأقام عنده إلى أن مات ، ولحق ابنه أبو ضربة بتيمسان فأقام بها إلى أن مات ، وأستقل السلطان أبو بكر بأفريقية وبجاية إلى أن غلبه على تُوُسٍ (إبراهيم بن أبي بكر) الشهيد المتقدم ذكره أولا ، ودخلها في رجب سنة خمس وعشرين وسبعمائة .

ثم غلبه عليها السلطان أبو بكر وأتبعها من يده في شوال من السنة المذكورة ، وأستقر في يده ملك أفريقية وبجاية إلى أن مات فجأة في جوف الليل في ليلة الأربعاء ثاني رجب القرد سنة سبع وأربعين وسبعمائة بمدينة تُوُسٍ .

وبُويِعَ ابنه (أبو حفص عمر) بن أبي بكر من ليلته ، وجلس من الغد وبُويِعَ البيعة العامة . وكان أبوه قد عهد إلى ابنه الآخر أبي العباس أحمد ، وكان ببلاد الجريد فاستجاش على أخيه وقدم عليه تُوُسٌ ، وكانت بينهما واقعة قتل فيها أبو العباس وأستقر السلطان أبو حفص على ولايته . وكان السلطان أبو بكر حين عهد

(١) في الأصل أبو زكريا والتصحيح من "العبرج ٦ ص ٣٢٤" .

لأبنة أبي العباس أرسل العهد إلى السلطان أبي الحسن المَرِيْنِيَّ : صاحب تِلْهَسَانِ وسأله في الكتابة عليه ، فلما قُتِلَ أبو العباس المذكور ثَقُلَ ذلك على السلطان أبي الحسن وخرج إلى أفريقية في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، ووصل إلى بجاية ثم إلى قُسْنَطِينَة فملكهما ؛ ثم سار إلى تُونُسَ فلقيه السلطان أبو حفص عمر ، وكانت بينهما واقعة قُضِيَ فيها على أبي حفص ثم قُتِلَ . ودخل السلطان أبو الحسن إلى تُونُسَ وأستولى على جميع المملكة مضافاً إلى مملكته ، وكل له بذلك ملك جميع المغرب .

ثم غَلَبَ (أبو العباس الفضل) بن السلطان أبي بكر على بجاية وقُسْنَطِينَة وملكهما ، وسار السلطان أبو الحسن إلى المغرب وأستخلف على تُونُسَ أباه الفضل فسار الفضل ابن السلطان أبي بكر من بجاية إلى تُونُسَ فخرج منها أبو الفضل بن أبي الحسن فازا إلى أبيه بالمغرب ، ودخلها الفضل ابن السلطان أبي بكر وملكها سنة تسع وأربعين وسبعمائة وأستولى على جميع المملكة ، وبقي إلى أن قُضِيَ عليه في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة .

وبُويع بعده أخوه (أبو إسحاق إبراهيم) ابن السلطان أبي بكر ، وهو يومئذ غلام قد ناهز الحُلُمَ ، وقُتِلَ الفضل في جوف الليل من الليلة القابلة خَنْقاً ، وأستولى على أفريقية وبجاية وقُسْنَطِينَة ، وبقي حتى غلبه بنو مَرِيْنٍ على بجاية وقُسْنَطِينَة ، وملكهما منه أبو عَنان سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .

ثم أستولى السلطان (أبو العباس أحمد) بن محمد بن أبي بكر على قُسْنَطِينَة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبُويع بها .

ثم غلبه عليها أبو عَنان وقَفَلَ إلى المغرب سنة سبع وخمسين وقد أَسْتَخْلَفَ بها ، فتجهز إليها (أبو إسحاق إبراهيم) صاحب تُونُسَ وملكها من يد عامل أبي عَنان

سنة إحدى وستين ، ثم قوى أمر السلطان أبي العباس وعاد إلى قسطنطينة وملكها في السنة المذكورة .

ثم استولى (أبو عبد الله محمد) بن محمد ابن السلطان أبي بكر في رمضان سنة خمس وستين وسبع مائة فأساء السيرة بها ، فسار إليه السلطان "أبو العباس" من تونس فقتله ودخل بجاية تاسع عشر شعبان سنة سبع وستين وسبع مائة وملكها ، وبقيت بيده وتونس بيد السلطان أبي إسحاق إبراهيم ابن السلطان أبي بكر إلى أن توفي السلطان أبو إسحاق فجأة في الليل في سنة سبع وسبعين وسبع مائة .

وبويع بعده ابنه (أبو البقاء خالد) واستبد عليه منصور مولى أبيه ، وابن الباقي حاجب أبيه فلم يكن له في الدولة تحكم .

ثم رحل السلطان أبو العباس من بجاية إلى تونس وقبض على السلطان أبي البقاء خالد بن إبراهيم بعد حصاره أياما واعتقله وملك تونس وانتظم في ملكه أفريقية وبجاية وقسطنطينة وأعمالها ، وبقي حتى مات في شعبان سنة ست وثمانين وسبع مائة . وكان أبو العباس هذا له شعر رائع ، طلب مرة كاتب إنشاء يحيى بن أجاد ، وكان يحيى ثملا ، فخافه على نفسه إن هو طلع إليه على تلك الحالة فكتب إليه :

أصبح العبد يحيى * كصباح ابن أكرم

شغلته الحميا * وهو بالأمر مهم

فخشى من رقيب * فرأى الدار أكرم

فلما قرأها وقع بخطه تحت خطه :

قر عينا بعيش * صفوه بك قد تم

أنت أركى عيادي * ها هنا كنت أوثم

فكان ذلك سبب توبة يحيى .

وبويع بعده ابنه أبو فارس (عزّوز) في رابع شعبان من السنة المذكورة وأستولى على تُوُسّ وبجاية وقسنطينة وسائر أعمالها . وهو السلطان أبو فارس عزّوز ابن السلطان أبي العباس أحمد ، ابن السلطان أبي بكر بن يحيى ، بن إبراهيم ، بن عبد الواحد ، ابن الشيخ أبي حفص .

قلت : وهو باقٍ إلى زماننا في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، وقد شاع ذكر شجاعته وعدله حتى إنه دَوَّخَ البلاد ومهدّها وقتل العرب وأبادهم ، ودخل من بقي منهم في طاعته بعد أن لم يدينوا لطاعة غيره ، وقطع المكوس من بلاده ، وأزال الحانات من تُوُسّ ، مع تواضع وقرب من الفقراء ، وأخذ بيد المظلومين ، ووجوه رتبها وقررها لم تُعهد لأحد من قبله ، إلى غير ذلك من صفات الملوك المحمودة التي أمتاز بها عن الملوك ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الجملة العاشرة

(في متهمي ملوك هذه المملكة القائمين بها الآن ، من الموحدين في النسب ، ودعواهم الخلافة ، وبيان أصل دولتهم ، وتسميتهم الموحدين)

أما منتاهم في النسب ، فقد ذكر في " التعريف " : أن الملك القائم بها في زمانه يدعى النسب إلى أمير المؤمنين : عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، ومن أهل النسب من ينكر ذلك : فمنهم من يجعله من بني عدى بن كعب رهط عمر ، وليس من بني عمر ، ومنهم من يقول بل من هتاتة وليسوا من قبائل العرب [في شيء] . وهم الحفصيون نسبة إلى أبي حفص : أحد العشرة أصحاب ابن تومرت . وهم بقايا

الموحدين إذ كان من تقرير ابن تومرت أن الموحدين هم أصحابه ، ولم يبق ملك الموحدين إلا في بني أبي حفص هذا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّسَائِينَ قَدْ اختلفوا في نسبته على ثلاثة أقوال .

أحدها — نسبته إلى أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهؤلاء يقولون : هو أبو حفص عمر بن يحيى ، بن محمد ، بن وأثودين ، بن علي ، بن أحمد ، ابن وآلال ، بن إدريس ، بن خالد ، بن اليسع ، بن إلياس ، بن عمر ، بن وافق ، ابن محمد ، بن نجيه ، بن كعب ، بن محمد ، بن سالم ، بن عبد الله ، بن عمر بن الخطاب . قال قاضى القضاة : ”ولى الدين بن خلدون“ ويظهر أن هذا النسب القرشي وقع في المصامدة من البربر ، والتحم بهم وأشتملت عليه عصبيتهم ؛ شأن الأناساب التي تقع من قوم إلى قوم .

الثاني — نسبته إلى بنى عدى بن كعب : رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ينتسب فيه ، وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب جد النبي صلى الله عليه وسلم وباقي نسبه إلى عدنان معروف .

الثالث — نسبته إلى هنتاتة ، وهنتاتة — بفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء المشناة فوق وبعدها ألف ثم تاء مشناة فوق مفتوحة ثم هاء قبيلة من قبائل المصامدة من البربر ، بجبال درن المتاخمة لمرأش ، وهى قبيلة واسعة كبيرة ، ويقال لها بالبربرية ”يلتي“ وكان أبو حفص هذا هو شيخهم وكبيرهم ، وهو الذى دعاهم إلى اتباع ابن تومرت والجل على طاعته .

وأما دعواهم الخلافة ، فقد قال في ”التعريف“ عند ذكر سلطان زمانه منهم : لا يدعى إلا الخلافة ويتلقب باللقاب الخلفاء ، ويخطب بأمر المؤمنين فى بلاده .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّبَ مِنْهُمْ الْمُسْتَنْصَرُ بِاللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي زَكَرِيَّا
يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ ، عَلَى أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يَمْتَنِعُ مِنَ التَّلَقُّبِ بِالْقَابِ
الْخِلَافَةِ ، وَيَمْنَعُ مَنْ يُخَاطَبُهُ بِهَا مُقْتَصِرًا عَلَى التَّلَقُّبِ بِالْأَمِيرِ خَاصَّةً حَتَّى إِنْ بَعْضُ
شُعْرَائِهِ رَفَعَ إِلَيْهِ قَصِيدَةً مَدَحَهُ بِهَا أَوَّلَهَا :

أَلَا جُلُّ بِالْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْتَ بِهَا أَحَقُّ الْعَالَمِينَ

فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ . وَإِنَّمَا حَمَلَ الْمُسْتَنْصَرُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي زَمَنِهِ قَدْ تَعَطَّلَتْ
فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْخِلَافَةَ الْأُمَوِيَّةَ وَدَعَاوَى بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَدْ زَالَتْ عَنْهَا
فِي الْمَغْرِبِ بَغْلَبَةُ بَنِي مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَرَاعُهُمُ الْأَمْرُ مِنْهُمْ ، وَخِلَافَةُ الْعَبِيدِيِّينَ قَدْ زَالَتْ
مِنْ مِصْرَ ، وَخِلَافَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ قَدْ زَالَتْ مِنْ بَغْدَادَ بِاسْتِيلَاءِ التَّتَرِّ عَلَيْهَا .

وَأَمَّا مَبْدَأُ دَوْلَتِهِمْ وَمَصِيرُ آخِرِهَا إِلَى بَنِي أَبِي حَفْصٍ بِأَفْرِيقِيَّةَ ، فَإِنْ أَصْلَ قِيَامِهَا
أَبْنُ تَوْمَرْتٍ : وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ تَوْمَرْتٍ ، بْنُ وَجْدٍ ، بْنُ يَامِصَالٍ ، بْنُ حَمْزَةَ ،
أَبْنُ عَيْسَى فِيمَا ذَكَرَهُ مُحَقِّقُو الْمُؤَرِّخِينَ . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : مُحَمَّدُ بْنُ تَوْمَرْتٍ ، بْنُ
نَيْطَاوَسَ ، بْنُ سَافَلَا ، بْنُ مَسِيْعُونَ ، بْنُ أَيْكَلْدِيسَ ، بْنُ خَالِدٍ ، أَصْلُهُ مِنْ هَرَّغَةَ مِنْ
بَطْنِ الْمَصَامِدَةِ مِنَ الْبَرْبَرِ . وَبَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ يَجْعَلُ نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَيَقُولُ :
هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، بْنُ هُودٍ ، بْنُ خَالِدٍ ، بْنُ تَمَامٍ ، بْنُ عَدْنَانَ ،
أَبْنُ سُفْيَانَ ، بْنُ صَفْوَانَ ، بْنُ جَابِرٍ ، بْنُ عَطَاءٍ ، بْنُ رَبَاحٍ ، بْنُ مُحَمَّدٍ ، مِنْ وَلَدِ سُلَيْمَانَ
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، بْنُ حَسَنِ ، بْنُ الْحَسَنِ ، بْنُ عَلِيٍّ ، بْنُ أَبِي طَالِبٍ . وَسُلَيْمَانُ هَذَا
أَخُو إِدْرِيسَ الْأَكْبَرِ الَّذِي كَانَ لَبْنِيهِ الدَّوْلَةُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَا صَرَّحَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَاتِبَةِ
صَاحِبِ بَرِّ الْعُدُوَّةِ .

ويقال إن سليمان هذا لحق بالمغرب إثر أخيه إدريس . وقيل : بل هو من قرابة إدريس اللاحقين به إلى المغرب ويكون على هذا المقتضى نسبُه قد اتَّحَمَ بنسب المصامدة ، وأتصل بهم وصار في عدادهم كما تقدَّم في نسب أبي حفص .

وكان أهل بيته أهل دين وعبادة ، وشبَّ محمدٌ هذا فيهم قارئاً محبباً للعلم ، وأرتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومَرَّ بالأندلس ، ودخل قرطبة وهي إذ ذاك دارُ علم ، ثم لحق بالإسكندرية وجَّ ، ودخل العراق ، ولقي أكابر العلماء به يومئذ وفُحُول النُّظار ، ولقي أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ بقولهم في تأويل المتشابه . ويقال إنه لقي أبا حامد الغزالي رحمه الله واستشاره فيما يُريده من قيام الدولة بالمغرب .

ورجع إلى المغرب وقد حصَّل على جانب كبير من العلم ، وطعن على أهله في الوقوف مع الظاهر وحمَلهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الأشعرية في جميع العقائد ، وألَّف العقائد على رأيهم مثل المرشدة وغيرها . وكان مع ذلك يقول بعصمة الإمام على مذهب الإمامية من الشيعة . وأنهى إلى بحاية فأقام بها يدرس العلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهناك لقيه عبد المؤمن أحد أصحابه وأرتحل معه إلى المغرب وصار إلى بلاد هرَّغة من البربر ، فاجتمع إليه الطلبة ونَشَرَ العلم ، وأظهر مذهب الأشعرية .

وكان الكُهان والمنجِّمون يتحدَّثون بظهور ملك بالمغرب من البربر ، وشاع في الناس أنه ذلك الملك ، وأختار من أصحابه عشرة فجعلهم خاصته : وهم عبد المؤمن بن علي ، وأبو حفص عمر بن علي ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافركين ، وعبد الله بن ملوآت وغيرهم . ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين ، فبايعوه على ذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة .

ولما تكاملت له البيعة لقبوه بالمهدي، وكان قبل ذلك يلقب بالامام، وكان عبد المؤمن أخص أصحابه به، وكان يلقبه بالخليفة، وأبو حفص بعده في الخصوصية، وكان يلقبه بالشيخ، وكان يسمى أتباعه الموحدين تعريضا بمن يجح عن التأويل ويقف مع الظاهر فيوقعه في التجسيم وغيره، ولم تحفظ عليه بدعة إلا ما وافق فيه الإمامية من القول بعصمة الإمام. وقد مر ذكر مدة ولايته ثم استخلاف عبد المؤمن بعده في الكلام على مكتبة صاحب بر العدة. وقد تقدم آتداء انتقال مملكة إفريقية إلى بني أبي حفص وأنسحابها فيهم إلى زماننا على الترتيب.

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب المملكة بها : من زى الجند، وأرباب الوظائف : من أرباب

السيوف والأقلام، ومقادير الأرزاق الجارية عليهم، وزى

السلطان، وترتيب حاله في الملك)

أما الجند، فقد نقل في "مسالك الأبصار" عن أبي عبد الله بن القويح : أن الذى قرره لهم مهديهم ابن تومرت، ثم عبد المؤمن وأبناءؤه بعده أنه ليس لهم أمراء ولا أتباع يطلب بعدهم كعدة الأمراء بمصر، وإنما لهم أشياخ من أعيانهم لعدة لهم ولا جند، بل المرء منهم بنفسه فقط، ولكل طائفة منهم رئيس يتولى النظر فى احوالهم يسمونه الزوار.

أما الجند فن الموحدين والأندلسيين وقبائل بها من المضافة إليهم ومن قبائل العرب ومن هاجر إليهم من العرب القدماء، الذين هاجروا فى مدة بنى عبد المؤمن، والممالك الترك المتباعدة من الديار المصرية، ومن الفرنج وغيرهم.

(١) لم يتقدم شىء من ذلك وسقطت هذه الجملة من القطعة الازهرية.

وحاصل ما ذكره في "مسالك" أن الجند عندهم على سبع طبقات .

الطبقة الأولى — الأشياخ الجبار من الموحدین الذين هم بقايا أتباع المهدي بن تومرت . قال في "مسالك الأبصار" : وهم بمثابة أمراء الألوف بمصر، وبمناوبة الثوینات أمراء التوامین بمملكة إيران .

الطبقة الثانية — الأشياخ الصغار من الموحدین أيضا : وهم دون من تقدم منهم في الرتبة .

الطبقة الثالثة — الوقافون . قال في "مسالك الأبصار" : سألت ابن القويّ عن معنى الوقافین ما هو ؟ فقال : هم قوم لهم خاصية بالسلطان يسكنون معه في القصة : وهي القلعة ، بمنزلة الأمراء الخاصية . قال : وهم طبقتان : وقافون جبار ، ووقافون صغار ، وكلهم يقفون بين يديه في أوقات جلوسه إذا جلس للناس .

الطبقة الرابعة — عاقمة الجند .

الطبقة الخامسة — الجند من قبائل العرب .

الطبقة السادسة — الصبيان : وهم جماعة من الشباب بمثابة المماليك الكمانية بالديار المصرية ، يكونون في خدمة السلطان .

الطبقة السابعة — الجند من الإفرنج ، ويعبر عنهم بالعلوج ، وهم لخاصة السلطان لا يطمئن إلا إليهم .

وأما عدة العسكر . ففي "مسالك الأبصار" عن ابن القويّ أنها لا تبلغ عشرة آلاف وإنما العدد الجم في العرب أهل البادية ولهم قوة شوكية .



وأما أرباب الوظائف فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(أرباب السيوف، وهم ثمانية)

الأول — الوزراء : وهم ثلاثة وزراء : وزير الجند وهو المردود إليه الحديث في أمر الجند . قال في "مسالك الأبصار" : وهو بمثابة الحاجب بالديار المصرية ، ووزير المال : وهو المتحدث في أمر المال ، ويعبر عنه بصاحب الأشغال ، ووزير الفضل وهو كاتب السر .

الثاني — شيخ الموحدين . قال ابن القويح : وشيخ الموحدين كأنه نائب السادة ، ويسمى الشيخ المعظم وهو الذى يتولى عرض الموحدين وأمورهم .
الثالث — أهل المشورة : وهم ثلاثة من أشياخ الموحدين يجلسون بمجلسه للرأى والمشورة .

الرابع — صاحب الرقاعات . قال ابن سعيد : وهو الذى يتولى إبلاغ الظلمات إلى السلطان وإيصال قصصهم إليه وعرضها عليه ثم يخرج بجوابها عنه . قال في "مسالك الأبصار" : وهذا بمثابة الدواidar (يعنى بالديار المصرية) .

الخامس — صاحب العلامات : وهو المتولى أمور الأعلام ، وهو بمثابة أمير علم بالديار المصرية . وفى معناه آخر إليه أمر دق الطبول ، يأمر بدق الطبول عند ركوب السلطان فى الموكب .

السادس — الحافظ : وهو صاحب الشرطة ، وعنه يعبر المصريون بوالى المدينة .

السابع — محركو الساقة : وهم قوم يكون بأيديهم العصى ، يرتبون الناس فى الموكب ، بمنزلة الثقباء بالديار المصرية .

الثامن — صاحب الطعام : وهو بمنزلة إستاذدار الصحبة .

الضرب الثاني (أرباب الأقاليم)

وقد ذكر منهم ثلاثة :

الأول — قاضى الجماعة : وهو مثل قاضى القضاة بالديار المصرية .

الثانى — المحتسب : وهو معروف .

الثالث — صاحب كُتُب المَظَالِم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهو الموقَّع على القِصَص وكأنه بمثابة موقَّع الدِّسْت بمصر والشام .

الجملة الثانية عشرة

(فى ذكر الأرزاق المُطلَّقة من جهة السلطان)

ويختلف الحال فيها باختلاف أحوال أربابها .

فأما أشياخ الموحِّدين الكبار ، فقد نقل فى "مسالك الأبصار" عن القاضى أبى القاسم بن بنون أنَّ لهم أرضاً يزرعونها أو يحكِّرونها ويكون لهم عشر ما طلع منها . وهذه الأرض بمثابة الإقطاع بمصر ، ولكل واحد منهم فى كل سنة حرث عشرة أزواج بقرا ، كل زوج بشُعْبَتَيْن ، كل شُعْبَة رأسان من البقر فيكون لكل واحد عشرون شعبة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه الشعبة هى المسماة فى بلاد دمشق بالفدان . ولهم مع ذلك راتب يفرَّق عليهم فى طول السنة ، يسمونه البركات ، بمثابة الجوامك بمصر ، يفرَّق أربع مرَّات فى السنة : فى عيد الفطر تفرقةً ، وفى عيد الأضحى تفرقةً ، وفى ربيع الأول تفرقةً ، وفى رجب تفرقةً ، يُصِيبُ كُلَّ واحد منهم من ذلك أربعون ديناراً مسماةً ، تكون بثلاثمائة درهم عتيقة ، والسلطان يأخذ معهم بسهم كواحد منهم على السواء ، فيكون جملة مال كُلِّ واحد منهم فى كل سنة مائةً وعشرين ديناراً

سَمَاءٌ ، عنها أَلْفٌ ومائتا درهم مَغْرِبِيَّةٌ ، عنها من نقد مصر والشام سِتْمِائَةٌ ونحسون درهما ، وما يَتَحَصَّلُ من مَعَلٍّ عشرين فَدَّانا بقدر مثلها . قال في "مسالك الأبصار" :
فيكون تقدير ما لأحد المشايخ الكبار الذين بمثابة أمراء الألو ف بمصر والشام في كل سنة أَلْفٌ وثلثمائة وعشرة دراهم نُقْرَةً بمعاملة مصر في كل سنة .

وأما الأشياخ الصغار ، فلكل واحد منهم حَرْثٌ خمسة أزواج من البقر ، على النصف من الأشياخ الكبار ، والبركات في كل سنة على ما تقدم في الكبار . قال ابن بَنُون :
ولعامة الأشياخ الكبار والصغار والوقافين والجند شيء آخر يفرقه السلطان عليهم ، يُسمَّى المواساة : وهي غلة تفرق عليهم عند تحصيل الغلات في المخازن ، وشيء ثالث يُقال له الإحسان ، وهو مبلغ يفرق عليهم . قال [وكلاهما ^(١)] من السنة إلى السنة ليس لها قَدْر مضبوط ولا قَدْر مخصوص ، بل على قدر ما يراه السلطان وبحسب أقدار الناس . ومقادير العطايا بينهم متفاوتة . قال : وكذلك القبائل ومزاويرهم على هذا النحو . قال ابن القويح : والجند الغرباء يتميزون في الأعطيات على الموحدن . قال : وللعرب أهل البادية إقطاعات كثيرة ، ومنهم من يخرج مع السلطان إذا استدعاهم السلطان للخروج معه .

الجملة الثالثة عشرة

(في ليس سلطان مملكة توتس ، وليس أشياخه ، وسائر جنده ،
وعامة أهل بلده)

أما ليسه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن سلطان زمانه بأفريقية : أن له عمامة ليست بمفردة في الكبير ، بحنك وعدبة صغيرة . وقال ابن سعيد : له عمامة

(١) بياض بالاصل بقدر كلفة والتصحيح من المسالك .

كبيرة من صُوفٍ وَكَانَ فِيهَا طِرَازٌ من حرير . ولا يتعمَّم أحدٌ من أهل دَوْلَتِهِ قَدَرَهَا في الكِبَر . وذكر أن عَذْبَةَ عِمَامَتِهِ تَكُونُ خَلْفَ أُذُنِهِ الْيُسْرَى ، وَأَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِهِ وبأَقَارِيهِ ؛ وَلَهُ جِبَابٌ تَلِيْمًا ، وَلَا يَلْبَسُ هُوَ وَلَا عَامَّةُ جُنْدِهِ وَأَشْيَاخُهُ خُفًّا إِلَّا فِي السَّفَرِ .^(١) وغالب لِبْسُهُ وَلِبْسُ أَكْبَرِ مُشَايِخِهِ من قُفَاشٍ عندهم يَسْمَى السِّفْسَارِي ، يعمل عندهم من حرير وقطن أو حرير وصوف رفيع جدًا ، وقُفَاشٌ يُعْرَفُ بِالتِّلْمَسَانِي يَعْمَلُ بِتِلْمَسَانَ ؛ إِمَّا صُوفٌ خَالِصٌ أو حرير خالص : مُحْتَمٌ وغير مُحْتَم . قال ابن بنو : والسلطان يمتاز بلبس الخَزِّ ، وَلَوْنُهُ لَوْنُ الْخُضْرَةِ وَالسَّوَاد . قال : وهذا اللَّوْنُ هو المسمَّى بِالْخَوْزِي ، وبِالْغِيَارِ ، وَبِالنَّفِطِيِّ . قال ابن سعيد : وهو ما يخرج من البحر بَصَفَاقُس .

قال في "مسالك الأبصار" : وهو المسمى بوبر السمك بمصر والشام يعني المعبر عنه بصوف السمك المتقدم ذكره عند ذكر صَفَاقُس من بلاد أفريقيا . قال ابن سعيد : وهي أخف رثياب السلطان بتونس وتقل في "مسالك الأبصار" عن ابن سعيد : أنه يلبس الثياب الصوف الرفيعة ، ذوات الألوان البديعة ، وأكثر ما يلبس الختم الممتزج من الحرير والصوف ، بكمين طويلين من غير كثرة طول ، ضيقين من غير أن يكونا مزندين . وثيابه دون شدة نطاقٍ إلا أن يكون في الحرب فإنه يُشَدُّ الْمِنْطَقَةُ ، وَيَلْبَسُ الْأَقْمِيَّةَ ، وَلَهُ طَلِيسَانٌ صُوفٍ في نهاية اللطافة ، كان يرتدى به ولا يضعه على رأسه .

[وَأَمَّا لِبْسُ الْأَشْيَاخِ وَالِدَوَاوِينِ وَالْوَقَافِينِ وَالْجُنْدِ وَالْقَضَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَعَامَّةِ النَّاسِ فَمِلَ زِيٍّ وَاحِدٍ ، لَا تَكَادُ تَتَفَاوَتُ الْعِمَامُ وَالْجِبَابُ وَلَا يَمْتَازُ الْأَشْيَاخُ وَالْوَقَافُونَ

(١) لعله يلبسها .

والجند إلا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العائم وضيق القماش ، ولباس عامة أهل أفريقية من الجوخ ومن الثياب الصوف ومن الأقبية ومن الثياب القطن ، فمن لبس غير هذا مما يجب من طرائف الاسكندرية والعراق كان نادرا شاذاً^(١) .

الجملة الرابعة عشرة

(في شعار الملك بما يتعلق بهذا السلطان)

نقل في "مسالك الأبصار" : عن ابن القويح أن له علماً أبيض يسمى العلم المنصور، يُحمل معه في المواكب ، وذكر أن الأعلام التي تحمل معه في المواكب سبعة أعلام : الأوسط أبيض وإلى جانبه أحمر وأصفر وأخضر . قال : ولا أتحقق كيف ترتيبها وأن ذلك غير أعلام القبائل التي تسير معه فلكل قبيلة علمٌ تمتاز به بما عليه من الكتابة ، والكتابة مثل لا إله إلا الله ، أو الملك لله ، وما أشبه ذلك ، وأن له الطبول والبوقات والنفير .

الجملة الخامسة عشرة

(في جلوس سلطان هذه المملكة في كل يوم)

قال ابن سعيد : عادة هذا السلطان في مدينة مملكته تونس : أنه يخرج باكراً كل يوم إلى موضع يُعرف بالمدرسة ، ويبعث خادماً صغيراً يستدعي وزيراً الجند من موضعه المعين له ، فيدخل عليه رافعاً صوته "بسلام عليكم" عن بُعد من غير أن يؤمى برأسه ، ولا يقوم له السلطان ، فيجلس بين يدي السلطان ، ويسأله السلطان عما يتعلق بأمر الجند والحروب ، ثم يأمره باستدعاء من يريد من أسيخ الجند

(١) الزيادة من القطعة الأثرية وهي في "مسالك الأبصار" أيضاً .

أو العَرَب أو مَنْ لَهُ تَعَلُّقٌ بِوَزِيرِ الْجُنْدِ؛ ثُمَّ يَأْمُرُ بِاسْتِدْعَاءِ وَزِيرِ الْمَالِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ فَيَأْتِي مَعَهُ وَيُسَلِّمَانِ جَمِيعًا مِنْ بَعْدِ عَلِيٍّ السُّلْطَانِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ سَلامُ وَزِيرِ الْجُنْدِ؛ ثُمَّ يَتَقَدَّمُ وَزِيرُ الْمَالِ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ وَيَتَأَخَّرُ وَزِيرُ الْجُنْدِ إِلَى مَكَانٍ لَا يَسْمَعُ فِيهِ حَدِيثَهُمَا؛ ثُمَّ يَخْرُجُ وَزِيرُ الْمَالِ وَيَسْتَدْعِي مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ؛ ثُمَّ يَحْضُرُ صَاحِبُ الطَّعَامِ بِطَّعَامِ الْجُنْدِ وَيَعْرِضُهُ عَلَى وَزِيرِهِمْ لئَلَّا يَكُونَ فِيهِ تَقْصِيرٌ؛ ثُمَّ يَقُومُ السُّلْطَانُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ إِلَى مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ وَيَسْتَدْعِي وَزِيرَ الْفَضْلِ؛ وَهُوَ كَاتِبُ السَّرِّ، وَيَسْأَلُهُ عَنِ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ مِنَ الْبِلَادِ، وَعَمَّا تَحْتَاجُ خِزَانَةُ الْكُتُبِ إِلَيْهِ، وَعَمَّا تَجَدَّدُ فِي الْحَضَرَةِ وَفِي الْبِلَادِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَرْبَابِ الْعِلْمِ وَسَائِرِ فُنُونِ الْفَضْلِ وَالْقُضَاةِ، وَيَأْمُرُ بِاسْتِدْعَاءِ مَنْ يُحْصِيهِ مِنَ الْكُتَّابِ وَيُمِيلِي عَلَيْهِ وَزِيرُ الْفَضْلِ مَا أَمَرَ بِكُتَابَتِهِ، وَيَعْلَمُ عَلَيْهِ وَزِيرُ الْفَضْلِ بِحُطَّه؛ ثُمَّ يَسْتَدْعِي السُّلْطَانُ مَنْ شَاءَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفَضَلَاءِ وَيَتَحَاضَّرُونَ مُحَاضَرَةً خَفِيفَةً، وَإِنْ كَانَ وَزِيرُ الْفَضْلِ قَدْ رَفَعَ قَصِيدَةً لِشَاعِرٍ وَافِدٍ أَوْ مَرْتَبٍ فِي مَعْنَى اسْتِجْدَادِهِ، أَمَرَهُ السُّلْطَانُ بِقِرَاءَتِهَا عَلَيْهِ، أَوْ يَأْمُرُ بِحَضُورِ الشَّاعِرِ لِيُنْشِدَهَا قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ رُتْبَتُهُ، وَيَتَكَلَّمُ السُّلْطَانُ مَعَ وَزِيرِ الْفَضْلِ وَمَنْ حَاضَرَ مِنَ الْفَضَلَاءِ فِي ذَلِكَ وَيَكْتُبُ عَلَى كُلِّ قَصِيدَةٍ بِمَا يَرَاهُ.

الجملة السادسة عشرة

(في جلوسه للظالم)

قَالَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ عَيْسَى الزَّوَاوِيُّ: إِذَا جَلَسَ السُّلْطَانُ جُلُوسَ حَوْلِهِ ثَلَاثَةً مِنْ كِبَارِ أَشْيَاخِ الْمُوَحِّدِينَ لِلرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ، وَيَجْلِسُ مَعَهُمْ وَزِيرُ الْجُنْدِ إِنْ كَانَ كَبِيرًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَبِيرًا وَقَفَّ بِإِزَاءِ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةِ، وَيَجْلِسُ دُونَهُمْ عَشْرَةٌ مِنْ أَكْبَرِ أَشْيَاخِهِ، وَرَبَّمَا كَانَ الثَّلَاثَةُ الْمُخْتَصُّونَ بِالرَّأْيِ مِنْ جَمَلَةِ الْعَشْرِ الْمَذْكُورِينَ؛ وَيَقِفُ

نحسون وَقَافَا وِراءَ وزيرِ الجُنْدِ . فإذا أمر السلطان بأمر بلغه وزير الجُنْدِ لآخر واقِفٍ وراءه ، وبلغه الآخر لآخر ، وبلغه الآخر لآخر ، حتى ينتهي إلى مَنْ هو خارج الباب بنقل ناسٍ عن ناس ، ويقف دون الخمسين المذكورين جماعة تسمى بالوَقَّافِينَ بأيديهم السيوف حَوْلَهُ ، وهم دون الخمسين المذكورين في الرتبة . وقد ذكر ابن سعيد : أن يوم السبت مخصوصٌ عنده بأن يقعد في قبة كبيرة في القَصْبة : وهي القلعة ، ويحضر عنده أعيان دولته وأقاربه والأشياخ ، ويجلس أقاربه عن جانبه الأيمن ، والأشياخ عن جانبه الأيسر ، ويجلس بين يديه وزير الجُنْدِ ، ووزير المال ، وصاحب الشرطة ، والمحتسب ، وصاحب كُتُبِ المَظالم : وهو الموقَّع على القِصَص . ويقرأ الكاتب المعينُ موقَّع له على قِصَصِ المَظالم ، ويرد كل ما يتعلق بوظيفة إلى رَبِّ تلك الوظيفة ويتقدُّ الباقي .

الجملة السابعة عشرة

(في خروجه لصلاة الجمعة)

قال ابن سعيد : من عادة السلطان بأفريقية أنه لا يجتمع يوم الجمعة بأحد ، بل يخرج عند ما يُنادى المنادى بالصلاة ، ويشقُّ رحبة قصره ما بين خواص من الممالك الأتراك ، فعند ما يُعانيونه ينادون "سلام عليكم" نداءً عاليًا على صوت واحد يسمعه مَنْ يكون بالمسجد الجامع ، ثم يتقدمه وزير الجُنْدِ بين يديه في سباط يخرج هناك للجامع ، عليه باب مُدْهَب سلطاني ، ويسبقُ الوزيرُ فيفتح الباب ، ويخرج منه السلطان وحده ، ويخرج له جماعة الوقَّافين من أعيان الدولة فلا يقوم له في الجامع غيرهم ، وليس له مقصورةٌ مخصوصةٌ للصلاة . فإذا انفصل عن الصلاة قعد في قبة كبيرة له في صدر الرحبة وحضر عنده أقاربه ، ثم يدخل قصره .

الجملة الثامنة عشرة

(في رُكوبه لصلاة العيدين أو للسفر)

قال القاضي شرف الدين عيسى الزواوي : وعادته في ذلك أن يركب السلطان ، وعن يمينه فارس وعن يساره فارس من أكابر أشياخه من العشرة المقدم ذكرهم ، ويمشي إلى جانبه رجلان مقلدان سيقين رجالة إلى جانبه : أحدهما ممسك بركابه الأيمن ، والثاني ممسك بركابه الأيسر ، ويلهما جماعة رجالة من أكابر دولته : مثل الثلاثة أصحاب الرأي ، والعشرة الذين يلونهم ، ومن يجري مجراهم من أعيان الجند ، وتسمى هذه الجماعة ايربان ، يمشون حوله بالسيوف وبأيديهم عكاكيز . قال : وربما مشى في هؤلاء قاضي الجماعة : وهو قاضي القضاة . وأمام هؤلاء الجماعة المشائين نفر كثير من الموحدین أقارب السلطان بسيوف ومزاريق ، ويسمون بالمشائين . وقدامهم جماعة يقال لهم جفاوة : وهم عبيد سود بأيديهم حراب في رؤوسها رايات من حرير ، وهم لابسون جبأا بيضا مقلدون بالسيوف . وأمام هؤلاء قوم يعبر عنهم بعبيد المخزن ، وهم عوام البلد وأهل الأسواق ، وبأيديهم الدرق والسيوف ، ومعهم العلم الأبيض المسمى بالعلم المنصور المقدم ذكره في شعار السلطنة .

وعادتهم أن ينادي فيهم لیسلة العيد أو رُكوب السلطان لسفر ، فيخرج أهل كل صناعة بظاهر البلد ، ويكون خلف السلطان صاحب العلامات ، وهو أمير علم راكب ، ووراءه أعلام القبائل ، ووراء الأعلام الطبول والبوقات ، وخلفهم محركو الساقة الذين هم بمثابة الثقباء وبأيديهم العصي يرتبون العساكر ، وخلف هؤلاء العسكر . والفارس الذي عن يمين السلطان إليه أمر دق الطبول يقول : دق فلان باسم كبيرهم ، ويستمر من حول السلطان من المشاة يمشون ثم يركبون ، ويطيف

بالسلطان جماعة يقرعون حزبا من القرآن الكريم . ثم يقف السلطان ويدعو ويؤمن
وزير الجند على دعائه ، ويؤمن الناس على تأمينه ، ويحد الناس والسلطان السير . فإن
كانوا في فضاء كان مشيهم على هذا الترتيب ، وإن ضاق بهم الطريق مشوا كيف جاء
على غير ترتيب إلا أن الجند لا يتقدمون على السلطان . فإذا قربوا من المنزلة وقف
السلطان ودعا وأمن على دعائه كما تقدم . وإن كان في صلاة العيد ذهب في طريق
وعاد في أخرى .

الجملة التاسعة عشرة

(في خروج السلطان للتنزه)

قد تقدم في الكلام على مدينة تونس أنها على طرف بحيرة خارجة من البحر
الرومي تحديق بها البساتين من كل جانب ، وفي تلك البحيرة جزيرة يقال لها سكة
لا ساكن بها ربما ركب السلطان في السفن وصار إليها في زمن الربيع ، وتضرب
بها أخبية ويقيم بها للتنزه أياما ثم يعود . على أنه لا ماء فيها ولا مرعى ، ولكن
لما تشرف عليه من البساتين المستديرة بتلك البحيرة وما قبلها من الحواشيق المشرفة
ومنظر البحر . وقد ذكر ابن سعيد : أنه ربما خرج إلى بستانه ، فيخرج في نحو
مائتي فارس من الشباب المعروفين بالصبيان الذين هم بمثابة الممالك الكانية
بالديار المصرية ، يوصلونه إلى البستان ويرجعون ، ويبقى وزراؤه الثلاثة نوابا له .
وكل ما تجدد عند كل واحد منهم من الأمر طالع به وجاوبهم بما يراه . قال
في "مسالك الأبصار" : وركوبه إلى البستان في زقاق من قصبته إلى البستان ،
محبوب بالحيطان لا يراه فيه أحد .

الجملة العشرون

(في مكاتبات السلطان)

قال في "مسالك الأبصار" : قال ابن سعيد : قال العلامة أبو عبد الله بن القويح : إن هذا السلطان لا يعلم على شيء يكتب عنه ، وإنما يعلم عنه في الأمور الجكار صاحب العلامة الكبرى ، وهو كاتب السرى الغالب ، والعلامة "الحمد لله" أو "الشكر لله" بعد البسملة . قال : ومن خاصية كتب هذا السلطان أن تكتب في ورق أصفر . ومن عادته وعادة سائر المغاربة أن لا يطيلوا في الكتب ولا ياعدوا بين السطور كما يفعل في مصر وما ضاهاها . أما في الأمور الصغار فإنما تكون الكتابة فيها عن وزير الجند ، ويكتب عليها صاحب العلامة الصغرى اسم وزير الجند ، وتكون هذه الكتب في غير الورق الأصفر .

الجملة الحادية والعشرون

(في البريد المقرر في هذه المملكة)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه إذا كتب كتاب إلى نواحى هذه المملكة ليوصل إلى بعض نوابها ، جهز مع من يقع الاختيار عليه من النقباء أو الوصفان : وهم عميد السلطان ، ويركب على بغل إما ملك له أو مستعار ، ويسافر عليه إلى تلك الجهة . فإن أعياناً في مكان تركه عند الوالى بذلك المكان وأخذ منه بغلاً عوضه ، إما من جهة الوالى أو يسخره له من الرعايا ، إلى أن ينتهى إلى جهة قصده ثم يعود كذلك .

الجملة الثانية والعشرون

(في إلحاح والتشريف في هذه المملكة)

قال القاضي أبو القاسم بن بَنُون : ليس من عادة سلطان أفريقية إلbas من ولى ولاية خلعة كما في مصر ، وإنما هي كسوة : وهو قماش غير مفصل يتصرف فيه كيف شاء .

المملكة الثانية

(من ممالك بلاد المغرب مملكة تلمسان)

وهي مملكة الغرب الأوسط . وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(في ذكر حدودها ، وقاعدتها ، وما أشتملت عليه من المدن ،

والطريق الموصلة إليها)

أما حدودها ، فحدّها من الشرق حدود مملكة أفريقية وما أُضيف إليها من جهة الغرب ؛ وحدّها من الشمال البحر الرومى ؛ وحدّها من الغرب حدود مملكة فاس الآتى ذكرها من الشرق ؛ وحدّها من جهة الجنوب المفاوِز الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان . وذكر في " العبر " : أن حدّها من جهة الغرب من وادى مكنوية الفاصل بينها وبين الغرب الأقصى إلى وادى مجّمع في جهة الشرق الفاصل بينها وبين أفريقية .



وأما قاعدتها ، فمدينة (تلمسان) بكسر المثناة من فوق واللام وسكون الميم وفتح السين المهملة وألف ونون . وهي مدينة من الغرب الأوسط . وقال

في "تقويم البلدان": من الغرب الأقصى متاحة للغرب الأوسط شرقي فاس بميلة إلى الشمال . وموقعها في أوائل الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتا عشرة دقيقة . وهي مدينة في سفح جبل ، ولها ثلاثة عشر بابا ، وماؤها محبوب من عين على ستة أميال منها ، وفي خارجها أنهار وأشجار ، ويستدير بقبليها وشرقيها نهر يصب في بركة عظيمة من آثار الأول ، ويسمع لوقعه فيها خرير على مسافة ، ثم يصب في نهر آخر بعد ما يمر على البساتين ، ثم يصب في البحر ، وعليه أراء دائرة تدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر ، وتبعثها شريفة كثيرة المرافق . ولها حصون كثيرة وفرض عديدة .

منها (هنيئ) و(وهران) و(مستغانم) . فهنن تقابل المريّة من الأندلس ووهران في شرقي تلمسان بشمال قليل ، على مسيرة يوم من تلمسان ، ومستغانم تقابل دانية من الأندلس ، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار ونصف مجرى . قال الإدريسي في "كتاب رجار" : وبها آثار الأول ، ولها أسواق ضخمة ومساجد جامعة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على ما بلغ حد التواثر أنها في غاية المنعة والحصانة مع أنها في وطأة من الأرض ولكنها محصنة البناء . وبلغ من حصانتها أن أبا يعقوب المريّني صاحب فاس حاضرها عشر سنين ، وبني عليها مدينة سماها فاس الجديدة وأحجزه فتحها ولها ثلاثة أسوار ، ومن جهة القصبة وهي اقلعة ستة أسوار ، وبها أنهار وأشجار ، وبها شجر الجوز على كثرة ، ومشمشها يقارب في الحسن مشمش دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : زكية الزرع والضرع ، ويقصدها تجار الآفاق للتجارة . قال : ويطول مكث المخزونات فيها حتى إنه ربما مكث القمح والشعير في مخازنها ست سنين ثم يخرج بعد ذلك فيزرع فينبت .



وأما مدنها الداخلة في مملكتها ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن لها ثمان عشرة مدينة : وهي تلمسان ، وجده ، ومدْيُونَة ، وتَدْرُومَة ، وهِنِين ، ووَهْرَان ، وتَمِيزْغَرَان ، وبرسك ، وشرشال ، وتونت ، ومنسْتَعَانِم ، وتَنْس ، والجزائر ، والقَصَبَات ، ومازونة ، وتاحمجت ، ومليانة ، والمريّة .



وأما الطريق الموصل إليها ، فقد تقدّم في الكلام على مملكة تُونُس الطريق من الديار المصرية إلى تُونُس . وقد ذكر في "الذيل على الكامل" أن من تُونُس إلى بَاجَة ، ومنها إلى تغريه وهي آخر بلاد أفريقية ، ومنها إلى قُسْطِينِيَّة وهي أول بلاد بِجَايَة ، ومنها إلى أول بلاد تِلْمَسَان ، ومنها إلى قُلَيْلِيَّة ، ومنها إلى البُقَيْعَة ، ومنها إلى تِلْمَسَان .

الجملة الثانية

(في حال مملكتها)

لم أفق على شيء من ترتيب مملكتها ، والظاهر أنها تشبه مملكة تُونُس في الحال والترتيب أو قريب من ذلك . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بِجَايَة ثَانِيَّة تُونُس في الرتبة والحال ، والموجودات ، والمعاملات . وقد تقدّم أن بِجَايَة من أقرب الاوسط ، فتكون تِلْمَسَان في معناها ، وإن وقعت مخالفة في ترتيب المملكة فإنما تكون في القدر اليسير . قال في "مسالك الأبصار" وهي مملكة كبيرة ، وسلطنة جائلة ، قريب الثلاثين من مملكة بر العُدوة . وهي وسيعة المدى ، كثيرة الخيرات ، ذات حاضرة وبادية ، وبر وبحر .

المملكة الثالثة

(من بلاد المغرب — الغرب الأقصى ،
ويقال له برّ العدو ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان موقعها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها
وما اشتملت عليه من المدن والجبال المشهورة . وفيه أربع جمل)

الجملة الأولى

(في بيان موقعها من الأقاليم السبعة)

فوقِعتها في الإقليم الثالث كما في مملكة تونس ، وبعضها في الإقليم الثاني ، وبعضها
في أوائل الإقليم الرابع على ما سيأتي ذكره .

وأما حدودها . فقد ذكر صاحب "الغبر" : أنه من مدينة آسفي حاضرة البحر
المحيط إلى وادي ملوية ومدينة تازا من جهة الشرق ، يحيط به البحر المحيط من جهة
الغرب ، وجبال درن وما يليها من جنوبيّة ، وجبال تازا من شرقيّة ، والبحر الرومي
من شماليّه . ثم قال : وهو ديار المصامدة وغيرهم من البربر . وذكر في "مسالك
الأبصار" نقلا عن أبي عبد الله محمد بن محمد السلاحي ^(١) : أن حدّها من الجنوب
الصحراء الكبيرة الآخذة من بلاد البربر إلى جنوب أفريقيا ؛ ومن الشرق جزائري
مرغانة وما هو آخذ على حدّها إلى الصحراء الكبيرة ؛ ومن الشمال البحر الشامي ؛
ومن الغرب البحر المحيط .

(١) في المسالك السلاحي ، وقد تكرر .

وحكى عنه : أن طُولَ هذه المملكة من جزائر بني مرغانة ، وهى جزائر بنى مرغانان المقدم ذكرها فى بلاد بجاية من مملكة تُونُس إلى البحر المحيط ، وعرضها من بحر الرقاق بسبته إلى نهاية بلاد البربر المتصلة بالصحراء الفاصلة بين هذه المملكة وبين بلاد السودان ثلاثون يوما .

الجملة الثانية

(فى بيان قواعدها وما أشتملت عليه هذه المملكة

من الأعمال وما أنطوت عليه من المَدُن)

أما قواعدها فخمس : ^(١)

القاعدة الأولى

(فاس)

بفتح الفاء ثم ألف وسين مهملة . وهى مدينة بالغرب الأقصى ، واقعة فى آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول عَشْرُ دَرَجٍ وخمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال : وسميت بفاس لأنهم لما شرعوا فى حفر أساسها ، وجدوا فأسا فى موضع الحفر . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينتان يشق بينهما نهر . الأولى (فاس القديمة) والمياه تجرى بأسواقها وديارها وحماتها ، حتى يقال إنه ليس بالمشرق ولا بالمغرب مدينة تضاهيها فى ذلك ؛ إلا أن أرضها ذات ارتفاع وانخفاض ، وفيها عدة عيون . قال أبو عبد الله العسلى : عدتها ثلثمائة وستون عينا . قال ابن سعيد : لم أرقط حمامات فى داخلها عين تنبع إلا فى فاس . قال : وهى أكثر مياهها من دمشق . قال ابن سعيد فى "المغرب"

(١) لم يذكر إلا أربعة .

وهي مدينتان : إحداهما بناها إدريس بن عبد الله : أحد خلفاء الأدارسة بالمغرب ، وتُعرف بِعُدُوَّة الأَنْدَلُس . والأُخرى بنيت بعدها وتعرف بِعُدُوَّة القَرَوِيَّين . قال في "الروض المعطار" : وكان بناء عُدُوَّة الأَنْدَلُسِيَّين في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وبناء عُدُوَّة القَرَوِيَّين في سنة ثلاث وتسعين ومائة . وعُدُوَّة القَرَوِيَّين أَكْثَرُ عِمُونًا ولبساتين وأشجارًا من عُدُوَّة الأَنْدَلُسِيَّين . ورجال عُدُوَّة الأَنْدَلُسِيَّين أَشْجَعُ . ورجال عُدُوَّة القَرَوِيَّين أَجْمَلُ . ونساء عُدُوَّة الأَنْدَلُسِيَّين أَجْمَلُ . وبُعْدُوَّة الأَنْدَلُسِيَّين تُفَاح حَسَنٌ طَيِّبُ الطَّعْمِ يُعْرَفُ بِالطَّرَابِلُسِيِّ لَا يُفْلِحُ بِعُدُوَّة القَرَوِيَّين . وبُعْدُوَّة القَرَوِيَّين أَتْرَجٌ حَسَنٌ لَا يُفْلِحُ بِعُدُوَّة الأَنْدَلُسِيَّين مع التقارب على ضَفَّة النهر الغربية ؛ وهي في مَسْتَوٍ من الأرض ، وهي في عُلُوٍّ لَا يَحْكُمُ النهر عليها . والثانية (فاس الجديدة) وهي ثلاثُ مُدُنَ بناها آباء ملوكها القَائِمِينَ بها الآن حين ملكوا الغرب الأقصى . ولما نزلوها بنوا معها ثلاث مُدُنَ على ضَفَّة النهر الغربية .

أولها (المدينة البيضاء) وتُعرف بِالْجَدِيدَةِ . بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول من آسَتل بالملك بعد الموحِّدين .

الثانية (مدينة حمص) ويُعرف موضعها بِالْمَلَّاح . بناها ولده أبو سعيد : عثمان ابن أبي يوسف إلى جانب المدينة البيضاء المقَدَّم ذِكْرُهَا .

الثالثة (ربض النصارى) وهي المَتَّخَذَةُ لِسُكْنَى النصارى من الفَرَنْجِ المُسْتَعْدِمِينَ بِخِدْمَةِ السُلْطَانِ . وهذه المتجددات الثلاث على ضَفَّة النهر الغربية : فَرَبَضُ النصارى يقابل فاس القديمة على بُعْدٍ من ضَفَّة النهر . والبيضاء وهي فاس الجديدة آخَذَتْهُ مِنْ شَمَالٍ رَبَضُ النصارى إلى ضَفَّة النهر . وأول عمارة فاس الجديدة آخر عمارة فاس العتيقة . وحمص رَاكِبَةٌ على النهر بِشَمَالٍ على جانب فاس الجديدة آخَذَتْهُ إِلَى رَبَضِ

النصارى، ينصبُّ من الجنوب إلى الشمال، ثم ينعطف على زاويةٍ أخذاً من الغرب إلى الشرق حتى يصير كأنه يَخْدِر من الغرب، ويَحْص على مجراه هناك؛ ثم يَمُرُّ آخِذاً إلى الشرق على حاله فوق فاس الجديدة . ثم ينعطف عليها بزاوية إلى الجنوب ثم ينعطف إلى الشرق جائزاً بها؛ وهناك فاس العتيقة على الصَّفَّة الشماليَّة، والقَصْبَةُ وهى القلعة بها فى غربها مرجلة على الأرض لا تَمِيز على المدينة برفعةٍ ولا ببناءٍ عالٍ؛ ويصير النهرُ مستديراً بفاس الجديدة من جانب الشمال على المجرى المَرَكَّب عليه حِصْنٌ، ومن الشرق حيث أنعطف النهرُ عند فاس العتيقة .

قال فى "مسالك الأبصار": وهذا النهر متوسط المقدار . عرضه فى المكان المتسع نحو أربعين ذراعاً، وفى الضيق دُونَ ذلك؛ وربما تضايق إلى خمسة عشر ذراعاً فما دُونَها؛ وعمقه فى الغالب تقديرُ قامة رجل . وتَمَثَّل فى "مسالك الأبصار" عن ابن سعيد: أن نهرها يلاقى وادى سُبُو، وهو من أعظم أنهار المغرب، يصبُّ فى البحر المحيط بين سَنَّا وقَصْر عبد الكريم . قال فى "تقويم البلدان" قال ابن سعيد: وعلى أنهارها داخلُ المدينة نحو سَمْتَاة رَحاً تدور بالماء دائماً . قال فى "مسالك الأبصار": وعليها ناعورة تُرفَعُ الماء إلى بُسْتان السلطان . وبناء فاس العتيقة بالأجر والجبال مكتنفة بها، وعلى كل من عتيقها وجديدها أسوارٌ دائِرةٌ مُحَصَّنة ذاتُ بروج وبَدَنَات، وجميعُ أبنيتها بالحجر والأجر والكس مُوثَّقة البناء مُشَيَّدة الأركان . وتزيد فاس الجديدة على فاس العتيقة فى الحصانة والمنعة؛ والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسورين من الطين المُقَرَّغ بالقلب من التراب والرمل والكس المضروب وهو أشد من الحجر ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه، وكذلك غالب أبنيتها، وسقوف جميعها الخشب وربما غشيت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملوَّنة،

(١) يؤخذ من عبارة ياقوت أن نهرها يتفرق داخلها إلى أنهار وعليها من الأرحاء ذلك المقدار .

وأرض دور رؤسائها مفروشة بالزَّيْتِج . وهو نوع من الآجر مدهون بدهان ملون كالقاشاني بالأبيض والأسود والأزرق والأصفر والأخضر وما يركب من هذه الألوان وغالبه الأزرق الكحلي وربما آخذ منه الزرات بجيطان الدور؛ قال في "مسالك الأبصار": وسألت السلاطيني عن مقدار عمارة فاس عتيقها وجديدها . فقال: تكون قدر ثلث مصر والقاهرة وحواضرهما . قال في "تقويم البلدان"^(١): وللايتين ثلاثة عشر باباً ، وفي القديمة مخازن الغلال ، وهي مكان يستدير عليه سور منيع عليه بابٌ وغلَق داخلة المطامير . وبفاس العتيقة داخل سورها جنانٌ ورياض ذات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبيوت الأعيان . ثم قال : وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المعروفة بالبيضاء وخص الجوامع والمساجد والمآذن والحمامات والأسواق . أما المدارس والخوانق والرُّبُط فما حلت صحائف أهل المغرب من أجورها إلا التزُّر اليسير جداً . وبفاس العتيقة مارستانٌ ، ودور فاس مجالس متقابلة على عمد من حجر أو آجر ورَفَافٍ تطلُّ على صحن الدار ، وفي وسط صحن الدار بركة يصبُّ بها الماء ويعبر عنها عندهم بالصَّهْرِيح ، ولهم عناية باتخاذ القبَّاب في بيوتهم ، حتى يوجد في دار الكبير قُبَّان فأكثر ، وحماماتهم صحن واحد لا خلاوى فيها ، ولذلك يتخذ غالب رؤسائهم الحمامات في بيوتهم ، فوارا من مخالطة العامة في الحمام .

قال ابن سعيد : ومدينة فاس متوسطة بين مُلك الغرب ، بينها وبين مراكش عشرة أيام وبينها وبين تلمسان عشرة أيام ، وبينها وبين سبتة عشرة أيام ، وبينها وبين

(١) الزيادة من القطعة الأثرية .

(٢) أى ينسكب بها وصب يكون لازماً ومتعدياً إلا أن اللازم من باب ضرب والمتعدى من باب نصر كما نص عليه في تاج العروس والمصباح

(٣) مراده أن حماماتها ليس بها حجر للخواص . وقد جرى العامة في جمع الخلوة على خلاوى .

وبين ساجسة عشرة أيام . قال في "مسالك الأبصار" . ولذلك صَلَّحت أن تكون قاعدة الملك . وهى تشبه الإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة وتغيير المُنكر والقيام بالناموس ، وتُسَبَّه بِدمشق في البساتين .

وقد ذكر ابن مُنقذ: رسول السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" إلى بلاد المغرب : أنهم أخرجوا إلى بستانٍ بفاس يقال له البحيرة متحصّله في كل سنة خمسة وأربعون ألف دينار ، وبه بركةٌ ذرع كل جانب منها مائتان وستة عشر ذراعا ، يكون دورها ثمانمائة ذراع وأربعة وستين ذراعا . قال : وبها ما هو أكبر من ذلك . قال في "تقويم البلدان" : وأهلها مخصّوصون برفاية العيش . قال في "مسالك الأبصار" : ولأهلها حُسن الصنعة في المخروطات من الخشب والنحاس . قال أبو عبد الله السلاحي : ولكنها وَحمة ثقيلة الماء ، تعلو وجوه سكّانها صفرة ، وتحدث في أجسادهم كسلا وفُتورا .

القاعدة الثانية

(سَابِئَة)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وتاء مثناة فوق وهاء في الآخر . قال في "الروض المعطار" : والنسبة إليها سَبِئِي بكسر السين . وهى في دَخْلَة في البحر . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة بين بحرَيْن : بين البحر المحيط وبحر الرُّوم . ومدخلها من جهة المغرب وهو مدخل ضيق ، والبحر محيط بأكثرها ، ولو شاء أهلها لوصلوا البحر حَوْطًا وجعلوها جَزيرة . ولها أسوار عظيمة من الصخر ، وعليها أبراج كثيرة ، والماء يُجَلَّب إليها في الشواني حتى للحمات

التي بها ، وبها صهاريج من ماء المطر . ويقال إنها أوّل ما بنى ببرّ العدوّة . قال في "الروض المعطار" : وهي سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض معمورة ؛ طولها من الغرب إلى الشرق نحو ميل . وقال في "مسالك الأبصار" : طولها من السور الغربي المحيط برّضها إلى آخر الجزيرة خمسة أميال . قال في "الروض المعطار" : ولها بابان من جهة البرّ ، ويتصل بها على ميلين من جهة الغرب جبل يعرف بجبل موسى ، وهو موسى بن نصير الذي فتح الأندلس ، ويجاوره بساتين وأشجار وقرى كثيرة ؛ وهناك يُزرع قصب السكر ويحمل إلى ما جاورها من البلدان ؛ ولها نهر عذب في البحر ؛ وكان بها كنيسة جعلت جامعاً ؛ وبها يستخرج من البحر شجر المرجان الذي لا يعدله مرجان . ويقابلها من الأندلس الجزيرة الخضراء وبحر الروم بينهما ضيق ، حتى إنه إذا كان الصحو ريثت إحداهما من الأخرى ، ولذلك يسمى بحر الرّق ، وميناءا شرفيّها ؛ وغالب طرف الدنيا موجودة فيها ؛ والخطة مجلوبة إليها إذ لا يزكونبائها فيها ؛ ويصاد بها أسماك مختلفة على نحو مائة نوع . ويتأبل هذه المينة من برّ الأندلس الجزيرة الخضراء .

وكانت هذه المدينة قاعدة لهذا القطر قبل الإسلام ، وهي يومئذ يار عمارة من المصامدة ، والحاكم عليها ملك الأندلس من القوط ، وكان ملك عمارة بها في زمن الفتح يقال له يليان ؛ ولما زحف إليه موسى بن نصير المذكور أمير أفريقية في زمن الفتح جاء معه بالهدايا ، وأذعن لأداء الجزية فأقرّه عليها ، وأسّرهن أبنه وأبناء قومه ، وأنزل طارق بن زياد بطنجة بالعساكر إلى أن أجاز البحر لفتح الأندلس كما سيأتي في الكلام على مكتبة صاحب الأندلس .

ولما هلك يُلْيَانُ استولى المسلمون من العرب على مدينة سَبْتَةَ بالصُّلَح من أهلها فعمروها إلى أن كانت فتنة مَيْسَرَةَ الخفير وما دعا إليه من مذهب الخوارج وأخذ به الكثير من البربر من غمارة وغيرهم ، فزحف بآبَةَ طَنْجَةَ إلى سَبْتَةَ فأخرجوا العرب منها ونحروها ، وبقيت خالية إلى أن عمَّرها ما جكس من وجوه غمارة من البربر وبنها وأسلم وصحب أهل العلم ، فرجع الناس إليها ومات .

فقام بأمره من بعده آبنه (عصام) فأقام بها زمنا إلى أن مات .
فولى بعده آبنه (مجير) فأقام بها إلى أن مات .

فوليا أخوه (الرَضَى) ويقال آبنه ، وكانوا يُعْطَوْنَ الطاعة لبني إدريس من العلوية ملوك فاس ؛ ولما سَمَا الناصر الأمويّ صاحب الأندلس إلى ملك المغرب وتناول أكثره من يد الأدارسة ببلاد غمارة وغيرها حين أخرجوا من فاس وقاموا بدعوة الناصر في جميع أعمالهم ، نزلوا للناصر عن سَبْتَةَ ، فبعث إليها العساكر فارتعها من يد الرَضَى بن عصام سنة تسع عشرة وثلاثمائة ؛ وأنقرض أمر بني عصام وصارت سَبْتَةُ للناصر ومن بعده من بني أمية خلفاء الأندلس . وكان عليّ والقاسم أبنا حمود بن ميمون ، بن أحمد ، بن عليّ ، بن عبيد الله ، بن عمر ، بن إدريس العلويّ قد لحقا بالأندلس لما أخرج المستنصر الأمويّ الأدارسة من المغرب ، وبقيّا بالأندلس إلى أن كانت أيام المستعين سليمان بن الحكم فأختص بقاسم وعليّ أبني حمود ، وعقد لعليّ بن حمود على طنجة وأعمال غمارة فترها ، ثم خرج عن طاعته ودعا لنفسه ، وعاد إلى الأندلس وولى الخلافة بقرطبة كما سيأتي في مكتبة صاحب الأندلس ، وولى على عمله بطنجة آبنه يحيى بن عليّ .

ثم أجاز يحيى بعد موت أبيه إلى الأندلس واستقلّ أخوه إدريس بن عليّ بولاية طنجة وسائر أعمال أبيه من مواطن غمارة .

ثم أجاز إلى الأندلس بعد مَوْلِكَ أَخِيهِ يَحْيَى ، وعقد حَسَنُ بْنُ أَخِيهِ يَحْيَى عَلَى
عملهم بِسَبْتَةَ وَطَنْجَةَ وَأَرْسَلَ مَعَهُ نَجَا الْخَادِمَ لِتُدِيرَ دَوْلَتَهُ .

ثم أجاز (نَجَا) الْخَادِمُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَمَعَهُ حَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْمَذْكُورُ ؛ ثُمَّ عَقَدَ حَسَنُ
لِنَجَا الْخَادِمِ عَلَى عَمَلِهِمْ فِي بِلَادِ عُمَّارَةَ .

فلما هَلَكَ حَسَنُ بِالْأَنْدَلُسِ ، أَجَازَ (نَجَا) إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْعَمَلِ مَنْ
وَثِقَ بِهِ مِنَ الْمَوَالِي الصَّقَالِبَةِ ، وَاسْتَبْرَزَتْ فِي الْمَوَالِي وَاحِدًا بَعْدَ آخَرٍ إِلَى أَنْ اسْتَقَلَّ
بِسَبْتَةَ وَطَنْجَةَ مِنْ مَوَالِي بَنِي حَمُودِ الْحَاجِبِ (سَكُوتِ الْبَرْغُوطِيِّ) فَاسْتَقَلَّ بِسَبْتَةَ
وَطَنْجَةَ وَأَطَاعَتْهُ قِبَائِلُ عُمَّارَةَ ؛ وَاتَّصَلَتْ أَيَّامُهُ إِلَى أَنْ كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُرَاطِينِ ، وَغَلَبَ
أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ «يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ» عَلَى مَغْرَاوَةِ بَقَاسَ ، وَسَارَ إِلَى بِلَادِ عُمَّارَةَ
وَنَازَلَ سَكُوتِ الْحَاجِبِ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا وَاقِعَةٌ قُتِلَ فِيهَا سَكُوتُ ؛ وَلَحِقَ ضِيَاءُ الدَّوْلَةِ
أَبْنُ سَكُوتِ بِسَبْتَةَ فَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ نَازَلَهُ الْمُعْزُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ بِهَا فَقَبِضَ عَلَيْهِ
ثُمَّ قَتَلَهُ ؛ وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي حَمُودٍ مِنْ بِلَادِ عُمَّارَةَ وَصَارَتْ فِي مَلِكِ الْمُرَاطِينِ إِلَى أَنْ فَجَحَ
بَنُو عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُوحِّدِينَ مَرَّأَكُشَ ، فَدَخَلَ أَهْلُ سَبْتَةَ وَسَائِرَ عُمَّارَةَ فِي طَاعَتِهِمْ ؛
وَأَقَامَتْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ : ثَارَ فِي عُمَّارَةَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
اللَّثَامِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الطَّوَّاجِنِ ، وَكَانَ لَهُ يَدٌ فِي السَّيْمِيَاءِ ، وَارْتَحَلَ إِلَى سَبْتَةَ فَتَزَلَّ
عَلَيْهَا وَادَّعَى النُّبُوَّةَ وَأَظْهَرَ أَنْوَاءَ مِنَ السَّيْمِيَاءِ فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ ؛ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ حَقِيقَةُ
أَمْرِهِ فَرَجَعُوا عَنْهُ ، وَقَتْلَهُ بَعْضُ الْبَرْبَرِغِيلَةِ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ أَيَّامُ بَنِي مَرِينٍ وَغَلَبَ
عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِمْ سَبْتَةُ ، وَقَامَ بِأَمْرِهَا الْفَقِيهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْعَزْفِيُّ مِنَ
مَشِجَّتِهَا فَبَقِيَتْ بِيَدِهِ وَيدُ بَنِيهِ إِلَى أَنْ مَلَكَهَا مِنْهُمْ بَنُو مَرِينٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ
وَسَبْعِينَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ ، فَصَارَتْ تَابِعَةً لِفَاسِ دَارِ مُلْكِ بَنِي مَرِينٍ
جَارِيَةً فِي يَدِ مَلُوكِهَا ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى زَمَانِنَا بَعْدَ الْعَشْرِ وَالْثَمَانِيَةِ .

القاعدة الثالثة

(مدينة مَرَّاكُش)

بفتح الميم وتشديد الراء المهمله وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين معجمة .
وهى مدينة واقعة فى أول الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث
الطول إحدى عشرة درجة ، والعرض تسع وعشرون درجة . بناها أمير المسلمين
« يوسف بن تاشفين » ملك المرابطين فى أرض صحراوية ، وجلب إليها المياه .
قال ابن سعيد : وأول ما بُنى بها القصر المعروف (بقصر الحجر) ثم بنى الناس حوله ؛
ثم زادها يعقوب بن عبد المؤمن ، وكبرها ومصرها ، وفتحها وصحمتها ؛ وجلب إليها
المياه والغراس . قال فى « تقويم البلدان » : ودورها سبعة أميال ، ولها سبعة عشر
بابا . قال فى « الروض المطار » : وبنى سورها على بن يوسف بن تاشفين فى سنة
ست وعشرين وخمسة ، وقيل سنة أربع عشرة وخمسة . قال : وطولها
مائة وعشرون ميلا ، وعرضها قريب من ذلك ؛ وهى فى وطأة من الأرض ليس
حولها جبال إلا جبل صغير منه قُطع الحجر الذى بنى منه على بن يوسف بن
تاشفين قصره ؛ وعامة بنائها بالطين والطوب .

قال ابن سعيد : وهى مما سكنتُ بها وعرفتُها ظاهرا وباطنا ، ولا أرى عبارة
تفى بما تحتوى عليه ، ويكفى أن كل قصر من قصورها مستنزل بالديار والبساتين
والحمام والإصطبلات والمياه ، وغير ذلك حتى إن الرئيس منهم يُغلق بابه على
جميع خوله وأقاربه وما يحتاج إليه ، ولا يخرج من بابه إلى خارج داره لحاجة
يحتاجها ، ولا يشتري شيئا من السوق لما كَل ، ولا يُقرئ أولاده فى مكتب ،
ويخرج من بابه راجعا فلا تقع عليه العين راجلا . قال : ولا أدري كيف أصل إلى

غاية من الوصف اِصْفَ بها ترتيب هذه المدينة المُحدثة ؟ فإنها من عجائب هِمَّات السلاطين ، ذات أسوار صَحْمَة وأبواب عالية .

وبظاها مدينة آخَظَها المنصور "يعقوب بن عبد المؤمن" له ولخواصه تعرف بتمرا كش ، وبها قصر الخلافة الذي بناه به دورٌ عظيمة ، وبها بستانٌ يعرف بالبحيرة طوله اثنا عشر ميلا ، به بركة عظيمة لم يُعَمَلْ مثلها قال العقيلي : طولها ثلثمائة وثمانون باعا ، على جانبها الواحد أربعمائة شجرة نارنج ، بين كل آثنتين منها ليمونة أو ريحانة . وهي أكثر بلاد الغرب بساتين ، وشجرها أكثر منها ، وبساتينها تسقى بالبئار وبئارها قريبة الرشاء على نحو قامتين من وجه الأرض ، وهي كثيرة الزرع والضرع ، وبها دار الضيافة المعروفة بدار الكرامة . وفيها يقول محمد بن محمد البربري من أبيات يمدحهم ويصفها :

خَيْرُ قَوْمٍ دُعُوا إِلَى خَيْرِ دَارٍ ، * هِيَ لِلْمَلِكِ نَضْرَةٌ وَكِامَةٌ

عَالَمُ السَّبْعَةِ الْأَقَالِيمِ فِيهَا ، * وَهُمْ فِي فَنَائِهَا كَالْقَلَامِ

وبمراكش جامعٌ جليل يُعرف بالكُتَيْبِيِّينَ ، طوله مائة وعشرة أذرع ، وعلى بابه ساعاتٌ مرتفعة في الهواء خمسين ذراعا ، كان يُرْمَى فيها عند انقضاء كل ساعة صَنْجَةٌ زِيَّتُهَا مائة درهم ، تَتَحَرَّكُ لتزولها أجراسٌ تُسَمِعُ على بُعد ، تسمى عندهم بالبحانة . قال في "تقويم البلدان" : إلا أنَّ الناسَ أَكثَرُوا فيها البساتين فكثُرَ ونَحْمُها . قال في "الروض المعطار" : وقد هَجَّأها أبو القاسم بن أبي عبد الله محمد ابن أيوب بن نُوح الغافقي من أهل بِلَنْسِيَّةَ بأبيات أبلغ في ذمِّها ، فقال :

مَرَّاكُشُ إِنْ سَأَلْتَ عَنْهَا ، * فَإِنَّهَا فِي الْبِلَادِ عَارُ !

هَوَاؤُهَا فِي الشِّتَاءِ مَلْجٌ ، * وَحَرُّهَا فِي الْمَصِيفِ نَارُ !

وكلُّ ما ثمَّ وهو خَيْرٌ * من أهلها عَقَرُ وفَارُ!

فَإِنْ أَكُنْ قَدْ مَكَثْتُ فِيهَا ، * فَإِنَّ مُكْثِي بِهَا أَضْطَرُّ!

وكانت هذه المدينة دارَ مُلْكِ المرابطين من الملثمين الذين ملكوا بعد بني زيري ،
ثم الموحدين من بعدهم . قال ابن سعيد : وبينها وبين فاس عشرة أيام . وقال
في "الروض المعطار" : نحو ثمانية أيام . قال : وبينها وبين جبال درن نحو
عشرين ميلا .

القاعدة الرابعة

(سِيْلِمَاسَةُ)

بكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون اللام وفتح الميم ثم ألف وسين مهملة
مفتوحة وهاء في الآخر، وهي مدينة في جنوب الغرب الأقصى في آخر الإقليم الثاني
من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث عشرة درجة وأثنان
وعشرون دقيقة والعرض ست وعشرون درجة وأربع وعشرون دقيقة .

وهي مدينة عظيمة إسلامية ، وبينها وبين البحر الرومي خمس عشرة مرحلة ،
وليس قبليها ولا غربيها عمران ، وبينها وبين غانة من بلاد السودان مسيرة شهرين
في رمال وجبال قليلة المياه ، لا يدخلها إلا الإبل المصبرة على العطش . أختطها
يزيد بن الأسود من موالى العرب ، وقيل : مدرار بن عبد الله . وكان من أهل
الحديث ، يقال إنه لقي عكرمة مولى ابن عباس بأفريقية وسمع منه . وكان صاحب
ماشية ، وكان يذبح موضع سيْلِمَاسَةَ بالصحرى ليرعى به ماشيته ، فكان يجتمع إليه
أهل تلك الصحراء من مكحاسة والبربر ، وكانوا يدينون بدين الصفرية من الخوارج ،

(١) كذا في الأصل وفي "العبر ج ٦ ص ١٣٠" عيسى بن يزيد الأسود .

فاجتمع عليه جماعة منهم فلما بلغوا أربعين رجلاً قَدَّمُوا عليهم يزيد بن الأسود واخلعوا طاعة الخلفاء ، وأختطوا هذه المدينة سنة أربعين ومائة من الهجرة . ولها اثنا عشر باباً ، وهي كثيرة العمار ، كثيرة البساتين ، رائقة البقاع ، ذات قصور ومنازل رفيعة وعمارات متصلة ، على نهر كثير الماء يأتي من جهة المشرق من الصحراء ، يزيد في الصيف كزيادة النيل ، ويُزْرَع على مائه كما يُزْرَع على ماء النيل ، والزَّرْع عليه كثير الإصابة ، والمطرُ عندهم قليل : فإذا كانت السنة كثيرة الأمطار ، نبت لهم ما حصدوه في العام السابق من غير بُدْر ، وربما حصدوه عند تناسله وتركوا أصوله فتنبت ثانياً . ويقال : يُزْرَع بها عما ويُحصَد ثلاثة أعوام ، وذلك أن أرضها مشقة ، وهي بلدة شديدة الحر فإذا يبس الزرع تناثر عند الحصاد ودخل في الشقوق ، فإذا كان العام الثاني وعلاه ماء النهر ونرج عنه حرثوه بلا بُدْر فينبت ما في الشقوق ، ويبقى كذلك ثلاث سنين .

وقد حكى ابن سعيد : أن هذا الزرع في السنة الأولى يكون قمحاً ، وفي باقي السنين سُلتاً . وهو حب بين القمح والشعير . وبها الرطب ، والتمر ، والعنب الكثير ، والفواكه الحامّة ، وليس فيها ذئاب ولا كلاب لأنهم يسمّونها ويأكلونها ؛ وقبلما يوجد فيها صحيح العينين ، ولا يوجد بها مجذوم ، ولها ثمانية أبواب من أي باب منها خرجت ترى النهر والتخيل وغير ذلك من الشجر ، وعليها وعلى جميع بساتينها حائط يمنع غارة العرب مساحته أربعون ميلاً ، وثمرها يفضل ثمر سائر بلاد المغرب ، حتى يُقال : إنه يضاهي الثمر العراقي ، وأهلها مياسير ، ولها متاجر إلى بلاد السودان ، يخرجون إليها بالملح والنحاس والودع ، ويرجعون منها بالذهب التبر . قال ابن سعيد : رأيت صكاً لأحدهم على آخر مبالغه أربعون ألف دينار .

ولَمَّا قَدَمُوا عَلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ الْأَسْوَدِ الْمُقَدَّمُ ذَكَرَهُ ، أَقَامَ عَلَيْهِمْ أَيَّامًا ثُمَّ قَتَلُوهُ سَنَةَ
خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً ، وَاجْتَمَعُوا بَعْدَهُ عَلَى كِبَرِهِمْ (أَبَى الْقَاسِمِ سَمَكُو) ، بَنُ وَاسُولِ
أَبْنِ مِصْلَانَ ، بَنُ أَبِي يَزُولَ ، بَنُ تَافَرَسِينَ ، بَنُ فَرَادِيسَ ، بَنُ وَنِيفَ ، بَنُ مَكَّاسَ ،
أَبْنِ وَرِصْطَفَ ، بَنُ يَحْيَى ، بَنُ تَمَصِّيتَ ، بَنُ ضَرِيرَاسَ ، بَنُ رَجِيكَ ، بَنُ مَادَغَشَ ،
أَبْنِ بَرَبَرٍ . كَانَ أَبُوهُ سَمَكُو مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ (عَلَى سَاكِنِهَا
أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ) فَأَدْرَكَ التَّابِعِينَ ، وَأَخَذَ عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى
أَبْنِ عَبَّاسَ ، وَمَاتَ بِجَنَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ لَثْنَتِي عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ وِلَايَتِهِ .

وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ الصُّفَرِيَّةِ ، وَخَطَبَ فِي عَمَلِهِ لِلنَّصُورِ وَالْمَهْدِيِّ مِنْ
خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

وَلَمَّا مَاتَ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ (إِلْيَاسُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ) [وَكَانَ يُدْعَى بِالْوَزِيرِ
ثُمَّ انْتَقَضُوا عَلَيْهِ] سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ [خَلْعُوهُ] ^(١) .

وَوَلِيَ مَكَانَهُ أَخُوهُ (الْيَسَعَ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ) وَكُنِيَّتُهُ أَبُو مَنْصُورٍ ، فَبَنَى سُورَ
سِجِّيلْمَاسَةَ ، وَشَيَّدَ بُيُنَانَهَا ، وَاخْتَطَّ بِهَا الْمَصَانِعَ وَالْقُصُورَ لِأَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ
وِلَايَتِهِ . وَعَلَى عَهْدِهِ اسْتَفْجَلَ مُلْكُهُمْ بِسِجِّيلْمَاسَةَ ، وَسَكَنَهَا آخِرَ الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ
أَنْ كَانَ يَسْكُنُ الصَّحْرَاءَ وَهَلَكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَمِائَتَيْنِ .

وَوَلِيَ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مِذْرَارُ) وَلَقَّبَ الْمَتَصِرَ وَطَالَ أَمْدُ وِلَايَتِهِ . وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ
أَسْمَ كُلِّ مِنْهُمَا مَيُوءٌ ، فَوَقَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ كَانَ آخِرُ أَمْرِهِمَا أَنْ
غَلَبَ أَحَدُهُمَا أَخَاهُ وَأَخْرَجَهُ مِنْ سِجِّيلْمَاسَةَ ، ثُمَّ خَلَعَ أَبَاهُ وَاسْتَقَلَّ بِالْأَمْرِ ، وَسَاءَتْ
سَيْرَتُهُ فِي الرِّعْيَةِ خَلْعُوهُ ، وَأَعَادُوا مِذْرَارًا أَبَاهُ .

(١) الزيادة من "العبر" ج ٦ ص ١٣٠ ليستقيم الكلام .

ثم حدث نفسه بإعادة ابنه ميمون المخلوع فخاموه وولّوا ابنه (ميمونا) الآخر، وكان يعرف بالأمير، ومات مدرار^(١) إثر ذلك سنة ثلاث وخمسين ومائتين . [ومات ميمون سنة ثلاث وستين ومائتين] .

وولي مكانه ابنه (محمد) فبقى إلى أن توفى سنة سبعين ومائتين .

فولي مكانه (اليسع) بن المنتصر . وفي أيامه وفد عبيد الله المهدي^(٢) الفاطمي وأبنته أبو القاسم على سجلماسة في خلافة المعتضد العباسي ، وكان اليسع على طاعته فبعث المعتضد إليه فقبض عليهما وأعتقلهما إلى أن غلب أبو عبد الله الشيعي داعي المهدي^(٣) بني الأغلب أصحاب أفريقية ، فقصده سجلماسة فخرج إليه اليسع في قومه مكثاسة ، فهزمه أبو عبد الله الشيعي وأفتح عليه البلد ، وقتله سنة ست وتسعين ومائتين ، وأستخرج عبيد الله وأبنته من محبسهما ، وباع (لعبيد الله المهدي) .

وولي المهدي على سجلماسة (إبراهيم بن غالب المزاني) وأنصرف إلى أفريقية ، ثم أنتقض أهل سجلماسة على واليهم إبراهيم ومن معه من مكثاسة سنة ثمان وتسعين ومائتين . وبايعوا (الفتح بن ميمون) الأمير ابن مدرار المتقدم ذكره ، ولقبه واسول ، وهلك قريبا من ولايته على رأس المائة الثالثة .

وولي مكانه أخوه (أحمد بن ميمون) الأمير ، وأستقام أمره إلى أن زحف مصالة بن حيوس في جموع كُثامة ومكثاسة إلى المغرب سنة تسع وثلاثمائة ، فافتتح سجلماسة وقبض على صاحبها أحمد بن ميمون .

وولي عليها ابن عمه (المعتر بن محمد) بن يادن بن مدرار ، فلم يلبث أن أستبد وتلقب المعتر ، وبقى حتى مات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة قبل موت المهدي^(٢) .

(١) التسم من "العبر" ج ٦ ص ٣١ ليستقيم الكلام .

(٢) في العبر ج ٦ ص ١٣١ "ساور" .

وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَهُ أَبُو الْمُتَصَرِّ (مُحَمَّدُ بْنُ الْمُعْتَرِّ) فَأَقَامَ عَشْرًا ثُمَّ هَلَكَ .
وَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَهُ (الْمُتَصَرِّ سَمَكُو) شَهْرَيْنِ ، وَدَبَّرَتْهُ جَدَّتُهُ إِصْغَرَهُ .
ثُمَّ ثَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ (مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ) بْنُ مَيْمُونِ الْأَمِيرِ وَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَشَغِلَ عَنْهُ
بَنُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بِفِتْنَةِ ابْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ وَغَيْرِهَا ، فَدَعَا لِنَفْسِهِ مُمُوًّا بِالْإِدَاءِ
لِبَنِي الْعَبَّاسِ وَتَلَقَّبَ الشَّاكِرَ لِلَّهِ ، وَأَخَذَ بِمَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَرَفَضَ الْخَارِجِيَّةَ ،
وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ سَلَفِهِ عَلَى رَأْيِ الْأَبَاضِيَّةِ وَالصُّفَرِيَّةِ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَضَرَبَ
السَّكَّةَ بِاسْمِهِ وَلِقَبِهِ ، وَبَقِيَ كَذَلِكَ حَتَّى فَرَّغَ بَنُو عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ ، فَزَحَفَ الْقَائِدُ
جَوْهَرُ أَيَّامِ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ مَعَدَّ إِلَى الْمَغْرِبِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ ، فَغَلَبَ عَلَى
سِجِلْمَاسَةَ وَمَلَكَهَا وَفَزَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَتْحِ عَنْهَا ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَيْهِ جَوْهَرُ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَمَلَهُ
إِلَى الْقَسِيرِ وَأَنْ . فَلَمَّا انْتَقَضَ الْمَغْرِبُ عَلَى الْعَبِيدِيِّينَ وَفُشَّتْ فِيهِ دَعْوَةُ الْأُمَوِيِّينَ
بِالْأَنْدَلُسِ ، ثَارَ بِسِجِلْمَاسَةَ قَائِمٌ مِنْ وَلَدِ الشَّاكِرِ ، وَتَلَقَّبَ (الْمُتَصَرِّ بِاللَّهِ) ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ
أَخُوهُ (أَبُو مُحَمَّدٍ) سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَقَتَلَهُ وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَكَانَهُ ، وَتَلَقَّبَ (الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ)
وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً ، وَأَمْرٌ مِثْلَاسَةَ يَوْمًا قَدْ تَدَاعَى إِلَى الْأَنْحِلَالِ ، وَأَمْرٌ زِنَانَةٌ قَدْ
أَسْتَفْجَلَ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَنْ زَحَفَ خَزْرُونُ بْنُ فَلْفُلٍ مِنْ مَلُوكِ مَغْرَاوَةَ إِلَى سِجِلْمَاسَةَ
سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَبَرَزَ إِلَيْهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُعْتَرِّ فَهَزَمَهُ خَزْرُونُ وَقَتْلَهُ وَأَسْتَوْلَى
عَلَى بَلَدِهِ ، وَبَعَثَ بِرَأْسِهِ إِلَى قُرْطُبَةَ مَعَ كِتَابِهِ بِالْفَتْحِ ، وَكَانَ ذَلِكَ لِأَوَّلِ حِجَابَةِ الْمَنْصُورِ
أَبْنِ أَبِي عَامِرٍ بِقُرْطُبَةَ ، فَعَقَدَ لَخَزْرُونُ عَلَى سِجِلْمَاسَةَ ، فَأَقَامَ دَعْوَةَ هِشَامٍ فِي نَوَاحِيهَا ،
فَكَانَتْ أَوَّلَ دَعْوَةٍ أُقِيمَتْ لَهُمْ فِي أَمْصَارِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، وَأَتَقَرَضَ أَمْرٌ مِثْلَاسَةَ
مِنَ الْمَغْرِبِ أَجْمَعَ .

وَأَنْتَقَلَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى مَغْرَاوَةَ وَبَنَى يَفْرَنْ وَعَقَدَ هِشَامُ (لَخَزْرُونُ) عَلَى سِجِلْمَاسَةَ
وَأَعْمَاهَا ، وَجَاءَهُ عَهْدُ الْخَلِيفَةِ بِذَلِكَ ، وَضَبَطَهَا وَقَامَ بِأَمْرِهَا إِلَى أَنْ هَلَكَ .

فولى أمر سجلماسة من بعده ابنه (وانودين بن خزرون) إلى أن غلب زيرى
 ابن مباد على المغرب ، فعقد على سجلماسة (لحميد بن فضل) المكنى ، وفز وانودين
 ابن خزون عنها ، ثم أعاده عبد الملك إلى سجلماسة بعد ذلك على قِطِعة يؤدّيها إليه ؛
 ثم استقل بها من أول سنة تسعين وثلاثمائة مقيا للدعوة الأموية بالأندلس ، ورجع
 المعز بن زيرى بولاية المغرب عن المظفر بن أبى عامر ، وأستثنى عليه ولاية سجلماسة
 لكونها بيد وانودين ، وأستفحل ملك وانودين ، وأستضاف إلى سجلماسة بعض
 أعمال المغرب ومات .

فقام بالأمر من بعده ابنه (مسعود بن وانودين) إلى أن خرج (عبدالله بن ياسين)
 شيخ المرابطين ، فقتل ابن وانودين سنة خمس وأربعين وأربعمائة ؛ ثم ملك سجلماسة
 بعد ذلك سنة ست وأربعين ، ودخلت في ملك المرابطين لأول أمرهم ، وأنقرضت
 دولة بنى خزرون منها ، وتداولها من بعدهم من ملوك الموحدين ، ثم ملوك بنى مرين
 على ما سيأتى ذكره في الكلام على ملوك الغرب الأقصى إن شاء الله تعالى .



وأما ما آشتلت عليه هذه المملكة من المدين المشهورة .

فمنها مدينة (أسفي) بفتح الهمزة ومدّها وكسر السين المهملة والفاء وياء مثناة تحت
 في آخرها . وهى مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :
 حيث الطول سبع درج ، والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" :
 وهى من عمل دكالة ، وهى كورة عظيمة من أعمال مرّاكش ، قال ابن سعيد :
 وهى على جوف من البحر داخل في البر ، في مستو من الأرض . وهى فُرْضة مرّاكش ،
 وبينها وبين مرّاكش أربعة أيام ، وأرضها كثيرة الحجر ، وليس بها ماء إلا من

(١) ضبطها ياقوت فقال : بفتحين وكسر الفاء .

المطر، وهاؤها النبع غير عذب، وبساتينها تُسقى على الدواليب، وكرومها على باب البلد. قال الشيخ عبد الواحد: وهي تُشبه حماة ودونها في القدر، ولكن ليس لها نهر يجري.

ومنها (سلا) بفتح السين واللام وفي آخرها ألف، وهي مدينة من الغرب الأقصى في آخر الإقليم الثالث قال ابن سعيد: حيثُ الطول سبعُ درج وعشر دقائق [والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة] ^(١) وهي مدينة قديمة في غربها البحر المحيط وفي جنوبها نهر عظيم يصب في البحر المحيط والبساتين والكروم. وبني «عبد المؤمن» أمامها من الشط الجنوبي على النهر والبحر المحيط قصرا عظيما، وبني خاصته حوله المنازل فصارت مدينة عظيمة سماها المهديّة. وسلا متوسطة بين بلاد المغرب الأقصى قريبة من الأندلس، وهي مدينة كثيرة الرخاء، ولها معاملة كبيرة يقال لها تَامَسْتَا، كثيرة الزرع والمرعى، وفيها مدُن كثيرة.

ومنها (لمطة) بفتح اللام وسكون الميم وفتح الطاء المهملة. وهي مدينة من الغرب الأقصى واقعة في آخر الإقليم الثاني قال بعضهم: حيثُ الطول سبعُ درج وثلاثون دقيقة، والعرض سبع وعشرون درجة، على ثلاث مراحل من البحر المحيط، ولها نهر كبير يتزل من جبل في شرقها على مرحلتين منها، يجري على جنوبها غرباً بميلة إلى الشمال حتى يصب في البحر المحيط.

ومنها (السوس) بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية. وهي مدينة من أقصى المغرب في الإقليم الثاني قال ابن سعيد: حيثُ الطول ثمان درج والعرض

(١) الزيادة عن "التقويم" نقلا عن ابن سعيد.

(٢) في ياقوت "تامت" بناء مشاة من فوق في آخرها.

سِتْ وعشرون درجة وعشرون دقيقة ، وهى على طَرْف من البر داخل في البحر أربعين ميلا ، وفي جانبها الشمالى نهر يأتى من الشرق من جبل لَمْطَة .

ومنها (قَصْر عبد الكريم) وضبطه معروف . وهى مدينة من الغرب الأقصى فى أوائل الإقليم الرابع قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمانُ دَرَج وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وهى مدينة على نهر من جهتها الشمالية ، وهو نهر كبير تَصْعَد فيه المراكبُ من البحر المحيط ، وجانباه مخفوفان بالسائين والكروم . وكان قاعدةُ تلك الناحية قبلها مدينةً أسمها (البَصْرَة) يسكنها الأُداسَة ، فلما حُمِرَت هذه المدينة صارت هى القاعدة .

ومنها (طَنْجَة) بفتح الطاء المهملة وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء فى الآخر . وهى مدينة من أقصى المغرب واقعةٌ فى الإقليم الرابع قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمان درج وإحدى وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى مدينة على بحر الزقاق ، واتساعُ البحر عندها ثلثُ مَجَرى ، فإذا شَرَق عنها أُنْسَع عن ذلك . وهى مدينة أَرْلِيَّة ، وَأَسْتَحْدَث أهلها لهم مدينةً على ميل منها على ظهر جبل لِيَمْتَنِعُوا بها ، والماء ينساق إليها فى قُتَي . قال فى "مسالك الأبصار" : وكانت دار مُلْك قديم . وهى التى كانت قاعدة تلك الجهات قبل الإسلام إلى حين فتح الأندلس ، وهى مَحْطُ السُّفُن ، وهى كثيرة الفَوَاكه ، لاسيما العنبُ والكُمثرى ، وأهلها مشهورون بقلّة العقل وَضَعْف الرأى ، على أن منها أبو الحسن الصَّنْجَحِي الطَّنْجَحِي ، تَرَجَّم له فى قلائد العقيان وأثنى عليه ، وأنشد له أبياتا منها :

وقد تَحَيَّ الدُّرُوعُ من العوَالِي ، * ولا تَحَيَّ من الحَدَقِ الدُّرُوعُ !

وكذلك أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الحَضْرَمِيّ القائل :

وَصَنُّوا بَتُودِيْع ، وجادُوا بَتَرِكِه ، * وَرُبَّ دِواء مات منه عَليْل !

ومنها (دَرَّة) بفتح الدال وسكون الراء وفتح العين المهملات وهاء في الآخر . وهى مدينة من جنوبى المغرب الأقصى واقعة فى الإقليم الثانى . نقل فى "تقويم البلدان" عن بعضهم أن طولها إحدى عشرة درجة وست دقائق ، وعرضها خمس وعشرون درجة وعشر دقائق . قال فى "نزهة المشتاق" : وهى قُرَى متصلة ، وعمارات متقاربة ، وليست بمدينة يحوط بها سور ولا حفير . ولها نهر مشهور فى غربها ينزل من ربوة حمراء عند جبل درن ، وتنبث عليه الحناء ، ويغوص ما يفضل منه بعد السقى فى صحارى تلك البلاد .

ومنها (أغمات) قال فى "اللباب" : بفتح الألف وسكون الغين المعجمة وفتح الميم وألف وتاء مشاة من فوق فى آخرها . وهى مدينة من الغرب الأقصى ، واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمسون دقيقة . وهى مدينة قديمة فى الجنوب بميلة إلى الشرق عن مرأكش ، فى مكان أفح طيب التربة ، كثير النبات والعشب ، والمياه تحترقه يمينا وشمالا . قال ابن سعيد : وهى التى كانت قاعدة ملك أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » قبل بناء مرأكش . قال الإدريسي : وحولها جنات مُحْدَقَة ، وبساتين وأشجار ملتفة ، وهوؤها صحيح ، وفيها نهر ليس بالكبير ، يشق المدينة يأتيا من جنوبيها ويخرج من شماليها ، وربما جمد فى الشتاء حتى يجتاز عليه الأطفال .

ومنها (تادِلا) قال فى "تقويم البلدان" عن الشيخ عبد الواحد : بفتح المشاة من فوق ثم ألف ودال مهملة مكسورة ولام ألف . ثم قال : وفى خط ابن سعيد تادِلة فى آخرها هاء ، وهى مدينة بالمغرب الأقصى فى جهة الجنوب فى الإقليم الثالث قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتا عشرة درجة ، والعرض ثلاثون درجة . قال

أَبْنُ سَعِيدٍ : وَهِيَ مَدِينَةُ بَيْنَ جِبَالِ صِنْهَاجَةَ ، وَيُقَالُ هِيَ قَاعِدَةُ صِنْهَاجَةَ ؛ وَغَرِيبُهَا جَبَلُ دَرْنٍ مُمْتَدٌّ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، وَهِيَ بَيْنَ مَرَّأَكُشَ وَبَيْنَ أَعْمَالِ فَاسَ ، وَلَهَا عَمَلٌ جَلِيلٌ ، وَأَهْلُهَا بَرَبَرٌ يَعْرِفُونَ بِجَرَاوَةِ .

(١) وَمِنْهَا (أَزْمُورُ) قَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ : يَفْتَحُ الْهَمْزَةُ وَالزَّيْ الْمَعْجَمَةُ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ ثُمَّ الْوَاوُورَاءَ مَهْمَلَةً فِي الْآخِرِ . وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ أَكْثَرُ سُكَّانِهَا صِنْهَاجَةُ . وَمِنْهَا (الْمَزْمَةُ) وَهِيَ فُرْصَةُ بَرِّ الْعُدُوَّةِ تَقَابِلُ فُرْصَةِ الْمَنْكَبِ مِنْ بَرِّ الْأَنْدَلُسِ مِنْ سَاحِلِ غَرْنَاطَةَ . وَالْمَزْمَةُ فِي الشَّرْقِ عَنْ سَبْتَةٍ بَيْنَهُمَا مِائَتًا مِيلَ .

وَمِنْهَا (مَدِينَةُ بَادِيَسَ) وَهِيَ فُرْصَةُ مَشْهُورَةٌ مِنْ فُرْصِ عُجْمَارَةٍ فِي الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ عَنْ سَبْتَةٍ بَيْنَهُمَا نَحْوُ مِائَةِ مِيلَ . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَهِيَ قِيَاسًا حَيْثُ الطُّولُ عَشْرُ دَرَجٍ وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرْضُ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَخَمْسٌ وَعَشْرُونَ دَقِيقَةً .

وَمِنْهَا (أَوْدَغَسْتُ) قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْوَاحِدِ : يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ وَسُكُونُ الْوَاوِ وَفَتْحُ الدَّالِ (٢) الْمَهْمَلَةَ وَالْغَيْنَ الْمَعْجَمَةَ وَسُكُونُ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةَ وَفِي آخِرِهَا تَاءٌ مِثْنَاةٌ فَوْقَ . وَهِيَ مَدِينَةٌ فِي الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى فِي الْجَنُوبِ فِي الصَّحْرَاءِ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي قَالَ فِي "الْأَطْوَالِ" : حَيْثُ الطُّولُ ثَمَانُ دَرَجٍ وَثَمَانُ دَقَائِقَ . قَالَ فِي "الْقَانُونِ" : وَالْعَرْضُ سِتٌّ وَعَشْرُونَ دَرَجَةً . قَالَ : وَهِيَ فِي بَرَارِيِّ سُودَانَ الْمَغْرِبِ . قَالَ فِي "الْعَزِيزِيِّ" : وَهِيَ جَنُوبِيَّ سَجْلَمَاسَةَ وَبَيْنَهُمَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ مَرَحَلَةً فِي رِمَالٍ وَمَقَاوِزَ عَلَى مِيَاهٍ مَعْرُوفَةٍ ؛ وَلَهَا أَسْوَاقٌ جَلِيلَةٌ ، وَالسُّفُنُ تَصِلُ إِلَيْهَا فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ ؛ وَسُكَّانُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَخْلَاطُ مِنَ الْبَرِّ الْمَسَامِينِ ، وَالرِّيَّاسَةُ فِيهَا لِصِنْهَاجَةَ . قَالَ فِي "الْعَزِيزِيِّ" : وَلَا أَوْدَغَسْتَ أَعْمَالًا وَاسِعَةً ، وَهِيَ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ ، وَأَمْطَارُهَا فِي الصَّيْفِ ؛ وَيَزْرَعُونَ

(١) ضَبَطَهَا يَاقُوتٌ فَقَالَ : ثَلَاثُ ضَمَاتٍ مَتَوَالِيَاتٍ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ .

(٢) فِي الْمَعْجَمِ وَفَتْحُ الدَّالِ الْمَعْجَمَةُ .

عليها الحنطة ، والذرة ، والدخن ، واللّوبيا ، والكِرْسَنَة ، وبها النخل الكثير وليس فيها فاكهة سوى التين ، وبها شجرُ الجَازِ كُلُّهُ : من السَّطِّ والمُقل وغيرهما .

قلت : وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عدّة مُدن غير هذه غير مشهورة يطول ذكرها .

الجملة الثالثة

(في ذكر جبالها المشهورة . وهي عدّة جبال)

منها (جبل دَرِن) بفتح الدال والراء المهملة ونون في الآخر . قال ابن سعيد : وهو جبل شاهق مشهور لا يزال عليه الثلج ، أوله عند البحر المحيط الغربيّ في أقصى المغرب ، وآخره من جهة الشرق على ثلاث مراحل من إسكندرية من الديار المصرية ، ويسمى طرفه الشرقيّ المذكور رأس أوثان ، فيكون امتداده نحو خمسين درجة ، وفي غربيّه بلاد تينملك من قبائل البربر ، وشرقيها بلاد هتاتة من البربر أيضا وشرقيها بلاد مشكورة منهم ، وشرقيها بلاد المصامدة .

ومنها (جبل كزولة) وهي قبيلة من البربر . قال ابن سعيد : وأبتدأه من البحر المحيط الغربيّ ، ويمتد مشرقا إلى حيث الطول اثنتا عشرة درجة ، وموقعه بين الإقليم الثاني والإقليم الثالث ، وبه مدينة أسمها تاعجست .

ومنها (جبل عُمارَة) . بضم الغين المعجمة وفتح الراء بعد الألف . وهي قبيلة من البربر أيضا ، وهو جبل ببرّ العدوة فيه من الأمم ما لا يُحصيه إلا الله تعالى ، وهو رُكن على البحر الروميّ ، فإن بحر الرُّقّاق إذا جاوز سبّنة إلى الشرق انعطف جنوبا إلى جبل عُمارَة المذكورة ، وهناك مدينة باديس المقدم ذكرها .

ومنها (جبل مَدْيُونَة) بفتح الميم وسكون الدال المهملَة وضم المشاة من تحت وواو ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر : وهو جبل بَرِّ العُدوة شرقيَّ مدينة فاس ، يمتد إلى الجنوب حتى يتصل بجبال دَرَن ، ومَدْيُونَة قبيلة من البربر واطُنون به .

ومنها (جبال مَدَغْرَة) وهى شرقيَّ مَدْيُونَة ، ومعظم أهلها كُومِيَّة - بضم الكاف وكسر الميم وفتح المشاة تحت وهاء في الآخر . وهى قبيلة من البربر ، منها « عبد المؤمن » أحد أصحاب المهديّ بن تُوَمَرْت .

ومنها (جبل يُسْر) بضم الياء المشاة تحت وسكون السين المهملَة . وهو جبل شرقيَّ مَدْيُونَة أيضا منه ينبع نهر يُسْر المذكور .

ومنها (جبل ونَسْرِيْش) وهو جبل يتصل بجبل يُسْر من شرقيه ، وفيه تعمل البُسْط الفائقة ، ومنه ينبع نهر سَلَف المشهور . قال ابن سعيد : وهو نهر كبير يزيد عند نقص الأنهار كينيل مصر .

الجملة الرابعة

(في ذكر أنهارها المشهورة ، وهى عدّة أنهار)

منها (نهر السُّوس الأقصى) وهو نهر يأتي من الجنوب والشرق من جبل يُعْرَف بجبل لَمْطَة ، ويجرى إلى الشمال ، ويمر على مدينة السُّوس من شماليها ، ويُزرع على جانبيه قَصَب السُّكَّر والحِنَاء وغير ذلك كما يزرع في مصر ، ويجرى حتى يصب في البحر المحيط الغربيّ .

ومنها (نهر سِيْهَامَة) ^(١) الآتى ذكرها ، وهو نهر منبته من جنوبيّ سِيْهَامَة بمسافة بعيدة ، ويمر من شرقيها ويجرى حتى يصب في نهر مَلَوِيَّة الآتى ذكره .

(١) صوابه كما في القطعة الأثرية المتقدم ذكرها فانها تقدمت في القواعد .

ومنها (نهر ملوية) قال ابن سعيد : وهو نهر كبير مشهور في المغرب الأقصى ،
يصب إليه نهر سيماسة ويصيران نهرا واحدا ، يجري حتى يصب في بحر الروم
شرقي سبتة .

ومنها (نهر فاس) وهو نهر متوسط يشق مدينة فاس كما تقدم قال في "تقويم البلدان"
ومخرجه على نصف يوم من فاس ، يجري في مروج وأزاهر حتى يدخلها .

المقصود الثاني

(في ذكر زروعها ، وحبوبها ، وفواكهها ، وبقولها ورياحينها ومواشيتها ،
ومعاملاتها ، وصفات أهلها . وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر زروعها ، وحبوبها ، وفواكهها ، وبقولها ، ورياحينها)

أما زرعها فعلى المطر كما تقدم في أفرقية .

وأما حبوبها ، ففيها من أنواع الحبوب : القمح ، والشعير ، والفول ، والحبص ،
والعدس ، والدخن ، والشلت وغير ذلك . أما الأرض فإنه عندهم قليل ، بعضه يزرع
في بعض الأماكن من بلاد العدو ، وأكثره مجلوب إليهم من بلاد الفرنج . على أنهم
لأنهم لم يأكلوه ولا عناية به . وبها السمسم على قلة ، ولا يختص منه بالمغرب
شئ يرجح لاستغنائهم عنه بالزيت حتى مزورات الضعفاء وكذلك يعملون الحلو
بالعسل والزيت ، وإنما يستعمل الشئ عندهم في الأمور الطيبة .

وأما فواكهها ، فيها أنواع الفواكه المستطابة اللذيذة المختلفة الأنواع : بين
النخل ، والعنب ، والتين ، والرمان ، والزيتون ، والسفرجل ، والتفاح على أصناف ،

(١)
وكذلك الكمثرى ، وتسمى عندهم الإنباص كما بدمشق ، وبها المشمش والتين ،
والبرقوق ، والقراصيا ، والخوخ ؛ وغالب ذلك على عدة أنواع ؛ والتوت على قلة ،
والجوز ، واللوز . ولا يوجد بها الفستق والبندق إلا مجلوبا . وبها الأترج ،
والليمون ، والليم ، والنارنج ، والزنبوع ، وهو المسمى بمصر والشام الجاد . وبها
البطيخ الأصفر والأخضر وأسمه عندهم الدلاع كما في سائر بلاد المغرب على قلة ،
والموجود منه غير مستطاب . وبها الحيار ، والقنأ ، واللقت ، والباذنجان ، والقرع ،
والجزر ، واللوبياء ، والكُرْب ، والشمار ، والصغتر وسائر البقول . والموز موجود بها
في بعض المواضع نادراً ، والقُلُقاس لا يُزرع عندهم إلا للتفرج على عُروقه لا لأن
يؤكل ، وبها قصب السكر يجزئ بنى من غنّان وبسلاً كثير ، ويعصر ثم يعمل منه
القند ومن القند السكر على أنواع لاسيما بمرّاكش ، فإنه يقال إن بها أربعين معصرة
للسكر ، وإن حمل حمار من القصب يساوى درهما من دراهمهم : وهو ثلث درهم من
الدراهم المصرية ؛ ويعمل منه المكرر الفائق ، ومع ذلك فليس لهم به اهتمام لا كنفائهم
عنه بعسل النحل مع كثرته عندهم ، وميلهم إليه أكثر من السكر ، حتى يقال إنه
لا يستعمل السكر عندهم إلا الغرباء أو المرضى .
وأما رباحيتها ، فهى الورد ، والبَنَفْسَج ، والياسمين ، والآس ، والترجس ،
والسوسن ، والبهار ، وغير ذلك .

الجملة الثانية

(فى مواشيتها ، ووحوشها ، وطيورها)

أما مواشيتها ، ففيها من الدواب الخيل ، والبغال ، والحُمير ، والإبل ، والبقر ،
والغنم ؛ أما الجوامس فلا يوجد عندهم .

وأما الطير، فبها منه الإوز، والحمام، والدجاج ونحوها، والكركي عندهم كثير على بُعد الدار، وأسمه عندهم الغرنوق، وهو صيد الملوك هناك كما بمصر والشام.

وأما وحوشها، ففيها من أنواع الوحش الحمر، والبقرة، والنعام، والغزال، والبهما وغير ذلك.

الجملة الثالثة

(فما نتعامل به من الدنانير، والدراهم، والأوزان، والمكاييل)

أما مثاقيل الذهب فأوزانها لا تختلِف، وأما الدراهم فذكر في "مسالك الأبصار" عن السلاحي : أن مُعاملتها درهمان : درهم كبير، ودرهم صغير، فالدرهم الكبير قدر ثلث درهم من الدراهم الثَّقرة بمصر والشام، والدرهم الصغير على النصف من الدرهم الكبير يكون قدر سدس درهم ثقرة بمصر والشام. وعند الإطلاق يُراد الدرهم الصغير دون الدرهم الكبير إلا بمرأ كُش وما جاورها، فإنه يُراد بالدرهم عند الإطلاق الدرهم الكبير. قال : وكلُّ مثقال ذهب عندهم يساوي ستين درهما بكارا، تكون بعشرين درهما من دراهم الثَّقرة بمصر.

وأما رطلها فعلى ما تقدّم من رطل أفریقیّة، وهى كلّ رطل ستّ عشرة أوقية، كلّ أوقية أحد وعشرون درهما من دراهمها.

وأما كيلها فأكثره الوسق (ويسمى الصَّحفة) وهو ستون صاعا بالصاع النبويّ على السواء.

الجملة الرابعة

(في ذكر أسعارها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن السلاحي أيضا عن سَعْر زمانه المتوسط في غالب الأوقات ، (وهي الدولة الناصرية محمد بن قلاوون وما قاربها) : أن سعر كل وَسْق من القمح أربعون درهما من الدراهم الصغار : وهو ثلاثة عشر درهما وثلاث درهم من نُقْرة مصر ، والشعير دُونَ ذلك . وكل رِطْل لحم بدرهم واحد من الدراهم الصغار ، وكل طائر من الدجاج بثلاثة دراهم من الصغار ، وعلى نحو ذلك .

الجملة الخامسة

(في صفات أهلها في الجملة)

قد تقدّم أن معظم هذه المملكة في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : والإقليم الثالث هو صاحب سَفْك الدماء ، والحسد ، والحقد ، والغِل ، وما يتبع ذلك . ثم قال : وأنا أقول : إن الإقليم الثالث وإن كثرت فيه الأحكام الرّيجيّة على زعمهم ، فإن للمغرب الأقصى من ذلك الخطّ الوافر ، لاسيّما في جهة السّوس وجبال درن ، فإن قتل الإنسان عندهم كذب العصفور ، قال وَكَمْ قَتِيل قَتِلَ عندهم على كلمة وهم بالقتل ينتخرون . ثم قال : إن الغالب على أهل المغرب الأقصى كثرة التناؤس المفرط ، والمحاqqة ، وقلة التغاضي ، والتهور ، والمفاتنة .

أما البخل فإنما هو في أراذلهم ، بخلاف الأغنياء ، فإن في كثير منهم السّاحة المفرطة والمفاخرة بإطعام الطعام والاعتناء بالمفضول والفاضل .

المقصود الثالث

(في ذكر ملوكها، وما يندرج تحت ذلك : من انتقال الملك من الموحدين إلى بنى مرين والتعريف بالسلطان أبي الحسن الذى أشار إليه في كلامه فى ”التعريف“ . وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(ملوكها قبل الإسلام)

قد تقدم أن بلاد المغرب كلها كانت مع البربر، ثم غلبهم الروم الكيتم عليها ثم أفتحوا قرطاجنة وملكوها، ووقع بين البربر والروم فتن كثيرة كان آخرها أن وقع الصلح بينهم على أن تكون البلاد والمدن الساحلية للروم، والجبال والصحارى للبربر، ثم زاحم الفرنج الروم فى البلاد، وجاء الإسلام والمستولى عليها من ملوك الفرنجة جرجيس ملكهم، وكان ملكه متصلاً من طرابلس إلى البحر المحيط، وكرسى ملكه بمدينة سيطة، ومن يده أترعها المسلمون عند الفتح .

الطبقة الثانية

(نواب الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس)

كان كرسى المملكة بعد الفتح بأفريقية، وكان نواب الخلفاء يقيمون بها وينزلون القيروان، وكانوا يؤثرون على ما فتح من بلاد المغرب من تحت أيديهم . فبقى الأمر على ذلك أيام عبد الله بن أبي سرح، الذى أفتحها فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم أيام معاوية بن صالح، ثم أيام عقبة بن نافع، ثم أيام أبى المهاجر، ثم أيام عقبة بن نافع ثانياً، ثم أيام زهير بن قيس، ثم أيام حسان بن النعمان، ثم أيام

موسى بن نصير، ثم أيام محمد بن يزيد، ثم أيام إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر،
ثم أيام يزيد بن أبي مسلم، ثم أيام بشر بن صفوان الكلبي، ثم أيام عبيد بن
عبد الرحمن السلمي، ثم أيام عبد الله بن الحبحاب، ثم أيام كلثوم بن عياض،
ثم أيام حنظلة بن صفوان، ثم أيام عبد الرحمن بن حبيب، ثم أيام حبيب بن
عبد الرحمن، ثم أيام عبد الملك بن أبي الجعد، ثم أيام عبد الأعلى بن السمح المعافري،
ثم أيام محمد بن الأشعث، ثم أيام الأغلب بن سالم، ثم أيام عمرو بن حفص،
ثم أيام يزيد بن حاتم بن قبيصة، ثم أيام روح بن حاتم، ثم أيام الفضل بن روح،
ثم أيام هرثمة بن أعين، ثم أيام محمد بن مقاتل، ثم أيام إبراهيم بن الأغلب،
ممن تقدم ذكره في ملوك أفريقية في خلافة هارون الرشيد. وفي أيامه ظهرت دعوة
الأدارسة الآتي ذكرهم بعد هذه الطبقة. وسيأتي بسط القول فيهم بعض البسط
في الكلام على مكاتبة صاحب تونس.

الطبقة الثالثة

الأدارسة

(بنو إدريس الأكبر، بن حسن المثلث، بن حسن المثنى، بن الحسن

السيط، بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم)

وكان مبدأ أمرهم أنه لما خرج حسين بن علي بن حسن المثلث بمكة سنة سبعين
ومائة أيام الهادي واجتمع عليه قرابته وفيهم عمه إدريس وقتل الحسين، فرادريس
ولحق بالمغرب، وصار إلى مدينة وكيلى من المغرب الأقصى، فاجتمع إليه قبائل
البربر وبايعوه وفتح أكثر البلاد، وبقي حتى مات سنة خمس وسبعين ومائة،
وأقاموا الدعوة بعده لابنه إدريس الأصغر.

وكان أبوه قد مات وترك أمه حاملا به فكفلوه حتى شب ، فبايعوه سنة ثمانٍ
وثمانين ومائة ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وأفتح جميع بلاد المغرب وكثر عسكره ،
وضاقت عليهم وليلي فاخطط لهم مدينة فاس سنة ثنتين وتسعين ومائة على ما تقدم
وأنقل إليها ، واستقام له الأمر وأستولى على أكثر بلاد البربر ، وأقطع دعوة
العباسيين ، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه (محمد بن إدريس) ومات سنة إحدى وعشرين ومائتين
بعد أن استخلف في مرضه ولده (عليشا بن محمد) وهو ابن تسع سنين ، ومات سنة
أربع وثلاثين ومائتين لثلاث عشرة سنة من ولايته .

وكان قد عهد لأخيه (يحيى بن محمد) فقام بالأمر بعده ومات .

فولى مكانه ابنه (يحيى بن يحيى) ثم مات فاستدعوا ابن عمه (علي بن عمر) بن
إدريس الأصغر فبايعوه بفاس ، وأستولى على جميع أعمال المغرب ، وقتل سنة ثنتين
وتسعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده (يحيى بن إدريس) بن عمر ، بن إدريس الأصغر ، وملك جميع
المغرب وخطب له على منابر ، وبقي حتى وافته جيوش عبيد الله المهدي الفاطمي ،
فغلبوه على ملكه وخلع نفسه من الأمر وأنفذ بيعته إلى المهدي سنة خمس وثلاثمائة
وأستقر عاملا للمهدي على فاس وعملها خاصة ، وبقيت المغرب بيد موسى بن أبي
العافية كما سيأتي .

الطبقة الرابعة

(ملوك بني أبي العافية من مكناسة)

كانت مكناسة من قبائل البربر لأول الفتح بنواحي (آرا^(١)) من أوساط المغرب الأقصى والأوسط وكانوا يرجعون في رياستهم إلى بني أبي باسل بن أبي الضحّاك وكانت الرياسة في المائة الثالثة لمصالة - بن حيوس ، بن منازل ، بن أبي الضحّاك ، ابن يزول ، بن تافرسين ، بن فراديس ، بن ونيف ، بن مكناس ، بن ورصطف ، بن يحيى ، بن تمصيت ، بن صريش ، بن رجيك ، بن مادغش ، بن بربر ، وموسى بن أبي العافية ، بن أبي باسل ، بن أبي الضحّاك المتقدم ذكره .

ولما استولى عبيد الله المهديّ على المغرب صار مصالة بن حيوس من أكبر قوّاده وولّاه مدينة تاهرت والمغرب الأوسط .

ولما زحف مصالة إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثمائة واستولى على ناس ثم على سجلماسة واستنزل يحيى بن إدريس بناس إلى طاعة عبيد الله المهديّ وأبقاه أميراً على فاس على ما تقدّم ، عقد لابن عمّه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره مضافة إلى عمله من قبل : تسول وتازا وماعهما وقفل مصالة إلى القيروان .

فقام موسى بن أبي العافية بأمر المغرب ، وعاود مصالة غزو المغرب سنة تسع وثلاثمائة : أغراه موسى بن أبي العافية يحيى بن إدريس ، فقبض عليه وأخذ ماله وطرده ، فلحق بني عمه بالبصرة والرف ، ووثى مصالة مكانه على فاس ريجاناً الكامي وقفل إلى القيروان فمات ، وعظم ملك موسى بن أبي العافية بالمغرب .

(١) لعله بنواحي تازا وغيرها من أوساط الخ وفي "البرج ٦ ص ١٣٤" بنواحي تازا وتسول والكل يرجعون الخ .

ثم ثار بناس سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة (الحسن بن محمد) بن القاسم ، بن إدريس الملقب بالحجّام ، ودخل فاس على حين غفلة من أهلها وقتل ريجاناً والياً ، واجتمع الناس على بيعته ، ثم خرج لقتال ابن أبي العافية وآتقوا ، فهلك جماعة من مكّاسة ثم كانت الغلبة لهم . ورجع الحسن مهزوماً إلى فاس فغدر به عامله على عدوة القرويين : حامد بن حمدان الهمداني ، فقبض عليه واعتقله وأمكن ابن أبي العافية من البلد ، وزحف إلى عدوة الأندلسيين فملكها وقتل عاملها ، وولى مكانه أخاه محمداً ، وأستولى ابن أبي العافية على فاس وجميع المغرب وأجلى الأدارسة عنه .

ثم استخلف على المغرب الأقضى ابنه (مدين) وأنزله بعدوة القرويين ، وأستعمل على عدوة الأندلسيين طوال بن أبي زيد ، وعزل عنه محمد بن ثعلبة . ونهض إلى تلمسان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فملكها ، وغلب عليها صاحبها الحسن بن أبي العيش ابن عيسى ، بن إدريس ، بن محمد ، بن سليمان : من قَبِ سليمان بن عبد الله : أخى إدريس الأكبر الداخل إلى المغرب بعده ، ورجع بعد فتحها إلى فاس وخرج عن طاعة العبيدين ، وخطب للناصر الأموي خليفة الأندلس على منابر عمّله ، فبعث عبيد الله المهدي قائده حميداً المكاسي ابن أخى مصالّة إلى فاس ، ففرّ عنها مدين ابن موسى بن أبي العافية إلى أبيه فدخلها حميد ، ثم أستعمل عليها حامد بن حمدان ورجع إلى أفريقية ، وقد دوّخ المغرب .

ثم أنتقض أهل المغرب على العبيدين بعد مهلك عبيد الله ، وثار (أحمد بن بكر) بن عبد الرحمن بن سهل الجنداحي على حامد بن حمدان عامل فاس ، فقتله وبعث برأسه إلى موسى بن أبي العافية ، فبعث به إلى الناصر الأموي بالأندلس وأستولى على المغرب ، وزحف (ميسور الحصى) قائد أبي القاسم بن عبيد الله المهدي سنة ثلاث

(١) كذا في القطعة الأثرية أيضاً وفي العبرج ٦ ص ١٣٥ طول بن أبي زيد وهو تصحيف .

وعشرين وثلثمائة إلى فاس وحاصرها فأحجم ابن أبي العافية عن لقاءه ، وأستزل ميسور أحمد بن بكر عاملها وقبض عليه وبعث به إلى المهدية .

ثم خرج أهل فاس عن طاعته ، وقدموا على أنفسهم (حسن بن قاسم اللواتي) ، ثم حاصروهم ميسور فدخلوا تحت طاعته ، وأشرطوا على أنفسهم الإتاوة ، فقيل ميسور ذلك منهم ، وأقر حسن بن قاسم على ولايته بفاس ، وأرتحل إلى حرب ابن أبي العافية ، فكانت بينهم حروب آخرها أن ظهر ميسور على ابن أبي العافية ، وأجلاه عن أعمال المغرب إلى بلاد الصحراء ، ثم قفل ميسور إلى القيروان سنة أربع وعشرين وثلثمائة . ورجع موسى بن أبي العافية من الصحراء إلى أعماله بالمغرب ، وزحف إلى تلمسان ، فقرعها أبو العيش ولحق بتكور ، وأستفحل أمر ابن أبي العافية بالمغرب الأقصى وأتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط ، وبثوا دعوة الأموية في أعمالها ، وبعث ابنه مدين إلى منازلة فاس فحاصرها ، وهلك موسى في خلال ذلك سنة سبع وعشرين وثلثمائة .

وقام ابنه (مدين) بأمره ، وعقد له الناصر الأموي على أعمال أبيه بالمغرب ، ثم قسم أعماله بينه وبين أخويه البوري وأبي منقذ ، وأجاز البوري إلى الناصر بالأندلس سنة خمس وثلاثين وثلثمائة فعقد له ثم هلك سنة خمس وأربعين وثلثمائة وهو محاصر لأخيه مدين بفاس ، فعقد الناصر لأخيه (منصور) على عمله .

ثم توفي مدين ، فعقد الناصر لأخيه أبي منقذ على عمله ، ثم غلب مغراوة على فاس وأعمالها ، وأستفحل أمرهم بالمغرب ، وأزاحوا مكثاسة عن ضواحيه وأعماله ، وأجاز إسماعيل بن البوري ومحمد بن عبدالله بن مدين إلى الأندلس ، فترلا بها إلى أن أجازوا مع واضح أيام المنصور بن أبي عامر عند ما خرج زيري بن عطية عن طاعتهم سنة ست وثمانين وثلثمائة .

الطبقة الخامسة

(بَنُو زِيْرِى بن عطية من مَغْرَاوة من البربر)

وهو زِيْرِى بن عطية ، بن عبدالله ، بن خَزْر ، بن محمد ، بن خَزْر ، بن حَفْص ،
 ابن صولات ، بن رومان ، من بطون زَنَاتَة من البربر . وكان أولية أمره أن زِيْرِى
 هذا كان أميرَ بَنِي خَزْر في وقته ، وأتمت إليه رِياسَتُهُمْ وإمارَتُهُمْ في البَدَاوة .
 ولما غلب بُلْكِين بن زِيْرِى الصَّنَاجِيُّ صاحبُ أَفْرِيقِيَّة وقومُه صِنهاجَةً على المغرب
 الأوسط سنة تسع وستين وثلاثمائة وأجلوا عنه مَغْرَاوة الذين كانوا به من تَقَادُم السنين
 وصار المغرب الأوسطُ جميعه لِصِنهاجَةٍ ، لحق مَغْرَاوةُ فيمن بَقِيَ من بَنِي خَزْر ، بالمغرب
 الأقصى ، وأمرأَهُمْ يومئذ محمد بن الخير ، ومقاتل زِيْرِى ابْنَا عطية بن عبد الله ،
 وخَزْرُون بن فَلَنُول ، ووصلوا إلى سَبْتَة وأميرُهُم المنصور بن أبي عامر حاجب .
 (١)

وبعث العزيز بن زَار العبيديُّ من مصر الحسن بن كَنُون من الأدارسة لاسترجاع
 مُلكه بالمغرب ، فبعث المنصورُ لِحَرْبه أبا الحَكَمَ عمرو بن عبد الله بن أبي عامر
 الملقَّب بعسكلاجة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وأنحاش إليه زِيْرِى بن عطية ومن
 معه من بَنِي خَزْر في جموع مَغْرَاوة ، وزحفوا إلى الحسن بن كَنُون حتى أُلْحِشُوهُ إلى
 الطاعة ، ثم أنصرف أبو الحَكَمَ بنُ أبي عامر إلى الأندلس ، فعقد المنصور بنُ
 أبي عامر على المغرب الأقصى للوزير (حسين بن أحمد) بن عبد الوُدود السُّلَمي ،
 وأنفذه إليه سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، وأوصاه بملوك مَغْرَاوة خصوصاً زِيْرِى ،
 فسار الحسن بن أحمد حتى نزل بفاس وضبط أعمال المغرب . ومات مقاتل بنُ
 عطية سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، وأستقل أخوه زِيْرِى بن عطية برياسة مَغْرَاوة ،
 وبقي الحسن بنُ أحمد إلى أن قُتِل في بعض الحروب سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ،

(١) لعله حاجب هشام بن عبد الملك خليفة الأندلس كاسياتي وهو كذلك في القطعة الأزهرية على تصليح .

وبلغ الخبر المنصور بن أبي عامر فعقد على المغرب (لزيري بن عطية) المذكور، وكتب إليه بعهدته وأمره بضبط المغرب، فاستفحل ملكه وغلب على تلمسان. فملكها من يد أبي البهار الصنهاجي، وبعث بالفتح إلى المنصور بن أبي عامر بخدد له العهد، وأختط مدينة (وعدة) سنة أربع وثمانين، وأنزل بها عساكره.

ثم فسد ما بين المنصور بن أبي عامر وبين زييري بن عطية، فعقد المنصور لمولاه واضح على المغرب، وعلى حرب زييري بن عطية، وجهزه إليه في عساكره؛ ثم أتبعه المنصور أبنته المظفر عبد الملك فأجتمعا على زييري بن عطية، ودارت بينهم الحرب فكانت الهزيمة على زييري وجرح في المعركة وفتر إلى فاس فامتنع عليه أهلها، فالحق بالصحراء جريحا، وكتب عبد الملك بن المنصور بالفتح إلى أبيه فاستبشر به وكتب إلى أبنته (عبد الملك) بعهدته على المغرب.

وكان زييري بن عطية لما فتر إلى الصحراء صرف وجهه إلى حرب صنهاجة بالمغرب الأوسط فقصده وفتح تاهرت وتلمسان وأعمالها، وأقام الدعوة فيها لهشام ابن عبد الملك خليفة الأندلس وحاجبه المنصور من بعده، وبقي على ذلك حتى مات سنة إحدى وتسعين وثلثمائة.

وبويع من بعده أبنته (المعز بن زييري) بجري على سنن أبيه من الدعاء لهشام بن عبد الملك والمنصور من بعده؛ ومات المنصور في خلال ذلك.

وقام بأمره من بعده أبنته المظفر (عبد الملك) وبعث المعز بن زييري يرغب إلى المظفر في عمل فاس والمغرب الأقصى فأجابته إلى ذلك، وكتب له عهدته بذلك، خلا سجنه أسة فإنها كانت بيد خزون^(١)، وبقي المعز في ولايته إلى أن هلك سنة سبع عشرة وأربعائة.

(١) الذي في العبرج ٧ ص ٣٤ أنها كانت بيد واندن بن خزون.

وولى من بعده ابن عمه (حماسة) بن المعز بن طيبة وأستفحل مملكته ؛ ثم نازعه الأمير أبو الكمال (تميم بن زيرى) بن يعلى اليفرنى سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وأستقل بملك المغرب وبقي حتى مات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة .

وولى من بعده ابنه (دوناس) المعروف بأبى العطاف ، وأستولى على فاس وسائر عمل أبيه ، فاستقامت دولته ؛ وأحتفل بعامة فاس وأدار السور على أرباضها ؛ وبني بها المصانع ، والحمامات ، والفنادق ؛ وبقي حتى مات سنة إحدى وخمسين وأربعمائة .

وولى من بعده ابنه (الفتوح بن دوناس) ونازعه أخوه الأصغر عجيسة وأستولى على عدوة القرويين من فاس ؛ وبقي الفتوح بعدة الأندلسيين ، وأفترق أمرهما ووقعت الحرب بينهما ؛ وأبنتى الفتوح بعدة الأندلسيين (باب الفتوح) المعروف به إلى الآن ، وأبنتى عجيسة بعدة القرويين (باب الجيسة) المعروف به إلى الآن ، وحذفت العين منه لكثرة دورانه على الألسنة ؛ وبقي الأمر على ذلك حتى ظفر الفتوح بأخيه عجيسة ، وقتله سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ؛ ودهم المغرب على إثر ذلك مادهم من أمر المرابطين من لمتونته ؛ وخشي الفتوح عاقبة أمرهم ، فرحل عن فاس وتركها .

وزحف صاحب التلعة (بلكين) بن محمد بن حماد إلى المغرب سنة أربع وخمسين ، فدخل فاس وآسره بعض أشrafهم على الطائفة ورجع إلى عمله ؛ وولى على المغرب بعد الفتوح (معتصر) بن حماد ، بن معتصر ، بن المعز ، بن زيرى .

وزحف (يوسف بن تاشفين) إلى فاس فملكها صلحا سنة خمس وخمسين وأربعمائة وملك عليها نامله ، وآرتحل إلى غمارة فخالفه معتصر إلى فاس وملكها

وقتل العامل ومن معه من لَمْتُونَةَ ، وبلغ الجبرُ يوسفَ بن تاشفين فأرسل العساكر إلى فاس وحاصرها ، وخرج منصرف للقاء عساكره ، فكانت الدائرةُ عليه وقيل في المعركة سنة ستين وأربعمائة .

وباع أهل فاس من بعده ابنه (تميم بن معتصر) فكانت أيامه أيامَ حصار وفتنةٍ وشدةٍ وغلاء .

ولما فرغ يوسف بن تاشفين من أمر عُمارَة سنة ثنتين وستين وأربعمائة قصد فاس لحاصرها أياماً ثم أفتحتها عنوةً وقتل بها نحو ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زنانة وهلك تميم بن مُعْتَصِر في جملتهم . وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الأسوار التي كانت فاصلةً بين العُدوتين وصيرهما مصراً واحداً وأدار عليهما سوراً واحداً ، وفرَّ مَنْ خَلَصَ من القتل من مغراوة من فاس إلى تلمسان^(١) ، وأنقرض ملكهم من الغرب الأقصى ، وتصاريف الأمور بيد الله تعالى .

الطبقة السادسة

(المرابطون من الملتئمين من البربر)

كان الملتئمون من البربر من صنهاجة قبل الفتح الإسلامي متوطنين في القفار وراء رمال الصحراء : ما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، في حملة قبائل صنهاجة على دين المجوسية ، قد اتخذوا الأثام شِماراً يميّز بينهم وبين غيرهم من الأمم ، والرياسة فيهم يومئذٍ لَمْتُونَة ، ولم يزلوا على ذلك إلى أن كان فتح الأندلس واستمر ملكهم أيام عبد الرحمن أول خلفاء بني أمية بالأندلس .

(١) في الاصل من تلمسان إلى فاس وهو خطأ من الناسخ والتصحيح من "العبرج ٧ ص ٣٦"

قال ابن أبي زرع : أول من ملك الصحراء من لمتونة (يتلوان) وكان يركب في ألف نجيب وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين .

وملك بعده (يُلْتان) فقام بأمرهم وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين .

وقام بأمرهم بعده ابنه (تميم) إلى سنة ست وثلاثمائة وقتله صنهاجة .

ثم أفرق أمرهم بعد تميم مائة وعشرين سنة إلى أن قام فيهم (أبو عبد الله بن نيفأوت) المعروف بتادشت اللمتوني ، وحج ومات لثلاثة أعوام من رياسته عليهم .

وقام بأمرهم صهره (يحيى بن إبراهيم) فحج في سني أربعين وأربعمائة ، وعاد وصحبته

عبدالله بن ياسين الجزولي ليعلمهم الدين ، فلما مات يحيى بن إبراهيم أطرحوا عبدالله

ابن ياسين واستعصوا عليه وتركوا الأخذ بقوله فاعتزلهم ، ثم اجتمع عليه رجال من

لمتونة فخرج فيهم وقاتل من استعصى عليه منهم حتى أنابوا إلى الحق وسمّاهم

” المرابطين “ وجعل أمرهم في الحرب إلى الأمير يحيى بن عمر ، بن واركوت ، بن

ورتنطق ، بن المنصور ، بن مرصالة ، بن منصور ، بن فرصالة ، بن أميت ، بن

راتمال ، بن تلميت ، وهو لمتونة ، فافتحوا درعة وحملة ، واستعملوا عليها منهم ،

وعادوا إلى الصحراء ، وهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

وولى مكانه أخوه (أبو بكر بن عمر) ثم افتحوا بلاد الشوس سنة ثمان وأربعين

ثم مدينة أغمات سنة تسع وأربعين ، ثم بلاد المصامدة وجبال درن سنة خمسين ،

ثم استشهد عبدالله بن ياسين في بعض الغزوات سنة خمسين ، واستمر أبو بكر بن عمر

في إمارة قومه ، وافتتح مدينة آوأة سنة ثنتين وخمسين ، ثم ارتحل إلى الصحراء

لجهاد السودان واستعمل على المغرب ابن عمه (يوسف بن تاشفين) بن إبراهيم

ابن واركوت ، فسار يوسف في عسكره من المرابطين ودوخ أقطار المغرب ، وأخط

مدينة مراکش سنة أربع وخمسين .

ثم أترع جبال زَنَاتَةَ بالمغرب من أيديهم ؛ ثم أفتح ناس صلحا سنة خمس وخمسين
ثم استعبدت بعد فتحها ؛ ثم فتحها عنوة سنة اثنتين وستين وأربعمائة ، وأمر بهدم
الأسوار التي كانت فاصلة بين عدوتي القرويين والأندلسيين وصيرهما مصرا واحدا ؛
ثم أفتح بعد ذلك مدينة تِلِمَسَان وأستولى على الغرب الأقصى والغرب الأوسط ؛
ثم صار إلى الأندلس وأستولى على أكثر ممالكها كما سيأتي في ذكر مكتبة صاحب
الأندلس ؛ ثم توفي يوسف بن تاشفين على رأس المائة الخامسة .

وقام بالأمر بعده ابنه (علي بن يوسف) ناستولى على ما كان بيد أبيه من
العدوتين ، وسار فيهم بأحسن السيرة . ولأربع عشرة سنة من ولايته كان ظهور
المهدي بن تومرت صاحب دولة الموحدين . ومات علي بن يوسف سنة سبع
وثلاثين ، وقد ضعفت كلمة المرابطين بالأندلس لظهور الموحدين .

وقام بالأمر بعده ولده (تاشفين بن علي) وأخذ بطاعته وبعثه أهل البدوتين ؛
وقد استنحل أمر الموحدين وعظم شأنهم ، ونزل تِلِمَسَان فقصده الموحدون ،
ففرّ إلى وهران وأتبعه الموحدون ، ففقد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وأستولى
الموحدون على الغرب الأوسط .

ثم بويع بمراكش (إبراهيم بن تاشفين) ، بن علي ، بن يوسف بن تاشفين ،
فألنوه عاجزا فخلعوه .

وولى مكانه عمه (إسحاق بن علي) بن يوسف بن تاشفين ، وقد ملك الموحدون
جميع بلاد المغرب وقصدوه في مراكش ، فخرج إليهم في خاصته فقتلوه ، وأجاز
عبد المؤمن والموحدون إلى الأندلس ، فملكوه سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وفرّ
أمرء المرابطين في كل وجه .

الطبقة السابعة

(ملوك الموحدين)

كان أول أمرهم أن المهدي محمد بن تومرت، كان إماما متضلعا بالعلوم، قد حجَّ ودخل العراق واجتمع بأئمنه من العلماء والنظار، كالغزالي [واليك المراسي] وغيرهما، وأخذ بمذهب الأشعرية أهل السنة، ورجع إلى الغرب وأهله يومئذ على مذهب أهل الظاهر في منع التأويل، فاجتمع إليه قبائل المصامدة من البربر وجعل يثبت فيهم عقائد الأشعرية، وينهى عن الجؤود على الظاهر، وسعى أتباعه الموحدين، تعريضا بتكفير القائلين بالتجسيم الذي يؤدي إليه الوقوف على الظاهر.

وكان الكهان يتحدّثون بظهور دولة بالمغرب لأمة من البربر، وصرفوا القول في ذلك إليه، ودعا المصامدة إلى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين سنة خمس عشرة وخمسمائة فبايعوه على ذلك.

ولما كملت بيعته لقبوه المهدي، وكان قبل ذلك يلقب الإمام، وأخذوا في قتال المرابطين من أمتونه حتى استقاموا على الطاعة. وتوفي المهدي سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة.

وقام بالأمر بعده (عبد المؤمن) بن علي بعهدده إليه. فكان من أمره ما تقدم من استيلائه على العدوتين وانقراض ملك المرابطين بهما، وكان ذلك من سنة أربع وثلاثين وخمسمائة إلى سنة إحدى وأربعين. ثم صرف همه إلى بجاية وأفريقية فافتتحهما، واستخلص المهدية والبلاد الساحلية التي كانت النصارى قد استولوا عليها من أيديهم واستولوا على سائر بلاد أفريقية، وعاد إلى الغرب في سنة ست وخمسين وخمسمائة. وتوفي بسلا من الغرب الأقصى في جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين.

(١) بياض الأصل، والتصحيح عن تاريخ ابن الأثير وهو كذلك في القطعة الازهرية.

وبُوع بعده أبْنُه أبو يعقوب (يوسفُ بن عبد المؤمن) فاستولى على ما كان بيد أبيه من المُدَوِّين وأُفْرِيقِيَّةَ ، واشتغل بإصلاح الممالك وِجْهَادِ الدُّوِّ ، وأجاز إلى الأندلس لِجِهَادِ النصارى ، وقُتِلَ في بعض غزواته فيه بسهم أصابه . وقيل مَرَضَ فمات سنة ثمانين وخمسة .

وبُوع أبْنُه (يعقوبُ بن يوسف) بإشبيلية عَقِبَ وفاته وتلقب بالمنصور ، فاستولى على ما كان بيد أبيه من الممالك إلى الأندلس ، وكان له مع العدو وقائع ، ومَرَضَ بالأندلس فمات سنة خمس وتسعين وخمسة .

وبُوع أبْنُه (محمد) وليَّ عهده وتلقب الناصر لدين الله ، ورجع إلى بلاد المغرب . وفي أيامه ثار (أبن غانية) على أُفْرِيقِيَّةَ وتغلب عليها ، وولى أبا محمد أبن الشيخ أبي حفص عليها ، فاستقرت بها قدمُ بنيهِ إلى الآن ، وأجاز إلى الأندلس ونزل إشبيلية ، والتقى مع العدو في صفر سنة تسع وستمائة ، وأبْتلَى المسلمون في ذلك اليوم ورجع إلى مَرَاكُش فمات في شعبان من السنة المذكورة .

وبُوع أبْنُه (يوسفُ بن محمد) سنة إحدى عشرة وستمائة ، وهو أبن ستِّ عشرة سنة ، وتلقب المستنصر بالله ، وتأخر أبو محمد ابن الشيخ أبي حفص عن بيعته لِصِغَرِ سنه ، وغلب عليه مَشِيخَةُ الموحِّدين فقاموا بأمره . وبقيَ المستنصرُ حتَّى مات يوم الأَضْحَى سنة ست وعشرين وستمائة .^(١)

وبُوع بعده أبو محمد (عبد الواحد بن يوسف) بن عبد المؤمن ، وهو أخو المنصور ويُعرف (بالخَلُوع) . وكان واليَ الحُرْسِيَّةِ من الأندلس أبو محمد عبد الله بن يعقوب أبن المنصور ، بن يوسف ، بن عبد المؤمن . فنار بالأندلس ودعا لنفسه وتلقب

(١) في العبرج ٦ ص ٢٥١ يوم الاضحى من سنة عشرين وستمائة وهو الصواب .

(العدل). وأتصل الخبر بمراكش فاضطرب الموحدون على (الخلوغ) وبعثوا ببيعتهم إلى العدل بالأندلس ، وبادر العدل إلى مراكش فدخلها وبقي حتى قُتل بها أيام الفطر سنة أربع وعشرين وستمائة .

وكان أخوه (إدريس بن المنصور) بإشبيلية من الأندلس فدعا لنفسه وبويع وبعث الموحدون ببيعتهم إليه ، ثم قصد مراكش فهلك في طريقه بوادي أم ربيع مُفتتح سنة ثلاثين وستمائة ، وتغلب ابن هود على سبته .

وبويع بعده ابنه (المأمون عبد الواحد بن إدريس) فلقب الرشيد ، ودخل إلى مراكش فبايعوه ، وبقي حتى توفى سنة أربعين وستمائة .

وبويع بعده أخوه (أبو الحسن على السعيد) ولقب المعتضد بالله ، وقام بالأمر ثم سار إلى تلمسان فكان بها مهلكاً على يد بني عبد الواد في صفر سنة ست وأربعين وستمائة ، وكان فيها استيلاء النصارى على إشبيلية .

ثم اجتمع الموحدون على بيعة (أبي حفص) عمر بن أبي إسحاق بن يوسف ، ابن عبد المؤمن ، فبايعوه ولقب (المرتضى) وكان بسلا فقدم إلى مراكش . وفي أيامه استولى أبو يحيى بن عبد الحق الميرني جده السلطان أبي الحسن على مدينة فاس سنة سبع وأربعين وستمائة ، وأستبد العزفي بسبته .

ثم انتقض على المرتضى قائد حروبه (أبو العلاء) الملقب بأبي دبوس ، بن أبي عبد الله محمد ، بن أبي حفص ، بن عبد المؤمن ، ففر منه واجتمع عليه جموع من الموحدين وقصد مراكش وبها المرتضى فغلبه عليها ، وألتقيا وقر المرتضى إلى أزمور

(١) لقبه في العبر بالمأمون .

(٢) صوابه ابنه عبد الواحد فإن المأمون لقب أبيه إدريس كما في العبر وغيره .

(١)
فقبض عليه واليها وأعتقله إلى أن ورد أمر [أبي دبوس] بقتله فقتله ، وأستقل
أبو دبوس بالأمر وتلقب (الوائق بالله) والمعتمد على الله .

ثم جمع يعقوب بن عبد الحق وقصده مرأش نخرج إليه أبو دبوس ، فكانت
الهيئة على أبي دبوس ، ففر هاربا فأدرك وقتل ، ودخل يعقوب بن عبد الحق
مرأش وملكها سنة ثمان وستين وستمائة ، وفر مشيخة الموحدين إلى معاقليهم بعد
أن كانوا بايعوا عبد الواحد بن أبي دبوس ولقبوه المعتصم ، فأقام خمسة أيام ، وخرج
في جملتهم ، وأنقرض أمر بني عبد المؤمن ، ولم يبق للموحدين ملك إلا بأفريقية لبني
أبي حفص على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثامنة

(٢)

(ملوك بني عبد الحق من بني مرين ، القائمون بها إلى الآن)

وهو عبد الحق بن يحيى ، بن أبي بكر ، بن حمامة ، بن محمد ، بن ورزيز ، بن
فكوس ، بن كوماط ، بن مرين ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن جديح ، بن فاتن ،
أبن بدر ، بن نجفت ، بن عبد الله ، بن ورتليص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رجيك ،
أبن واشين ، بن بصلتن ، بن مشد ، بن إيكما ، بن ورسيك ، بن أديدت ، بن جانا ،
وهوزناته .

كانت منازل بني مرين ما بين فيكيك إلى صا وملويه ، وكانت الرئاسة فيهم (لحمد)
أبن ورزيز بن فكوس .

(١) في الاصل المرتضى وهو خطأ .

(٢) هو بوزن أميركا ضبطه السيد مرتضى في كتابه " تاج العروس " في مادة م ر ن .

ولما هلك محمد قام بأمره من بعده أبوه (حماسة) ثم من بعده أخوه (عسكر)
ولما هلك قام برياسته فيهم أبوه (الخضب) فلم يزل أميراً عليهم إلى أن قُتل في حرب
الموحدين في سنة أربعين وخمسمائة .

وقام بأمرهم من بعده (أبو بكر ابن عمه حماسة بن محمد) وبقي حتى هلك .
فقام من بعده أبوه (محيو) ولم يزل حتى أصابته جراحة في بعض الحروب ،
وهو في عداد المنصور بن عبد المؤمن ، هلك منها بعد مرجعه إلى الزاب سنة إحدى
وتسعين وخمسمائة .

وقام برياسته أبوه (عبد الحق بن محيو) وكان أكبر أولاده ، وهو الذي تنسب
إليه ملوك فاس الآن . فأحسن السير في إمارته إلى أن كانت أيام المستنصر يوسف
ابن الناصر : خامس خلفاء بني عبد المؤمن فنارت الفتنة بينه وبين بني مرين ،
وكانت بينهم حروب هلك في بعضها عبد الحق بن محيو .

ونصب بنو مرين بعده أباه سعيد (عثمان بن عبد الحق) وشهرته بينهم
ادرغال ، ومعناه بلغتهم الأعور ، وقوى سلطانه وغلب على ضواحي المغرب ، وضرب
الإتاوة عليهم وتابعه أكثر القبائل ، وفرض على أمصار المغرب مثل فاس وتازا
وغيرها ضريبة معلومة في كل سنة على أن يكف الغارة عنهم . ولم يزل على ذلك إلى
أن قتله عالج من علوجه سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وقام بأمر بنو مرين من بعده أخوه (محمد بن عبد الحق) فخرى على سنن أخيه
في الاستيلاء على بلاد المغرب ، وضرب الإتاوة على بلاده ومدنه إلى أن كانت أيام
السعيد بن المأمون من بني عبد المؤمن ، فجهز عساكر الموحدين لقتال بني مرين ،
فخرجوا إليهم في جيش كثيف في سنة ثنتين وأربعين وستمائة . ودارت الحرب
بينهم فكانت الهزيمة على بني مرين ، وقتل محمد بن عبد الحق .

(١)
 وقام بأمرهم من بعده أبْنُه أبو يحيى (زكريّا بن عبد الحق) وقسم جبايته ببلاد
 المغرب في عشائر بني هَريّين، ودارت الحرب بينهم وبين الموحدّين، إلى أن مات
 السعيد بن المأمون من بني عبد المؤمن، وانتقل الأمر بعده إلى أبْنِه عبد الله،
 فضعفت دولة بني عبد المؤمن. واستولى (أبو يحيى) بن عبد الحق على أكثر بلاد
 المغرب، وقصد فاس وبها بعض بني عبد المؤمن فأناخ عليها وتلطّف بأهلها، ودعاهم
 إلى الدّعوة الحفصيّة بأفريقيّة، فأجابوه إلى ذلك وبايعوه خارج باب الفتوح.
 ودخل إلى قصبة فاس لشهرين من موت السعيد في أوّل سنة ست وأربعين وستمائة،
 وبايعه أهل تازا وأهل سلا ورباط الفتح، واستولى على نواحيها، وأقام فيها
 الدّعوة الحفصيّة، واستبدّ بنو هَريّين بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواد بملك
 المغرب الأوسط.

وملك سجلماسة سنة ثلاث وخمسين وستمائة من أيدي عامّة الموحدّين وبقي حتى
 هلك بفاس في رجب سنة ست وخمسين وستمائة، ودُفِنَ بمقبرة باب الفتوح.
 وتصدّى للقيام بأمره أبْنُه (عمر) ومال أهل الحلل والعقد إلى عمّه أبي يوسف
 يعقوب بن عبد الحق، وكان ذا ثباتاً فقدم ثم وقع الصلح بينهما على أن ترك
 يعقوب الأمر لابن أخيه عمر على أن يكون له تازا وبلادها، ثم وقع الخلف بينهما
 والتقياً فهزم عمر ثم نزل لعمه يعقوب عن الأمر.

ورحل السلطان أبو يوسف (يعقوب بن عبد الحق) فدخل فاس مملّكاً، ثم هلك
 عمر بعد سنة، فكفّى يعقوب شأنه واستقام سلطانه، وأخذ في افتتاح أمصار
 المغرب. وافتتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصارى، ثم قصد إلى
 مرّاكش فخرج إليه الخليفة المرتضى من بني عبد المؤمن، وكانت بينهما حرب

(١) الأظهر أخوه وهم جميعاً أولاد عبد الحق.

هُزِمَ فِيهَا الْمُرْتَضَى وَقُتِلَ ؛ وَبَاعَ الْمُوَحِدُونَ أَخَاهُ (إِسْحَاقَ) ثُمَّ قُبِضَ عَلَيْهِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِينَ وَسَمَائَةَ فَقُتِلَ فِيْمَنْ مَعَهُ ، وَأَتَقَرَضَ أَمْرَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْمَغْرِبِ .

وَوَصَلَ السُّلْطَانُ أَبُو يَوْسُفَ إِلَى مَرَّاكُشَ أَوَّلَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَسَمَائَةَ فَدَخَلَهَا ، وَوَرِثَ مُلْكُ الْمُوَحِدِينَ بِهَا ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فَاسَ بَعْدَ أَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَى مَرَّاكُشَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَتِهِ ؛ وَشَرَعَ فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الَّتِي اسْتَجَدَّهَا مُلَاصِقَةً لِمَدِينَةِ فَاسَ فِي ثَالِثِ شَوَّالٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَسَمَائَةَ ، وَنَزَلَ فِيهَا بِحَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ ؛ وَغَزَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ النَّصَارَى بِالْأَنْدَلُسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ حَتَّى أَذْعَنَ لَهُ شَانِحَةُ بْنُ أَدْفُونَشَ ، وَسَأَلَهُ فِي عَقْدِ السَّلَامِ لَهُ فَعَقَدَ لَهُ عَلَى شُرُوطٍ اشْتَرَطَهَا عَلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ فَمَرِضَ وَمَاتَ فِي آخِرِ الْحَرَمِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسَمَائَةَ .

وَبُويعَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَلِيُّ عَهْدِهِ أَبُو يَعْقُوبَ (يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ) فَجَرَى عَلَى سَنَنِ أَبِيهِ فِي الْعَدْلِ وَالْغُرُوحِ ، وَأَجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، وَجَدَّدَ السَّلَامَ مَعَ شَانِحَةَ مَلِكِ النَّصَارَى . وَغَزَا تِلْمِسَانَ مَرَّاتٍ وَبَقِيَ حَتَّى طَعَنَهُ خَصِيٌّ مِنْ خَدَمِهِ ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشِهِ ، فَمَاتَ سَابِعَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ .

وَبُويعَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو ثَابِتَ (عَامِرُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ) وَاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ النَّوَاحِي ؛ ثُمَّ اسْتَقَامَ أَمْرُهُ وَبَقِيَ حَتَّى انْتَقَضَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، بَنُوَاحِي طَنْجَةَ مِنْ أَقْصَى الْغَرْبِ ، فَخَرَجَ لِقِتَالِهِ وَمَرِضَ فِي طَنْجَةَ وَمَاتَ فِي ثَامِنِ صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ .

وَبُويعَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ) فَاحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَجَزَلَ الصَّلَاتِ ، وَسَارَ بِسَيْرَةِ آبَائِهِ وَبَقِيَ حَتَّى مَاتَ بِمَدِينَةِ تَارَا فِي سَلْخِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعِينَ وَدُفِنَ بِصَخْنِ جَامِعِهَا .

وبويع بعده اخوه أبو سعيد (عثمان بن أبي يعقوب يوسف) فلما استقام أمره بالغرب الأقصى سار إلى تلمسان سنة أربع عشرة وسبعائة فانتزعها من موسى بن عثمان ابن يغمراسن : سلطان بني عبد الواد بها ، وانتقض عليه محمد بن يحيى العزفي صاحب سبتة فسار إليه في سنة ثمان وعشرين وسبعائة فأذعن للطاعة ، وأحضر عبد المهيم بن محمد الحضرمي من سبتة وولاه ديوان الإنشاء والعلامة .

وفي أيامه قصد بطرة وجوان ملك النصارى بالأندلس غرناطة . فاستغاثوا به ، فأجاز البحر إليهم ولقي عساكر النصارى فهلك بطرة وجوان في المعركة وكانت النصره للمسلمين . وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبعائة .

وبويع بعده ابنه ولي عهده أبو الحسن (علي بن عثمان) وهو الذي كان في عصر «المقر الشهابي بن فضل الله» . وسار إلى تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعائة ، فلما كان من أبي تاشفين سلطان بني عبد الواد بها بعد أن قتله بقصره . وملك تونس من يد أبي يحيى سلطان الحفصيين بها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبعائة ، وأتصل ملكه ما بين برقة إلى الشوس الأقصى والبحر المحيط الغربي ، ثم أسترجع الحفصيون تونس بعد ذلك . وملك بعد ذلك سيجلماسة قاعدة بلاد الصحراء بالغرب الأقصى ، وبقي حتى مات في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ثنتين وخمسين وسبعائة بجبل هتاتة .

وبويع بعده ابنه (أبو عيان بن أبي الحسن) وكان بنو عبد الواد قد استعادوا تلمسان في أيام أبيه فارتجعها منهم في سنة ثلاث وخمسين ، ونزل له الأمير محمد ابن أبي زكريا صاحب بجاية عنها فانتظمت في ملكه . وملك قسنطينة من الحفصيين بعد ذلك بالأمان . ثم ملك تونس من أيديهم سنة ثمان وخمسين ، ورجع

إلى المغرب فارتجع الحفصيون ثونس وسائر بلاد أفريقيا وبقي حتى توفى في ذي الحجة سنة تسع وخمسين .

وكان أبوه (أبو زيّان) وليّ عهده فعُدل عنه إلى ابنه (السعيد بن أبي عيّان) وآستولى عليه الحسن بن عمر وزير أبيه فحبسه في داره ، واستقل بالأمور دونه .

وتغلب أبو حمو سلطان بني عبد الواد على تلمسان فاتترعها من يده في سنة ستين وسبعائة .

ثم خرج على السعيد بن أبي عيّان عمّه أبو سالم (إبراهيم بن أبي الحسن) وكان بالأندلس بغاء إليه بالأساطيل ، واجتمع إليه العساكر ، ووصل إلى فاس ، وخلع الحسن بن عمر سلطانه السعيد عن الأمر ، وأسلمه إلى عمّه أبي سالم وخرج إليه فبايعه ، ودخل فاس في منتصف شعبان سنة ستين وسبعائة ، وآستولى على ملك المغرب ، وقصد تلمسان فأجفل عنها أبو حمو سلطان بني عبد الواد فدخلها بالأمان في رجب سنة إحدى وستين وسبعائة ، فأقر بملكها حفيدا من أحفاد بني عبد الواد يقال له أبو زيّان ، ورجع إلى فاس في شعبان من سنته . وعاد أبو حمو إلى تلمسان فملكها من أبي زيّان . وبني إيوانا فحما بفاس بجانب قصره ، وانتقل إليه ، وفوض أمر القلعة إلى عمر بن عبد الله بن عليّ من أبناء وزرائهم ، فعمد إلى أبي عمر (تاشفين الموسوس) ابن السلطان أبي الحسن فأجلسه على أريكة الملك ، وبايعه في ذي القعدة سنة ثنتين وستين وسبعائة ، وأفاض العطاء في الجند . وأصبح السلطان أبو سالم فوجد الأمر على ذلك فقر بنفسه ، فأرسل عمر بن (عبد الله بن عليّ في أثره من قبض عليه وأحتر رأسه وأتى بها إلى فاس .

ثم أنكر أهل الدولة على عُمر بن عبد الله ما وقع منه من نصب أبي عمر المذكور لضعف عقله ، فأعمل فكره فيمن يصلح للملك فوقع رأيه على (أبي زيّان محمد بن الأمير عبد الرحمن) بن السلطان أبي الحسن . وكان قد فزع إلى ملك النصارى بإشبيلية من الأندلس ، فأقام عنده خوفاً من السلطان أبي سالم ، فبعث إليه من أتى به ، وخلع أبا عُمر من الملك ، وبعث إليه بالآلة والبيعة من تلقاه بطنجة . ورحل إلى فاس في منتصف شهر صفر سنة ثلاث وستين وسبعائة ، ودخل إلى قصر الملك ، فأقام به والوزير عُمر بن عبد الله مستبداً عليه لا يكل إليه أمراً ولا نهياً وحجراً من كل وجه ، فتقل ذلك على السلطان أبي زيّان ، ووامر بعض أصحابه في الفلك بالوزير عُمر ، فبلغ الخبر الوزير فدخل على السلطان من غير إذن على ما كان اعتاده منه ، وألقاه في بئر وأظهر للناس أنه سقط عن ظهر فرسه وهو نعل في تلك البئر .

واستدعى من حينه (عبد العزيز) ابن السلطان أبي الحسن من بعض الدور بالقلعة ، فحضر القصر وجلس على سرير الملك ، ودخل عليه بنو مَرِين فبايعوه وكل أمره . وذلك في المحرم سنة ثمان وستين وسبعائة ، وأستبد عليه كما كان مستبداً على من قبله ، فحجّره ومنعه من التصرف في شيء من أمره ، ومنع الناس أن يسألوه في شيء من أمورهم ، فتقل ذلك عليه غاية الثقل ، وأكّنه في نفسه إلى أن أستدعاه يوماً فدخل عليه القصر ، وكان قد أكن له رجالاً بالقصر ، فخرجوا عليه وضربوه بالسيوف حتى مات . وأستقل السلطان عبد العزيز بمملكته ، وقصد تلمسان فملكها من يد أبي حمو سلطان بني عبد الواد بالأمان بعد إجحاف أبي حمو عنها . ودخلها يوم عاشوراء سنة اثنتين وسبعين وسبعائة . وأرتحل عنها آخر المحرم إلى الغرب ووصل

إلى فاس ، ثم عاد إلى تلمسان وخرج منها يريد المغرب ، ففرض ومات في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبعائة .

وبويع بعده ابنه (سعيد بن عبد العزيز) وهو طفل ، وقام أمره وزيره أبو بكر بن غازي ورجعوا به إلى المغرب ودخل إلى فاس وجددت له البيعة بها ، وأستبد عليه الوزير أبو بكر ، وحجّره عن التصرف في شيء من أمره لصغره . ورجع أبو حمو سلطان بني عبد الواد إلى تلمسان فملكها في جمادى سنة أربع وسبعين وسبعائة .

وخرج عليه (أبو العباس أحمد بن أبي سالم) وكان بالأندلس فأجاز البحر وسار إلى فاس فملكها . ودخلها أول المحرم سنة ست وسبعين وسبعائة ، وأستقل بملك المغرب ، وكان ذلك بموالة ابن الأحمر صاحب الأندلس فاتصلت بينهما بذلك الصلحة ، وتأكدت المودة ، وتخلّى عن مرأئش لعبد الرحمن ، وكان بينهما صلح وانتقاض تارة وتارة ، وقصد تلمسان فملكها من أبي حمو بعد فراره عنها ، وأقام بها أياما وهدم أسوارها وخرج منها في أتباع أبي حمو .

وخالفه السلطان (موسى) ابن عمه أبي عينا إلى فاس فملكها ، ونزل دار الملك بها في ربيع الأول سنة ست وثمانين وسبعائة ، وقدم السلطان أبو العباس إلى فاس ، فوجد موسى ابن عمه قد ملكها ففر عنها إلى تازا ، ثم أرسل إلى السلطان موسى بالطاعة والإذعان ، فأرسل من أتى به إليه ، فقيده وبعث به إلى الأندلس^(١) وأستقل السلطان موسى بملك المغرب ، وتوفي [لثلاث سنين من خلافته] .

(١) الزيادة من "العبرج ٧ ص ٣٥٢" .

وبويع بعده (المتنصرُ ابنُ السلطان أبي العباس) فلم يلبث أن خرج عليه (الوائق محمد بن أبي الفضل) ابنُ السلطان (أبي الحسن) من الأندلس ، فسار إلى فاس ودخلها وحلّ بدار الملك بها ، وبُيع في شوال سنة ثمان وثمانين وسبعائة .

وبعث المتنصر إلى أبيه أبي العباس بالأندلس فأجاز السلطان أبو العباس من الأندلس إلى سبتة ، فملكها في صفر سنة تسع وثمانين وسبعائة ، ثم استنزله عنها ابنُ الأحمر صاحبُ الأندلس وانتظمها في ملكه ، ثم ظهرت دعوة السلطان أبي العباس بمراكش واستولى جنده عليها ، ثم سار إليها ابنُ المتنصر وملكها ، وسار السلطان أبو العباس إلى فاس فملكها ودخل البلد الجديد بها خامسَ رمضان سنة تسع وثمانين وسبعائة لثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خلعه ، وبعث بالوائق إلى الأندلس ثم أمر بقتله فقتل في طريقه بطنجة .

وكان أبو حمو صاحبُ تلمسان قد مات واستولى عليها بعده ابنه (أبو تاشفين) قائماً بدعوة أبي العباس صاحبِ فاس ، ومات أبو تاشفين وأقيمَ ابنُه طفلاً فيها ، ثم قتله عمه يوسف بن أبي حمو ، وجهز السلطان أبو العباس ابنه (أبا فارس عثمان) فملكها وأقام فيها دعوة أبيه ، وتوفي السلطان أبو العباس بمدينة تازا في المحرم سنة ست وتسعين وسبعائة ، واستدعوا ابنه أبا فارس فبايعوه بتازا ، ورجعوا به إلى فاس ، وأطلقوا أبازيان بن أبي حمو من الاعتقال وبعثوا به إلى تلمسان . وبقي أبو فارس في مملكة الغرب إلى الآن : وهو السلطان أبو فارس : عثمان ابن السلطان أبي العباس أحمد ، ابن السلطان أبي سالم إبراهيم ، ابن السلطان أبي الحسن علي ، ابن السلطان أبي سعيد عثمان ، ابن السلطان أبي يوسف يعقوب ، ابن عبد الحق .

المَقْصِدُ الرَّابِعُ

(في بيان ترتيب هذه المملكة ، وفيه تسعُ (عشر) جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر الجُند ، وأرباب الوظائف : من أرباب السيوف والأفلام ، ومقادير

الأرزاق الجارية عليهم ، وزىّ السلطان ، وترتيب حاله في الملك)

أما الجُند ، فأشياخ كبار وأشياخ صغار ، وهم القائمون مقام الأمراء الطليخانات بمصر على ما تقدم في أفريقية ، ولا يُعرف بها أمير له عدة كما بمصر والشام وإيران ، ولا يُطلق اسم الإمرة عندهم على أحد من الجُند بحال . ثم بعد الأشياخ عامة الجُند من الأندلسيين وغيرهم ، والعُلوج من الفرج ، على ما تقدم في مملكة أفريقية من غير فرق في الترتيب ، والوزراء والقضاة وأرباب الوظائف على نحو ما تقدم في أفريقية .

الجملة الثانية

(في زىّ السلطان والأشياخ وأرباب الوظائف في اللبس)

أما زىّ السلطان والأشياخ وعامة الجُند ، فإنهم يتعممون بعمائم طوال ، قليلة العرض من كنان ، ويعمل فوقها إحرامات يلقونها على أكفافهم ، ويتقلدون السيوف تقليدا بدوياً ، ويلبسون الخفاف في أرجلهم (وتسمى عندهم الأئمة) كما في أفريقية ، ويشدون المهايمز فوقها ، ويختدون المناطق وهي (الحوائص) ويعبرن عنها بالمصمات من فضة أو ذهب . وربما بلغت كل مصمة منها ألف مثقال ، ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التميز : وهو يوم عرضهم على السلطان . ويختص السلطان

يَلْبَسُ الْبُرُتْسُ الْأَبْيَضَ الرَّفِيعَ ، لَا يَلْبَسُهُ ذُو سَيْفٍ غَيْرُهُ . أما العلماء وأهل الصَّلاح فإنه لا حَرَجَ عليهم في ذلك ، ولا حَرَجَ في غير المَلُونِ^(١) البِيضِ من البرانس على أحد .
وأما زِيَّ القُضَاةِ والعلماء والحُجَّابِ وعامةِ النَّاسِ ، فقريبٌ من لبسِ الجُنْدِ .
إلا أنَّ عمامتهم خُضْرٌ ؛ ولا يَلْبَسُ أحدٌ منهم الأَمَمَةَ : وهي الأَخْفَافُ في الحَضَرِ ولا يُنَمِّعُ أحدٌ منهم من لبسها في السَّفَرِ .

الجملة الثالثة

(في الأرزاق المطلقة من قِبَلِ السلطان على أهل دولته)

أما رِزْقُ الأجَادِ ففي "مسالك الأبصار" عن السَّلاحي : أن للأشياخ الكبار الإقطاعاتِ الجاريةَ عليهم : لكلِّ واحدٍ منهم في كلِّ سنةٍ عشرون ألفَ مثقالٍ من الذهب ، يأخذها من قبائل ، وقرى ، وضياع ، وقلاع ؛ ويتحصَّلُ له من القمح والشعير ، الحبوب من تلك البلاد نحو عشرين ألفَ وِسْقٍ . ولكل واحدٍ مع الإقطاع الإحسان في رأس كل سنة وهو حصانٌ بَسْرَجُهُ ولِحَامُهُ ، وسيفٌ ورمحٌ مَحْلِيَانِ ، وسَبْدَةٌ : وهي بُقْجَةٌ قماش فيها ثوبٌ طَرْدٌ وحشٍ مُدْهَبٌ سَكَنْدَرِيٌّ ، ويعبرون عن هذا الثوب بالزَرْدِ خاناه ، وثوبانِ بياض من الحَنَّانِ عملِ أفريقية ، وإحرامٌ وشاشٌ طوله ثمانون ذراعاً ، وقصبتان من ملف وهو الجُوحُ . وربما زيد الأكابر على ذلك ، وربما نقص من هو دون هذه الرتبة . وللأشياخ الصغار من الإقطاع والإحسان نصفُ مالِ الأشياخ الجبار مع الحصان المُسَرَّجِ المُنَمَّجِ والسيِّفِ والرَّحْجِ والكُسوة ؛ ومنهم من لا يَلْحَقُ هذه الرتبةَ فيكون أنقص . ومن عدا الأشياخ من الجُنْدِ على طبقات : فالقربون إلى

(١) لعله في الملون غير البيض من البرانس

السلطان يكون لكل واحد منهم ستون مثقالا من الذهب في كل شهر، وقليل ما هم؛ ومن دون ذلك يكون له في الشهر ثلاثون مثقالا ثم مادونها، إلى أن يتناهى إلى أقل الطبقات وهي ستة مثاقيل في كل شهر. وإيس لأحد منهم بلد ولا مُزْدَرَع.

وأما قاضي القضاة، فله في كل يوم مثقال من الذهب، وله أرض يسيرة، يُزرع بها ما تنجى منه مؤنته وعليق دوابه.

وأما كاتب السر، فله في كل يوم مثقالان من الذهب، وله محيّران (يعني قريتين) يتحصّل له منهما متحصّل جيّد، مع رسوم كثيرة له على البلاد ومنايع وإرفاقات؛ ولكل واحد من كاتب السر وقاضي القضاة في كل سنة بغلة بسرجهما ولجامهما، وسبينة فُماش برسم كُسوته كما للأشياخ.

الجملة الرابعة

(في جلوس السلطان في كل يوم)

قال السلاحي: من عادة سلطانهم أن يجلس في بكرة كل يوم، ويدخل عليه الأشياخ الكبار فيسلموا عليه، فيمدّ لهم السباط ترأّد في جفان حولها طرافير؛ وهي الخافي، فيها أطعمة ملوّنة منوعة؛ ومع ذلك الحلوى: بعضها مصنوع بالسكر، ومعظمها مصنوع بالعسل والزيت، فيأكلون ثم يتفرّقون إلى أماكنهم. وربما ركب السلطان بعد ذلك والعسكر معه وقد لا يركب. أما أخريات النهار فإن الغالب أن يركب بعد العصر في عسكره ويذهب إلى نهر هناك، ثم يخرج إلى مكان فيسيح من الصّخرات، فيقف به على نشز من الأرض، وتتطارد الخيل قدامه، وتتطاعن الفرسان، وتتداعى الأقران، وتُمثّل الحرب لديه، وتقام صفوفها على سبيل التمرين حتى كأنها يوم الحرب حقيقة؛ ثم يعود في موكبِهِ إلى قصره، وتفرّق العساكر؛

وتحضرُ العلماء وفضلاء الناس وأعيانهم إلى مُحَاضَرَتِهِ حينئذٍ ، فيمدُّ لهم سِمْطٌ بين يديه فيأْكُلُون ويُواكِلُهُمْ . ثم يأخذ كاتبُ السِرِّ في قراءة القِصَصِ والرِّقَاعِ والكلامِ في المهمَّاتِ ، ويَبَيِّنُ عنده مَنْ يُسَامِرُهُ من الفضلاء في بعض الليالي ، وربما أَقْصَتِ الحالُ مَيِّتَ كاتبِ السِرِّ فيبيِّت عنده .

الجملة الخامسة

(في جلوسه للظالم)

قال السلاحي : قد جرت عادة مَنْ له ظُلامة أن يرتقب السلطانَ في رُكوبه في مَوَكِبِهِ (يعني يومَ جلوسه للظالم) فإذا أَجْتَازَ به السلطانُ صاح من بُعدٍ «لا إله إلا الله أَنصُرْني نصرَك الله!» فتُؤَخَذُ قِصَّتُهُ وتُدْفَعُ لكاتبِ السِرِّ ، فإذا عاد جلس في قُبَّةٍ معينة للجلوسه ، ويجلس معه أكابرُ أشياخه مقلِّدين السُّيُوفَ ، ويقفُ مَنْ دونهم على بُعدٍ ، مصطَفَيْنَ متكئين على سُيُوفِهِمْ ، ويقرأ كاتبُ السِرِّ قِصَصَ أصحابِ المَظَالِمِ وغيرها فيُنْظَرُ فيها بما يراه .

الجملة السادسة

(في شِعَارِ السلطان بهذه المملكة)

منها عَلمٌ أبيضٌ حريرٌ مكتوبٌ فيه بالذهب نسيجاً بأعلى دائره آياتٌ من القرآن ، يسمُّونه العَلمَ المنصورَ كما في أفريقية . وربما عبَّرَ عنه هؤلاء بسَعْدِ الدولة ، يحملُ بين يديه في المواكب .

ومنها - أعلامٌ دُونُهُ مختلفةُ الألوان تحملُ معه أيضا .

ومنها - سِيفٌ ورُخٌّ ودَرَقَةٌ . يُحْمَلَنَّ بين يديه في المواكب أيضا : يحملُها ثلاثةٌ من خاصَّته من وُضْفَانِهِ أو من أبناءِ خَدَمِ سَلَفِهِ .

ومنها - أطبار تحمل حوله . ويعبرون عنها بالطَّبرَ زينات ، يحملها أكابر قواد علوجه من الفرج ورجال من الأندلسيين خلفه وقدامه .

ومنها - رِمَاح طَوَال وقِصَار . يحملها خمسون رجلاً مُشاة بين يديه مشدودى الأوساط بيد كل واحدٍ منهم رُحمان : رُحٌّ طَوِيل و رُحٌّ قَصِير ، وهو متقلد مع ذلك بسيف .
ومنها - الجَنَائِب . وهى حَيْلٌ تُقادُ أمامه ، عليها سُروج مخروزة بالذهب كالزركش وركبها ذهب كل رِكَّاب زنته ألف دينار ، وعليها ثياب سُروج من الحرير مرقومة بالذهب ، ويعبرون عن الجَنَائِب بالمَقَادَات ، وعن ثياب السُروج بالبراقع .

ومنها - الطبول تدق خلف ساقته وهى من خصائص السلطان ليس لأحد من الناس أن يضرب طبلة غيره حتى يمنع من ذلك أصحاب الحلقى .
ومنها - البوقات مع الطبل على العادة .

الجملة السابعة

(فى ركوبه لصلاة العيد)

قال السلايحي : وفى ليلة العيدين يُنادى والى البلد فى أهلها بالمسير ، ويخرج أهل كل سُوقٍ ناحيةً ، ومع كل واحد منهم قَوْسٌ أو آلةٌ سلاح ، متجمعين بأحسن الثياب ، ويبعث الناس تلك الليلة أهل كل سُوق بذاتهم خارج البلد ، ومع أهل كل سوق عَلمٌ يختص بهم ، عليه رَنكٌ أهل تلك الصناعة بما يناسبهم . فإذا ركب السلطان بُكرةً أصطفوا صُفُوفاً يمشون قدامه ، ويركب السلطان ويركب العسكر معه مَئِينَةٌ ومَيسِرَةٌ والعلوج خلفه ملتقون به ، والأعلام منشورة وراءه ، والطبول خلفها حتى يصلّى ثم يعود ، فينصرف أرباب الأسواق إلى بيوتهم ، ويحضر طعام السلطان خواصه وأشيائه .

الجملة الثامنة

(في خروج السلطان للسفر)

من عادة هذا السلطان إذا سافر أن يخرج من قصره وينزل بظاهر بلده، ثم يرتحل من هناك فيضرب له طبل كبير قبيل الصبح إشعاراً بالسفر، فيتأهب الناس ويستغل كل أحد بالاستعداد للرحيل . فإذا صلى صلاة الصبح ركب الناس على قبائلهم في منازلهم المألوفة، ووقفوا في طريق السلطان صفًا إلى صف، ولكل قبيل رجل علم معروف به ومكان في الترتيب لا يتعداه، فإذا صلى السلطان الصبح قعد أمام الناس، ودارت عليه عبيده ووصفائه ونقبأؤه، ويجلس ناس حوله يعرفون بالطلبة يجري عليهم ديوانه، يقرءون حزباً من القرآن، ويذكرون شيئاً من الحديث النبوي، على قائله أفضل الصلاة والسلام! . فإذا أسفر الصبح ركب وتقدم أمامه العلم الأبيض المعروف بالعلم المنصور، وبين يديه الرجال بالسلح والخيال المحنوبة، بثياب السروج الموشية، ويعبرون عن ثياب السروج بالبراقع. وإذا وضع السلطان رجله في الركاب، ضرب على طبل كبير يقال له تريال ثلاث ضربات إشعاراً بركوبه. ثم يسير السلطان بين صفي الخيل ويسلم كل صف عليه بأعلى صوته «سلام عليكم» ويكتفانه يمينا وشمالا، وتضرب جميع الطبول التي تحت البناد الكبار الملقوة خلف الوزير على بُعد من السلطان، ولا يتقدم أمام العلم الأبيض إلا من يكرن من خواص علوج السلطان، وربما أمرهم بالجولان بعضهم على بعض، ثم يتقطع ضرب الطبول إلى أن يقرب من المنزل .

وإذا ركب السلطان لا يسأيره إلا بعض كبار الأشياخ من بني مرين أو بعض عظماء العرب، وإذا استدعى أحدا لا يأتيه إلا ماشياً، ثم ربما حدثه وهو يمشي، وربما

أكرمهم فأكرمهم بالركوب . فإذا قَرَّبَ السلطانُ من المنزلِ تقدَّمتِ الزَّمَّالَةُ : وهم القَرَّاشون ، ويضربون شُقَّةً من الكَنَّانِ في قلبها جلود يقوم بها عِصِيُّ وَجِبال من القَصَبِ في أوتاد ، وتستدير على كثير من الأُخْيَةِ وبيوتِ الشَّعرِ الخاصَّةِ به وبعياله وأولاده الصَّغار ؛ تكون هذه الشُّقَّةُ كالمدينة لها أربعة أبواب في كل جهةٍ بابٌ ، وهذه الشُّقَّةُ هي المعبرُ عنها في الديارِ المصرية بالحَوْش ، ويَحْفُ به عبيده وعُلُوجُه ووُصفائُه ، ويضربُ للسلطانِ أمامَ ذلك قُبَّةٌ كبيرةٌ مرتفعة من كَنَّان تسمَّى قبة الساقية لجلوس الناس فيها وحُضُورهم عنده بها ، وهذه هي التي تسمَّى بمصر المدوَّرة .

وإذا عاد السلطان إلى حضرة ملكه ضربت البشائرُ سبعة أيام ، وأطعم الناس طعاما شاملا في موضع يَسَعُ كافَّتهم .

الجملة التاسعة

(في مقدار عسكر هذه المملكة)

قال في "مسالك الأبصار" : سألت أبا عبد الله السلاحي عن عدَّة هذا العسكر في سلطنة أبي الحسن المريني ، وكان ابن جرَّار قد قال إن عسكره مائة ألف وأربعون ألفا - فقال : الذي نعرفه قبل فتحه تِلْهَسَان أن جريدته المُثَبَّتة في ديوانه لا تزيد على أربعين ألف فارس غيرَ حَفَظَةِ المُدُن والسواحل ، إلا أنه [يُمْكِنُهُ] إذا استجاش لحربٍ عليه أن يَخْرُجَ في جموع كثيرة لا تكاد تنحصر ، وأنه يمكن أن يكون قد زاد عسكره بعد فتح تِلْهَسَان مثل ذلك .

الجملة العاشرة

(في مكاتبات السلطان)

قال في "مسالك الأبصار": جرت العادة أنه إذا انتهى الكاتب إلى آخر الكتاب وكتب تاريخه، كتب السلطان بخطه في آخره ماصورته "وكتب في التاريخ المؤرخ به". ونقل عن السلاحي: أن ذلك مما أحدثه أبو حفص «عمر الميريني» عم السلطان أبي الحسن في سلطته، وتبعه السلطان أبو الحسن على ذلك مع وثوقه بكاتب سره حينئذ: الفقيه الفاضل أبي محمد عبد المهيمن بن الحضرمي وأعماده عليه ومشاركته له في كل أمر.

المملكة الخامسة

(من بلاد المغرب جبال البربر)

قال في "مسالك الأبصار": في جنوب الغرب بين مملكة بر العدو وبين بلاد مالي وما معها من بلاد السودان ثلاثة ملوك من البربر يص مسلمون: وهم سلطان (أهير) وسلطان (دمونسة) وسلطان (تادمكة) كل واحد منهم ملك مستقل بنفسه لا يحكم أحد منهم على الآخر، وأكبرهم ملك (أهير) وزعيم نخوزي المغاربة: يلبسون الدرايع إلا أنها أضيق، وعمائم بأحناك، وركوبهم الإبل، ولا خيل عندهم ولا للبربري [عليهم حكم ولا لصاحب مالي^(١)] ولا خبز عندهم، وعيشهم عيش أهل البر من اللحم واللبن. أما الحبوب عندهم فقليلة، وهم في قلة أقوات.

ونقل عن الشيخ عيسى الزواوي أن لهم جبالا عامرة، كثيرة الفواكه. وذكر أن ما بأيدي الثلاثة تقديراً نصف ما ملك مالي من ملوك السودان أو أرجح بقليل؛

(١) الزيادة من "مسالك الأبصار" ليستقيم الكلام.

ولكن صاحب مالى أكثر في تحصيل الأموال لاستيلائه على بلاد الذهب وما يُباع
بملكته من السلع ، وما يَنْمُسه في الغزوات من بلاد الكُفَّار لمجاورته لهم بخلاف
هؤلاء فإنه ليس لهم يد تمتد إلى كَنْس ، بل غالب أرزاقهم من دوابهم . ثم قال :
ودون هؤلاء فيما بينهم وبين مرَّاكش من بلاد المغرب جبال المصَّامدة ، وهم خلق
لا يعتد ، وأمم لا تُحصى ، وهم يفتخرون بالشجاعة والكرم .

ثم ذكر أنهم كانوا لا يدينون لسلطان إلا أنهم دانوا للسلطان أبي الحسن المَرِينِيَّ
ودخلوا تحت ذيل طاعته . على أنهم لا يملكون أحدا قيادهم ، ولا يسلمون إليه
بلادهم . وبكل حال فهم معه بين صحَّة واعتلال .

المملكة السادسة

(من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس)

قال في "تقويم البُلدان" : بفتح الألف والdal المهملة وسكون النون بينهما
وضمَّ اللام ثم سين مهملة . وهى مقابل برَّ العدو من بلاد المغرب ، وبينهما بحر
الزُّقاق الذى هو فم بحر الروم ، وقد تقدَّم ذكره فى الكلام على الأبحر فى أول
هذه المقالة .

وقد اختلف فى سبب تسمية الأندلس بهذا الاسم : ف قيل ملكته أمة بعد
الطوفان يقال لها الأندلس بالشين المعجمة فسمى بهم ثم عرب بالسين المهملة ؛
وقيل خرج من رومة ثلاثة طوال فى دين الروم ، يقال لأحدهم القندلس^(١) بالقاف
فى أوله وبالشين المعجمة فى آخره ؛ فترل القندلس هذه الأرض فعرفت به ، ثم

(١) لعله فى زمن الروم .

عُربت بابدال القاف همزةً والشين المعجمة سينا مهملة . ويقال : إن اسمه القديم أفارية ، ثم سُمي باطقة ، ثم سُمي أشبانية ، ثم سُمي الأندلس باسم الأمة المذكورة . قال في "تقويم البلدان" : وسميت جزيرة لإحاطة البحر بها من الشرق والغرب والجنوب ، وإن كان جانبُه الشمالي متصلًا بالبر كما سيأتى بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .
وفيه ست جمل :

الجملة الأولى

(في ذكر سمك أرضه وحدوده)

قال في "تقويم البلدان" : وجزيرة الأندلس على شكل مثلث : ركنٌ جنوبي غربي ، وهناك جزيرة قádiz وفهم بحر الزقاق . وركنٌ شرقي بين طرُكونه وبين برشلونة ، وهي في جنوبيه ، وبالقرب منه بلنسية وطرطوشة وجزيرة ميورقة . وركنٌ شمالي بميلة إلى البحر المحيط ، حيث الطول عشر درجات ودقائق ، والعرض ثمان وأربعون . وهناك بالقرب من الركن المذكور مدينة شنتياقوه ، وهي على البحر المحيط في شمالي الأندلس وغربيها . قال : والضلع الأول من الركن الجنوبي الغربي - وهو الذي عند جزيرة قádiz - إلى الركن الشرقي الذي عند ميورقة ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الجنوبي الممتد على بحر الزقاق . والضلع الثاني من الركن الشرقي المذكور إلى الركن الشمالي الذي عند شنتياقوه ، وهذا الضلع هو حد الأندلس الشمالي ، ويمتد على الجبل المعروف بجبل البرت الحاجر بين الأندلس وبين أرض تُعرف بالأرض البكية ، وعلى ساحل الأندلس الممتد على بحر برديل . والضلع الثالث من الركن الشمالي المذكور إلى الركن الجنوبي المقدم الذكر ، وهذا الضلع هو ساحل الأندلس الغربي الممتد على البحر المحيط .

(١) لعله شكل كما يفيد ما بعده وفي القطعة الازهرية تشكيل أرضه .

قال ابن سعيد : قال الحجارى : وطول الأندلس من جبل البرت الفاصل بين الأندلس والأرض الكبيرة وهو نهاية الأندلس الشرقية إلى أشبونة : وهى فى نهاية الأندلس الغربية ألف ميل ، وعرض وسطه من بحر الرقاق إلى البحر المحيط عند طليطلة وجبل البرت ستة عشر يوماً . قال فى "تقويم البلدان" : وقد قيل : إن طوله غربا وشرقا من أشبونة : وهى فى غرب الأندلس إلى أربونة : وهى فى شرق الأندلس مسيرة ستين يوماً ، وقيل : شهر ونصف . وقيل : شهر . قال : وهو الأصح .

وأعلم أن جبل البرت المقدم ذكره متصل من بحر الرقاق إلى البحر المحيط وطوله أربعون ميلا ، وفيه أبواب فتحها الأوائل ، حتى صار للأندلس طريق فى البر من الأرض الكبيرة ، وقبل فتحها لم يكن للأندلس من الأرض الكبيرة طريق . وفى وسط الأندلس جبل ممتد من الشرق إلى الغرب يقال له جبل الشارة ، يقسمه بنصفين : نصف جنوبى ونصف شمالى .

الجملة الثانية

(فيما أشتمل عليه من المدن)

وهو يشتمل على عدة قواعد ومضافاتها :

القاعدة الأولى

(غرناطة)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء فى الآخر . ويقال : أغرناطة بهمزة مفتوحة فى أولها . وهى مدينة فى جنوب الأندلس ، موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال

أَبْنُ سَعِيدٍ : حَيْثُ الطُّولُ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَأَرْبَعُونَ دَقِيقَةً ، وَالْعَرْضُ سَبْعَ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَثَلَاثُونَ دَقِيقَةً . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَمَمْلَكَتُهَا فِي الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ عَنْ مَمْلَكَةِ قُرْطُبَةَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ نَحْوُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . قَالَ : وَغَرْنَاطَةُ فِي نِهَايَةِ الْحَصَانَةِ وَغَايَةِ التَّرَاهَةِ ، تُشَبَّهُ دِمَشْقَ مِنَ الشَّامِ ، وَتُفَضَّلُ عَلَيْهَا بِأَنَّ مَدِينَتَهَا مُشْرِفَةٌ عَلَى غُوطَتِهَا وَهِيَ مَكْشُوفَةٌ مِنَ الشَّمَالِ ؛ وَأَنْهَارُهَا تَنْصَبُّ مِنْ جَبَلِ الثَّلْجِ الَّذِي هُوَ مِنْ جَنُوبِهَا وَتَخْرُقُ فِيهَا ، وَعَلَيْهَا الْأَرْضُ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ ؛ وَلَهَا أَشْجَارٌ وَثِمَارٌ وَمِيَاهُ مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ تَقَعُ تَحْتَ مَرَأَى الْعَيْنِ لَا يُحِجُّهَا شَيْءٌ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" وَلَهَا ثَلَاثَةُ عَشَرَ بَابًا : بَابُ الْبَيْرَةِ وَهُوَ أَضْخَمُهَا ؛ وَبَابُ الْكُحْلِ ؛ وَبَابُ الرَّخَاءِ ؛ وَبَابُ الْمَرْضَى ؛ وَبَابُ الْمَصْرَعِ ؛ وَبَابُ الرَّمْلَةِ ؛ وَبَابُ الدَّبَاغِينَ ؛ وَبَابُ الطَّوَّائِينَ ؛ وَبَابُ الْفَخَّارِينَ ؛ وَبَابُ الْخَنْدَقِ ؛ وَبَابُ الدِّفَافِ ؛ وَبَابُ الْبُنُودِ ؛ وَبَابُ الْأَسَدَرِ . وَحَوْلَهَا أَرْبَعَةُ أَرْبَاضٍ : رِبْضُ الْفَخَّارِينَ ؛ وَرِبْضُ الْأَجْلِ ، وَهُوَ كَثِيرُ الْقُصُورِ وَالْبَسَاتِينِ ؛ وَرِبْضُ الْبِيزَانِينَ بِنَاحِيَةِ بَابِ الدِّفَافِ ، وَهُوَ كَثِيرُ الْعِمَارَةِ يُخْرَجُ مِنْهُ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ مَقَاتِلَ ، وَهُوَ رِبْضٌ مُسْتَقِلٌّ بِحُكَاَمِهِ وَقُضَاتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَجَامِعُهَا مِنْ أَدْعِ الْجَوَامِعِ وَأَحْسَنُهَا مَنْظَرًا ، وَهُوَ مُحْكَمُ الْبِنَاءِ لَا يَلِصُّقُهُ بِنَاءٌ ، تَخْفُفُ بِهِ دَكَكِيْنُ الشُّهُودِ وَالْعَطَّارِينَ ، وَقَدْ قَامَ سَقْفُهُ عَلَى أَعْمَدَةٍ حَسَنَةٍ ، وَالْمَاءُ يَجْرِي دَاخِلَهُ ، وَمَسَاجِدُهَا [وَرِبَاطَاتُهَا] لَا تَكَادُ تُحْصَى لِكَثَرَتِهَا .

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّهَا قَلِيلَةُ مَهَبِّ الرِّيحِ ، لَا تَجْرِي بِهَا الرِّيحُ إِلَّا نَادِرًا لِأَكْتِنَافِ الْجِبَالِ إِيَّاهَا . ثُمَّ قَالَ : وَأَصْلُ أَنْهَارِهَا نَهْرَانِ عَظِيمَانِ (شَنْيَلٌ) وَ (حَادِرَةٌ) .

(١) لم يذكر إلا ثلاثة وأسقط رِبْضَ الرَّمْلَةِ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي الْمَسَالِكِ .

(٢) كَذَا فِي "التَّقْوِيمِ" ، أَيْضًا وَالَّذِي فِي "المَعْجَمِ" سَنَجَلٌ وَهُوَ الْإِظْهَرُ .

أما سَنِيل، فينحدر من جبل شُكَيْر بِجَنُوبِهَا ويمر على غَرْناطَة إلى فَحصها، يُشَقُّ فيها أربعين ميلا بين بساتين وُقُرَى وضياع كثيرة البيوت والغلال وأبراج الحمام وغير ذلك . قال : ويتنهي فحسها إلى (لَوْشَة) حيث أصحاب الكهف على قول، وجبل شُكَيْر المذكور هو طُود شاخ لا ينفك عنه الثلج شتاءً ولا صيفا، فهو لذلك شديد البرد، ويؤثر برده بغَرْناطَة في الشتاء : لقربه منها إذ ليس بينه وبينها سوى عشرة أميال . وفي ذلك يقول ابن صدره الشاعر قاتله الله :

أَحِلَّ لَنَا تَرْكُ الصَّلَاةِ بِأَرْضِكُمْ ، * وَشُرْبُ الْحَمِيَاءِ وَهُوَ شَيْءٌ مُحَرَّمُ !
فِرَارًا إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ لِأَنَّهُمَا * أَرْقُ عَلَيْنَا مِنْ شُكَيْرٍ وَأَرْحَمُ !
لَئِنْ كَانَ رَبِّي مُدْخِلِي فِي جَهَنَّمَ ، * فَفِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ طَابَتْ جَهَنَّمُ !

وأما حَدْرَه ، فينحدر من جبل بناحية (وادي اش) شرقي شُكَيْر فيمر بين بساتين ومزارع وكُرُوم إلى أن ينتهي إلى غَرْناطَة ، فيدخلها على باب الدفاف بشرقيها، يُشَقُّ المدينة نصفين، تَطْحَنُ به الأرحاء بداخلها، وعليه بداخلها خمس قناطر : وهى قنطرة ابن رَشِيْق، وقنطرة القاضي، وقنطرة حَمَام جاس، والقنطرة الجديدة، وقنطرة الفود؛ وعلى القناطر سواقٍ ومبانٍ محكمة . والماء يجري من هذا النهر في جميع البلد : فى أسواقه وقاعاته ومساجده، يبرز فى أما كنَّ على وجه الأرض ، وتخفى جداوله تحتها فى الأكثر، وحيث طَلَب الماء وَجِدَ؛ وبالمدينة جبلان يُسَقَّان وسَطَها، يعرف أحدهما بالخزّة ومَوْزُور . والثانى بالقصبة القديمة ، وبالز . وبهما دُور حَسَنان ، وعَلَالِي مُشْرِفَة على فحسها ، فيرى منهما منظرا بديعا من فروع الأنهار والمزروعات وغير ذلك مما يقصر عنه التخييل والتشبيه . وقد صارت قاعدة مُلْك الإسلام بالأندلس بيد ملوكها من بنى الأحمر الآتى ذكرهم فى الكلام على ملوكها .

قال في "مسالك الأبصار" : وبها من الفواكه التُّفَّاح ، والقَرَّاصيا البعلبكية التي لا تكاد تُوجد في الدنيا منظرًا وحلاوةً حتى إنها ليعصر منها العسل . وبها الجوز ، والقُسطل ، والتين ، والأعناب ، والخوخ ، والبَلُوط ، وغير ذلك . ويجبل سُكَّير المقدم ذكره عقاقير كعقاقير الهند وعُشب يستعمل في الأدوية ، يعرفها الشَّجَّارون لا تُوجد في الهند ولا في غيره .

قال في "التعريف" : ومقرّر سلطانها منها (القصبه الحمراء) قال : ومعنى القصبه عندهم القلعة ، وتسمى حمراء غرناطة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عالية شديدة الاتِّمتاع . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بديعةٌ متَّسعة كثيرةُ المباني الضخمة والقصور ظريفةٌ جدًا ، يجري بها الماء تحت بلاط كما يجري في المدينة ، فلا يخلو منه مسجدٌ ولا بيتٌ ، وأعلى بُرج منها عين ماءٍ ، وجامعُها من أبدع الجوامع حُسْنًا ، وأحسنها بناءً ، وبه التُّرَيَّاتُ الفِضِّيَّةُ معلَّقةٌ ، وبجائط محرابه أحجارٌ ياقوت مُرَصَّفة في جملة ما تمقَّ به من الذهب والفضَّة ، ومنبره من العاج والآبنوس . قال في "تقويم البلدان" في الكلام على الأندلس : ولم يبق للمسلمين بها غيرُ غرناطة وما أُضيف إليها ، مثل الجزيرة الخضراء ، والمرية . قال في "مسالك الأبصار" : وطولها عشرة أيام ، وعرضها ثلاثة أيام . وهي ممتدة على بحر الرُّقاق وما يلي ذلك . ثم قال : وأولها من جهة المشرق المَرِيَّة ، وهي أولُ مَرَّاسِي البلاد الإسلامية . قال في "تقويم البلدان" : وكانت القاعدةُ قبل غرناطة حصنَ البيرة ، فخرّب في زمن الإسلام ، وصارت القاعدةُ غرناطة .

وقد عدّ في "مسالك الأبصار" من هذه المملكة عدّة بلاد مُضافة إلى مملكة غرناطة الآن .

منها (المريّة) قال في "المشترك" : بفتح الميم وكسر الراء المهملّة وتشديد المشنة من تحت وفي آخرها هاء . وهي مدينة بين مملكتيّ مَلَقَةَ ومُرسِيّة ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع عشرة درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثنتان وأربعون دقيقة . قال : وهي مدينة مسوّرة على حافة بحر الرّزّاق ، وهي باب الشّرق ، ومفتاح الرّزق ، ولها برّ فضيّ ، وساحل تَبْرِيّ ، وبحر زَبْجَدِيّ ، وأسوارها عالية ، وقلعتها منيعة شامخة ، وهواؤها معتدل ، ويعمل بها من الحرير ما يفوق الجمال .^(١)

قال في "مسالك الأبصار" : والمريّة ثلاثُ مُدن .

الأولى — من جهة الغرب تعرف بالحوّض الداخلي . لها سور محفوظ من العدو بالسّمار والحُرّاس ، ولا عمارة فيها ؛ ويلبها إلى الشرق المدينة القديمة ؛ وتلبها المدينة الثالثة المعروفة بمصلى المريّة ، وهي أكبر الثلاث . ولها قلعة بجوار القديمة من جهة الشّمال ، وتسمّى القصبة في عرفهم . قال : وهما قضبتان في غاية الحسن والمنعة . وساحل المريّة أحسن السّواحل ، وحولها حصون وقرى كثيرة وجبال شامخة . وجامعها الكبير بالمدينة القديمة ، وهو من بديع الجوامع . وهي مدينة كثيرة الفواكه ، وأكثر زرعها بالمطر وعليه يترتب الخصب وعدمه ؛ وإليها تُجلب الحنطة من برّ العدوة ؛ وبها دار صناعةٍ لعمارة المراكب ؛ وبينها وبين غرناطة مسيرة ثلاثة أيام . وكانت في الزمن الأوّل قبل إضافتها إلى غرناطة مملكةً مستقلةً . ويقال : إن وادي المريّة من أبدع الأودية على أن ماءه يقلّ في الصيف حتى يُقسّط على البساتين .

(١) الذي في تقويم البلدان "ويعمل بها من الحرير ما يفوق معمول غيرها" .

قال في "مسالك الأبصار" : وعلى وادى المَريّة (بجَانَة) . قال : وهى الآن قرية عظيمة جدًا ، ذات زيتونٍ وأعنابٍ وفواكهٍ مختلفةٍ ، وبساتينٍ ضخمةٍ كثيرة الثمرات .

(١) ومنها (شَلُوبِينَ) بفتح الشين المعجمة وضم اللام وسكون الواو وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المشناة تحت ونون فى الآخر . سماها فى "تقويم البلدان" : شلوبينية . ثم قال : وهو من حصون غرناطة البحرية على بحر الرقاق ، ومنه أبو على عمر بن محمد الشلوبينى إمام نحاة المغرب . قال صاحب حماة : وقد غلط من قال الشلوبينى هو الأشقر بلغة الأندلس . قال فى "مسالك الأبصار" : وبها يُزرع قصب السكر ، وهى معدة لإرسال من يغضب عليه السلطان من أقاربه .

ومنها (المُنكَب) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة على القرب من شَلُوبِينَ دُونَ المَريّة ، بها دارُ صناعةٍ لإنشاء السفن ، وبها قصب السكر ، ومنها يحمل السكر إلى البلاد ، وبها الموز ، ولا يوجد فى بلد من البلاد الإسلامية [هناك] إلا بها إلا مالا يعتبر ، وبها زبيب مشهور الأسم .

ومنها (بَلَش) . وهى مدينة تلى المنكَب من جهة الغرب ، كثيرة التين والعنب والفواكه . قال أبو عبد الله بن السديد : ليس بالأندلس أكثر عنباً وتيناً يابساً منها .

(٢) ومنها (مالِقة) قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم وألف وكسر اللام وفتح القاف وهاء فى الآخر . وهى مدينة من جنوب الأندلس موقعها فى الإقليم الرابع

(١) ضبطه ابن خلكان فى "الوفيات" بفتح اللام وهو المشهور .

(٢) ضبطها ياقوت فى معجمه بفتح اللام وهو الأشهر .

من الأقاليم السبعة . قال : وقياس ابن سعيد أنها حيث الطول عشر درج وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة : وكانت في القديم مملكة مستقلة ، ثم أضيفت الآن إلى غرناطة وملكتها حتى مملكة قرطبة ، وهي بين مملكتي إشبيلية وغرناطة ، وهي على بحر الزقاق ، وبها الكثير من التين واللوز الحسن المنظر ، ومنها يُنقل يابساً إلى جميع غرب الأندلس . قال في "مسالك الأبصار" : ولها ربضان عامران : أحدهما من علوها والآخر من سفلها وجامعها بديع ، وبصحنه نارنج ونخلة نابتة ، وبها دار صناعة لإنشاء المراكب ، وهي مختصة بعمل صنائع الجلد : كالأغشية ، والحزم ، والمدورات ، وبصنائع الحديد : كالكسكين والمقص ونحوهما . وبها الفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في بلد . قال ابن السديد : وبها سوق ممتد لعمل الخوص من الأطباق وما في معناها ، ولها عدة حصون في أعمالها ، وفي أعمالها يوجد الحرير الكثير .

(١١) ومنها مدينة (مربلّة) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وفتح اللام المشددة وهاء في الآخر . وهي مدينة صغيرة مما يلي مالقة من الغرب على الساحل ، وبها الفواكه الكثيرة والسبك .

ومنها (أشبونة) . وهي مما يلي مربلّة من جهة الغرب على الساحل ، وهي نظيرها في كثرة الفواكه .

ومنها (جبل الفتح) . وهو الذي نزل طارق عند فتح الأندلس في أول الإسلام ، منبعٌ جيداً ، يخرج في بحر الزقاق ستة أميال ، وهو أضيّق ما يكون عنده ، وقد كان هذا

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء وضم اللام .

الجل في مملكة الفرنج وأقام بيدهم عدة سنين ، ثم أعاده الله تعالى إلى المسلمين في أيام السلطان أبي الحسن المريني ، صاحب الغرب الأقصى في زمن الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار المصرية .

ومنها (الجزيرة الخضراء) . وهي مما يلي جبل الفتح من الغرب على الساحل ؛ وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في « تقويم البلدان » : والقياس أنها حيث الطول تسع درج ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال : وهي مدينة أمام سبتة من بر العدو من بلاد الغرب . وهي مدينة طيبة نزهة ، توسطت مدن الساحل ، وأشرفت بسورها على البحر ؛ ومرساها من أحسن المراسي للجواز ، وأرضها أرض زرع وضرع ؛ وخارجها المياه الجارية والبساتين النضيرة ؛ ونهرها يعرف بوادي العسل ، وعليه مكان نزهة يشرف عليه وعلى البحر يعرف بالحاجية ؛ ومن مستنزهاتها مكان يعرف بالنقاء . قال ابن سعيد : وهي من أرشق المدن وأطيبها وأرققها بأهلها وأجمعها خير البر والبحر . قال في « المشترك » : والنسبة إليها جزيري ، للفرق بينها وبين إقليم الجزيرة فإنه ينسب إليه جزري . قال في « مسالك الأبصار » : وهي آخر البلاد البحرية الإسلامية للأندلس وليس بعدها [لهم بلاد] . ثم قال : وهي الآن بيد النصارى أعادها الله تعالى وقصمهم ؛ وقد عدها في « تقويم البلدان » : من كور إشبيلية مما يلي جانب نهرها من الجنوب .

ومنها (رنذة) بضم الراء وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر . وهي بعيدة عن البحر . وعدها في « تقويم البلدان » من كور إشبيلية . ثم قال : وبها معقل تعمم بالسحاب ، وتوشح بالأنهار [العذاب ^(١)] وذكر أنها من كبار البلدان ؛ ثم قال :

(١) الزيادة عن التقويم .

وهى بلدة جليسة ، كثيرة الفواكه والمياه والحِث والمَاشِية ، وأهلها موصوفون بالجمال ورقّة البشرة واللّطافة ؛ وبينها وبين الجزيرة الخضراء مسيرة ثلاثة أيّام .

ومنها (مدينة لَوْشَة) . قال فى "تقويم البلدان" : وهى عن غرناطة على مرحلة بين البسائين والرياض .

ومنها (واديّاش) بفتح الواو وألف ثم دال مهملة مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية وألف ثم شين معجمة . ويقال : (واديّاش) بإبدال الياء همزة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بلدة حسنة ، بدّية ، منيرة جدّا ، كثيرة الفواكه والمزارع ؛ والمياه تُشَقُّ أمام أبوابها كما فى غرناطة ، قريبة من جبل شُكَيْر المقدم ذكره مع غرناطة ، لذلك هى شديدة البرد بسبب ما على الجبل المذكور من الثلج . قال : وهى بلدة مُملِقة ، وأهلها موصوفون بالشّعْر ، ويحكم بها الرؤساء من أقارب صاحب غرناطة أو من يستقلّ بها سلطانا أو من خلّع من سلطان لنفسه .

ومنها (بَسْطَة) . وهى بلدة تلى واديّاش المقدم ذكرها . وعدّها فى "تقويم البلدان" من أعمال جِيّان . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى كثيرة الزرع وأختصّت بالزعفران ، فيها منه ما يكفى أهل المِلّة الإسلامية بالأندلس على كثرة ما يستعملونه منه .

ومنها (أندراش) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة ظريفة ، كثيرة الخصب ، وتخصّ بالفَخَّار الجودّة تُربّتها ، فليس فى الدنيا مثل فخّارها للطبخ . إلى غير ذلك من البلدان مثل أرحضونة وأنّقيرة وبرجة وغيرها . قال فى "مسالك الأبصار" : وحصون هذه المملكة كثيرة جدّا ، فليس بها من بلد إلا وحوله حصون كثيرة محفوظة بؤلاة السلطان ورجالٍ تحت أيديهم .

القاعدة الثانية

(أشْبُونَة)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة وضم الباء الموحدة ثم واو ونون وفي آخرها هاء . قال : وعن بعض المسافرين أن أولها لام . وهي مدينة في غرب الأندلس ، وموقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ست درج وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة مملكة على البحر المحيط في غربي إشبيلية وشماليها ، وغربي باجة . وهي مدينة أزليّة ولها البساتين والثمار المفضّلة على غيرها . قال ابن سعيد : وبينها وبين البحر المحيط ثلاثون ميلا . وهي على جانب نهر يودانس . قال في "تقويم البلدان" : وبزاتها خيار البراة . قال : وكانت في آخر وقت مضافة إلى بطليوس وملكها ابن الأفطس . وذكر في "العبر" : أنها الآن قاعدة مملكة من ممالك النصراني بالأندلس يقال لها مملكة البرتقال ، وأنها عمالة صغيرة ، وقد أضيفت الآن إلى أعمال جليقية كما سيأتي ذكره في الكلام على ملوك الأندلس .

ولها مضافات :

منها (شَتْرَيْن) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وسكون النون وكسر المثناة من فوق والراء المهملة وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون فيما هو مكتوب بخط ابن سعيد . وهي مدينة كانت في القديم من جليقية شمالي الأندلس ، ثم استقرت من أعمال أشبونة المقدم ذكرها . موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان درج وعشر دقائق ، والعرض

أثنتان وأربعون درجة وخمسة وثلاثون دقيقة ، وهى على بحر برطانية : وهو بحر برديل الخارج من البحر المحيط المقدم ذكره فى الكلام على البحور ، وهى على نهر يصب فى البحر وأرضها طيبة .

ومنها (شنترة) . وهى مدينة ذكرها فى "تقويم البلدان" مع أشبونة أستطرادا ونسبها إلى عملها ، ولم يتعرض لضبطها ولا لطولها وعرضها . وقال : إن بها ثقافا مُقرطا فى الكبر والنباله .

ومنها مدينة (باجة) بفتح الباء الموحدة وألف ثم جيم مفتوحة وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البلدان" : وهى شرق أشبونة ، وهى من أقدم مدائن الأندلس ، وأرضها أرض زرع وضرع ، وعسلها فى نهاية الحُسن ، ولها خاصية فى حُسن دباغ الأدم ، وكانت مملكة مستقلة .

القاعدة الثالثة

(بَطْلْيُوسُ)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة وسكون اللام وفتح المشاة التحتية وسكون الواو وسين مهملة فى الآخر . وهى مدينة من غرب الأندلس موقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ تسع درج ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : ومملكتها فى الشمال والغرب عن مملكة قُرطبة . وهى فى الغرب بميلة إلى الجنوب عن مملكة طليطلة . وهى مدينة عظيمة فى بَسيط من الأرض مخضر على جانب نهر . قال : وهى مدينة عظيمة إسلامية كانت بيد المتوكل بن عُمر الأَفْطَس ، وبنى بها المباني العظيمة وفيها يقول ابن الفلاس :

بَطْلَيْوُسُ لَا أَنْسَاكَ مَا أَتَّصِلُ الْبُعْدُ ! * فَلِلَّهِ غُورٌ مِنْ جَنَابِكَ أَوْ نَجْدُ !
وَلِلَّهِ دَوَّاحَاتٌ تَحْفُكُ بَيْنَهَا ، * تَفْجَرُ وَادِيَهَا كَمَا شَقَّ الْقُرْدُ !

وبينها وبين قُرْطَبَة ستة أيام .

ولها مضافات من أعمالها .

منها (مَارِدَة) قال في " تقويم البلدان " : بفتح الميم ثم ألف وراء مهملة مكسورة ودال مهملة وهاء في الآخر كما هو في خط ابن سعيد . وهي مدينة على جنوبي نهر بَطْلَيْوُس ، موقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض تسع عشرة ^(١) درجة . قال في " تقويم البلدان " : وهي مدينة أزيلية ، ولها ماء مجلوب تحير صنعته . قال ابن سعيد : قال الرازي : وهي إحدى القواعد التي بنتها ملوك العجم للقرار . قال : وكان قد آتخذها سلاطين الأندلس قبل الإسلام سريراً لملك الأندلس ، وكانت في دولة بنى أمية يليها عظماء منهم ؛ ثم صار الكرسي بعد ذلك بَطْلَيْوُس ، وقد صارت الآن للنصارى .

ويحكى أنه كان بكنيستها حجر يُضَيء الموضع من نوره ، فأخذته العرب أول دخولها .

ومنها (يَابَرَة) بياء آخر الحروف وألف وباء موحدة وراء مهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة ذكرها في " تقويم البلدان " بعد ذكر بَطْلَيْوُس استطراداً .

(١) في تقويم البلدان أن عرضها تسع وثلاثون درجة .

القاعدة الرابعة

(إشيلية)

قال في "تقويم البلدان" : بكسر الألف وسكون الشين المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت ولام وياء ثانية تحتية وفي آخرها هاء . قال : ومعنى اسمها المدينة المنبسطة . وهي مدينة أزيلية في غرب الأندلس وجنوبية على القرب من البحر المحيط ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول تسع درج وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي على شرقي نهرها الأعظم وجنوبية ، ولها خمسة عشر بابا ، ومملكتها غربي مملكة قرطبة ، فطول مملكتها من الغرب من عند مصب نهرها في البحر المحيط إلى أعلى النهر من الشرق مما يلي مملكة قرطبة نحو خمس مراحل ، وعرضها من الجزيرة الخضراء على ساحل الأندلس الجنوبي إلى مملكة بطليوس في الشمال نحو خمسة أيام ، وبينها وبين قرطبة أربعة أيام ، وهي الآن بيد ملوك النصارى . ولها عدة كور في جنوبي نهرها وشمالية .

فأما كورها التي في جنوبي نهرها وهي الأكثر :

فمنها (كورة أركش) قال في "تقويم البلدان" : بالراء المهملة معقل في غاية المنعة .

ومنها (كورة شريش) قال في "تقويم البلدان" : بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وشين معجمة في الآخر ، وإليها ينسب « الشريشي » شارح "المقامات الحيرية" .

ومنها (كورة طريف) بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين وسكون المثناة التحتية وفاء في الآخر .

وأما التي شماليّ النهر فكورتان : إحداهما (كورة أوتّة) ^(١) . وهي أشهرها وأوتّة مدينة جليّة .

قال في "تقويم البلدان" : ومن الممالك المضافة لإشييلية مملكة شلب . وهي كورة ومدينة في غربيّ إشييلية وشماليّها على ساحل البحر المحيط ، بينها وبين قرطبة تسعة أيام ، وشلب هذه قصر يعرف "بقصر الشراخيب" وهو الذي يقول فيه بعض شعرائهم :

وسلم على "قصر الشراخيب" عن قتي * له أبدا شوق إلى ذلك القصر !

القاعدة الخامسة

(قرطبة)

قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء المهملتين وباء موحدة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : هذا هو المشهور . وقال ابن سعيد : هي بلسان القوط بالطاء المعجمة ونقله عن جماعة . وهي مدينة غربيّ نهر إشييلية في غرب الأندلس بجنوب ، وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول عشر درج ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : ومملكة قرطبة شرقيّ مملكة إشييلية . وهي في الجنوب والشرق عن مملكة بطليوس ، وفي الجنوب عن مملكة طليطلة ، ودور قرطبة ثلاثون ألف ذراع ، وهي أعظم مدن الأندلس ، وعليها سور ضخم من الحجر ، ولها سبعة أبواب ، وبلغت عدّة مساجدها ألفاً وستمائة مسجد ،

(١) أي والثانية كورة شلب .

وَحَمَامَاتِهَا تَسْعَاءُ حَمَام . وهى مدينة حصينة . وقد آستولت عليها ملوك النصرانية ،
وهى بأيديهم إلى الآن .

ولها مضافات :

منها (مدينة الزهراء) . وهى مدينة بناها الناصر الأموى فى غربى قُرْبَة ،
فى سفح جبل .

ومنها (القصير) . وهو حصن فى شرقى قُرْبَة على النهر ، وله كورة من
أشهر كورها .

ومنها (حصن المدور) . وهو المعقل العظيم المشهور ، وللروم به اعتناء عظيم .

ومنها (حصن مراد) . وهو حصن فى غربى قُرْبَة .

ومنها (كورة غافق) . وهى معاملة كبيرة .

ومنها (كورة إستجة) . وغير ذلك .

القاعدة السادسة

(طليطلة)

قال فى " تقويم البلدان " : بضم الطاء المهملة وفتح اللام وسكون المثناة من
تحت وكسر الطاء الثانية ثم لام وهاء فى الآخر . وموقعها فى آخر الإقليم الخامس
قال ابن سعيد : حيث الطول خمس عشرة درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث
وأربعون درجة وثمان عشرة دقيقة . وهى مدينة أزلية كانت قاعدة الأندلس
فى القديم ، وبها كان كرسى ملك « لدريق » : آخر ملوك القوط الذى أترعها

المسلمون منه . وهى الآن قاعدة مُلْك « الادفونش » أكبر ملوك النصرانية بالأندلس المعروف بالفنش . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من امنع البلاد وأحصنها ، مبنية على جبل عال ، والأشجار مُحْدقة بها من كل جهة ، ويصير بها الجُلنار بقدر الرمانة من غيرها ، ويكون بها شجر الرمان عدّة أنواع ، ولها نهر يمر بأكثرها ينحدر من جبل الشارة من عند حصن هناك يقال له (باجة) وبه يعرف نهر طليطلة . فيقال : نهر باجة ، ومنها إلى نهاية الأندلس الشرقية عند الحاجز الذى هو جبل البرت نحو نصف شهر ، وكذلك إلى البحر المحيط بجهة شلب .

ولها مضافات :

منها (مدينة وكيد) بفتح الواو وكسر اللام وسكون المشاة من تحت ودال مهمة فى الآخر . وموقعها فى أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول إحدى عشرة درجة وأثنا عشرة دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وثلاث دقائق . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من أحسن المُدن . وهى فى الغرب من طليطلة فى جنوبى جبل الشارة الذى يقسم الأندلس بنصفين . قال : ويحلّها الفنش ملك الفرنج فى أكثر أوقاته .

(١) ومنها (مدينة الفرج) [بفتح الفاء والراء المهمة ثم جيم] وهى مدينة شرقى طليطلة . وشرقيها مدينة سالم . قال ابن سعيد : ويقال لنهرها وادى الحجارة .

ومنها (مدينة سالم) قال ابن سعيد : وهى بالجهة المشهورة بالشعر من شرقى الأندلس . قال : وهى مدينة جليلة . قال فى "تقويم البلدان" : وبها قبر « المنصور بن أبى عامر » .

(١) ضبطناها من التقويم لثم الفائدة .

القاعدة السابعة

(جاء)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح الجيم وتشديد المثناة من تحت وألف ونون في الآخر . وموقعها في أول الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : ومملكتها بين مملكتي غرناطة وطليطلة . وهي في نهاية من المنعة والحصانة . وهي عن قرطبة في جهة الشرق وبينهما خمسة أيام ، وهي من أعظم مدُن الأندلس وأكثرها خصبا ، وكانت بيد بني الأحمر أصحاب غرناطة فأخذتها الفرنج منهم بالسيف بعد حصار طويل ، وبلادها كثيرة العيون ، طيبة الأرض ، كثيرة الثمار ، وبها الحرير الكثير .

ولها مضافات :

منها (مدينة قَبْجَاطَة) . وهي مدينة زَرْهَة كثيرة الخصب ، أخذها النصارى بالسيف أيضا .

ومنها (بَيَّاسَة) بفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية وألف ثم سين مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة على نهر إشبيلية فوق إشبيلية ، طيبة الأرض ، كثيرة الزرع ، وبها الزعفران الكثير ، ومنها يحمل إلى الآفاق .

ومنها (مدينة آدَة) بمد الهمزة المفتوحة وكسر الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر . وهي مدينة إسلامية أُحدثت في دولة بني أمية بالأندلس بجوار بَيَّاسَة إلا أنها ليست على النهر ، ولها عين تسقى الزعفران .

(١)
ومنها (جبل سَمْتَان) . وهو جبل به حصُون وُقُرَى كثيرة .
ومنها (مَعْقِلُ شَقُورَة) و (حصن بَرشَانَة) .

القاعدة الثامنة

(مُرْسِيَة)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الميم وسكون الراء وكسر السين المهملتين ثم ياء
مثناة من تحتها وهاء في الآخر . وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة
قال ابن سعيد : حيثُ الطول ثمان عشرة درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة
وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة إسلامية مُحَدَثَة ، بُنِيَتْ
في أيام الأمويين الأندلسيين ، قال وهي من قواعد شرق الأندلس . وهي تُشَبَّه إشبيلية
في غرب الأندلس بكثرة المنازله والبساتين ، وهي في الذراع الشرقى الخارج من عين
نهر إشبيلية .

ولها عدة منزهات .

(٢)
منها [(الرَّشَاقَة) و (الزَّيْتَات) و (جبل إيل) وهو] جبل تحته البساتين ، وبَسَطَ
تسرح فيه العيون .

ولها مضافات :

منها (مدينة مُوَلَة) . وهي في غربى مُرْسِيَة .

ومنها (مدينة أَرْيُولَة) وغير ذلك .

(١) كذا في التقويم ص ١٧٧ ولم نعر عليه .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

القاعدة التاسعة

(بَلَنْسِيَّةُ)

قال في "تقويم البلدان": بفتح الباء الموحدة واللام وسكون النون وكسر السين المهملة وفتح المثناة من تحت وهاء في الآخر. وموقعها في أواخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد: حيث الطول عشرون درجة، والعرض ثمان وثلاثون درجة وست دقائق. قال في "تقويم البلدان": وهي من شرق الأندلس، شرقي مرسية وغربي طرطوشة. وهي في أحسن مكان؛ وقد حُفَّتْ بالأشجار والحدائق، فلا ترى إلا مياهها تتفرع، ولا تسمع إلا أطيارا تسجع. وهي على جنب بحيرة حسنة على القرب من بحر الزقاق، يصب فيها نهر يجري على شمالي بلنسية. ولها عدة منازله.

منها (الرصاصية) و(منية ابن عامر) وحيث خرجت منها لالتقى إلا منازله. قال ابن سعيد: ويقال إن ضوء مدينة بلنسية يزيد على ضوء بلاد الأندلس، وجوها صقيل أبدا، لا يرى فيه مايكدرة.

ولها مضافات: وقد صارت الآن من مضافات برشلونة في جملة أعمال صاحبها من ملوك النصارى -.

منها (مدينة شاطبة) بفتح الشين المعجمة وألف بعدها طاء مهملة مكسورة ثم باء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر. وهي مدينة عظيمة، ولها معقل في غاية الأمتناع وعدة مستنزهات: منها (البطحاء) و(الغدير) و(العين الكبيرة). وإليها ينسب الشاطبي صاحب "القصيدة" في القراءات السبع؛ وقد صارت الآن مضافة إلى ملك برشلونة في يد صاحبها.

(١) هذه الجملة ساقطة من القطعة الأثرية.

ومنها (دانية) بفتح الدال المهملة وألف ثم نون مكسورة ومشاة تحتية مفتوحة وهاء في الآخر . وهى من شرق الأندلس ، وموقعها في أوائل الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ تسعَ عشرةَ درجةً وعشرُ دقائقُ ، والعرضُ تسعُ وثلاثونَ درجةً وستُ دقائقُ . وهى غربى بِلَنْسِيَّةَ على البحرِ عظيمةُ القدرِ كثيرةُ الخيراتِ ، ولها عدَّةُ حصون . وقد صارت الآن من مُضافاتِ بَرَشْلُونَةِ مع بِلَنْسِيَّةَ ، على ماسياتى ذكره في الكلام على ملوك الأندلس إن شاء الله تعالى .

القاعدة العاشرة

(سَرَقُشْطَةُ)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملتين وضم القاف وسكون السين الثانية وفتح طاء المهملة وهاء في الآخر . وهى مدينةٌ من شرق الأندلس ، وموقعها في أواخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطولُ إحدى وعشرونَ درجةً وثلاثونَ دقيقةً ، والعرضُ اثنتانِ وأربعونَ درجةً وثلاثونَ دقيقةً . قال في "تقويم البلدان" : وهى قاعدة الثغر الأعلى . وهى مدينة أَرْلِيْسَةُ بيضاءُ فى أرض طيِّبة ، قد أحْدَقَتْ بها من بسائنها زُمُرُدة خضراء ، وأتَفَّ عليها أربعة أنهار فأضحت بها مُرَصَّعةً مُجَزَّعةً .

ولها متنزّهات :

منها (قَصْرُ السُرور) و(مجلس الذهب) . وفيهما يقول ابن هُوْدٍ من أبيات :
قَصْرَ السُرورِ ومَجْلِسَ الذَّهَبِ ، * يَكَا بَلَغَتْ نِهَايَةَ الطَّرَبِ !

القاعدة الحادية عشرة

(طُرطُوشَة)

(١) قال في "تقويم البلدان" : يضم الطائين المهملين وبينهما راء ساكنة مهملة ثم واو ساكنة وشين معجمة وهاء في الآخر . وهى مدينة في شرق الأندلس ، موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربعون درجة . قال : وهى من كراسى ملك شرق الأندلس . وهى شرقيّ بلنسية في الجهة الشرقية من النهر الكبير الذى يمر على سرقسطة ويصب في بحر الزقاق ، على نحو عشرين ميلا من طرطوشة . قال : وشرقيّ طرطوشة (جزيرة مأرقة) في بحر الزقاق ؛ وإلى طرطوشة هذه ينسب «الطرطوشى» صاحب "سراج الملوك" .

القاعدة الثانية عشرة

(بَرَشُونَة)

قال في "تقويم البلدان" : يفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر . ويقال (بَرَشُونَة) ببدال النون الأولى لما قال في "تقويم البلدان" : وهى خارجة عن الأندلس في بلاد الفرنج ، وموقعها في أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول أربع وعشرون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون

(١) ضبطها ياقوت بفتح الطاء الأولى وضم الثانية وقال المجد بالضم وقد تفتح .

درجة . وهى الآن قاعدة مُلْك النصارى بِشَرْق الأندلس ، وقد أضيف إليها أرغون ، وشاطِبة ، وسَرْقُسطة ، وبلَنْسية ، وجزيرة دانية ، وميُورقة ، وغير ذلك . على ما يأتى ذكره فى الكلام على ملوك الأندلس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثالثة عشرة

(يَنْبُلُونَةُ)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الياء المثناة من تحت وسكون النون وضم الباء الموحدة واللام ثم واو ساكنة ونون مفتوحة وهاء فى الآخر . وموقعها فى أوائل الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيثُ الطول اثنتان وعشرون درجةً وخمس عشرة دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة فى غرب الأندلس خلف جبل الشَّارة . قال : وهى قاعدة النَّبْرِى : أحد ملوك الفرنج . وتعرف هذه المملكة بمملكة نَبْرَة - بفتح النون وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وفتح الراء المهملة وهاء فى الآخر . وهى مملكة فاصلة بين مملكتي قَشْتَالَة وبرشْلُونَة ، وهى مما يلي قَشْتَالَة من جهة الشرق ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على ملوك الأندلس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(فى ذكر أنهاره)

اعلم أن بالأندلس أنهارا كثيرة قد تقدّم ذكر الكثير منها ، وأعظمها نهران : الأول (نهر إشبيلية) . قال ابن سعيد : وهو فى قَدْرِ دجلة ، وهو أعظم نهر بالأندلس ، ويسميه أهل الأندلس النهر الأعظم . قال فى "تقويم البلدان" ومخرجه

من جبال شقورة حيث الطول خمس عشرة درجة ، والعرض ثمان وثلاثون وثلثان ، وهو يجري في أبتدائه من الشرق إلى الغرب ؛ ثم يصبُّ إليه عدة أنهر .

منها (نهر شنيل) الذي يمرُّ على غرناطة . ونهر (سوس) الذي عليه مدينة إستجة ، ويسير من جبال شقورة إلى جهات جيان ، ويمرُّ على مدينة بياسة ، ومدينة آبدة ؛ ثم يمرُّ على قرطبة ، ثم إذا تجاوز قرطبة وقرب من إشبيلية ينعطف ويجرى من الشمال إلى الجنوب ، ويمرُّ كذلك على إشبيلية ، وتكون إشبيلية على شريقه وطريقه على غربيته مقابل إشبيلية من البر الآخر ؛ ثم ينعطف فيجري من الشرق إلى الغرب ، ثم يجاوز حتى يصبُّ في البحر المحيط الغربي عند مكان يعرف ببر المائدة ، حيث الطول ثمان درج وربع ، والعرض ست وثلاثون وثلثان ، وتكون جزيرة قادس في البحر الرومي على يسار مصبه ؛ ويقع في هذا النهر المد والجزر من البحر كما في دجلة عند البصرة ، ويبلغ المد والجزر فيه سبعين ميلا إلى فوق إشبيلية عند مكان يعرف بالأرعى ، ولا يملح ماؤه بسبب المد عند إشبيلية بل يبقى على عذوبته ؛ وبين إشبيلية وبين مصب النهر في البحر خمسون ميلا ، فالمد يتجاوز إشبيلية بعشرين ميلا ؛ والمد والجزر يتعاقبان فيه كل يوم وليسلة ، وكلما زاد القمر نورا زاد المد ، والمراكب لا تزال فيه متحدرة مع الجزر صاعدة مع المد ، وتدخل فيه السفن العظيمة الإفريقية بوسقها من البحر المحيط حتى تحط عند سور إشبيلية . قال ابن سعيد : وعلى هذا النهر من الضياع والقرى ما لا يبلغه وصف .

الثاني (نهر مرسية) . قال في "تقويم البلدان" : وهو قسم نهر إشبيلية ، يخرجان من جبال شقورة فيمتد نهر إشبيلية مغربا على ماتقدم ويصبُّ في البحر المحيط . ويمرُّ نهر مرسية مشرقا حتى يصبُّ في بحر الروم عند مرسية .

(١) المراد أن مد النهر وجزره من مد البحر وجزره .

الجملة الرابعة

(في الموجود بالأندلس)

والظاهر أن كل ما يوجد ببلاد المغرب أو غالبه يوجد به . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنه يوجد به من الوحش : الإيل ، والغزال ، وحمار الوحش . ولا يوجد به الأسدُ البتّة . وقد تقدّم ذكر ما يُبلّدانه من الفواكه والثمار في الكلام على بلاده فأغنى عن إعادته هنا . قال في "تقويم البلدان" : وبه عدّة مقاطع رخام من الأبيض والأحمر والخمرى والمجزع وغير ذلك .

الجملة الخامسة

(في ذكر ملوك الأندلس : جاهليّة ، وإسلاماً . وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(ملوكها بعد الطوفان)

قال الرازي في كتاب "الاستيعاب" في تاريخ الأندلس : أول من ملكها بعد الطوفان على ما ذكره علماء عجمها قوم يُعرفون بالأندلس بالشين المعجمة ، وبهم سُمّي الأندلس ، ثم عرب بالسين المهملة ؛ وكانوا أهل تَجَشُّس فحس الله عنهم المطر حتى غارت عيونها وبيست أنهارها فهلك أكثرهم ، وفرّ من قدر على الفرار منهم ، فأفقرت الأندلس وبقيت خالية مائة عام .

وقال « هرودوتوس » مؤرخ الروم : أول من سكنها بعد الطوفان قوم يقال لهم الأباريون ، وهم من ولد طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام سكنوها بعد الطوفان . قال في "الروض العطار" ويقال : إن عدد ملوكهم الذين ملكوا الأندلس مائة وخمسون ملكاً .

الطبقة الثانية

الأشبانة

(ملكوا بعد طائفة الأندلس المتقدم ذكرهم)

قال الرازي : وأول من ملك منهم أشبان بن طيطش ، وهو الذي غزا الأفرقة وحصر ملكهم بطارقة ، ونقل رُخامها إلى إشبيلية وأخذها دار ملكه ، وبه سميت ، وكثرت جموعه فعلا في الأرض ، وغزا من إشبيلية إيلياء : وهي بيت المقدس بعد سنتين من ملكه : خرج إليها في السفن فهدهما وقتل من اليهود مائة ألف ، وأسترق مائة ألف ، وفزق في البلاد مائة ألف ، ونقل رُخام إيلياء وآلاتها وذخائرهما إلى الأندلس .

ويحكى أن الخضر (عليه السلام) وقف على أشبان هذا وهو يحرق أرضا له أيام حدثه ، فقال له : يا أشبان ، إنك لذو شان ! وسوف يحطيك زمان ، ويعليك سلطان . فإذا أنت تعلبت على إيلياء ، فارفق بورثة الأنبياء ! - فقال له أشبان : أساجرني رحمك الله ؟ أتى يكون هذا وأنا ضعيف مهين ، فقير حقير ؟ - فقال : قدر ذاك من قدر في عصاك اليابسة ماتراه ، فنظر أشبان إلى عصاه فراها قد أورقت ، فأرتاع لذلك ، وذهب الخضر عنه وقد وقر ذلك في نفسه ، ووثق بكونه ، فترك الامتحان ، وداخل الناس ، وصحب أهل الباس ، وسمّا به جدّه فارتقى في طلب السلطان حتى نال منه عظيما ، ودام ملكه عشرين سنة ، وأتصلت المملكة في بنيه إلى أن ملك منهم الأندلس خمسة وخمسون ملكا .

الطبقة الثالثة

(١)

(الشبونات)

وهي طائفة ثارت على الأندلس من رومة في زمن مبعث المسيح عليه السلام ،
وملكوا الأندلس والإفرنجة معها ، وجعلوا دار ملكتهم ماردة ، واتصل ملكهم
إلى أن ملك أربعة وعشرون ملكا . ويقال : إن منهم كان ذو القرنين . والذي
ذكره « هروشيوش » مؤرخ الروم أن الذي خرج عليهم من رومة ثلاث طوابع
من الغريقين . وهم : الألبيون ، والشوانيون ، والقندلس ، واقتسموا ملكها :
فكانت جليقية لقندلس ، ونشبونة وماردة وطليطلة وعُرسية للشوانيين ، وكانت
إشبيلية وقرطبة وجيان ومالقة للألبين ، حتى زحف عليهم القوط من رومة كما سيأتي .

الطبقة الرابعة

(القوط)

خرجوا على الشبونات فغلبوا على الأندلس واقتطعوها من صاحب رومة ،
وأنفردوا بسلطانهم ، واتخذوا مدينة طليطلة دار ملكهم (دخشوش) ملك القوط ،
وهو أول من تنصّر من هؤلاء بدعاء الحواريين ودعا قومه إلى النصرانية ، وكان
أعدل ملوكهم وأحسنهم سيرة .

وقال « هروشيوش » : إنه كان قد ولي عليهم ملك يقال له (اطفالش) .

ثم ولي عليهم بعده ملك اسمه (طشريك) وقتله الرومانيون .

(١) في "فتح الطيب ج ١ ص ٧٠" البشونقات .

(٢) في "فتح الطيب ج ١ ص ٧٠" سبعة وعشرون .

ثم ولى مكانه ملك اسمه (تالبه) ثلاث سنين، وزوج أخته من طودشيش ملك الرومانيين، وصالحه على أن يكون له ما يفتح من الأندلس؛ ثم مات .

وولى مكانه ملك اسمه (لُذريق) ثلاث عشرة سنة فزحف على الأندلس وقتل ملوئها، وطرده الطوائف الذين كانوا بها، وبقي الحال على ذلك نحواً من ثمانين سنة؛ ثم هلك لُذريق .

وولى مكانه ابنه (وريقش) سبع عشرة سنة، وانتقض عليه البشكنس إحدى طوائف القوط فقهرهم وردّهم إلى طاعته؛ ثم هلك .

وولى بعده (الريك) ثلاثاً وعشرين سنة؛ ثم قُتل في حرب الفرنج .

وولى عليهم (أشترىك بن طودريك) وهلك بعد خمس سنين من ملكه .

وولى عليهم بعده (بشليقش) أربع سنين .

ثم ملك بعده ملك آخر اسمه (طودريق) إحدى وستين سنة وقتله بعض أصحابه بإشيبيلية .

وولى بعده ملك اسمه (املريق) خمس سنين .

ثم ولى بعده ملك اسمه (طودش) ثلاث عشرة سنة .

ثم ولى بعده (طودشكل) سنتين .

ثم ملك بعده ملك اسمه (ايلة) خمس سنين، وانتقض عليه أهل قرطبة فخاربههم وردّهم إلى طاعته .

(١) في "العبرج ٢ ص ٢٣٥" طودوشيش .

(٢) في "العبرج" الديك بالبدال المهملة .

(٣) في "العبرج ٢ ص ٢٣٦" إبرليق . وفيه في هذا الموضع خلاف لما بيدنا من الاصل في كثير من الاسماء .

ثم ولي بعده ملك اسمه (طنجاد) خمس عشرة سنة .

ثم ولي بعده ملك اسمه (ليوية) سنة واحدة .

ثم ولي بعده ملك اسمه (لَوَيْلَه) ثمانى عشرة سنة ، وانتقضت عليه الأطراف
فاربهم وسكنهم ؛ ثم قُتل .

وولى ابنه (رُذْرِيق) ست عشرة سنة ، وهو الذى بنى البلاط المنسوب إليه
بقُرطبة .

ولما هلك ولي بعده ملك اسمه (ليوية) ستين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (بَثْرِيق) سبع سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (عندمار) ستين .

ثم ملك بعده ملك اسمه (شَشِيُوط) ثمان سنين ؛ وعلى عهده كان (هرقل) ملك
قسطنطينية والشام ، ولعهده كانت الهجرة .

ثم ملك بعده ملك اسمه (رُذْرِيق) ثلاثة أشهر .

ثم ملك بعده ملك اسمه (شَتْلَة) ثلاث سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (شَشِنَادَش) خمس سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (خَشُونَد) سبع سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (جَشُونَد) ثلاثا وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ملك اسمه (بَانِيَه) ثمان سنين .

ثم ولي بعده ملك اسمه (لورى) ثمان سنين .

ثم ملك بعده رجل اسمه (آيَهَه) ست عشرة سنة .

ثم ولى بعده رجل اسمه (غَطْسَه) أربع عشرة سنة .

ثم ولى بعده رجل اسمه (لذريق) ستين ، وهو الذى غلبه المسلمون على الأندلس وفتحوها منه ، وهو آخر من ملك منهم . قال صاحب "الروض المِعْطَار" : وعدد من ملك منهم إلى آخرهم وهو (لذريق) ستة وثلاثون ملكا .

الطبقة الخامسة

(ملوكها على أثر الفتح الإسلامى)

وكان فيئها فى خلافة الوليد بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أمية فى سنة اثنين وتسعين ، وكان من أمر فتحها أن طليطلة كانت دار الملك بالأندلس يومئذ ، وكان بها بيت معلق متحامي الفتح ، يلزمه من ثقات القوط قوم قد وكلوا به كي لا يفتح ، يعهد الأول بذلك للآخر ، كلما ملك منهم ملك زاد على ذلك البيت قفلا . فلما ولى «لذريق» الأخير ، عزم على فتح الباب والأطلاع على ما فى البيت ، فأعظم ذلك أكارهم وتضرعوا إليه فى الكف ، فأبى وظن أنه بيت مال ، ففص الأقفال عنه ودخله ، فأصابه فارغا لاشئ فيه إلا تابوتا عليه قفل ، فأمر بفتحه فألفاه أيضا فارغا ليس فيه إلا شقة مدرجة قد صورت فيها صور العرب على الخيول ، وعليهم العمام متقلدو السيوف متنكبوا القسي ، رافعوا الرايات على الرماح ، وفى أعلاه كتابة بالعجمية فقرئت فإذا هى "إذا كسرت هذه الأقفال عن هذا البيت ، وفتح هذا التابوت ، فظفر ما فيه من هذه الصور فإن الأمة المصورة فيه تغلب على الأندلس وتملكها" فوجم لذريق وعظم غمّه وغم الأعاجم ، وأمر برد الأقفال ، وإقرار الحرس على حالهم .

وكان من سيرة الأعاجم أن يبعث أكابرهم بأولادهم ذكورا كانوا أو إناثا إلى بلاط الملك، ليتأدّبوا بأدبه، وينالوا من كرامته حتى إذا بلغوا أنكح بعضهم بعضا استئلافا لأبائهم . وكان للذريق عامل على سبّعة من برّ العدوّة يسمى يُلْيَان ، وله ابنة فائقة الجمال ، فوجّه بها إلى دار للذريق على عادتهم في ذلك ، فوقع نظر للذريق عليها فأعجبته ، فاستكرهها على نفسها فاحتالت حتى أعلمت أباهَا بذلك سرا ، فشقّ ذلك عليه ، وحلف ليزيلن سلطان للذريق ، ثم تلطف حتى اقتلع بنته من بيت للذريق ، ثم لم يلبث يُلْيَان [أن كتب] إلى موسى بن نصير أمير أفرقيّة من جهة « الوليد بن عبد الملك » يحرضه على غزو الأندلس ، وحثّه على ذلك ، ووصف له من حسنّها وفوائدها مادعاها إلى ذلك وهوّن عليه أمر فتحها . فتوثّق منه موسى بن نصير بذلك ، ودعا مولاه كان على مقدّماته ، يقال له « طارق بن زياد » فعقد له وبعثه إليها في سبعة آلاف ، وهيا له يُلْيَان المراكب ، فعبّر البحر وحلّ بجبل هناك يعرف الآن (بجبل طارق) فوجد محجوزا من أهل الأندلس - فقالت له : إنه كان لي زوج عالم بالحدّثان ، وكان يحدث عن أمير يدخل بلدنا هذا ، ويصفه بأنه صخّم الهامة وأنت كذلك ، وكان يقول : إنه بكتفه الأيسر شامة عليها شعر ، فكشف طارق ثوبه فإذا بالشامة كما ذكرت العجوز ، فاستبشر بذلك .

ويحكى أنه رأى (وهو في المركب) النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة يمشون على الماء حتى مروا ، فبشّره النبي صلى الله عليه وسلم بالفتح ، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ، فاستيقظ مستبشرا ، وتيقن الفتح ، وهم البلد فلكها . وكان عسكره قد انتهى إلى أثني عشر ألفا إلا ستة عشر ، وللذريق في ستمائة ألف ، « والله يؤيد بنصره من يشاء » . وأقام طارق بالأندلس حتى قدم إليها مولاه موسى ابن نصير المتقدم ذكره في رجب من السنة المذكورة . وأقام موسى فيها سنتين

ثم أنصرف إلى القيروان ، واستخلف عليها ابنه (عبد العزيز) فنزل قرطبة وأخذها دار إماره لهم ؛ وتوجه موسى سنة ست وتسعين بما سباه وما غنمه إلى الوليد ابن عبد الملك ؛ ثم دس سليمان بن عبد الملك على عبد العزيز المذكور من قتله بالأندلس لآتمامه بموالة أخيه الوليد .

ثم وليها بعده (عبد العزيز) ^(١) بن عبد الرحمن القيسي سنتين وثلاثة أشهر .

ثم وليها (السَّمُحُ بن مالك) الحولاني سنتين وتسعة أشهر .

ثم وليها (عَبَسَةُ بن سُحَيْم) الكلبي أربع سنين وخمسة أشهر .

ثم وليها (يحيى بن مسلمة) سنتين وستة أشهر .

ثم وليها (حذيفة بن الأحوص) القيسي سنة واحدة .

ثم وليها (عثمان بن أبي نُسَعة) الخثعمي خمسة أشهر .

ثم وليها (الهيثم بن عبيد) خمسة أشهر .

ثم وليها (عبد الرحمن بن عبد الله) الغافقي سنتين وثمانية أشهر .

ثم وليها (عبد الملك) بن [قَطَن الفهري] ^(٢) أربع سنين .

ثم وليها (عُقْبَةُ بن الججاج) خمس سنين وشهرين .

ثم وليها (مُفْلِح بن بشر القيسي) ^(٣) أحد عشر شهرا .

ثم وليها (حُسَّام بن ضَرَّار) الكلبي سنتين .

(١) لعله وليها بعد عبد العزيز أيوب بن حبيب النخعي كما يؤخذ من نقح الطاييب والعبر .

(٢) في الاصل قطار، والتصحيح عن العبر ج ٤ ص ١١٩ .

(٣) في "العبر ج ٤ ص ١١٩" باخ بن بشر وفيه في هذا المكان زيادة ونقص وتقديم وتأخير في الولاة .

(١) ثم وليها (نوابة الجُدَامَى) سنة واحدة .

ثم وليها (يوسفُ بنُ عبد الرحمن) الفُهْرِيُّ تسع سنين وتسعة أشهر .

ثم كانت دولةُ بني أمية بالأندلس ، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

الطبقة السادسة

(بنو أمية ، وكانت دارُ ملكهم بها مدينة قُرْطُبَة)

وأول من ملكها منهم (عبدُ الرحمن بنُ معاوية) بن هشام ، بن عبد الملك ،
 ابن مروان ، بن الحكم ، ويُعرف (بعبد الرحمن الداخل) . وذلك أن بني العبَّاس
 لما نتَبَعُوا بني أمية بالقتل ، هرب عبد الرحمن المذكور ، ودخل الأندلس وأستولى
 عليها في سنة تسع وثلاثين ومائة من الهجرة ، وقصده بنو أمية من المشرق والتجَّؤوا
 إليه . وتوفَّى في ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة .
 (٢)

وملك بعده ابنه (هشام) وتوفَّى سنة ثمانٍ وسبعين ومائة .
 (٣)

وَأَسْتُخِلَفَ بعده ابنه (الحكم) وفي أيامه أَسْتَعَادَ الفَرَجُ مَدِينَةَ بَرَشْلُونَةَ في سنة
 خمس وثمانين ومائة ، وتوفَّى لأربع بقين من ذى الحجة سنة ستٍّ ومائتين .
 وأقام في الملك بعده ابنه (عبدُ الرحمن) وتوفَّى في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين
 ومائتين .

(٤) وملك بعده ابنه (محمد) وتوفَّى في سلخ صفر سنة أثلنتين وسبعين ومائتين ، وعمره
 خمس وستون سنة .

(١) في "العبر" و"فتح الطيب" ثعلبة بن سلامة الجُدَامَى .

(٢) في "الكمال ج ٦ ص ٤٠" وقيل سنة ثنتين وسبعين ... وهو الاصح .

(٣) في "العبر والكمال" سنة ثمانين ومائة .

(٤) في "الكمال ج ٦ ص ١٥٣" ثلاث وسبعين .

وملك بعده أبنه (المُنْدَر) وتوفى لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين .

وبويع أخوه (عبد الله) يوم موته ، وتوفى في ربيع الأول سنة ثمانمائة .

وولى بعده ابن أبنه (عبد الرحمن) بن محمد المقتول ابن عبد الله المتقدم ذكره ، وخوِط بأمر المؤمنين ، وتلقب بالناصر بعد أن مضى من ولايته تسع وعشرون سنة ، عند ما بلغه صَعْفُ خلفاء العباسيين بالعراق وظهور الخلفاء العلويين بأفريقية ، ومحاطبتهم بأمر المؤمنين ؛ وتوفى في رمضان سنة خمسين وثمانمائة .

وولى الأمر بعده أبنه (الحكم) وتلقب بالمستنصر ، وتوفى سنة ست وستين وثمانمائة .

وعهد إلى أبنه (هشام) ولقبه المؤيد ، وبايعه الناس بعد موت أبيه ، فأقام إلى سنة تسع وتسعين وثمانمائة .

ثم غلبه (محمد بن هشام) بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، وتلقب بالمهدي في جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

ثم غلبه (سليمان بن الحكم) بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر المتقدم ذكره ، فهرب محمد بن هشام المذكور وأستولى على الخلافة في شوال من السنة المذكورة .

ثم غلبه (محمد بن هشام) المهدي المذكور في منتصف شوال من السنة المذكورة .

ثم عاد (هشام بن الحكم) المتقدم ذكره في سابع ذى الحجة من السنة المذكورة .

ثم عاد (سليمان بن الحكم) المتقدم ذكره في منتصف شوال سنة ثلاث وأربعمائة ، ولقب بالمستعين .

ثم غلبه (المهدي محمد) بن هشام المتقدم ذكره في أثنائات السنة المذكورة .

ثم غلبه (المستعين) على قُرطبة ، ثم قُتِل المهديُّ محمدُ بنُ هشام المذكور وعاد [هشام المؤيد^(١)] إلى خلافته ، هذا كله والمستعين محاصر لقُرطبة ، إلى أن أفتتحها عنوةً سنة ثلاث وأربعمائة ، وقتلوا المؤيد هشاماً .

ثم جاء (علي بن حمود) وأخوه (قاسم) من الأدارسة : ملوك الغرب في عساكر من البربر فملكوا قُرطبة سنة سبع وأربعمائة وقتلوا المستعين وأزالوا ملك بني أمية من الأندلس ، وأتصل ذلك في خلفهم سبع سنين .

ثم غلب علي بن حمود ، المرتضى بالله عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ، ابن المرتضى عبد الرحمن بن الناصر أمير المؤمنين .

ثم اجتمعوا على رد الأمر لبني أمية ، ثم ولي بعد ذلك المستظهر بالله (عبد الرحمن) ابن هشام بن عبد الجبار في رمضان سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ثم غلب عليه المستكنى بالله (محمد بن عبد الرحمن) بن عبيد الله ، بن عبد الرحمن ، الناصر أمير المؤمنين .

ثم رجع الأمر إلى (يحيى بن علي) بن حمود سنة ست عشرة وأربعمائة .

ثم بويع للعتمد بالله (هشام بن محمد) أخى المرتضى من بني أمية سنة ثمان عشرة وأربعمائة^(٢) . وتوفي بها سنة ثمان وعشرين ، وأتقطعت دولة الأموية من الأندلس ، والله وارث الأرض ومن عليها .

(١) الزيادة عن العبرج ٤ ص ١٥١ لتوضيح المقام .

(٢) في "العبرج ٤ ص ١٥٢" وفر إلى لاردة فهلك بها

الطبقة السابعة

(ملوك بني حمود من الأدارسة: ملوك الغرب)

كان في جملة جماعة المستعين: سليمان بن الحكم الأموي المتقدم ذكره القاسم وعليّ
أبنا حمود، بن ميمون، بن أحمد، بن عليّ، بن عبيد الله، بن عمر، بن إدريس بعد
انقراض دولتهم بفاس وانتقالهم إلى تخارمة وقيام رياستهم بها، فعقد المستعين للقاسم
عليّ الجزيرة الخضراء من الأندلس، وعليّ عليّ طنجة وعملها من برّ العدوة. وطمعت
نفس عليّ بن حمود صاحب طنجة في الخلافة، وزعم أن المؤيد هشاماً من بني أمية
عند حصارهم إياه كتب له بعهد الخلافة، فبايعوه بالخلافة وأجاز إلى مالقة فملكها،
ودخل قرطبة سنة سبع وأربعمئة، وتلقب بالناصر لدين الله وأتصلت دولته إلى أن
قتله صقالبته بالحمام سنة ثمان وأربعمئة.

فولي مكانه أخوه (القاسم) بن حمود الذي كان بطنجة وتلقب بالمأمون.

ثم غلبه عليّ ذلك (يحيى ابن أخيه عليّ) وزحف إلى قرطبة فملكها سنة
ثنتي عشرة وأربعمئة وتلقب بالمعتلي، وكانت له وقائع كان آخرها أن اتفقوا على تسليم
المدائن والحصون له، فعلا سلطانه، واشتد أمره، وأخذ في حصار ابن عباد
بإشبيلية فحبا به فرسه وقُتل، وأتقطعت دولة بني حمود بقرطبة.

ثم استدعى قومه أخاه (إدريس) بن عليّ بن حمود من سبتة وطنجة فبايعوه عليّ
أن يولي سبتة (حسن ابن أخيه يحيى) فقم له الأمر بمالقة وتلقب بالمؤيد بالله، وبايعه
أهل المرية وأعمالها ورندة والجزيرة، ومات سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة.

وبايع البربر بعده (حسن بن يحيى) المعتلي، ولقبوه المستنصر، وبايعته غرناطة
وجملة من بلاد الأندلس، ومات مسموماً سنة ثمان وثلاثين وأربعمئة.

وكان (إدریس بن یحیی) المعتلى معقلاً ، فَأُخْرِجَ وَبُوعَ لَهُ سَنَةٌ ثَلَاثِينَ وَأَرْبَعًا ، وَأَطَاعَتْهُ غَرْ نَاطَةُ وَقَرْمُونَةُ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَلُقِّبَ الْعَالِي ، ثُمَّ قَتَلَ مُحَمَّدًا وَحَسَنًا ابْنَيْ عَمِّهِ إِدْرِيسَ ، فَثَارَ السُّودَانُ بِدَعْوَةِ أَخِيهِمَا مُحَمَّدٍ بِمَالَقَةِ فَأَسْأَمُوهُ .

وبُوعَ (مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ) الْمَتَائِدَ بِمَالَقَةِ سَنَةً ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَلُقِّبَ بِالْمُهْدِي ، وَأَقَامَ بِمَالَقَةِ ، وَأَطَاعَتْهُ غَرْ نَاطَةُ وَجَيَّانُ وَأَعْمَالُهُمَا ، وَمَاتَ سَنَةً أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعًا .

وبُوعَ (إِدریس بن یحیی) بن إِدْرِيسَ الْمَتَائِدَ وَلُقِّبَ الْمَوْفِقَ وَلَمْ يُحْطَبْ لَهُ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ إِدْرِيسُ الْخَلُوعُ الْمَلَقَبُ بِالْعَالِي أَبْنُ يَحْيَى الْمَعْتَلَى مِنْ قَسَارِشَ فَبُوعَ لَهُ بِمَالَقَةِ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةً سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ .

وبُوعَ (مُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ) أَبْنُ إِدْرِيسَ الْمَتَائِدَ وَلُقِّبَ الْمُسْتَعْلَى ، وَحُطِبَ لَهُ بِمَالَقَةِ وَالْمَرِيَّةِ وَرُنْدَةَ ، وَهَلَكَ سَنَةً سِتِينَ وَأَرْبَعًا .

وكان (مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ) بنُ حَمُودٍ قَدْ لَحِقَ بِالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ سَنَةً أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعًا فَلَمَّا كُفِّهَا وَلُقِّبَ بِالْمُعْتَصِمِ ، وَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةً أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعًا .

ثم مَلَكَهَا مِنْ بَعْدِهِ (أَبْنُهُ الْقَاسِمُ) وَلُقِّبَ الْوَائِقَ ، وَهَلَكَ سَنَةً خَمْسِينَ ، وَصَارَتِ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ لِلْعَتَضِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَأَنْقَرَضَتْ دَوْلَةُ بَنِي حَمُودٍ بِالْأَنْدَلُسِ .

الطبقة الثامنة

(ملوك الطوائف بالأندلس)

لَمَّا أَصْحَلَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي حَمُودٍ بَعْدَهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَثَبَّ الْأُمَرَاءُ عَلَى الْجِهَاتِ ، وَتَفَرَّقَ مُلْكُ الْأَنْدَلُسِ فِي طَوَائِفَ مِنَ الْمَوَالِي ، وَالْوُزَرَاءِ ، وَبِكَارِ الْعَرَبِ وَالْبُرْبَرِ ، وَقَامَ كُلُّ مِنْهُمْ بِأَمْرِ نَاحِيَةٍ ، وَتَغَلَّبَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَضَعُفَ

أمرهم حتى أعطوا الإناوة للملك الفرّنجية من بنى أدفونش حتى أدركهم الله بأمر المسلمين يوسف بن تاشفين .



فأما إشبيلية وغرب الأندلس فاستولى عليهما بنو عبّاد .

كان أولهم القاضي أبو القاسم (محمد بن ذى الوزارتين) أبى الوليد، بن إسماعيل، ابن قرّيش، بن عبّاد، بن عمرو، بن أسلم، بن عمرو، بن عطّاف، بن نعيم النخعي، وأستبد بإشبيلية بعد فرار القاسم بن حمّود عن قرطبة، أترعها من ابن زيرى وكان والياً عليها من جهة القاسم بن حمّود المذكور، وبقي بها إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة .

ولما مات قام بأمره ابنه (عبّاد) وتلقب المعتضد، وطالت أيامه، وتغلب على أكثر الممالك بغرب الأندلس، وبقي حتى مات سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وولى مكانه ابنه (أبو القاسم محمد) الملقب بالمعتد، بخرى على سنن أبيه وأستولى على دار الخلافة بقرطبة من يد ابن جهّور، وفترق أبناءه على قواعد الملك، وأستفحل ملكه بغرب الأندلس، وغلب على من كان هناك من ملوك الطوائف، وبقي حتى غلب أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » على الأندلس فقبض عليه، ونقله إلى أغمات : قرية من قرى مراکش سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وأعتقله بها إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .



وأما قرطبة فاستولى عليها بنو جهّور . وكان رئيس الجماعة بقرطبة أيام فتنة (١) بنى أمية، أبو الحزم (جهّور بن محمد) بن جهّور، بن عبد الله، بن محمد، بن النعمان،

(١) فى العبرج ٤ ص ١٥٩ "المعمر" وهو تصحيف .

أَبْنُ يَحْيَى ، بن أَبِي المَعَاوَر ، بن أَبِي عبيدة الكلبي . وأبو عبيدة هذا هو الداخلُ إلى الأَنْدَلُس ، وكانت لهم وزارة بقرطبة بالدولة العاصرية . ولما خلع الجند « المقتدر بالله » ^(١) آخر خلفاء بني أمية بالأندلس ، استبدَّ جَهْورُ بالأمر واستولى على المملكة بقرطبة سنة ثنتين وعشرين وأربعمائة ، وكان على سَنَنِ أهل الفضل ، فاستدوا أمرهم إليه إلى أن يوجَد خليفةٌ ، ثم اقتصروا عليه فدبّر أمرهم إلى أن هلك في المحترم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

وَوَلِيَ مكانَهُ ابنُهُ (أبو الوليد محمد بن جهور) فخلعه أهل قرطبة سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأخرجوه [ثم فوض التدبير إلى ابنه عبد الملك بن أبي الوليد فأساء السيرة فأخرجوه] ^(٢) عن قُرْطُبَةَ ، فاعتقل [بشلطيّش] ^(٣) إلى أن مات سنة ثنتين وستين .

وَوَلَّى أَبْنُ عِبَادَ على قُرْطُبَةَ ابنَهُ (سِرَاجُ الدَّوْلَةِ) وقتله أَبْنُ عُكَّاشَةَ سنة سبع وستين ، ودعا لأَبْنِ ذِي الثُّونِ (يحيى بن إسماعيل) وقدمها أَبْنُ ذِي الثُّونِ من بِلَنْسِيَةِ ^(٤) وقتل بها مسموما .

وزحف المعتمدُ بْنُ عِبَادَ بعد مهلكه إلى قرطبة ، فملكها سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

(١) في "العبرج ٤ ص ١٥٩" المعزّ وتقدم للؤلّف أن آخرهم المعتمد .

(٢) الزيادة من القطعة الأزهرية .

(٣) الزيادة من العبرج ٤ ص ١٥٩ .

(٤) يؤخذ من "العبرج ٤ ص ١٥٩" أن الذي قتل مسموما هو سراج الدولة .



وأما بَطْلَيْوُسُ ، فكان بها عند فِتْنَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ) التَّجِيبِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْأَفْطُسِ ، وَاسْتَبَدَّ بِهَا سَنَةً إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعًا مِائَةً ، ثُمَّ هَلَكَ .

فَوَلَّى مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ الْمُظَفَّرُ (أَبُو بَكْرٍ) وَعَظُمَ مُلْكُهُ . وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وَمَاتَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعًا مِائَةً .

وَوَلَّى بَعْدَهُ ابْنُهُ الْمُتَوَكَّلُ (أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ) بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِسَاجَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ قَتَلَهُ «يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ» سَنَةَ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعًا مِائَةً بِأَغْرَاءِ ابْنِ عَبَّادَ بِهِ .



وأما غَرْنَاطَةُ^(١) ، فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامَ الْفِتْنَةِ (زَارِي بْنُ زِيْرِ) بْنُ مِيَادَ ، ثُمَّ أَرْتَحَلَ إِلَى الْقَيْرَوَانِ وَاسْتَخْلَفَ عَلَى غَرْنَاطَةِ ابْنَهُ ، فَبَدَأَ لِأَهْلِ غَرْنَاطَةِ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى ابْنِ أَخِيهِ (حِيُوسُ بْنُ مَاكُسٍ) بْنِ زِيْرِ مِنْ بَعْضِ الْحَصُونِ ، فَوَصَلَ وَمَلِكُ غَرْنَاطَةِ وَاسْتَبَدَّ بِهَا ، وَتَوَقَّى سَنَةَ ثَمَانِينَ وَأَرْبَعًا مِائَةً .

وَوَلَّى مَكَانَهُ ابْنُهُ (بَادِيسُ) وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عَبَّادَ حُرُوبٌ ، وَتَوَقَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَأَرْبَعًا مِائَةً .

وَوَلَّى حَافِدُهُ الْمُظَفَّرُ أَبُو مُحَمَّدٍ (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُلْكَيْنَ بْنِ بَادِيسٍ) وَوَلَّى أَخَاهُ تَمِيمًا بِمَالَقَةِ بَعْدَهُ جَدَّهُ إِلَى أَنْ خَلَعَهُمَا «يُوسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ» سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعًا مِائَةً .

(١) من هنا إلى قوله وأما طليطلة مضرب عاينه في القطعة الأزهرية وأقتصر على ماسياتي في الكلام على غرناطة قبيل الطبقة التاسعة .



وأما طَلِيْطَلَةُ ، فاستولى عليها بنو ذى النون . وذلك أن الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون الهواري [تغلب] أيام الفتنة على حصن أفلنتين سنة تسع وأربعمائة ، وكانت طَلِيْطَلَةُ ليعيش بن محمد بن يعيش وليها في أول الفتنة ، فلما مات سنة سبع وعشرين مضى إسماعيل الظافر إلى طَلِيْطَلَةَ فلما ملكها ، وأمتد مُلْكُهُ إلى جنجاله من عمل مُرْسِيَّة ، ولم يزل بها إلى أن هلك سنة تسع وعشرين .

فولى مكانه أبْنُه المأمون (أبو الحسن يحيى) فاستفحل مُلْكُهُ ، وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه ، ثم غلب على بلنسية وقرطبة ، ومات مسموما سنة سبع وستين وأربعمائة .

وفى بعده على طَلِيْطَلَةَ حافده (القادر يحيى) بن إسماعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون ،

وكان الطاغية أدفونس ملك الفرنج بالأندلس قد استفحل أمره عند وقوع الفتنة بين ملوك الأندلس فضايق ابن ذى النون حتى تغلب على طَلِيْطَلَةَ وخرج له عنها (القادر يحيى) سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وشرط عليه أن يظهره على أخذ بلنسية ، فقبل شرطه وتسلمها الأدفونس ملك الفرنج ، وبقيت معه إلى الآن أعادها الله تعالى إلى نطاق الإسلام .



وأما شاطِبَةُ وما معها من شرق الأندلس ، فاستولى عليها العاصريون . بويه للنصور (عبد العزيز) بن الناصر عبد الرحمن بن أبي عاصم بشاطبة سنة إحدى عشرة

(١) الزيادة عن العبر ج ٤ ص ١٦١

(٢) لها جنجال .

وأربعائة، أقامه الموالي العامريون عند الفتنة البربرية في زمن بني أمية، فاستبد بها، ثم ثار عليه أهل شاطبة ففرك شاطبة ولحق ببلنسية فملكها، وفوض أمره للوالي .

وكان (خيران العامري) من مواليم قد تغلب قبل ذلك على أربونة سنة أربع وأربعائة، ثم ملك مرسية سنة سبع، ثم جيان والمريّة سنة تسع، وبايعوا جميعا للنصور عبد العزيز . ثم انتقض خيران على المنصور وسار إلى مرسية وأقام بها ابن عمه (أبا عامر محمد بن المظفر) بن المنصور بن أبي عامر، وجمع الموالى على طاعته، وسماه (المؤمن) ثم (المعتصم) ثم أخرجه منها، ثم هلك خيران سنة تسع عشرة وأربعائة .

وقام بأمره بعده الأمير (عميد الدولة أبو القاسم زهير العامري) وزحف إلى غرناطة فبرز إليه باديس بن حيوس فقتله بظاهرها سنة تسع وعشرين وأربعائة، وصار ملكه للنصور (عبد العزيز) صاحب بلنسية .

وكان قائده ضمادح وأبنة معن يتوليان حروبه مع مجاهد العامري صاحب دانية، فولّى على المريّة (معن بن ضمادح) سنة ثلاث وثلاثين وأربعائة، وغزا الموالى العامريين بشاطبة فغلبهم عليها .

وولّى على بلنسية أبنة (عبد الملك) فقام بأمره وجاهد المأمون بن ذى النون فغلبه على بلنسية وانتزعها منه سنة سبع وخمسين .

ولما مات المأمون وولى حافده القادر على ما تقدم ذكره ولّى على بلنسية (أبا بكر) ابن عبد العزيز بقيقه وزراء ابن أبي عامر، فحسن له ابن هود الانتقاض على القادر، ففعل وأستبد بها سنة ثمان وستين وأربعائة حين تغلب المقتدر على دانية، ثم هلك لسنة ثمان وسبعين لعشر سنين من ولايته .

ووليَّ ابنه القاضي (عثمان) فلما سلم القادرُ بنُ ذى النون طليطلةَ للأدفونش وزحف إلى بلنسية، خلعوا القاضي عثمانَ خوفاً من استيلاء ملك الفرنج عليها .

ثم ثار على القادر سنة ثلاث وثمانين القاضي (جعفر بن عبد الله) بن حجاج ، فقتله وأستبد بها ، ثم تغلب النصارى عليها سنة تسع وثمانين وقتلوه ، ثم جاءهم (يوسف بن تاشفين) .

وأما معن بن صمّاح قائد عبد العزيز بن أبي عامر ، فإنه أقام بالمريّة لما ولّاه المنصور سنة ثلاث وثلاثين ، وتسمى ذا الوزارتين ، ثم خلعه .

ووليَّ ابنه (المعتصم أبا يحيى محمد بن معن بن صمّاح) سنة أربع وأربعين ، ولم يزل بها أميراً إلى أن مات سنة ثمانين وأربعمائة .

ووليَّ ابنه (أحمد) وبقي حتى خلعه يوسف بن تاشفين .



وأما سرقسطة والثغر فاستولى عليهما بقية بن هود ، إذ كان مُنذر بن يحيى بن مطرف ، بن عبد الرحمن ، بن محمد ، بن هاشم التّجيبى صاحب الثّغر الأعلى بالأندلس ، وكانت دار إمارته سرقسطة . ولما وقعت فتنة البربر آخر أيام بنى أمية ، استقل (مُنذر) هذا بسرقسطة والثغر ، وتلقب بالمنصور ، ومات سنة أربع عشرة وأربعمائة .

ووليَّ مكانه ابنه (يحيى) وتلقب بالمظفر .

وكان أبو أيوب (سليمان بن محمد) بن هود بن عبد الله بن موسى ، مولى أبي حذيفة الحُدّامى من أهل نسبهم مستقلاً بمدينة (طليطلة) و (لاردة) من أول الفتنة . وجدّهم

هُودٌ هو الداخل إلى الأندلس ، فتغلب سليمان المذكور على المظفر يحيى بن المنذر وقتله سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وملك سرقسطة والنغر من أيديهم ، وتحول إليها ، وتلقب بالمستعين واستفحل ملكه ، ثم ملك بلنسية ودانية . وولى على لاردة آبنه (أحمد المقتدر) ومات سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

فولى آبنه (أحمد) الملقب بالمقتدر سرقسطة وسائر النغر الأعلى ، وولى آبنه (يوسف) الملقب بالمظفر لاردة . ومات أحمد المقتدر سنة أربع وسبعين لتسع وثلاثين سنة من ملكه .

فولى بعده آبنه (يوسف المؤتمن) وكان له اليد الطولى في العلوم الرياضية ، وألف فيها التأليف الفائقة ، مثل ” المناظر ” و ” الاستكمال ” ^(١) وغيرهما ، ومات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولى بعده آبنه (أحمد) الملقب بالمستعين ، ولم يزل أميرا بسرقسطة إلى أن مات شهيدا سنة ثلاث وخمسمائة في زحف ملك الفرنج إليها .

وولى بعده آبنه (عبد الملك) وتلقب عماد الدولة ، وزحف إليه الطاغية أدفونش ملك الفرنج فملك منه سرقسطة وأخرجه منها ، وأستولى عليها سنة ثلث عشرة وخمسمائة ، ومات سنة ثلاث عشرة .

وولى آبنه (أحمد) وتلقب سيف الدولة والمستنصر ، وبالغ في النكاية في الطاغية ملك الفرنج ، ومات سنة ست وثلاثين وخمسمائة .

وكان من ممالك بنى هود هؤلاء طرطوشة ، وقد كان ملكها (مقاتل) أحد الموالى العاصرين سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، ومات سنة خمس وأربعين .

(١) الذى فى العبرج ٤ ص ١٦٢ ” الاستهلال ” .

وملكها بعده (يَعْلَى العامري) ولم تَطُل مدته .

(١) وملكها بعده (نَيْل) أحدهم إلى أن نزل عنها لعماد الدولة (أحمد بن المستعين) سنة ثنتين وخمسين وأربعمائة ، فلم تزل في يده ويد بنيه بعده إلى أن غلب عليها العدو المخذول فيما غلب عليه من شرق الأندلس .



وأما دانية وميُورقة ، فاستولى عليهما (مُجاهد بن علي) بن يوسف مولى المنصور ابن أبي عامر ، وذلك أنه بعد الفتنة كان قد ملك طُرطُوشة ثم تركها وسار إلى دانية واستقر بها ، وملك ميُورقة [وميُورقة] وبَيَّاسة ، وأستقل بملكها سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، وولّى عليها ابن أخيه (عبدالله) ثم ولّى عليها بعد ابن أخيه مولاه (الأغلب) سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وهلك مجاهد سنة ست وثلاثين وأربعمائة .

ووليَّ ابنه (علي) وتلقَّب إقبال الدولة ، ودام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة ، ثم غلبه المقتدر بن هُودٍ على دانية سنة ثمان وستين وأربعمائة ونقله إلى سرقُسطة ، فسُت قريبا من [وفاة المقتدر] سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وبقي الأغلب مولى مجاهد على ميُورقة ، وكان كثير الغزو في البحر فاستأذن عليَّ بن مجاهد في الغزو ، وأستخلف على ميُورقة صهره سليمان بن مشكيان نائبا عنه فأقام سليمان خمس سنين ثم مات فولى عليَّ بن مجاهد مكانه (مبشرا) وتسمّى ناصر الدولة فأقام خمس سنين ، وأنقرض ملك عليَّ بن مجاهد وتغلب عليه المقتدر بن هُودٍ ناستقل (مبشر) بميُورقة ولم يزل يُردّد الغزو إلى بلاد العدو حتى جمع له طائفة برشلونة وحاصره بميُورقة عشرة

(١) في "العبرج" ٤ ص ١٦٣ "شيدل .

(٢) الزيادة من "العبرج" ٤ ص ١٦٥ " .

أشهر، ثم أقتلها منه واستباحها سنة ثمان وخمسمائة؛ وكان مبشر قد بعث بالصريح إلى (علي بن يوسف) صاحب المغرب، فلم يواف أسطوله بالمدد إلا بعد تغلب العدو عليها وموت مبشر؛ فلما وصل العساكر والأسطول دفعوا عنها العدو وولى علي بن يوسف عليها من قبله (وانود بن أبي بكر اللتوني) ثم عسف بهم فولى عليها (يحيى بن علي بن إسحاق) بن غانية صاحب غرب الأندلس فبعث إليها أخاه (محمد بن علي) فأقام في ولايتها عشر سنين إلى أن هلك أخوه يحيى، وسلطانهم علي بن يوسف واستقرت ميورقة في ملك بني غانية وكانت لهم بها دولة ثم ملكها الموحدون وأقرض أمر بني غانية وبقيت في أيدي الموحدين حتى ملكها القرنج من أيديهم آخر دولتهم.

وأما غرناطة فاستولى عليها (زاري بن زيري) بن مياد الصنهاجي، ثم عن له أن قدم علي المعز بن باديس صاحب أفريقية وهو حفيد أخيه بلكين، فقدم عليه وأستخلف مكانه بغرناطة ابناً له فأساء السيرة فيهم فأرسلوا إلى ابن عمه حيوس بن ماكس بن زيري فغضر إليهم فبايعوه، وعظم فيها سلطانه إلى أن مات سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وولى من بعده ابنه (باديس بن حيوس) وتلقب بالمظفر، وهو الذي مصر غرناطة وأختط قصبتها وشيد قصورها وحصن أسوارها، ومات سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وقد ظهر أمر المرابطين بالمغرب.

وولى من بعده حافده (عبد الله بن بلكين) بن باديس فبقى بها إلى أن أجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة فقبض على عبد الله المذكور.

الطائفة التاسعة

(ملوك المرابطين من لمتونة : ملوك الغرب المتغلبين على الأندلس)

لما غلب أمير المسلمين (يوسف بن تاشفين) أمير المرابطين على بلاد المغرب وأستولى عليها، وكان الأندلس قد تقسم بأيدي ملوك الطوائف كما تقدم، وكان الطاغية ابن الأدفونس ملك الجلالة قد طمع في بلاد الأندلس، بعث أهل الأندلس إلى أمير المسلمين يستصرخون به فلبى دعوتهم وسار إلى الأندلس .

ونزل الجزيرة الخضراء في سنة تسع وسبعين وأربعمائة ودفع الأدفونس، وسارتارة بلاد المغرب وتارة ببلاد الأندلس، وملك إشبيلية وبلنسية، وأستقل (عبد الله بن بلكين) عن غرناطة وأخاه تيمنا عن مالقة وغلب المعتمد بن عباد على جميع عمله وأستزل ابنه المأمون عن قرطبة وأبناه الراضي عن رندة وقرمونة، وأنتزع بطليوس من صاحبها عمر بن الأفطس، وأنتزع عامة حصون الأندلس من أيدي ملوك الطوائف، ولم يبق منها إلا سرقسطة في يد المستعين بن هود، وأنتظمت بلاد الأندلس في ملكه وأتقرض ملك الطوائف أجمع منها، وأستولى على العدوتين وخاطب المستظهر الخليفة العباسي ببغداد في زمنه فمقد له على المغرب والأندلس وكتب له بذلك عهدا وأرسله إليه، ولم يزل الأمر على ذلك حتى توفي سنة خمسماية .

وقام بالأمر بعده ابنه (علي بن يوسف) وفي أيامه تغلب الأدفونس على سرقسطة وأستولى عليها .

وعقد علي بن يوسف لولده (تاشفين) على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وخمماية وأزله قرطبة وإشبيلية، وعقد (لأبي بكر بن إبراهيم) على شرق الأندلس وأزله بلنسية، وعقد (لأبن غانية) على الجزائر الشرقية : دانية وميورقة ومنورقة .

وبقي الأمر على ذلك إلى أن غلب الموحدون على بلاد المغرب وأتزعجوها من يد تاشفين
أبن علي في سنة إحدى وخمسين وملكوها .

ثم عقد عبد المؤمن أمير الموحدين لابنه (أبي يعقوب) على إشبيلية ، ولابنه
(أبي سعيد) على غرناطة ثم كانت أيام يوسف بن عبد المؤمن فغزا الأندلس ،
ثم رجع إلى إشبيلية سنة ثمان وستين وولّى عمّه (يوسف) على بلنسية ، وعقد
لأخيه (أبي سعيد) على غرناطة ، وعقد على قرطبة لأخيه (الحسن) وعلى إشبيلية
لأخيه (عليّ) . ثم عقد (لأبي زيد) ابن أخيه أبي حفص على غرناطة ولابن
أخيه أبي محمد عبد الله بن أبي حفص على مالقة . ثم عقد لابنه أبي إسحق على
إشبيلية ولابنه يحيى على قرطبة ، ولابنه أبي يزيد على غرناطة ولابنه أبي عبد الله
على مرسية . وقتل في قتال النصارى في صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

وولي ابنه (أبو يعقوب) ورغب ابن أدفونس في مهادنته فهادنه . وعقد
على إشبيلية للسيد أبي زيد بن الخليفة ، وعلى بطليوس لأبي الربيع بن أبي حفص ،
وعلى غرب الأندلس لأبي عبد الله بن أبي حفص . ورجع إلى مرّاكش سنة أربع
وتسعين وخمسمائة ومات بعدها .

وولي ابنه الناصر (محمد بن المنصور) ونزل إشبيلية ، وذلك في صفر سنة تسع
وسمائة ثم رجع إلى مرّاكش فمات بها .

وولي بعده ابنه (المستنصر يوسف) وكان الوالي بمرسية أبا محمد عبد الله بن
المنصور فدعا لنفسه ، وتسمى بالعدل ، وكان أخوته أبو العلاء صاحب قرطبة
وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرّاً وخرج من

مُرْسِيَّةً إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ فَدَخَلَهَا وَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُوَحِّدُونَ بِالْبَيْعَةِ ، وَدَخَلَ مَرَّاتٍ كَثْرًا فَكَانَتْ بِالْأَنْدَلُسِ قِتْنٌ آخَرُهَا أَنْ ثَارَ ابْنُ هُوْدٍ عَلَى الْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَوْلَى [عَلَيْهِ] وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْمُوَحِّدِينَ .

الطائفة العاشرة

(بنو الأحمر ملوك الأندلس إلى زماننا هذا)

وقد تعرّض القاضي شهاب الدين بن فضل الله إلى الذي كان في زمانه منهم وهو (يوسف) ولم ينسبه غير أنه قال : إنه من ولد قَيْس بن سعد بن عبادة . ثم ذكر أنه فاضل ، له يد في الموشّحات .

وأعلم أن بنى الأحمر هؤلاء أصلهم من أَرْجُونَةَ من حصون قُرْطُبَةَ وَيَنْتَسِبُونَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ سَيِّدِ الْخَرْجِ ، ولم أقف على نسبهم إليه ، ويعرفون ببني نصر ، وكان كبيرهم آخِرُ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ الشَّيْخُ أَبُو دَبُّوس (مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ) بْنُ نَصْرِ المعروف بابن الأحمر وأخوه إِسْمَاعِيلُ ، وكان لهما وَجَاهَةٌ وَرِيَاسَةٌ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ .

ولما ضَعُفَ أَمْرُ الْمُوَحِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَقْبَلَ بِالْأَمْرِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ النَّائِبُ مُرْسِيَّةً وَقَامَ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَتَغَلَّبَ عَلَى جَمِيعِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، ثَارَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ نَصْرِ : جَدُّ بَنِي الْأَحْمَرِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ هُوْدٍ ، وَبُوِيَِعَ لَهُ سَنَةٌ تِسْعٌ وَعَشْرِينَ وَسَمَائَةً ، عَلَى الدَّعَاءِ لِلْأَمِيرِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى صَاحِبِ أَفْرِيقِيَّةَ مِنْ بَقِيَّةِ الْمُوَحِّدِينَ ، وَأَطَاعَتْهُ جَيَّانٌ وَشَرِيشٌ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ مَبَايَعَتِهِ . ثُمَّ بَايَعَ لِابْنِ هُوْدٍ سَنَةً إِحْدَى وَثَلَاثِينَ عِنْدَ وَصُولِ تَقْلِيدِ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَغْدَادَ لِابْنِ هُوْدٍ . ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةً ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَاسْتَعِيدَتْ مِنْهُ بَعْدَ شَهْرٍ وَرَجَعَتْ لِابْنِ هُوْدٍ

(١) [ثم تغلب] على غُرناطة سنة خمس وثلاثين ، وبأيعوه وهو بجيان ، فقدم إليها ونزلها وأبنتى بها حصن الحمراء منزلاً له ، وهو المعبر عنه بالقصبة الحمراء : وهي القلعة ، ثم تغلب على مالقة وأخذها من يد عبد الله بن زنون الناصر بها بعد مهلك ابن هود ، ثم أخذ المريّة من يد محمد بن الرميي وزير ابن هود الناصر بها سنة ثلاث وأربعين . ثم بايعه أهل لورقة سنة ثلاث وستين [وأنزعها] من كانت بيده . وفي أيامه وأيام ابن هود الناصر استعاد العدو المخذول من المسلمين أكثر بلاد الأندلس وحصونه ، وهي بيدهم إلى الآن ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وبقي حتى مات سنة إحدى وسبعين وستمائة .

وقام بأمره من بعده ابنه الفقيه (محمد) ابن الشيخ محمد بن يوسف ، وأستجاش بنى مرين ملوك المغرب على أهل الكفر فلبّوه بالإجابة ، وكان لهم مع طاغية الكفر وقائع أبلفت فيهم التأثير ، وبلغت فيهم حد النكابة ، وبقي حتى هلك سنة إحدى وسبعائة .

وولي من بعده ابنه (محمد المخلوع) ابن محمد الفقيه .

ثم غلب عليه أخوه (أبو الجيوش نصر بن محمد) الفقيه ، وأعتقله سنة ثمان وسبعائة ، وأستولى على مملكته ، فأساء السيرة في الرعية ، والصُّحبة لمن عنده من غزاة بنى مرين .

فبايعوا (أبا الوليد إسماعيل) ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن نصر ، وزحف من مالقة إلى غُرناطة ، فهزم عساكر أبي الجيوش ، فصالحه على الخروج إلى واديّاش ولحق بها ، فجدد له بها ملكاً إلى أن مات سنة ثنتين وعشرين

(١) وسبعائة ، فدخل أبو الوليد إلى غرناطة وملكها ، وكان بينه وبين ملك قشتالة من ملوك النصارى واقعة بظاهر غرناطة ظهرت فيها معجزة من معجزات الدين لغلبة المسلمين مع قتلهم المشركين مع العدد الكثير ، وغدر به بعض قرابته من بنى نصر فطعنه عند ما انفض مجلسه بباب داره فقتله .

وبويع لابنه (محمد بن أبي الوليد إسماعيل) فاستولى عليه وزيره محمد بن المحروق ، وغلب عليه حتى قتله بمجلسه غدا في سنة تسع وعشرين وسبعائة ، وأستبد بأمر ملكه ، وأستجاش بني مَرِينٍ على طاعة الكُفْر حتى أسترجع جبل الفتح من أيديهم سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة ، وغدروا به بعد رجوعه من الجبل المذكور إلى غرناطة فقتلوه بالرماح .

وقدموا مكانه أخاه (أبا المجاج يوسف) بن أبي الوليد إسماعيل وهو الذي ذكر في التعريف أنه كان في زمانه . وفي أيامه تغلب النصارى على الجزيرة الخضراء ، وأخذوها صلحا سنة ثلاث وأربعين بعد حروب عظيمة ، قُتل ولد السلطان أبي الحسن المريني في بعضها وكان هو بنفسه في بعضها . ولم يزل حتى مات يوم الفطر سنة خمس وخمسين وسبعائة ، طعن في سجوده في صلاة العيد ، وقُتل للبحر قاتله .

وولي مكانه ابنه (محمد بن يوسف) وقام بأمره مولاهم رضوان الحاجب [فغلبه عليه وحجبه . وكان أخوه إسماعيل ببعض قصور الحمراء وكانت له ذمة وصهر من محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن محمد ابن الرئيس أبي سعيد ، فسلط محمد هذا بعض الزعانة فتسور حصن الحمراء على الحاجب فقتله ، وأخرج صهره إسماعيل ونصبه

(١) للملك [وخلع أخاه السلطان محمداً ، وكان بروضة خارج الحمراء ففر إلى السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني : ملك المغرب فأحسن نزلهُ وأكرمه .

وَأَسْتَقِلَّ أَخُوهُ (إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُوسُفَ) بِالْمُلْكِ فِي لَيْلَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ قَدْرُهُ ، سَنَةِ سِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ السُّلْطَانُ إِسْمَاعِيلُ فِي الْمُلْكِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى أَنْ مَاتَ أَوَّلَ سَنَةِ ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

(٢) وَتُؤَيِّمُ مَكَانَهُ أَبُو الْحَجَّاجِ (يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ) وَبَايَعَهُ النَّاسُ وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعَ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وبويع ابنه (محمداً) وهو محمد بن يوسف بن محمد الخلويع بن يوسف بن إسماعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وقام بأمره محمد الخصاصي القائد من جماعة أبيه ، وقد شغل الله طاغية الكفر بما وقع بينه وبين أخيه من الفتن المستأصلة ، فامتنع صاحب الأندلس عما كان يؤديه من الإتاوة للنصارى في كل سنة ، وامتنع ذلك من استقبال سنة ثنتين وسبعين وسبعمئة وإلى هذا الوقت . ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ .



وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا أَقْتَتَحَ الْمَسَامُونُ الْأَنْدَلُسَ ، أَجْفَلَتْ أُمُّ النُّصْرَانِيَةِ أَمَامَهُمْ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ جَانِبِ الْجَوْفِ ، وَتَجَاوَزُوا الدُّرُوبَ مِنْ وَرَاءِ قَسْطَالَةٍ ، وَاجْتَمَعُوا بِجَلْقِيَّةٍ وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ (بَلَايَةَ بْنِ قَاقِلَةَ) فَأَقَامَ فِي الْمُلْكِ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَلَكَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ .

(١) الزيادة عن العبرج ٤ ص ١٧٤ باختصار ليستقيم الكلام . وفي القطعة الأزرهية رضوان صاحب أبيه وعمه فأقام خمس سنين ، ثم داخل أخوه إسماعيل من قتل رضوان الحاجب وخلع الخ (٢) لعله يوسف بن محمد كما يؤخذ من اسم ولده الآتي .

ووليَّ أبنه (قاقة) سنتين ثم هلك ، فولَّوا عليهم بعده (أدفونش بن بطرة) من الجلالقة أوالقُوط ، وأتصل الملك في عقبه إلى الآن ، فجمعهم أدفونش المذكور على حامية ما بقي من أرضهم بعد ممالك المسلمين عامتها ، وأتَّهوا إلى جليقية ، وهلك سنة ثنتين وأربعين ومائة ثمان عشرة سنة من ملكه .

وولي بعده أبنه (فرويلة) إحدى عشرة سنة قوَّى فيها سلطانه ، وقارنه اشتغال « عبد الرحمن الداخل » : أول خلفاء بني أمية بتمهيد أمره ، فاسترجع مدينة لك ، وبرتقال ، وسمورة ، وسامقة ، وشقوبية ، وقشتالة ، بعد أن فتحها المسلمون وصارت في ملكتهم ، وهلك سنة ثنتين وخمسين .

ووليَّ أبنه (أور بن فرويلة) ست سنين ، وهلك سنة ثمان وخمسين .
ووليَّ أبنه (شبلون) عشر سنين ، وهلك سنة ثمان وستين .
فولَّوا من بني أدفونش مكانه رجلا اسمه (أدفونش) فوثب عليه (مورفاط) فقتله وملك مكانه سبع سنين .

ثم ولي منهم آخر اسمه (أدفونش) ثنتين وخمسين سنة ، وهلك سنة سبع وعشرين ومائتين .

فوليَّ أبنه (ردمير) وأتصل الملك في عقبه على التوالي إلى أن ولي منهم (ردمير) بن أردون آخر ملوكهم المستبدين بأمرهم . قال ابن حيان : في " تاريخ الأندلس " : وكانت ولايته بعد ترهب أخيه أدفونش الملك قبله ، وذلك سنة تسع عشرة وثلثمائة في زمن الناصر الأموي الخليفة بالأندلس ، وتنبأ للناصر الظهور عليه إلى أن كانت وقعة الحندق سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وحصل للمسلمين فيها الابتلاء العظيم ، وهلك ردمير سنة تسع وثلاثين وثلثمائة .

وولي أخوه (شانجة) وكان مُعجبا بتيارها فوهن مُلكه ، وَضعف سلطانه ، ووثب عليه قَوَامِسُ دَوْلته - وهم ولاةُ الأعمال من قِبَلِ الملك الأعظم - فلم يَنْتِظِمُ لبني أدفونش بعدها مُلكٌ مستقِلٌ في الجَلَالِقة إلا بعدَ حين ، وصاروا كجُوك الطوائف . قال ابن حيان : وذلك أن فُردُلُنْد قَوْمَسُ أَلِة والقِلَاع - وكان أعظم القَوَامِس - انتقض على شانجة المتقدم ذكره ، ونصب للملك مكانه ابن عمه (أردون بن أدفونش) وأستبد عليه ، فالت النصرانية عن شانجة إليه ، وظاهرهم ملك البشكنس على شانجة ، ووفد شانجة على الناصر الأموي بقرطبة صريخا ، فجهز معه عساكر واستولى على سَمُورَة فلملكها وأنزل المسلمين بها ، واتصلت الحرب بين شانجة وفُردُلُنْد القومس . وفي خلال ذلك ولي الحَكَم المستنصر الأموي ، ثم هلك شانجة بن أدفونش ببَطْلِيُوس .

وقام بأمرهم بعده ابنه (ردمير) وهلك أيضا فُردُلُنْد قَوْمَسُ أَلِة والقِلَاع ، وقام بأمره بعده ابنه غريسة ، ومات الحَكَم المستنصر فقوى سلطانُ ردمير ، وعظمت نِكايتُه في المسلمين إلى أن قَبِضَ الله لهم المنصور بن أبي عامر حاجب هشام ، فَأَتَحْن في عَمَلِ ردمير وغزاه مراراً وحاصره ، وافتتح (سَنَت مانكس) وخربها فتشاهمت الجَلَالِقة بردمير ، ورجع إلى طاعة المنصور سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وهلك على أثرها ، فأطاعت أمه .

وأتفقت الجَلَالِقة على (برمند بن أردون) فعقد له المنصور على سَمُورَة وليون وما اتصل بهما من أعمال غليسية إلى البحر الأخضر فقبل ، ثم انتقض فغزاه المنصور سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، فافتتح ليون وسَمُورَة ، ولم يبق بعدها للجَلَالِقة

(١) جمع قومس وهو الأمير .

(٢) أى ردمير كما يؤخذ من عبارة العبر ج ٤ ص ١٨١ .

إلا حُصُونٌ يسيرة بالجبل الحاجر بينهم وبين البحر الأخضر ، ولم يزل المنصور به حتى ضرب عليه الحزبة وأنزل المسلمين مدينة سمورة سنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وولى عليها أبا الأحوص (مَعْن بن عبد العزيز) التَّجِيبِي ، وسار إلى (غرسية بن فُردُلُنْد) صاحب أَلِيَّة فملك عليه لَشُونَةَ قاعدة غليسية وخرَّبها ، وهلك غرسية .

فولى أبنه (شانجة) فضرب عليه الحزبة ، وصارت الجلالة بأجمعهم في طاعة المنصور وهم كالعُمَل له . ثم آتَقَضَ برمند بن أردون فقزاه المنصور حتى بلغ شَتَّ يَأْقَب ، مكان حَجِّ النصارى ومدفن يعقوب الخوارى من أقصى غليسية ، فأصابها خالية فهدمها ونقل أبوابها إلى قُرْطَبَة ، فجعلها في نصف الزيادة التي أضافها إلى المسجد الأعظم . ثم أفتتح قاعدتهم (شَتَمَرِيَّة) سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، ثم هلك برمند بن أردون ملك بني أدفونش .

وولى أبنه (أدفونش) وهو سبط غرسية بن فُردُلُنْد صاحب أَلِيَّة ، وكان صغيرا فكفله (منند بن غند شلب) قومس غليسية ، إلى أن قُتِلَ منند غيلة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فاستقلَّ أدفونش بأمره ، وطلب القواميس المتعدين على أبيه وعلى من سلف من قومه مثل بني أرغومس وبني فُردُلُنْد المتقدم ذكرهم بالطاعة فاطاعوا ودخلوا تحت أمره . ثم جاءت الفتنه البرية على رأس المائة الرابعة فضَعَفَ أمر المسلمين ، وتغلب النصارى على ما كان المنصور تغلب عليه بقشتالة وجليقية ، ولم يزل أدفونش بن برمند ملكا على جليقية وأعمالها . ثم كان الملك من بعده في عقبه إلى أن كان ملوك الطوائف ، وتغلب المرابطون ملوك الغرب من لَمُونَة على ملوك الطوائف بالأندلس ، على ما سيأتى في الكلام على مكتبة ابن الأحمر ملك المسلمين بالأندلس .

وفي بعض التواريخ أن ملك قشتالة الذي ضرب الجزية على ملوك الطوائف في سني خمسين وأربعمائة هو (البيطين) وأنه لما هلك قام بأمره بنوه فردلند ، وغرسية ، وردمير . وولى أمرهم (فردلند) ثم هلك ، وخلف شانجة وغرسية والفنش فتنزعوا ، ثم خلاص الملك للفنش ، وأستولى على طليطلة سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، وعلى بلنسية سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، ثم أرتجعها المرابطون من يده حتى أستعادها النصارى سنة ست وثلاثين وستمائة . وهلك الفنش سنة إحدى وخمسمائة .

وقام بأمر الجلالقة (بنه) ^(١) وتزوجت ردمير ، ثم فارقت وتزوجت بعده قطا من اقماطها فأنت منه بولد كانوا يسمونه (السليطين) . وأوقع ابن ردمير ببن هود سنة ثلاث وخمسمائة الواقعة التي أستشهد فيها ، وملك منه سرقسطة .

وفي بعض التواريخ أن أمر النصارى في زمن المنصور أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن كان دائرا بين ثلاثة من ملوكهم الفنش ، واليبوح ، وابن الزند ، وكبيرهم الفنش .

ولما فشلت ريح بني عبد المؤمن في زمن المستنصر بن الناصر ، أستولى الفنش على جميع ما فتحه المسلمون من معقل الأندلس ، ثم هلك الفنش . وولى ابنه (هراندة) وكان أحول وبذلك يلقب ، فارتجع قرطبة وإشبيلية من أيدي المسلمين .

وزحف ملك أرغون في زمنه فاستولى على ماردة ، وشاطبة ، ودانية ، وبلنسية ، وسرقسطة ، والزهاء ، والزاهرة ، وسائر القواعد والثغور الشرقية ، وأتخاها المسلمون

(١) في العبرج ٤ ص ١٨٢ "زوجته" .

إلى سيف البحر ، وملكوا عليهم ابن الأحمر بعد ولاية ابن هود . وكان استرجاع الطاغية ماردة سنة ست وعشرين وستمائة ، وميوزقة سنة سبع وعشرين ، وبلنسية سنة ست وثلاثين ، وسرقسطة وشاطبة قبل ذلك بزمان طويل . ثم هلك هيراندة ، وولي ابنه [شانجة] ^(١) ثم هلك [سنة ثلاث وتسعين] ^(١) .

وولي ابنه (هيراندة) وكان بينه وبين عساكر يعقوب بن عبد الحق : سلطان الغرب الواصلة إلى الأندلس حروب متصلة ، القلب فيها لعساكر ابن عبد الحق ؛ ثم خرج على هيراندة هذا ابنه (شانجة) فوفد هيراندة على السلطان يعقوب بن عبد الحق فقبل يده ، وأستجاشه على ولده شانجة ، فقبل وفادته ، وأمده بالمال والعساكر ، ورهن عنده على المال التاج المعروف من ذخائر سلفهم ، فهو عند بني عبد الحق إلى الآن .

ثم هلك هيراندة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وأستقل ابنه (شانجة) بالملك ، ووفد على يوسف بن يعقوب بالجزيرة الخضراء بعد مهلك أبيه يعقوب بن عبد الحق وعقد معه الهدنة ؛ ثم نقض وأستولى على مدينة طريف سنة ثلاث وتسعين وستمائة ؛ ثم هلك سنة ثلث عشرة وسبعائة .

فولي ابنه (بطرة) صغيرا ، وكفله عمه جوان وهلكا جميعا على غرناطة عند زحفهما إليها سنة ثمان عشرة وسبعائة .

فولي ابنه (الهنشة بن بطرة) صغيرا وكفله زعماء دولته ، ثم آستقل بأمره وهلك محاصرا جبل الفتح سنة إحدى وخمسين وسبعائة في الطاعون الجارف .

(١) الزيادة من العبرج ٤ ص ١٨٤ .

(٢) في العبرج ٤ ص ١٨٣ "ثلاث وثمانين" .

ووليّ (أبْنُه بطرة) وفرّ أبْنُه القمط إلى برشأونة فاستجاش صاحبها على أخيه بطرة فأجابه ، وزحف إليه بطرة فاستولى على كثير من بلاده ، ثم كان الغلب للقمط سنة ثمان وستين وسبعائة ، واستولى على بلاد قشتالة ، وزحفت إليهم أمم النصرانية ، ولحق بطرة بأمم الفرنج الذين وراء قشتالة في الجوف بجهات الليمانية وبرطانية إلى ساحل البحر الأخضر جزائره فروج بنته من ابن ملكهم الأعظم المعروف بالبسن غالس ، وأمدّه بأمم لأخصى فملك قشتالة والقرنتيرة ، واتصلت الحرب بعد ذلك بين بطرة وأخيه القمط ، إلى أن غلبه القمط وقتله سنة ثنتين وسبعين وسبعائة ، واستولى القمط على ملك بني أدفونش أجمعه ، واستقام له أمر قشتالة ، ونازعه البسن غالس ملك الإفرنجية بأبنه الذي هو من بنت بطرة ، وطلب له الملك على عادتهم في تملك ابن البنت ، واتصلت الحرب بينهما ، وشغله ذلك عن المسلمين فامتنعوا عن أداء الإتاوة التي كانوا يؤدونها إلى من كان قبله ، وهلك القمط سنة إحدى وثمانين وسبعائة .

فوليّ أبْنُه (دُنْ جُوان) وفرّ أخوه غريس ولحق بالبرتغال ، واستجاش على أخيه بمجموع كثيرة ، ثم رجع إليه وأصطلح عليه ، ثم هلك دُنْ جُوان سنة إحدى وتسعين وسبعائة ، ونصب قومه في الملك أبْنُه بطرة صبيا صغيرا لم يبلغ الحلم وقام بكفالاته وتدير دولته اليركيش خال جدّه القمط بن المنشيه والأمر على ذلك إلى الآن ، وقتنهم مع البسن غالس ومع الفرنج متصلة ، وأيديهم عن المسلمين مكفوفة ((والله من وراءهم محيط)) .

قلت : والممالك القائمة بجزيرة الأندلس الآن من ممالك النصرانية أربع ممالك .

المملكة الأولى

(مملكة قشتالة)

التي عليها سياقة الحديث إلى أن صارت إلى بطرة بن دُن جُوان المتقدم ذكره .
وهي مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشمل على طيطة ، واشبيلية ، وقشتالة ،
وغليسية والقرنيرة وهي بسط من الغرب إلى الشرق ويقال للملكها الأدفونس والعامّة
تسميه الفنش .

المملكة الثانية

(مملكة البرتغال)

وهي في الجانب الغربي من قشتالة ، وهي عمالة صغيرة تشمل على أشبونة وغرب
الأندلس ، وهي الآن من أعمال جليقية ، إلا أن صاحبها مميّز بسمته ومُلكه .

المملكة الثالثة

(مملكة برشلونة)

وهي بجهة شرق الأندلس ، وهي مملكة كبيرة ، وعمالات واسعة ، تشمل على
برشلونة ، وأرغون ، وشاطبة ، وسرقسطة ، وبلنسية ، وجزيرة دانية ، وميورقة ،
وكان ملكهم بعد العشرين والسبعائة اسمه بطرة وطال عمره ، وهلك سنة سبع
وثمانين وسبعائة ، وأنفرد أخوه الملك بملك سرقسطة مقاسماً لأخيه ثم سار بعد ذلك
في أسطول فلك جزيرة صقلية من أيدي أهلها وصارت داخلة في أعمالهم .

المملكة الرابعة

(مملكة نبرة مما إلى قشتالة من جهة الشرق ، فاصلاً بين عمالات

ملك قشتالة وعمالات ملك برشلونة)

وهي عمالة صغيرة ، وقاعدتها مدينة إنبيلونة ، وملكها ملك البشكنس . أما ما وراء
الأندلس من الفرنج فأهم لا تحصى ، وسيأتى الكلام على ذكر ملكهم الأكبر
ريدفرنس فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة)

أما مملكة المسلمين فلا يخفى أنها فى معنى بلاد المغرب . [وفى كثير من الأوقات
يملكهم ملوك المغرب الأقصى ، فبالضرورة إن ترتيبهم جار على ترتيب بلاد الغرب ^(١) .
وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن أهل الأندلس فى الجملة لا يتعممون ، بل
يتعمدون شعورهم بالتنظيف والحناء ما لم يغلب الشيب ؛ ويتطيلسون فيلقون
الطيبسان على الكتيف أو الكتيفين مطوياً طياً ظريفاً [والمتعمم فيهم قليل ^(١)] ،
ويلبسون الثياب الرفيعة الملقونة من الصوف والكأن ونحو ذلك ، وأكثر لباسهم
فى الشتاء الجوخ وفى الصيف البياض . قال : وأرزاق الجند به ذهب بحسب
مراتبهم ، وأكثرهم من برّ العدو من بنى مرين وبنى عبد الواد وغيرهم .
والسلطان مسكنه القصور الرفيعة ، ويقعد السلطان للناس بدار العدل فى مكان
يعرف بالسبيكة من القصبية الحمراء التى هى القلعة يوم الاثنين ويوم الخميس

(١) الزيادة من القطعة الأثرية .

صباحاً ، ويحضر معه المجلس الرؤساء من أقاربه ونحوهم ، ويقرأ مجلسه عشر من القرآن وشيء من الحديث النبوي ، يأخذ الوزير القصص من الناس فتقرأ عليه .
وأما الحرب فإنهم فيها سجال : تارة لهم وتارة عليهم ، والنصر في الأغلب للمسلمين على قتلهم وكثرة عدوهم بقوة الله تعالى . وبالبلاد البحرية أسطول الحراريق المفترق في البحر الشامي ، يركبها الأتجاد من الرماة والرؤساء المهرة ، فيقاتلون العدو على ظهر البحر ، وهم الظافرون في الغالب ، ويغيرون على بلاد النصارى بالساحل وما هو بقربه فيأسرون أهلها ذكورهم وإناثهم ، ويأتون بهم بلاد المسلمين ، فيبرزون بهم ويحملونهم إلى غرناطة إلى السلطان فيأخذ منهم ما يشاء ويهدي ويبيع .

وقد كانت لهم وقعة في الإفرنج سنة تسع عشرة وسبعائة على مرج غرناطة قتل فيها من الإفرنج أكثر من ستين ألفاً ومليكان : هما بطرة وجوان عمه فقُتِلت جيفة جوان بأموال عظيمة ، وحملت جثة بطرة إلى غرناطة ، فعلقَت على باب قلعتها في تابوت ، واستمرت معلقةً هناك ، وحاز المسلمون غنيمةً من أموالهم قلما يُذكر مثلها في تاريخ ، ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ .

وقد تقدّم في المقالة الأولى في الكلام على النوع الرابع مما يحتاج إليه الكاتب : وهو حفظ كتاب الله تعالى : أن بعض ملوك الفرنج كتب إلى ابن الأحمر : صاحب غرناطة كتاباً يهدده فيه ، فكان جوابه أن قلبه وكتب على ظهره ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِثْلِ الَّذِي كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ .

وأما ملوك الفرنج به فعلى ترتيب سائر ممالك الفرنج مما هو غير معلوم لنا .

الفصل الثالث

من المقالة الثانية

في الجهة الجنوبيّة عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام والحجاز ،
ومضافاتها مما هو واقع في الثاني والثالث والرابع من الأقاليم السبعة)
اعلم أنه قد دخل في جهتي الشرق والغرب المتقدمتين ذكرًا ما كنّ مما هو في جهة
الجنوب عن مملكة الديار المصرية ومضافاتها ، أنساق الكلام إليها استطرادا
واستنباعا : كأطراف اليمن ، والهند ، والصين الجنوبيّة الخارجة عن الإقليم الثاني
إلى جهة الجنوب مما استتبعته ممالك الشرق ، والمقصود الآن الكلام على ما عدا
ذلك ، وهو بلاد السودان .

وهي بلاد متسعة الأرجاء ، رَحْبَة الجَوَاب ، حدّها من الغرب البحر المحيطُ
الغربيّ ؛ ومن الجنوب الحَرَاب مما يلي خطّ الاستواء ؛ ومن [الشرق] بحر القُلتُم
مما يُقابل بلاد اليمن والأمكنة المجهولة الحال شرق بلاد الزنج في جنوبيّ البحر
الهنديّ ؛ ومن الشمال البراريّ الممتدة فيما بين الديار المصرية وأرض بركة ، وبلاد
البربر ، من جنوبيّ المغرب إلى البحر المحيط .
والمشهور منها ست ممالك :

المملكة الأولى

(بلاد البجا)

والبجا بضم الباء الموحدة وفتح الجيم وألف في الآخر . وهم من أصفي السودان
لونا . قال ابن سعيد : وهم مسلمون ونصارى وأصحاب أوثان ؛ ومواطنهم

في جَنُوبِيٍّ صَعِيدٍ مِصْرٍ مَّا بَلَى الشَّرْقَ ، فِيمَا بَيْنَ بَحْرِ الْقُلْزَمِ وَبَيْنَ نَهْرِ النَّيْلِ ، عَلَى الْقُرْبِ
مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ .

وقاعدتهم (سَوَاكِكُنْ) بفتح السين المهملة والواو وكسر الكاف ونون في الآخر .
قال في ” تقويم البلدان “ في الكلام على بَحْرِ الْقُلْزَمِ : وهى بَلِيدَةٌ لِلسُّودَانِ ، حَيْثُ
الطُّولُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ دَرَجَةً .

قلت وقد أخبرنى من رآها أنها جَزِيرَةٌ عَلَى طَرَفِ بَحْرِ الْقُلْزَمِ مِنْ جِهَتِهِ الْغَرْبِيَّةِ قَرْيَةً
مِنَ الْبَرِّيِّ سَكُنُهَا التَّجَّارُ . وصاحبها الآن من العرب المعروفين بِالْحَدَارِيَّةِ - بِالْحَاءِ وَالذَّالِ
الْمُهْمَلَتَيْنِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ وَأَلْفٌ ثُمَّ رَاءُ مُهْمَلَةٌ وَبَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَهَاءٌ فِي الْآخِرِ ، وَلَهُ
مَكْتَابَةٌ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَيُقَالُ فِي تَعْرِيفِهِ الْحُدُرِيُّ بِضَمِّ
الْحَاءِ وَسُكُونِ الذَّالِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، عَلَى مَا سَأَتَى ذِكْرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَكْتَابَاتِ فِي الْمَقَالَةِ
الرَّابِعَةِ فِيمَا بَعْدُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وقد عُدَّ فِي ” تقويم البلدان “ مِنْ مُدُنِ الْبُجَا (الْعَلَّاقِي) بفتح العين المهملة
واللام المشددة ثُمَّ أَلْفٌ وَقَافٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مُثَنَاءٌ مِنْ تَحْتِ . مِنْ آخِرِ الْإِقْلِيمِ
الْأَوَّلِ مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ . قَالَ فِي ” الْأَطْوَالِ “ : حَيْثُ الطُّولُ ثَمَانٌ وَخَمْسُونَ
دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ سِتٌّ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً . قَالَ فِي ” تقويم البلدان “ : وهى بِالْقُرْبِ
مِنَ بَحْرِ الْقُلْزَمِ ، وَلَهَا مَغَاصٌّ لَيْسَ بِالْحَيِّدِ ، وَيَجْلُوها مَدِينٌ ذَهَبٌ ، يَتَخَصَّلُ مِنْهُ
بِقَدَرٍ مَا يُنْفَقُ فِي اسْتِخْرَاجِهِ . قَالَ الْمُهَلَّبِيُّ : إِذَا أَخَذْتَ مِنْ أَسْوَانٍ فِي شَمْتِ الْمَشْرِقِ
تَصِلُ إِلَى الْعَلَّاقِيِّ بَعْدَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَحَلَةً . قَالَ : وَبَيْنَ الْعَلَّاقِيِّ وَعَيْدَابَ ثَمَانُ
مَرَاكِلَ وَمِنَ الْعَلَّاقِيِّ يُدْخَلُ إِلَى بِلَادِ الْبُجَا .

المملكة الثانية

(بلاد النوبة)

بضم النون وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر . ولون بعضهم يميل إلى الصفاء ، وبعضهم شديد السواد . قال في "مسالك الأبصار" : وبلادهم مما يلي مصر في نهاية جنوبيها مما يلي المغرب على ضفتي النيل الجارى إلى مصر . قال في "تقويم البلدان" في الكلام على الجانب الجنوبي : وبينها وبين بلاد النوبة جبال منبجة .

وقاعدتها مدينة (دقّة) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بضم الدال المهملة وسكون النون وقاف مضمومة ولام مفتوحة وهاء في الآخر . وما قاله هو الجارى على السنة أهل الديار المصرية ، ورأيتها في "الروض المعطار" مكتوبة (دمقّة) ببدال النون ميمًا ، مضبوطة بفتح الدال ، وباقي الضبط على ما تقدم . وأنشد بيت شعر شاهدا لذلك . وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق ، والعرض أربع عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة . قال : وفي جنوبيها وغربيها مجالات زنج النوبة الذين قاعدتهم (كوشة) خلف الخط ، وفي غربي دقّة وشمالها مدنها المذكورة في الكتب . قال الإدريسي : وهي في غربي النيل على ضفته وشرب أهلها منه . قال : وأهلها سودان لكنهم أحسن السودان وجوهاً ، وأجلهم شكلاً ، وطعامهم الشعير والذرة والتمر يجلب إليهم ، واللحوم التي يستعملونها لحوم الإبل : طرية ومقددة ، ومطبوخة .^(١) وفي بلادهم القبيلة ، والزرايف ، والغزلان .

(١) في التقويم "ومطحونة" وهو تصحيف .

قال في "مسالك الأبصار" : ومِنْهَا أَشْبَهُ بِالْقَرْيِ وَالضِّيَاعِ مِنَ الْمَدْنِ ، قَلِيلَةٌ الْخَيْرِ وَالْخِصْبِ ، يَابِسَةُ الْهَوَاءِ . قال : وَحَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ دَخَلَ النُّوبَةَ : أَنَّ مَدِينَةَ دَنْقَلَةَ مُمْتَدَّةٌ عَلَى النَّيْلِ ، وَأَهْلُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ ، وَالْحُبُوبِ عِنْدَهُمْ قَائِلَةٌ إِلَّا الدُّرَّةَ ، وَإِنَّمَا تَكُنُّ عِنْدَهُمُ الْخَوْمُ وَالْأَبَانُ وَالسَّمَكُ . وَأَخْشَرُ أَطِيعَتِهِمْ أَنَّ تُطْبَخَ اللَّوْبِيَا فِي مَرَقِ اللَّحْمِ ، وَيُثْرَدُ وَيُصَفِّ اللَّحْمُ وَاللُّوبِيَا عَلَى وَجْهِ الثَّرِيدِ . وَرَبَّمَا عَمِلَتِ اللَّوْبِيَا بَوْرَقَهَا وَعُرُوقَهَا . قال : وَلَهُمْ أَنَّهُمَا عَلَى الشُّكْرِ بِالْمِزْرِ وَمِثْلٍ عَظِيمٍ إِلَى الطَّرَبِ .

ولما خاف بنو أيوبَ نورَ الدين الشهيد صاحبَ الشامِ على أنْفُسِهِمْ حِينَ هَمَّ بِقَصْدِهِمْ ، بَعَثَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ أَخَاهُ شَمْسَ الدَّوْلَةِ إِلَى (النُّوبَةِ) لِيَأْخُذَهَا لِتَكُونَ مَوْثِقًا لَهُمْ إِذَا قَصَدَهُمْ ، فَرَأَوْهَا لَا تَصْلُحُ لِمَثَلِهِمْ ، فَعَدَلُوا إِلَى الْيَمَنِ وَأَسْتَوَلُوا عَلَيْهَا ، وَجَعَلُوهَا كَالْمَعْقِلِ لَهُمْ . قال ابنُ سَعِيدٍ : وَدَيْنُ أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ النَّصْرَانِيَّةُ . قال في "مسالك الأبصار" : وَمِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ نَجْمٌ "لَقْمَانُ الْحَكِيمِ" ثُمَّ سَكَنَ مَدِينَةَ أَيْلَةَ ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَمِنْهَا أَيْضًا "دُو النَّوْنِ الْمِصْرِيُّ" الزَّاهِدُ الْمَشْهُورُ ، وَإِنَّمَا سَمِيَ الْمِصْرِيُّ لِأَنَّهُ سَكَنَ مِصْرَ فَنُسِبَ إِلَيْهَا . وَكَانَ مَلُوكُهَا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ وَسَاءَ أَهْلُهَا عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، فَلَمَّا فَتَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِصْرَ غَزَاهُمْ . قال في "الروض المِعْطَارِ" : فَرَأَاهُمْ يَرُونُ الْحَدَقَ بِالنَّيْلِ ، فَكَفَّ عَنْهُمْ ، وَقَرَّرَ عَلَيْهِمْ إِيَّائِهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ . قال صاحبُ "العبر" : وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى مَلُوكُ مِصْرَ بَعْدَهُ ، وَرَبَّمَا كَانُوا يَمْتَاطُونَ بِذَلِكَ وَيَمْتَنِعُونَ مِنْ أَذَاهُ ، فَغَزَوْهُمْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى يُطِيعُوا ، إِلَى أَنْ كَانَ مُلْكُهُمْ فِي أَيَّامِ الظَّاهِرِ سَبْرَسَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، رَجُلًا اسْمُهُ (مَرْفَشْتَكُز) وَكَانَ لَهُ ابْنٌ اسْمُهُ (دَاوُد) فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ، وَاتَّرَعَ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ ، وَأَسْتَفْجَلَ مُلْكُهَا بَهَا ، وَتَجَاوَزَ حُدُودَ مُلْكِهِ قَرِيبَ (أُسْوَان) مِنْ آخِرِ صَعِيدِ

الديار المصرية ؛ فقدم (مرقشكز) المذكور على الظاهر ببرس بالديار المصرية ،
وأستنجده على ابن أخيه (داود) المذكور ؛ فجهز معه العساكر إلى بلاد النوبة ،
فانهزم (داود) ولحق بمملكة الأبواب من بلاد السودان ، فقبض عليه ملكها
وبعث به مقيدا إلى الظاهر ببرس ؛ فاعتقل بالقلعة حتى مات ؛ وأستقر (مرقشكز)
في ملك النوبة على جزية يؤديها في كل سنة ، إلى أن كانت دولة المنصور (قلاوون)
ثم أستقر بمملكة دنقلة في الدولة المنصورية (قلاوون) رجل اسمه سيماون وغزته
عساكر قلاوون سنة ثمانين وسبعمائة .

ثم ملكهم في أيام الناصر "محمد بن قلاوون" رجل اسمه (أحى) وبقي حتى توفي
سنة ست عشرة وسبعمائة .

وملك بعده دنقلة أخوه (كرنيس) .

ثم خرج من بيت الملك منهم رجل اسمه (نشلي) فهاجر إلى مصر ، وأسلم وحسن
إسلامه ، وأقام بمصر بالأبواب السلطانية ، وأجرى عليه السلطان الملك الناصر
رزقا ، ولم يزل حتى أمتنع (كرنيس) من أداء الجزية سنة ست عشرة وسبعمائة ،
فجهز إليه السلطان العساكر مع نشلي المقدم ذكره ، وقد تسمى عبد الله ففتر كرنيس
إلى بلاد الأبواب ، فاستقر (عبد الله نشلي) في ملك دنقلة على دين الإسلام ،
ورجعت العساكر إلى مصر ، وبعث الملك الناصر إلى ملك الأبواب في أمر كرنيس
فبعث به إليه ، فأسلم وأقام بباب السلطان ، وبقي نشلي في الملك حتى قتله أهل
ملكته سنة تسع عشرة وسبعمائة ، فبعث السلطان كرنيس إليهم فملكهم وأنقطعت
الجزية عنهم من حين أسلم ملوكهم . قال في "العبر" : ثم أنتشرت أحياء جهينة
من العرب في بلادهم وأستوطنوها ، وعاثوا فسادا ؛ وعجز ملوك النوبة عن مدافعتهم ،

فصاهروهم مصانعةً لهم ، وتفرق بسبب ذلك مُلكُهم حتى صار لبعض جُهينة من أمهاتهم على رأى العجم فى تملك الأخت وابن الأخت ؛ فتمزق مُلكُهم واستولت جُهينة على بلادهم ، ولم يُحسنوا سياسة المُلك ، ولم ينقذ بعضهم إلى بعض ، فصاروا شيعاً ولم يبقَ لهم رسم مُلك ، وصاروا رحالة بادية على عادة العرب إلى هذا الزمان .

وذكر فى "مسالك الأبصار" : أن ملكها الآن مُسلم من أولاد (كتر الدولة) قال : وأولاد الكتر هؤلاء أهل بيتٍ ثارت لهم ثوائرٌ مرّات . فيحتمل أن أولاد الكتر من جُهينة أيضاً جمعاً بين المقاتلين .

وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أن سلطانهم كواحد من العاقبة ، وأنه يؤوى الغرباء إلى جامع دُنقلة فيُرسل إليهم ، فيأتونه فيُضيفهم ويُنعِم عليهم هو وأمرأؤه ، وأن غالب عطائهم الدّكاديك : وهى أكسيةٌ غلاظ غالبها سُود . وربما أعطوا عبداً أوجاريةً .

(وقد ذكر فى "الروض المعطار" : أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قصد قتال النوبة فراهم يرمون الحندق بالنبل فكف عنهم ، وقدر عليهم إتاوة من الرقيق (١) فى كل سنة) ، ولم تزل ملوك مصر تأخذ منهم هذه الإتاوة فى أكثر الأوقات حتى ذكر فى "مسالك الأبصار" أنه كان عليهم فى زمنه مُقرّرٌ لصاحب مصر فى كل سنة من العبيد ، والإماء ، والحِرَاب ، والوحوش النوبية -

قلت : أمّا الآن فقد انقطع ذلك . (وربك يخلق ما يشاء ويختار) .

(١) هذه الجملة مضرب عليها فى القطعة الأزهرية إشارة الى الاستغناء عنها .

المملكة الثالثة

(بلاد البرنو)

وبلاد البرنو - بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وضم النون وسكون الواو .
 وهم مسلمون والغالب على ألوانهم السواد قال في " التعريف " : وبلاده تحُدُّ بلاد
 التَّكُّور من الشرق ، ثم يكون حدّها من الشّمال بلادَ أفريقيّةٍ ، ومن الجنوب المَمَج .
 وقاعدتهم مدينة (كَا كَا) بكناين بعد كلّ منهما ألف فيما ذكر لي رسولُ سلطانهم
 الواصلُ إلى الديار المصرية صحبةً الجميج في الدولة الظاهرية (بَرْقُوق) . وقد
 تعرّض إليها في " مسالك الأبصار " في تحديد مملكة مالى على ما يأتي ذكره
 إن شاء الله تعالى .

ومن مدنها أيضا مدينة (كُنْسِكِي) بكاف مضمومة وناء مثناة فوقية ساكنة
 ونون مكسورة وسين مهملة ساكنة وكاف مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية . وهي
 شرقيّ (كَا كَا) على مسيرة يوم واحد منها .

قلت : وقد وصل كتاب ملك البرنو في أواخر الدولة الظاهرية (بَرْقُوق) يذكر
 فيه أنه من ذرية " سيف بن ذى يزن " إلا أنه لم يحقق النسب فذكر أنه من
 قرين وهو غلط منهم فان " سيف بن ذى يزن " من أعقاب تبابعة الين من حمير .
 على ما يأتي ذكره في الكلام على المكتّبات ، في المقالة الرابعة فيما بعد ، إن شاء
 الله تعالى .

ولصاحب البرنو هذا مكتبةٌ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتي ذكرها
 هناك إن شاء الله تعالى .

المملكة الرابعة

(بلاد الكانم)

والكانم بكاف بعدها أَلَفٌ ثم نون مكسورة وميم في الآخر. وهم مسلمون أيضا والغالب على ألوانهم السَّوَادُ . قال في "مسالك الأبصار" : وبلادهم بين أفريقية وبرقة ، مُتَنَدَّةٌ في الجنوب إلى سَمْتِ القَرَبِ الأوسط . قال : وهي بلادُ حُطِّط ، وشَطَف ، وسُوءِ مِزَاجٍ مستولٍ عليها . وغالب عيشهم الأرز ، والقمح ، والذرة ، وبلادهم التين ، والليمون ، واللّفت ، والباذنجان ، والرطب . وذكر عن أبي عبد الله السلاحي ، عن الشيخ عثمان الكانمي وغيره أن الأرز ينبت عندهم من غير بذر . ومما اشتهر بهم بُقْمَاشٌ يُنْسَجُ عندهم أسمه دندى ، طول كل ثوب عشرة أذرع فأكثر . قال : ويتعاملون أيضا بالودع ، والخرز ، والنحاس المكسور ، والورق ، لكنه جميعه يسعر بذلك القماش .

وذكر ابن سعيد : أن في جنوبيها صحارى فيها أشخاص متوحشة ، كالغول أقرب الحيوانات إلى الشكل الآدمي ، تؤذى بنى آدم ولا يلحقها الفارس .

وذكر أبو عبد الله المرأكشي في كتابه "النكلة" عن أبي إسحاق إبراهيم الكانمي الأديب الشاعر : أنه يظهر ببلاد الكانم في الليل أمام الماشى بالقرب منه قُلٌّ نار تُضيء ، فإذا مشى بعدت منه ، فلا يصل إليها ولو جرى ، بل لا تزال أمامه . وربما رماها بحجر فأصابها ، فيتشظى منها شرارات . قال في "مسالك الأبصار" : وأحوالها وأحوال أهلها حسنة ، وربما كان فيهم من أخذ في التعليم ، ونظر من الأدب نظرة النجوم فقال إنى سقيم ، فما يزال يداوى عليل فهمه ، ويديرى جامع علمه ، حتى تشرق عليه أشعتها ، ويطرز بديباجه أمتعتها .

وقاعدتها (مدينة جيمى) . قال فى "تقويم البلدان" : بكسر الجيم وبالياء المشاة تحت الساكنة وكسر الميم ثم ياء منناة تحية فى الآخر. حسب مادو فى خط ابن سعيد . وموقعها فى الإقليم الأول من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاث وخمسون درجة ، والعرض تسع درج ، وبها مقرة سلطانهم . قال فى "مسالك الأبصار" : ومبدأ هذه المملكة من جهة مصر بلدة اسمها (دلا) وآخرها طولاً بلدة يقال لها (كاكا) وبينهما نحو ثلاثة أشهر . وقد تقدم أن كاكا هى قاعدة سلطان البرنو . وبينها وبين جيمى أربعون ميلاً . قال وبها فواكه لا تشبه فواكه بلادنا ، وبها الزمان ، والخبوخ ، وقصب السكر . قال فى "مسالك الأبصار" : وسلطان هذه البلاد رجل مسلم . قال فى "تقويم البلدان" : وهو من ولد «سيف بن ذى يزن» . قال فى "مسالك الأبصار" : وأول من بث الإسلام فيهم الهادى العثمانى ، ادعى أنه من ولد «عثمان بن عفان» رضى الله عنه وملكها ، ثم صارت بعده لليزينيين . وذكر فى "التعريف" : أن سلطان الكاتم من بيت قديم فى الإسلام ، وقد جاء منهم من ادعى النسب العلوى فى بنى الحسن . ثم قال : وتمذهب بمذهب «الشافعى» رضى الله عنه . قال فى "مسالك الأبصار" : وملكهم على حقارة سلطانة ، وسوء بقعة مكانه ، فى غاية لا تدرك من الكبرياء ، يمسح برأسه عنان السماء ، مع ضعف أجناده ، وقلة متحصلى بلاد ، لا يراه أحد إلا فى يوم العيسدين بكرة وعند العصر . أما فى سائر السنة فلا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب . قال : والعدل قائم فى بلادهم ، ويتمذهبون بمذهب الإمام «مالك» رضى الله عنه ، وهم ذوو اختصار فى اللباس ، يلبسون فى الدين ، وعسكرهم يتلثمون ، وقد بنوا مدرسةً لالكية بالقسطاط . ينزل بها وفودهم .

المملكة الخامسة

(بلاد مالى ومضافاتها)

و(مالى) بفتح الميم وألف بعدها لامٌ مشددة مَفَحَمة وياء مشاة تحتُ فى الآخر .
وهى المعروفة عند العامة ببلاد (التَّكُور) . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة
فى جنوب المغرب ، متَّصلةٌ بالبحر المحيط . قال فى "التعريف" : وحدَّها فى الغرب
البحرُ المحيطُ ، وفى الشرق بلاد البرنو ، وفى الشمال جبال البربر ، وفى الجنوب المصح .
ونقل عن الشيخ سعيد الدكالى : أنها تقع فى جنوب مَرَّاكُش ودواخل بَرِّ العُدوة
جنوبا بغرب إلى البحر المحيط . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى شديدةُ الحرِّ ،
قَسِقةُ المعيشة ، قليلةُ أنواعِ الأقوات ، وأهلها طَوَال فى غاية السواد وتفلُّل
الشُّعور ، وغالب طُول أهلها من سُوقهم ، لا من هَيَاكل أبدانهم . قال ابن سعيد :
والتَّكُور قسيمان : قسم حَصَر يسكنون المَدَن ، وقسم رَحالة فى البَوَادى .

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن الشيخ سعيد الدكالى : أن هذه المملكة
مُرَبَّعة ، طولها أربعة أشهر أو أزيد ، وعرضها مثلُ ذلك ، وجميعها مسكونةٌ
إلا ما قَلَّ ، وهذه المملكة هى أعظم ممالك السودان المسلمين .
وتشتمل على ثمانِ جُمَل :

الجملة الأولى

(فى ذكر أقاليمها ومُدُنِها)

وقد ذكر صاحب "العر" : أنها تشتمل على خمسة أقاليم كل إقليم منها
مملكةٌ بذاتها .

الإقليم الأول

(مالى)

وقد تقدّم ضبطه . وهو إقليم واسطة الأقاليم السبعة الداخلة في هذه المملكة ، واقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو : صوصو من غربيه ، وكوكو من شرقيه .

وقاعدته على ما ذكره في "مسالك الأبصار" : مدينة (بنى) ^(١) قال في "مسالك الأبصار" : بالباء الموحدة والنون ثم الباء الموحدة أيضا . قال : وهي ممتدة تقدير طول برید في عرض مثل ذلك ، ومبانيها متفرقة ، وبنائها بالبالستا . وهو أنه يبنى بالطين بقدر ثلثي ذراع ، ثم يترك حتى يجف ، ثم يبنى عليه مثله ، وكذلك حتى ينتهى ، وسقوفها بالخشب والقصب ، وغالبا قباب أو جملونات كالأقباء ، وأرضها تراب مرميل ، وليس لها سور ، بل يستدير بها عدة فروع من النيل من جهاتها الأربع ، بعضها يحاض في أيام قلة الماء ، وبعضها لا يعبر فيه إلا في السفن . وللك عدة قصور يدور بها سور واحد .

الإقليم الثاني

(صوصو)

بصادين مهملتين مضمومتين ، بعد كل منهما واو ساكنة . وربما أبدلوا الصاد سينا مهملة سمي بذلك باسم سكانه . قال في "العبر" : وهم يسمونها الانكارية . وهو في الغرب عن إقليم مالى المقدم ذكره فيما ذكره في "العبر" عن بعض القلة .

(١) في القطعة الأزهرية "مدينة بنى بكسر الياء المشاة تحت وسكون اليا. الثانية وكسر المشاة فوق وياه مشاة تحت في الآخر" .

الإقليم الثالث (بلاد غانة)

بفتح الغين المعجمة وألف ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر . وهى غربى إقليم
صُوصو المقدم ذكره تجاور البحر المحيط الغربى .

وقاعدته (مدينة غانة) التى قد أضيف إليها . قال فى "تقويم البلدان" :
وموقعها خارج الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال ابن سعيد : حيث
الطول [تسع وعشرون درجة ^(١)] والعرض عشر درج . قال فى "تقويم البلدان" :
وهى محل سلطان بلاد غانة .

وقد حكى ابن سعيد : أن لغانة نبلاً شقيق نيل مصر ، يصب فى البحر المحيط
الغربى عند طول عشر درج ونصف ، وعرض أربع عشرة . وإليها تسير التجار
المغاربة من سجلماسة فى بر مقفر ومفاوز عظيمة فى جنوب الغرب نحو خمسين يوماً ،
فيكون بين غانة وبين مصبه نحو أربع درج . وهى مبنية على ضفتى نيلها هذا .
قال فى "العبر" : وكان أهلها قد أسلموا فى أول الفتح الإسلامى .

وقد ذكر فى "تقويم البلدان" : أنها مدينتان على ضفتى نيلها ، إحداهما يسكنها
المسلمون والثانية يسكنها الكفار .

وقد ذكر فى "الروض المبطر" : أن لصاحب غانة معلقين من ذهب ، يربط
عليهما فرسان له أيام مقعده .

(١) الزيادة عن التقويم نقلاً عن ابن سعيد .

الإقليم الرابع

(بلاد كوكو)

وهي شرق إقليم مالى المتقدم ذكره . قال في "الروض المعطار" : ومليكها قائم بنفسه ، له حشم وقواد وأجناد وزى كامل ، وهم يركبون الخيل والجمال ، ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الأمم . قال : وبها ينبت عود الحية : وهو عود يشبه العاقِر قرحا ، إلا أنه أسود ، من خاصته أنه إذا وُضع على بُحجر الحية خرجت إليه بسرعة ، ومن أمسكه بيده أخذ من الحيات ما شاء من غير جزع يُدركه أو يقع في نفسه . ثم قال : والصحيح عند أهل المغرب الأقصى أن هذا العود إذا أمسكه مُمسِك بيده أو علّقه في عنقه لم تقربه حية البتة .

وقاعدته (مدينة كوكو) بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها . وموقعها في الجنوب عن الإقليم الأول قال ابن سعيد : حيث الطول أربع وأربعون درجة ، والعرض عشرين درجة . قال : وهي مقر صاحب تلك البلاد . قال : وهو كافر يقاتل من غربيته من مسلمي غانة ومن شرقيته من مسلمي الكانم .

وذكر المهلب في العزيزي أنهم مسلمون ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهر ونصف . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة كبيرة على ضفة نهر يخرج من ناحية الشمال ، يمر بها ويجاوزها بأيام كثيرة ، ثم يغوص في الصحراء في رمال كما يغوص الفرات في بطائح العراق . قال ابن سعيد : وكوكو في شرق النهر ، ولباس عامة أهلها الجلود يسترون بها عورتهم ، ويُجَارهم يلبسون الأكسية ، وعلى رؤوسهم الكرازين ، وليس خواصهم الأزرق . قال في "مسالك الأبحار" : وسكانها قبائل يرنان من السودان .

الإقليم الخامس

(بلاد تَكَوَر)

وهي شرق إقليم (كَوَكُو) المقدم ذكره ، ويليه من جهة الغرب مملكة (البرنو) المتقدمة الذكر ، وبها عُرِفَت هذه المملكة على كبرها واشتهرت .

وقاعدته (مدينة تَكَوَر) ^(١) بفتح التاء المشناة فوق وسكون الكاف وضم الراء المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة على النيل على القرب من ضفافه أكبر من مدينة سَلا من بلاد المغرب ، وطعام أهلها السمك ، والذرة ، والألبان ، وأكثر مواشيهم الجمال ، والمعز ، ولباس عامة أهلها الصوف ، وعلى رؤوسهم كرازين صوف ، ولباس خاصتهم القطن والمآزر . قال : وبينها وبين سِيَّهَامَسَة من بلاد المغرب أربعون يوما يسير القوافل ، وأقرب البلاد إليها من بلاد لَمْتُونَة بالصحرَاء آسَفِي بينهما خمس وعشرون مرحلة . قال : وأكثر ما يسافر به تجار الغرب الأقصى إليها الصوف ، والنحاس ، والخَرْبُ ، ويخرجون منها بالتبر ، والخدَم . قلت : وذكر في "مسالك الأبصار" : أن هذه المملكة تشتمل على أربعة عشر إقليما . وهي غانة ، وزافون ، وترنكا ، وتَكَوَر ، وسنغانة ، وبانبغو ، وزرنطابنا ، وبيترا ، ودمورا ، وزاغا ، وكابرا ، وبراغودي ، وَكَوَكُو ، ومالِي . فذكر أربعة من الأقاليم الخمسة المتقدمة الذكر ، وأسقط إقليم صُوصُو ، وكأنها قد أضحلت وزاد باقي ذلك ، فيحتمل أنها أنضافت إلى صاحبها يومئذ بالفتح والاستيلاء عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وفي شمالي بلاد مالِي قبائل من البربر يرض تحت حكم سلطانها : وهم نيتصر ، ونيغراس ، ومدوسة ، ولَمْتُونَة ، ولهم أشياخ تحكم عليهم

(١) ضبطه المحمد بالضم ولم يتعقبه شرحه ففيه لغتان .

إلا ينتصر ، فإنهم يتداولهم ملوكٌ منهم تحت حكم صاحب مالى . قال : وكذلك فى طاعته قوم من الكفار بعضهم يأكل لحم الآدميين . ونقل عن الشيخ سعيد الدكالى : أن فى طاعة سلطانها بلاد مغارة الذهب . وهم بلاد هَمَج ، وعليهم إتابةٌ من التبر تُجَل إلىه فى كل سنة ، ولو شاء أخذهم ولكن ملوكُ هذه المملكة قد جربوا أنه ما بُنِحت مدينةٌ من هذه المُدن وفشا بها الإسلام ، ونَطَق بها داعى الأذان ، إلا قَلَّ بها وجودُ الذهب ثم يتلاشى حتى يعدم ، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار ، فَرَضُوا منهم ببذل الطاعة ، وحمل قُرر عليهم . وذكر نحو ذلك فى ” التعريف ” فى الكلام على غانة .

الجملة الثانية

(فى الموجود بهذه المملكة)

قد ذكر فى ” مسالك الأبصار ” عن الشيخ سعيد الدكالى : أن بها الخيل من نوع الأكايش التَّريَّة . قال : وتُجَب الخيل العِراب إلى ملوكهم ، يتغالبون فى أثمانها ، وكذلك عندهم الرِّغال ، والحَير ، والبقر ، والغنم ، ولكنَّها كُنَّها صغيرة الجُشة ، وتلد الواحدة من المعز عندهم السبعة والثمانية ، ولا مَرعى لمواشيهم ، إنما هى جَلالة على الثِّمَامات والمزابل . وبها من الوحوش الفيلة ، والأساُد ، والثُّورَة ، وكُنَّها لا تُؤذى من بنى آدم إلا مَنْ تعرَّض لها . وعندهم وحش يسمى (تُرْمى) بضم التاء المشناة والراء المهملة وتشديد الميم ، فى قدر الذئب ، يترلد بين الذئب والضَّبُع لا يكون إلا خُنْى : له ذكر وفرج ، متى وَجَد فى الليل آدمياً صغيراً أو مراهقاً أكله . ولا تعرَّض إلى أحد فى النهار ، وهو يُعَرَّ كالثور ، وأسنانه متداخلة . وعندهم تما سِيحُ عِظام منها ما يكون

(١) نسبة إلى دكالة قال فى القاموس كرامة . وفى المعجم بالفتح بلد بالمغرب

طوله عشرة أذرع وأكثر، ومرارته عندهم ثم قاتل تحمل إلى خزانة ملكهم .
وعندهم بقر الوحش ، وحير الوحش ، والفيلان . وفيما يسامت سيئاتهم من بلادهم
جواميس متوحشة تصاد كما يُصاد الوحش . وبها من الطيور الدواجن الإوز ،
والدجاج ، والحمام . وبها من الحبوب الأرز ، والذوئ : وهو ذق مرغ ، يُدرس
فيخرج منه حب أبيض شبه بالخردل في المقدار أو أصغر منه ، فيخل ثم يطحن
ويعمل منه الخبز ، وهذا الحب هو والأرز هما غالب قوتهم ، وعندهم الدرة وهي
أكثر حبوبهم ، ومنها قوتهم ولبق خيوطهم ودوابهم ، وعندهم الحنطة على قلة فيها ،
أما الشعير فلا وجود له عندهم البتة ، وعندهم من الفواكه البستانية الجميز وهو
كثير لديهم ، وعندهم أشجار برية ذوات ثمار ما كولة مستطابة ، منها شجري يسمى
تادموت يحمل شيئاً مثل القواويس كبراً في داخلها شيء شبه بدقيق الحنطة ، ساطع
البياض ، طعمه من لذيذ يأكلون منه ، وإذا جف جعلوه على الخناء فيسوده
كالنوشادر ، ومنها شجري يسمى زيزور تخرج ثمرته مثل قرون الخروب فيخرج منها
شيء شبه بدقيق الترمس حلو لذيد الطعم ، له نوى . ومنها شجري يسمى قومي ،
يحمل شبيه السفرجل ، لذيد الطعم يشبه طعم الموز ، وله نوى شبه بغضروف العظام ،
يأكله بعضهم معه . ومنها شجر اسمه فارتي ، حمله شبه بالليمون وطعمه يشبه طعم
الكمثرى بداخله نوى ملحم ، يؤخذ ذلك النوى وهو طري ، فيطحن فيخرج منه شيء
شبه بالسمن يجمد ، وتبيض به البيوت ، وتوقد منه السرح ، ويعمل منه الصابون ،
وإذا أُصِد أكله وضع في قدر على نار لينة ، ويسقى الماء حتى يقوى ذليانه وهو
مغطى الرأس ، ويسارق كسف النطاء في آفتقاده ، فانه متى كُشف القدر فار ولحق
بالسقف . وربما آتقده منه نار فأحرق البيت ، فإذا نضج بُرد ، وجعل في ظروف
القرع ، وصار يستعمل في المأكَل كالسمن . ومتى جعل في غير ظروف القرع

من الآنية خرّقها . ويوجد بها من الثمرات البرية ما هو شبيه بكل الفواكه البستانية على اختلاف أنواعها ، ولكنها حريفة لا تستطاب ، يأكلها الحمّج من السودان ، وهي قوت كثير منهم .

وبها من الخضراوات اللوبياء ، واللفت ، والثوم ، والبصل ، والباذنجان ، والكرنب ، أما الملوخية فلا تطلع عندهم إلا برية ، والقرع عندهم بكثرة . وعندهم شيء شبيه بالقلقاس إلا أنه ألد من القلقاس ، يزرع في الخلاء فإن سرق منه سارق ، قطع الملك رأسه وعلقه مكان ما قطع منه ، عادة عندهم يتوارثونها خلفا عن سلف ، لا توجد فيها رخصة ، ولا تنفع فيها شفاعاة .

وجبالها ذوات أشجار مشدكة ، غليظة السوق إلى الغاية ، تظل الواحدة منها خمسمائة فارس . وفيها بغانة وما وراءها في الجنوب من بلاد السودان الحمّج معادن الذهب .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن الأمير أبي الحسن علي بن أمير حاجب عن السلطان (منسا موسى) سلطان هذه المملكة : أنه سأله عند قدومه الديار المصرية حاجا عن معادن الذهب عندهم — فقال : توجد على نوعين : نوع في زمان الربيع ينبت في الصحراء ، له ورق شبيه بالنجيل ، أصوله التبر . والثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفاف مجارى النيل ، تحفر هناك حفائر فيوجد فيها الذهب كالنجارة والحصى ، فيؤخذ . قال : وكلاهما هو المسمى بالتبر . ثم قال : والأول أخف في العيار ، وأفضل في القيمة . وذكر في "التعريف" نحوه . وذكر عن الشيخ عيسى الزواوى عن السلطان (منسا موسى) المتقدم ذكره أيضا أنه يخفر في معادن الذهب كل حفيرة عمق قامة أو ما يقاربها ، فيوجد الذهب في جنباتها . وربما وجد مجتمعا في سفلى

(١) في الأصل والأول أ ... في الخيار والتصحيح عن "التعريف" و "المسالك" .

الحفيرة؛ وأنَّ في مملكته أُمَمًا من الكُفَّار لا يأخذ منهم جزيةً، إنما يستعملهم في إخراج الذهب من مَعَادِنِهِ . ثم قد ذكر في ”مسالك الأبصار“ : أن النوع الأول من الذهب يُوجَد في زمن الربيع عَقِيب [الأمطار]^(١) يَنْبُتُ في مواقعها، والثاني يوجد في جميع السنة في ضَفَاتٍ جَارَى النِّيل . وذكر في ”التعريف“ : أن نبات الذهب بهذه البلاد يبدأ في شهر (أغشت) حيثُ سلطانُ الشمس قاهرٌ، وذلك عند أخذ النِّيل في الارتفاع والزيادة . فإذا انْخَطَّ النِّيلُ تَتَبَعَ حيثُ رَكِبَ عليه من الأرض؛ فيوجد منه ما هو نباتٌ يُشَبِّه النجيل وليس به . ومنه ما يوجد كالخضى . فجعل الجميع مما يحدث في هذا الزمن في أماكن النيل خاصةً، وفيه مخالفة لما تقدّم . بل قد قال : إن شهر (أغشت) الذي يطلُع فيه الذهب وهو من شهور الروم ، ويقع - والله أعلم - أنه يُرَكَّب من (تَمُوز) و(آب) يعنى من شهور السريان، وهذا غلط فاحش . فقد تقدّم في المقالة الأولى أن شهور الروم منطبقة على شهور السريان في الابتداء وال انتهاء، دون ابتداء أول السنة؛ وشهر (أغشت) من شهور الروم هو شهر (آب) من شهور السريان بعينه .

ثم قد حكى في ”مسالك الأبصار“ عن والى مصر عن (منسا موسى) المقسّم ذكره : أن الذهب ببلادهم حَمَى له ، يجمع له متحصّله كالتقطيعه ، إلا ما يأخذه أهل تلك البلاد منه على سبيل السرقة .

وحكى عن الشيخ سعيد الدكّالى : أنه إنما يهادى بشيء منه كالمصانعة، وأنه يتكسّب عليهم في المبيعات لأنّ بلادهم لا شيء بها . ثم قال : وكلام الدكّالى أثبت وعليه ينطبق كلامه في ”التعريف“ حيث ذكر غانة ثم قال : وله عليها إتاوة مقرّرة .

(١) بياض بالاصل والتصحيح من ”المسالك“ .

تَحْمَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ . وَهَذِهِ الْبِلَادُ أَيْضًا مَعْدَنُ نُحَاسٍ وَلَيْسَ يُوجَدُ فِي السُّودَانِ إِلَّا عِنْدَهُمْ . قَالَ الشَّيْخُ عَيْسَى الزَّوَاوَى : قَالَ لِي السُّلْطَانُ مُوسَى : إِنْ عِنْدَهُ فِي مَدِينَةٍ أَسْمَهَا (نَكُوا) مَعْدَنُ نُحَاسٍ أَحْمَرٍ ، يَجْلِبُ مِنْهُ قُضْبَانٌ إِلَى مَدِينَةِ بَنِي قَاعِدَةَ مَالِي فَيَبْعُثُ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ الْكُفَّارَ ، فَيُبَاعُ وَزَنٌ مِثْقَالُ بَثْنَى وَزَنُهُ مِنَ الذَّهَبِ ؛ يُبَاعُ كُلُّ مِائَةِ مِثْقَالٍ مِنْ هَذَا النُّحَاسِ بِسِتَّةِ وَسْتِينَ مِثْقَالًا وَثَلَاثِي مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ .

وَهَذِهِ الْبِلَادُ (مَعْدِنُ مِلْحٍ) وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ السُّودَانِ الْوَالِجِينَ فِي الْجَنُوبِ وَالْمُسَامِتِينَ لِسَجِّ الْمَاسَةِ وَمَا وَرَاءَهَا مِلْحٌ سِوَاهُ . قَالَ "الْمَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ" : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الصَّائِغِ ، أَنَّ الْمِلْحَ مَعْدُومٌ فِي دَاخِلِ بِلَادِ السُّودَانِ ، فَنَاسٌ مِنْ يُغَرَّرُ وَيَصِلُ بِهِ إِلَى أَنْاسٍ مِنْهُمْ يَبْدَأُونَ نَظِيرَ كُلِّ صُبْرَةٍ مِلْحٍ مِثْلَهُ مِنَ الذَّهَبِ . قَالَ ابْنُ الصَّائِغِ : وَحَدَّثْتُ أَنَّ مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ الدَّاخِلَةِ مَنْ لَا يُظَاهِرُ لَهُمْ بَلْ إِذَا جَاءَ التَّجَارُ بِالْمِلْحِ وَضَعُوهُ ثُمَّ غَابُوا ، فَيَجِيءُ السُّودَانُ فَيَضَعُونَ إِزَاءَهُ الذَّهَبَ ، فَإِذَا أَخَذَ التَّجَارُ الذَّهَبَ ، أَخَذَ السُّودَانُ الْمِلْحَ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : قَالَ لِي الدَّكَّالِيُّ : وَأَهْلُ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَثِيرٌ فِيهِمُ السَّحَرُ ، وَلَهُمْ بِهِ عِنَايَةٌ حَتَّى إِنَّهُمْ فِي بِلَادِ الْكُفَّارِ مِنْهُمْ يَصِيدُونَ الْفِيلَ بِالسَّحَرِ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَحَاكُمُونَ عِنْدَ مُلْكِهِمْ بِسَبَبِهِ ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : إِنْ فَلَانًا قَتَلَ أَخِي أَوْ وَلَدِي بِالسَّحَرِ ، وَالسُّلْطَانُ يَحْكُمُ عَلَى الْقَاتِلِ بِالْقِصَاصِ وَقَتْلِ السَّاحِرِ .

وَحَكَى عَنْهُ أَيْضًا : أَنَّ السُّمُومَ فِي هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَثِيرَةٌ ، فَإِنْ عِنْدَهُمْ حَشَائِشٌ وَحَيَوَانَاتٌ يَرْتَكِبُونَ مِنْهَا السُّمُومَ الْقَتَالَةَ ، وَلَا سِيَّمَا مِنْ سَمَكٍ يَوْجَدُ عِنْدَهُمْ . قَالَ الشَّيْخُ سَعِيدُ الدَّكَّالِيُّ : وَمِنْ خِصَاصَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ أَنَّ لِسَرَعَ فِيهَا فُسَادُ الْمَتَنَحَرَاتِ لَا سِيَّمَا السَّمْنُ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ وَيُنِينَ فِيهَا فِي يَوْمَيْنِ .

الجملة الثالثة

(في معاملة هذه المملكة)

ذكر في "مسالك الأبصار" عن ابن أمير حاجب : أن المعاملة عندهم بالودع وأن التجار تجلبه إليهم كثيراً ، فترج فيه الربح الكثير . وكان هذا في المعاملات النازلة من مثل المآكل وما في معناها ، وإلا فالذهب عندهم على ما تقدم من الكثرة .

الجملة الرابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أن هذه المملكة قد اجتمع بها خمسة أقاليم ؛ وهي : إقليم مالى ، وإقليم صوصو ، وإقليم غانة من الجانب الغربى عن مالى ، وإقليم كوكو ، وإقليم تكورور من الجانب الشرقى عن مالى ؛ وأن كل إقليم من هذه الخمسة كان مملكة مستقلة ، ثم اجتمع الكل في مملكة صاحب هذه المملكة ، وأن مالى هى أصل مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : وهو وإن غلب عليه عند أهل مصر اسم سلطان التكرور فإنه لو سمع هذا انف منه ، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال (صاحب مالى) لأنه الإقليم الأكبر ، وهو به أشهر . وتقل عن الشيخ سعيد الدكالى : أنه ليس بمملكته من يطلق عليه اسم ملك إلا صاحب غانة وهو كالدائب له وإن كان ملكاً . وكأنه إنما بقى اسم الملك على صاحب غانة دون غيره لعدم انتزاعها منه والاستيلاء عليها استيلاء كلياً . فقد قال في "التعريف" : وأما غانة فإنه لا يملكها وكأنه مال لهما ، يتركها عن قُدرة عليها : لأن بها وبما وراءها جنوباً منابت الذهب . وذكر ما تقدم من أن بلاد منابت الذهب متى فشا فيها الإسلام

(١) فى الاصل سبعة ، وهو سهو من النسخ لان المعداد هنا والمتقدم هناك خمسة .

والأذان، عُدِمَ فيها نبات الذهب، وصاحب مالى يتركها لذلك لأنه مسلم، وله عليها إتاوة كبيرة مقررة تحل إليه فى كل سنة .

وقد ذكر صاحب "البر" : أن هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرقة، وكان من أعظمها ملكة غانة . فلما أسلم الملتزمون من البربر، تسلطوا عليهم بالغزو حتى دان كثير منهم بالإسلام، وأعطى الجزية آخرون، وضمف بذلك ملك غانة وأضمحل، فتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم، وملكوا غانة من أيدي أهلها. وكان ملوك مالى قد دخلوا فى الإسلام من زمن قديم .

قال: ويقال إن أول من أسلم منهم ملك اسمه (برمندانة) بيا موحد وراء مهملة مفتوحين وميم مكسورة ونون ساكنة ودال مهملة بعدها ألف ثم نون مشددة مفتوحة وهاء فى الآخر فىما ضبطه بعض علماءهم . ثم حج بعد إسلامه، فاقتفى سنته فى الحج ملوكهم من بعده .

ثم جاء منهم ملك اسمه (مارى جازة) ومعنى (مارى) الأمير الذى يكون من نسل السلطان ومعنى (جازة) الأسد، فقوى ملكه وغلب على صوصو، وأنتزع ما كان بأيديهم من ملكهم القديم وملك غانة الذى يليه إلى البحر المحيط . ويقال : إنه ملك عليهم خمساً وعشرين سنة .

ثم ملك بعده ابنه (منسا ولى) ومعنى (منسا) بلغتهم السلطان، ومعنى (ولى) على، وكان من أعظم ملوكهم، وحج أيام الظاهر بيبرس صاحب مصر . ثم ملك من بعده أخوه (والى) .

ثم ملك من بعده أخوه (خليفة) وكان أحق، يغلب عليه الحمق فيرمى الناس بالسهام فيقتلهم، فوثب به أهل مملكته فقتلوه .

وملك بعده سبط من أسباط « ماري جازة » المقدم ذكره ، اسمه (أبو بكر)
على قاعدة العجم في تملك البنت وابن البنت .

ثم تغلب على الملك مولى من موالهم اسمه (ساكورة) . ويقال (سيكره) فاتسع
نطاق مملكته وغلب على البلاد المجاورة له ، وفتح بلاد كوكو واستضافها إلى مملكته ،
وأتصل ملكه من البحر المحيط الغربى إلى بلاد التكرور ، فقوى سلطانه ، وهابه
أمم السودان ورحل إليه التجار من بلاد الغرب وأفريقية . وجَّأ أيام السلطان
الملك الناصر « محمد بن قلاوون » ورجع فقتل في أثر عوده .

وملك بعده (قو) بن السلطان « ماري جازة » .

ثم ملك من بعده (محمد بن قو) ثم انتقل الملك من ولد ماري جازة إلى ولد أخيه
أبى بكر .

فولى منهم (منسا موسى) بن أبى بكر . قال فى " العبر " : وكان رجلا صالحا ،
ومليكا عظيما ، له أخبار فى العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة فى أيامه إلى الفاية ،
وأفتح الكثير من البلاد .

قال فى " مسالك الأبصار " : حكى ابن أمير حاجب والى مصر عنه ، أنه فتح
بسيفه وحده أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع .
قال فى " مسالك الأبصار " : قال ابن أمير حاجب : سأله عن سبب انتقال الملك
إليه - فقال : إن الذى قبل كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك ، ففهم
سفن ، وشحنها بالرجال والأزواد التى تكفيهم سنين ، وأمر من فيها أن لا يرجعوا
حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم ، فغابوا مدة طويلة ، ثم عاد منهم سفينة واحدة
وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم . فقال : سارت السفن زمانا طويلا حتى عرض

لها في البحر في وسط الجُتَّةِ وادٍ له حُرِّيَّةٌ عظيمةٌ ، فابتلع تلك المراكب وكنتُ آحِرَ القوم فرجعت بسفينتي ؛ فلم يصدِّقه : فجُهِزَ أَلْفُ سَفِينَةٍ أَلْفًا لِلرَّجَالِ وَأَلْفًا لِلزُّوَادِ ، وَاسْتَخْلَفَنِي وَسَافَرَ بِنَفْسِهِ لِيَعْلَمَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَبَيْنَ مَعَهُ . قَالَ فِي " الْعَبَرِ " : وَكَانَ حُجَّةً فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعَائِهِ فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ « مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ » .

قَالَ فِي " مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ " : قَالَ لِي الْمِهْمَنْدَارُ خَرَجْتُ لِمُلْتَقَاكَ مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ فَأَكْرَمَنِي إِكْرَامًا عَظِيمًا ، وَعَامَلَنِي بِأَجْمَلِ الْأَدَابِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَا يَحْدِّثُنِي إِلَّا بِتَرْجُمَانٍ مَعَ إِجَادَتِهِ الْإِنْسَانَ الْعَرَبِيَّ . قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ ، قَدِمَ لِلخِزَانَةِ السُّلْطَانِيَّةِ حِمْلًا مِنَ التَّبَرِّ ، وَلَمْ يَتْرِكْ أَمِيرًا وَلَا رَبَّ وَظِيفَةً سُلْطَانِيَّةً إِلَّا وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالذَّهَبِ . وَكُنْتُ أَحَاوِلُهُ فِي طُلُوعِ الْقَلْعَةِ لِلِاجْتِمَاعِ بِالسُّلْطَانِ حَسَبِ الْأَوَامِرِ السُّلْطَانِيَّةِ فَيَأْتِي خَشْيَةً تَقْبِيلِ الْأَرْضِ لِلْسُّلْطَانِ وَيَقُولُ : جِئْتُ لِحُجِّ لَا لغيره ، وَلَمْ أَزَلْ بِهِ حَتَّى وَافَقَ عَلَيَّ ذَلِكَ .

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْخِصْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ . قِيلَ لَهُ : قَبَّلِ الْأَرْضَ ، فَتَوَقَّفْ وَأَبِئْ إِبَاءً ظَاهِرًا . وَقَالَ : كَيْفَ يَجُوزُ هَذَا ؟ فَأَسْرَّ إِلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ إِلَى جَانِبِهِ كَلَامًا . فَقَالَ : أَنَا أَسْجُدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَفَطَرَنِي ثُمَّ سَجَدَ ، وَتَقَدَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَقَامَ لَهُ بَعْضُ الْقِيَامِ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ وَتَحَدَّثَا طَوِيلًا ؛ ثُمَّ قَامَ السُّلْطَانُ مُوسَى فَبَعَثَ إِلَيْهِ السُّلْطَانِ بِالْخَلْعِ الْكَامِلَةِ لَهُ وَالْأَصْحَابِ ، وَخِيَلًا مُسَرَّجَةً مُلْجَمَةً . وَكَانَتْ خَلْعُهُ طَرْدَ وَحْشٍ بِقَصَبٍ كَثِيرٍ ، بِسِنِّجَابٍ مُقَدَّسٍ ، مَطَرَزَ بَزْرُكُشٍ ، عَلَى مَفْرَجِ إِسْكَندَرِي ، وَكُلُوتَةٍ زَرْكُشٍ ، وَكَلَالِيْبٍ ذَهَبٍ ، وَشَاشٍ بِحَرِيرٍ ، وَرَقَمَ خَلِيقَتِي ، وَمِنْطَقَةٌ ذَهَبٍ مَرَصَّعَةٌ ، وَسَيْفٌ مُحَلَّى ، وَمَنْدِيلٌ مُذَهَّبٌ نَحْرًا ، وَفَرَسَيْنِ مُسَرَّجَيْنِ مُلْجَمَيْنِ بِمَرَكَبٍ بِغَلِّ مُحَلَّلَةٍ وَأَعْلَامٍ ، وَأَجْرَى عَلَيْهِ الْأَنْزَالَ وَالْإِقَامَاتِ الْوَافِرَةَ مَدَّةَ مُقَامِهِ .

ولما آن أوان الحج بعث إليه بمبلغ كبير من الدراهم ، وهُجِنَ جليلة كاملة الأكوار
والعُدة لمركبه ، وهُجِنَ أتباع لأصحابه وأزواجه ، ورَكَرله العليق في الطرق ،
وأمر أمير الركب بإكرامه واحترامه .

ولما عاد ، بعث إلى السلطان من هدية الحجاز تبركا ، فبعث إليه بالخالع الكاملة
له ولأصحابه ، والتحف والألطف من البر السكندري والأمتعة الفاخرة ،
وعاد إلى بلاده .

وذكر عن ابن أمير حاجب والى مصر أنه كان معه مائة حبل ذهب أنفقها
في سفرته تلك على من بطريقه إلى مصر من القبائل ثم بمصر ، ثم من مصر إلى الحجاز
توجهها وعودا حتى احتاج إلى القرض ، فاستدان على ذمته من تجار مصر بمالهم
عليه فيه المكاسب الكثيرة ، بحيث يحصل لأحدهم في كل ثمانية دينار سبعة دينار
ربحاً ، وبعث إليهم بذلك بعد توجهه إلى بلاده . قال في "العبر" ويقال : إنه كان
يحمل الله اثنا عشر ألف وصيفة لابسات أقيية الدياج .

قال في "مسالك الأبصار" : وذكر لي عنه ابن أمير حاجب : أنه حكى له
أن من عادة أهل مملكته أنه إذا نشأ لأحد منهم بنت حسناء ، قدمها له أمة
موطوءة ، فيملكها بغير تزويج مثل ملك أيمن - فقلت له : إن هذا لا يحل لمسلم
شرعاً - فقال : ولا لللوك ؟ - فقلت : ولا للملوك وأسأل العلماء . فقال :
والله ما كنت أعلم ذلك ! وقد تركته من الآن . قال في "العبر" : ودام ملكه
عليهم خمسا وعشرين سنة ومات .

فملك بعده أبنيه (منسا مفا) ومعنى مفا عندهم محمد ، يعنون السلطان محمداً ،
ومات لأربع سنين من ولايته .

وملك بعده أخوه (منسا سليمان) بن أبي بكر، وهو أخو منسا موسى المقدم ذكره. قال في "مسالك الأبصار": واجتمع له ما كان أخوه أفتحه من بلاد السودان وأضافه إلى يد الإسلام، وبخا به المساجد والجوامع والمنارات، وأقام به الجمع والجماعات والأذان، وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه، وتفقه في الدين. قال في "العبر" ودام ملكه أربعاً وعشرين سنة، ثم مات.

وولى بعده ابنه (قنبتا بن سليمان) ^(١) ومات لتسعة أشهر من ملكه.

وملك بعده (مارى جازاه) بن منسا مغا بن منسا موسى فأقام أربع عشرة سنة أساء فيها السيرة، وأفسد ملكهم، وأتلف ذخائرهم بسرّفه وتبذيره، حتى انتهى به الحال في السرف أنه كان بخزائهم حجر ذهب، زنته عشرون قنطاراً منقولا من المعدن من غير سبك ولا علاج بالنار. وكانوا يرونه من أنفاس ذخائرهم لندور وجود مثله في المعدن، فباعه على تجار مصر المترددين إليه بأجنس ثمن، وصرف ذلك كله في الفسوق، وكان آخر أمره أن أصابته علة النوم وهو مرض كثيرا ما يصيب أهل تلك البلاد لا سيما الرؤساء منهم، يأخذ أحدهم النوم حتى لا يكاد يقيق، فأقام به سنتين حتى مات سنة خمس وسبعين وسبعائة.

وملك بعده ابنه (موسى) فنكّب عن طريق أبيه، وأقبل على العدل وحسن

السيرة.

وتغلب على دولته وزيره (مارى جازاه) فججّره وقام بتدبير الدولة، وكان له فيها أحسن تدبير، وبقي منسا موسى حتى مات سنة تسع وثمانين وسبعائة.

وملك بعده أخوه (منسا مغا) وقُتل بعده بسنة أو نحوها.

(١) وقع في العبر ج ٦ ص ٢٠١، ٢٠٢ "قنبتا".

وملك بعده (صندكى) زوج أم موسى المقدم ذكره، ومعنى (صندكى) الوزير؛
ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت مارى جازطة .

ثم خرج من ورائهم من بلاد الكفرة رجل اسمه (محمود) يُنسب إلى (منسا قو)
أبن منسا ولى، بن مارى جازطة، ولقبه منسا مغابا، وغلب على الملك فى سنة ثلاث
وتسعين وسبعمائة .

قال فى "التعريف" : وصاحب التكرور هذا يدعى نسباً إلى عبد الله بن صالح،
أبن الحسن، بن على بن أبى طالب كرم الله وجوههم . قلت : هو صالح بن عبد الله
أبن موسى، بن عبد الله أبى الكرام، بن موسى الجون، بن عبد الله، بن حسن المثنى،
أبن الحسن السبط، أبن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وقد ذكر فى "تقويم البلدان" : أن سلطان غانة يدعى النسب إلى الحسن بن على
عليهما السلام، فيحتمل أنه أراد صاحب هذه المملكة لأن من جملة من هو فى طاعته
غانة، أو من كان بها فى الزمن القديم قبل استيلاء أهل الكفر عليها .

الجملة الخامسة

(فى أرباب الوظائف بهذه المملكة)

قد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة : الوزراء، والقضاة، والكتّاب،
والدواوين، وأن السلطان لا يكتب شيئاً فى الغالب، بل يكمل كل أمر إلى صاحب
وظيفته من هؤلاء فيفصله . وكتابتهم بالخط العربى على طريقة المغاربة .

الجملة السادسة

(في عساكر سلطان هذه المملكة ، وأرزاقهم)

أما مقدار العساكر، فقد ذكر الشيخ سعيد الدكالي : أن مقدار عسكره مائة ألف نفر، منهم خيالة نحو عشرة آلاف فارس ، وباقيهم رجالة لا خيل لهم .
وأما الإقطاعات لأمرأء هذا السلطان وجنده والإنعامات عليهم ، فقد قال الدكالي : إن من أكابرهم من يبلغ جملة ماله على الملك في كل سنة خمسين ألف مثقال من الذهب ، وأنه يتفقدهم مع ذلك بالخيول والتماش ، وإن همته كلها في تجميل زيهم وتمصير مدنهم .

الجملة السابعة

(في زى أهل هذه المملكة)

قال الدكالي : لباسهم عمام بحنك مثل الغرب ، وقشاهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم في نهاية الرقة واللفظ تسمى الكصيا ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جباب ودراريغ بلا تقريغ والأبطال من فرسانهم تلبس أساور من ذهب ، فمن زادت فروسيته ليس معها أطواقا من ذهب فإن زادت ليس مع ذلك خلاخل من ذهب ، وكلما زادت فروسيته البطل ألبسه الملك سراويل متسعة وسراويلاتهم ضيقة أحكام الساقين متسعة الشرج ، وأهل هذه المملكة يركبون بالسروج وهم في غالب أحوالهم في الركوب كأنهم من العرب ، إلا أن هؤلاء يبدئون في الركوب بأرجلهم اليمنى بخلاف غيرهم من سائر الناس جميعا ، ولا يعرف عندهم ركوب جمل بكور .

الجملة الثامنة

(في ترتيب هذه المملكة)

أما جلوس السلطان في قصره فإنه يجلس على مصطبة كبيرة، على دكة كبيرة من أنبوس، كالتخت على قدر المجلس العظيم المتسع، عليها أنياب الفيلة في جميع جوانبها، الباب إلى الباب، وعنده سلاح له من ذهب كله : سيف، وحرار، وقوس، وتركاش، ونشاب، وعليه سراويل كبيرة، مفصل من نحو عشرين نصفية، لا يلبس مثله أحد منهم، بل هو من خصوصيته، ويقف خلفه نحو ثلاثين مملوكا من الترك وغيرهم ممن تبتاع له من مصر، بيد واحد منهم حتر من حرير عليه قبة، وطائر من ذهب صفة بازى يحمل على يساره، وأمرأه جلوس حوله يمينا وشمالا، ثم دونهم أعيان من فرسان عسكره جلوس، وبين يديه شخص يغنى له وهو سيافه، وآخر سفير بينه وبين الناس يسمى الشاعر، وتنتهى إليه الشكاوى والمظالم فيفصلها بنفسه، ولا يكتب شيئا في الغالب، بل يأمر بالقول بلسانه، وحوله أناس بأيديهم طبول يدقون بها، وأناس يرقصون وهو يضحك منهم، وخلفه صنجقان منشوران، وأمامه فرسان مشدودان محصلان لركوبه متى أحب، ومن عطس في مجلسه ضرب ضربا مؤلما، لا يسأح أحد في مثل ذلك، فإن بغت أحدا منهم العطاس، أنبطح في الأرض وعطس حتى لا يعلم به. أما الملك فإنه إذا عطس ضرب الحاضرون بأيديهم على صدورهم. ولا يدخل أحد دار السلطان متعلا كائنا من كان، ومن لم يخلع نعليه قتل بلا عفو: عامدا كان أو ساهيا، وإذا قدم عليه أحد من أمرائه أو غيرهم، وقف أمامه زمانا، ثم يومى القادم بيده اليمنى مثل من يضرب الجوك بلاد توران وإيران من بلاد المشرق. وصفة ذلك أن يكشف مقدم رأسه ويرفع

الذى يضربُ الجحوكَ يده اليمنى إلى قريبِ أذنه ، ثم يضعها وهي قائمة متصبئة ، ويلقيها بيده اليسرى فوق فخذه ، واليد اليسرى مبسوطة الكف لتلقى مرفق اليمنى مبسوطة الكف مضمومة الأصابع بعضها إلى جانب بعض كالمشط ، ثمَّاس شحمة الأذن . قال ابن أمير حاجب : وقد رأيت هذا عند خدمتهم للسلطان « موسى » لما قدم الديار المصرية . فإذا أنعم على أحد بإنعام أو وعده وعدا جميلا أو شكره على فعل ، تتمرغ المنعم عليه بين يديه من أول المكان إلى آخره ، فإذا وصل إلى آخر المكان ، أخذ غلمان المنعم عليه أو من هو من أصحابه من رماذ يكون موضوعا في آخر مجلس الملك معدا لهذا الشأن ، فيدز في رأس المنعم عليه ، ثم يعود ويتمرغ ، إلى أن يصل بين يدي الملك ، ويضرب جوكا آخر بيده ثم يقوم .

وأما في الركوب فقد جرت عادة سلطان هذه المملكة أنه إذا قدم من سفر أن يحل على رأسه الجلتر راكب ، ويشتر على رأسه علم ، وتضرب أمامه الطبول ، والطناير ، والبوقات بقرون لهم فيها صناعة محكمة . قال ابن أمير حاجب : وشعار هذا السلطان أعلام وألوية كبار جدا ، ورنكه أصفر في أرض حمراء .

وأما غير ذلك من سائر أموره ، فقد ذكر الشيخ سعيد الدكالي : أن من عادة هذا السلطان أنه إذا عاد إليه أحد ممن بعثه في شغل له أو أمر مهم أن يسأله عن كل ما حدث له من حين مفارقتها له وإلى حين عودته مفصلا . قال ابن أمير حاجب : وقد رأيت السلطان موسى وهو بمصر لا يأكل إلا منفردا وحده ، لا يحضره عند الأكل أحد البتة .

المملكة السادسة

(من ممالك بلاد السودان ، مملكة الحبشة)

يفتح الحاء المهمة والباء الموحدة والشين المعجمة وهاء في الآخر .

وهي مملكة عظيمة جليلة المقننار ، متسعة الأرجاء ، فسيحة الجوانب . قال في "مسالك الأبصار" : وأرضها صعبة المسلك : لكثرة جبالها الشاخنة ، وعظم أشجارها ، وأشتباك بعضها ببعض ، حتى إن ملكها إذا أراد الخروج إلى جهة من جهاتها ، تقدمه قوم مرصدون لإصلاح الطرق بآلات لقطع الأشجار وإحراقها بالنار . قال : وهم قوم كثير عددهم ، ولم يملك بلادهم غيرهم من النوع الإنساني ، لأنهم أجبر بني حام ، وأخبر بالتوغل في القتال والأقتحام ، طول زمنهم في الأسفار ، وصيد الوحش ، وقتالهم إنما يكون عرياً من غير لامة تدفع عنهم ولا عن خيلهم . ثم وصفهم بعد ذلك بأوصاف أولاً ما هم عليه من الشرك لكانوا في الرتبة العليا من مراتب بني آدم : فذكر أن المشهور عنهم مع ما هم عليه من المجاعة أنهم يقبلون الحسب ويصفحون عن الجرائم . ومن عاداتهم أن من رمى سلاحه في القتال حرم قتاله ، ويكرمون الضيف ، ولا ينقض الصديق منهم عهد صديقه ، وإذا أحبوا أظهروا المحبة ، وإذا أبغضوا أظهروا البغض ، والغالب عليهم الذكاء والفطنة وصدق الحدس ، ولهم علوم وصناعات خاصة بهم ، ولهم قلم يكتبون به من اليمن إلى الشمال كما في العربي ، عدة حروفه ستة عشر حرفاً ، لكل حرف منها سبعة فروع ، فيكون عدتها مائة وأثنين وثمانين حرفاً ، سوى حروف آخر مستقلة بذاتها لا تنفقر إلى حرف من الحروف المذكورة ، مضبوطة بحركات نحوية متصلة بالخط لا منفصلة عنه . ومع كونهم جنساً واحداً

(١) كذا في المسالك أيضاً غير أنه قال : الجملة من ذلك مائة ومائون فتأمله .

فَأَعَانَهُمْ تَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ لِسَانًا، وَيَمِيلُ الْكَثِيرُ مِنْ أُلُوَانِهِمْ إِلَى الصَّفَاءِ، وَلِكُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ وَسْمٌ فِي وَجُوهِهِمْ يَعْبُرُ عَنْهُ بِالتَّلْعِيطِ، بَعْضُهُمْ يَسْمَى فِي الْخَدَّيْنِ وَشِمًا خَفِيفًا، وَأَمْحَرًا يَسْمُونُ فِي الْخَدَّيْنِ وَالْجَبْهَةِ إِلَى الْأَنْفِ خُطُوطًا طَوَالًا . وَيَقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ بِلَادِهِمْ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِلَادُ التَّكْوَرِ مِمَّا بِلَى جِهَةَ الْيَمَنِ، وَأَوَّلَهَا مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْمَائِلَةِ إِلَى بَعْضِ الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ بَحْرُ الْهِنْدِ وَالْيَمَنِ، وَفِيهَا يَمُرُّ النَّهْرُ الْمُسَمَّى سَيْحُونَ الَّذِي يَرُودُ مِنْهُ نَيْلُ مِصْرَ . وَقَدْ عَدَّ مِنْهَا أَحَدَ عَشَرَ إِقْلِيمًا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ بِمَفَازَةِ بَمَكَانٍ يُسَمَّى (وَادِي بَرَكَهَ) يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَى إِقْلِيمٍ يُسَمَّى (سَحَّرَت) وَيُسَمَّى قَدِيمًا تِكْرَايَ، وَكَانَ بِهِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مَدِينَةٌ أَسْمَاهَا (أَحْسَرَم) بِلُغَةٍ أُخْرَى مِنْ لُغَاتِهِمْ، وَتُسَمَّى أَيْضًا (زَرْفَرَتَا) . بِهَا كَانَ كَرَمِيٌّ مُلْكُ النَّجَاشِيِّ، وَكَانَ مُسْتَوَلِيًا عَلَى أَقْلَامِ الْجَبْشَةِ . وَيَلِيهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ إِقْلِيمُ (أَمْحَرَا) الَّذِي بِهِ الْآنَ مَدِينَةُ الْمَمْلُكَةِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ شَاوَةَ، ثُمَّ إِقْلِيمُ دَامُوتَ، ثُمَّ إِقْلِيمُ لَامْنَانَ، ثُمَّ إِقْلِيمُ السَّيْهَوِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ الزُّلْخِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ عَدْلَ الْأَمْرَاءِ، ثُمَّ إِقْلِيمُ حَمَانَا، ثُمَّ إِقْلِيمُ بَارِيَا، ثُمَّ إِقْلِيمُ الطَّرَازِ الْإِسْلَامِي . قَالَ : وَبِهَا أَقْلَامٌ كَثِيرَةٌ الْعِدَدِ، مَجْهُولَةٌ الْأَسْمَاءِ، غَيْرُ مَشْهُورَةٍ وَلَا مَعْلُومَةٍ .

ثُمَّ هِيَ عَلَى قَسْمَيْنِ :

القسم الأول

(بِلَادُ النَّصْرَانِيَّةِ)

وَهِيَ الْقِسْمُ الْأَوْفَرُ عَدَدًا، الْأَوْسَعُ مَجَالًا، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُهُ مَلِكُ (أَمْحَرَا) بِفَتْحِ الْأَلْفِ وَسُكُونِ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَأَلْفِ فِي الْآخِرِ . وَهُمْ جَنْسٌ مِنَ الْجَبْشَةِ .

وَيَشْتَمِلُ عَلَى سِتِّ جُمَلٍ :

(١) فِي الْقِطْعَةِ الْإِزْمَرِيَّةِ مُصَاحَبَةٌ هَكَذَا [وَأَوَّلَهَا مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ مَفَازَةُ الْخ] .

الجملة الأولى

(في ذكر قواعدها)

وقاعدتها مدينة (مَرَعْدَى) بفتح الميم وكسر الراء وسكون العين وكسر الدال المهملتين وياء مشاة تحت في الآخر. وهي مدينة بإقليم أَمْحَرَا المتقدم ذكره فيا ذكره في "مسالك الأبصار" إلا أنه لم يذكر صفتها، والذي ذكره في "تقويم البلدان": أن قاعدة الحبشة (مدينة جَرْمِي) بالجميم المفتوحة والراء المهملة الساكنة ثم ميم مكسورة ثم ياء مشاة تحتية في الآخر كما ضبطه ابن سعيد. وموقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال": حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض تسع درج وثلاثون دقيقة. قال في "تقويم البلدان": وهي مدينة ذكرها أكثر المصنفين في كتب المسالك والممالك والأطوال والعروض، وأنها كرمي مملكة الحبشة وقاعدتهم، ولم يزد على ذلك، فيحتمل أنها قاعدة قديمة، ويحتمل أنها القاعدة المستقرة.

الجملة الثانية

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار": أن بها من المَوَاشِي ذوات الأربع: الخيل، والبغال، والبقرة، والغنم وما في معناها، وأغنامهم تُسَبِّهُ أَغْنَامَ عِيْدَاتٍ وَالْيَمَن. ومن الوُحُوشِ الأَسَد، والثمر، والفهد، والفيل، والزرافة، والغزال، وبقرة الوحش، وحمار الوحش، والقردة، وغيرها من الوحوش.

وبها من الطيور الخويّة : الصقورة ، والبزاة بكثرة ، والنسور البيض والسود ، والغراب ، والحجل ، وطير الواجب بجمته ، والحمام ، والعصفور ، وغير ذلك مما لم يوجد بالديار المصرية . ومن الطيور البرية دجاج الحبش وأمثالها . ومن الطيور المائية البط ، وعندهم بنهرهم سمك يشبه البوري ، وسمك يشبه الثعبان ، يطول إلى مقدار ذراعين ونصف ، وينلظ إلى مقدار كبار الخشب ، وبنهرهم أيضا السمك وفرس البحر ، وغير ذلك .

وبها من الحبوب : الحنطة ، والشعير ، والحمص ، والعدس ، والبسلا ، والذرة ، وبعض الباقلا ، وحبوب أخرى غير ذلك منها حب يسمى (قناحول) يستعملونه قوتاً كالحنطة . والحنطة عندهم على مثال الحنطة الشامية ، والشعير حبة عندهم أكبر من حب الشعير بالديار المصرية والشامية ، ومنه ضرب يسمى طمجة . ولون الحمص عندهم إلى الحمرة . والباقل عندهم عزيز الوجود في أكثر البلاد ، ولكنهم لا يفتقرون إليه للعلف لكثرة المراعى ببلادهم .

وعندهم حب يسمى (طافي) على قدر الخردل ، ولونه إلى الحمرة ، ومكسره إلى السواد ، يتخذون منه الخبز . وعندهم ببعض الأقاليم حب شبيه بالحنطة إلا أن له قشرين ، ينزع قشره بالهرس كالآرز ، ويخزنونه طعماً ما يكون مغنياً عن الحنطة . وعندهم بزر الحنّان وحب الرشاد ، وهم يزرعون على المطر في كل سنة مرتين : مرة في الصيف ، ومرة في الشتاء ، تتحصل في كل مرة الغلات .

ونقل البطرك (بنيامين) أنه يقع عندهم المطر الكثير ، وتحصل مع المطر الصواعق العظيمة .

وعندهم من أصناف المقاتي القرع ، وفي بعض الأقاليم بطيخ صغير .

وعندهم من البقول : الثُّوم ، والبَصَل ، والكُرْبَةُ الخضراء ، ومن الرياحين
الرَّيْحَان ، والْقَرْفُل ، ونباتٌ أبيضٌ يسمى بَعْرَان . وعندهم الياسمين البرّي ،
ولكنه ليس بمشعومٍ لهم .

وعندهم من الفواكه العنبُ الأسودُ على قِلَّة ، والتينُ الوزيري ، وأصنافُ
الحوامض خلا النَّارنج .

وعندهم شجرٌ يسمى (چان) يجيم بين الجيم والشين لا ثمر له ، وإنما له قلوب
نُسيه قلوب النَّارنج تُؤكل فتريد في الذكاء والفهم ، وتُفرج ، إلا أنها تقلل الأكل ،
والنَّوم ، والجَماع . وعنايتهم به عناية أهل الهند بالنَّبل وإن كان بينهما مِياينة .
وأى نفع فيما فائدته تقليل النَّوم والأكل والجَماع ، اللاتي هي لذات الدنيا ، حتى
يحكى أنه وُصف لبعض ملوك اليمن - فقال : أنا لا يذهب متحصِّلٌ مُلكي إلا على
هذه الثلاث ، فكيف أسمى في ذهابها بأكل هذا ؟

ومن أشجارهم الزَّيتون ، والصَّنوبر ، والجَميز ، وفي بعض بلادهم الآبنوس ،
وفي بعضها المقل ، وفي بعضها القنا المحجوف والمسدود . ومأكَلهم شحومُ البقر والمعز ،
وبعضُ شحوم الضأن ، ومشروبهم اللبن البقري ، وفي ضعفهم يتداوون باللبن
المُداف بالماء وسمن البقر .

وعندهم غسل النحل بكثرة في جميع الأقاليم ، تختلف ألوانه باختلاف المراعى :
منه ما يوجد في الجبال فيؤخذ من غير شجر على أخذه . ومنه ماله خلايا من خشب
منقورة ، له مَلَأٌ يخبئون به . ووقود مصابيحهم شحومُ البقر . أما الزيت الطيب
فيجلب إليهم . وإدهانهم بالسَّمْن . وأواني طعامهم فخار مدهون أسود . وأغسلهم
بالماء البارد ، وربما استعملوا الحار منه .

وحكى البطرك (بنيامين) أن عندهم من المعادن معدن الذهب ، ومعدن الحديد .
وحكى عن الشريف عز الدين التاجر : أن في بعض بلادهم يوجد معدن الفضة .
ومصاغهم الذهب ، والفضة ، والنحاس ، والرصاص ، كل أحد منهم بحسبه .

الجملة الثالثة

(في ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم)

أما معاملاتهم ، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن معاملاتهم مقايضة بالأبقار
والأغنام والحبوب وغير ذلك . وأما الأسعار فالقمح والشعير اللذان هما أصل
المطعمات ليس لهما عندهم قيمة تذكر ، لاستغنائهم عن ذلك باللحم واللبن . وسيأتى
ذكر معاملة الطراز الإسلامى فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الرابعة

(في ذكر زيئهم وسلاحهم)

أما زيئهم ، فقد ذكر في "المسالك" أن لباسهم في الشتاء والصيف واحد : لكل
واحد منهم ثوبان غير مخيطين : أحدهما يثبت به وسطه ، والآخر يلتحف به ،
ولا يعرفون لبس المخيط جملةً ، إلا أن الخواص والأجناد يفضلون في اللبس ،
فيلبسون الحرير والأبراد اليمنية ، والعوام يلبسون ثياب القطن على ما تقدم .

وأما سلاح المقاتلة منهم ، فالسيوف ، والخرباب ، والمزاريق ، والقسي ، يرمون
عنها بالنبل : وهو نشاب صغير ، وربما رمى بعضهم النبل عن قوس طويل يشبه
قوس البندق ، ولهم درق مدورة ، ودراق طوال يتقون بها .

الجملة الخامسة

(في ذكر بطارقة الإسكندرية، الذين عن توليتهم تنشأ ولاية ملوك الحبشة)

اعلم أنه قد تقدم في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب عند ذكر النحل والملل أن البطارقة عند النصارى عبارة عن خلفاء الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام، وأنه كان لهم في القديم أربعة كرسي : كرسي برومية : قاعدة الروم ، وكرسي الإسكندرية من الديار المصرية ، وكرسي أنطاكية : قاعدة العواصم من بلاد الشام ، وكرسي بيت المقدس . وأن كرسي رومية قد صار لطائفة الملكانية وبه بطركهم المعبر عنه بالبابا إلى الآن . وكرسي الإسكندرية قد صار آخرًا لبطرك اليعاقبة تحت ذمة المسلمين بالديار المصرية من لدن الفتح الإسلامي وهلم جرا إلى زماننا . وأن كرسي بيت المقدس وكرسي أنطاكية قد بطلا باستيلاء دين الإسلام عليهما . ثم كرسي الإسكندرية بعد مصادره إلى اليعاقبة قد تبع البطرك القائم به على مذهب اليعاقبة الحبشة والنوبة وسائر متنصرة السودان ، وصار لديهم كاخليفة على دين النصرانية عندهم ، يتصرف فيهم بالولاية والعزل ، لا تصح ولاية ملك منهم إلا بتوليته، حتى قال في "التعريف" في الكلام على مكتبة ملك الحبشة : ولولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعهد معمودي إلا باتصال من البطريك، وأن كرسي البطريك كنيسة الإسكندرية، فيحتاج إلى أخذ مطران [بعد مطران ^(١)] من عنده ، وإلا كان شتم بأفقه على المكتبة ، لكنه مضطر إلى ذلك . قال : ولأوامر البطريك عنده ما لشريعته من الحرمة ، وإذا كتب إليه كتابا فاتى ذلك الكتاب إلى أول ملكته ، خرج عميد تلك الأرض فحمل الكتاب على رأس

(١) الزيادة عن "التعريف" .

علم ، ولا يزال يحمله بيده حتى يخرجَه من أرضه وأرباب الدولة في تلك الأرض
كأنفسوس والشامسة حوله مشاة بالأدخنة ، فإذا خرجوا من حد أرضهم تلقاهم
من يليهم أبداً كذلك في كل أرض بعد أرض حتى يصلوا إلى أنحرا ، فيخرج
صاحبها بنفسه ، ويفعل مثل ذلك الفيل الأول ، إلا أن المطران هو الذى يحمل
الكتاب لعظمته لا لتأبى الملك ، ثم لا يتصرف الملك فى أمر ولا نهى ولا قليل
ولا كثير حتى يُنادى للكتاب ويجمع له يوم الأحد فى الكنيسة ، ويُقرأ والملك
واقف ، ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به .

ولما تعذر الوقوف على معرفة تواريخ ملوكهم ، أكتفينا بذكر البطارقة الذين
عنهم تنشأ ولاياتهم ، فكانوا هم ملوكهم حقيقة .

اعلم أن أول من ولي من البطارقة كنيسة الإسكندرية مرقص الإنجيلي : تلميذ
بطرس الحواري ، الذى أرسله المسيح عليه السلام إلى رومية . وإنما سُمي بمرقص
الإنجيلي لأن بطرس الحواري حين كتب إنجيله كتبه بالرومية ونسبه إلى مرقص
المدكور فتلقب بالإنجيلي ، وأقام مرقص المدكور في بطركية الإسكندرية سبع سنين
يدعو إلى النصرانية بالإسكندرية ومصر وبرقة والمغرب ثم قتله نيرون قيصر
أبن اقليوديش قيصر سادس القياصرة .

وولي مكانه (حنانيا) ويسمى بالعبرانية أنانيو ثم مات لسبع وثمانين سنة للمسيح .
وولي مكانه (فلبو) ^(١) فأقام ثلاث عشرة سنة ثم مات .

فولي مكانه (كرتيانو) ومات لإحدى عشرة سنة من ولايته فى أيام (طرنش
قيصر) .

(١) فى الخط المقيزيه ج ٢ ص ٤٨٤ مينو .

وولي مكانه (إيريمو) ثلثي عشرة سنة .

ثم ولي بعده (نسبطس) في أيام (أندريانوس قيصر) ، وكان حكيما فاضلا فأقام في البطركية إحدى عشرة سنة ثم مات .

وولي مكانه (أرمانيون) إحدى عشرة سنة أيضا [ومات] في أيام (أندريانوس) قيصر أيضا .

وولي بعده (موقيانو) فلبث تسع سنين وومات في أيام (أنطونيس قيصر) في الخامسة من ملكه .

وولي بعده (كلوتيانو) فأقام أربع عشرة سنة في أيام أنطونيس قيصر وومات .

وولي بعده (أغريتوس) فبقي أثنتي عشرة سنة وومات .

وولي بعده (بليانس) في أيام [أوراليانس] ^(١) قيصر فلبث عشر سنين وومات .

فولي مكانه في أيام أوراليانس (ديمتريوس) فأقام ثلاثا وثلاثين سنة .

وولي بعده (تاووكلا) فأقام ست عشرة سنة وومات .

فولي بعده (دونوشوش) فلبث تسع عشرة سنة [ومات] .

وولي مكانه (مكسيموس) فأقام ثلثي عشرة سنة وومات .

وولي مكانه (ثاونا) فلبث عشر سنين [ومات] وكان النصراني إذ ذاك يقيمون

الدين خفية فلما صار بطركا صانع الروم ولاطفهم بالهدايا فأذنوا له في بناء كنيسة مريم ، وأعلنوا فيها بالصلاة .

ثم ولي بعده (بطرس) فلبث عشر سنين وقتله (ديقلاديانوس قيصر) .

(١) ببض له في الأصل والتكيل عن المقرري وفي القطعة الأثرية [في أيام طرغش] ولكنه ضب عليها بالشطب .

وولي مكانه تلميذه (إسكندروس) وكان كبير تلامذته فلبث ثلاثاً وعشرين سنة .
وقيل ثنتين وعشرين سنة ، وقيل ست عشرة سنة ، وكسّر صنم النحاس الذي
كان في هيكل زحل بالإسكندرية وبني مكانه كنيسة ، وبقيت حتى هدمها العبيديون
عند ملكهم الإسكندرية ، ومات لإحدى وعشرين سنة من ملك (قسطنطين)
ملك الروم .

وولي مكانه تلميذه (إيناسيوس) ووثب عليه أهل إسكندرية ليقتلوه لانتقاله
مذهبا غير مذهبهم فهرب .

وتولى مكانه (لوقيوس) ثم ردّ (إيناسيوس) المتقدم ذكره إلى كرسيه بعد خمسة أشهر
وطرد لوقيوس ، وأقام إيناسيوس بطركا إلى أن مات .

فتولى بعده تلميذه (بطرس) سنتين ووثب عليه أصحاب لوقيوس فهرب وردّ
لوقيوس إلى كرسيه ، فأقام ثلاث سنين ، ثم وثبوا عليه وردّوا بطرس ومات
لسنة من إعادته ، وقيل إنه حبس وأقيم مكانه (أريوس) من أهل سُمِيساط .

ثم ولي (طيماناواس) أخو بطرس ، فلبث فيهم سبع سنين ومات . ويقال :
إن إيناسيوس المتقدم ذكره ردّ إلى كرسيه ثم مات .

(١)
فولي مكانه كاتبه (تاوفينا) [فأقام سبعا وعشرين سنة] ومات .

(١)
وتولى مكانه (كيرلس) ابن أخته [فأقام ثنتين وثلاثين سنة] ومات .

فولي مكانه (ديسقرس) فأحدث بدعة في الأمانة التي يعتقدونها فأجمعوا
على نفيه .

وَوَلَّوْا مَكَانَهُ (بِطَارِس) وَأَفْتَرَقَتِ النَّصَارَى مِنْ حَيْثُ نَزَلَتْ إِلَى يَعْقُوبِيَّةَ وَمَلِكَانِيَّةَ .
 وَوَثَبَ أَهْلُ الإسْكَندَرِيَّةِ عَلَى بِطَارِسَ الْبَطْرِكِ فَقَتَلُوهُ لِسِتْ سَنِينَ مِنْ وَلايَتِهِ
 وَأَقَامُوا مَكَانَهُ (طِيْمَانَاوَس) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَلَّى الْبَطْرِكِيَّةَ مِنَ الْيَعَاقِبَةِ
 بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فَأَقَامَ فِيهَا ثَلَاثَ سَنِينَ ثُمَّ جَاءَ قَائِدٌ مِنَ الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ فَنَفَاهُ وَأَقَامَ مَكَانَهُ
 (سُورِيَس) مِنَ الْمَلِكِيَّةِ ، فَأَقَامَ تِسْعَ سَنِينَ . ثُمَّ عَادَ (طِيْمَانَاوَس) الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَهُ إِلَى
 كُرْسِيِّهِ بِأَمْرِ لَآوَنَ قَيْصَرَ . وَيُقَالُ أَنَّهُ بَقِيَ فِي الْبَطْرِكِيَّةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً وَمَاتَ .
 فَوَلَّى مَكَانَهُ (بِطَارِس) وَهَلَكَ بَعْدَ ثَمَانِ سَنِينَ .

وَوَلَّى مَكَانَهُ (أَثَاسِيُوس) وَهَلَكَ لِسَبْعِ سَنِينَ ، وَكَانَ قِيَمًا بِبَعْضِ الْبَيْعِ فِي بَطْرِكِيَّةِ
 بِطَارِسَ وَمَاتَ .

فَوَلَّى مَكَانَهُ (يُوحَنَّا) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، وَمَاتَ بَعْدَ سَبْعِ سَنِينَ .
 وَوَلَّى مَكَانَهُ (يُوحَنَّا الْحَمِيْس) وَمَاتَ بَعْدَ إِحْدَى عَشْرَةِ سَنَةً .
 فَوَلَّى مَكَانَهُ (دِيَسْقُرُسَ الْجَدِيدِ) وَمَاتَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ وَنِصْفٍ .
 ثُمَّ وَلَّى مَكَانَهُ (طِيْمَانَاوَس) وَكَانَ يَعْقُوبِيًّا ، فَكَثُرَ فِيهِمْ ثَلَاثَ سَنِينَ ، وَقِيلَ
 سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ثُمَّ نَفَى .

وَوَلَّى مَكَانَهُ (بُولُص) وَكَانَ مَلِكِيًّا فَلَمْ يَقْبَلْهُ الْيَعَاقِبَةُ ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ .
 ثُمَّ وَلَّى قَيْصَرَ قَائِدًا مِنْ قَوَّادِهِ اسْمُهُ (أَنُؤْلِينَارِيُوس) فَدَخَلَ الْكَنِيسَةَ عَلَى زِيَّ
 الْجُنْدِ ، ثُمَّ لَيْسَ زِيَّ الْبَطَارِكَةِ وَحَلَّاهُمْ عَلَى رَأْيِ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَقَتَلَ مِنْ أَمْتِنَعٍ وَكَانُوا
 مَائَتَيْنِ ، وَمَاتَ لِسَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةً مِنْ وَلايَتِهِ .
 (١)

(١) فِي خَطِّ الْمَقْرِيزِيِّ مَائَتَا أَلْفِ إِنْسَانٍ .

وولي مكانه (يوحنا) وهلك ثلاث سنين .

وأنفرد اليعاقبة بالإسكندرية وكان أكثرهم القبط وقدموا عليهم طودوشوش بطركا، فمكث فيهم ثنتين وثلاثين سنة . ثم جعل الملكية بطركهم داقيانوس وطردها طودوشوش عن كرسيه ستة أشهر ؛ ثم أمر قيصر بأن يُعاد فأعيد ؛ ثم نفاه بعد ذلك .

وولي مكانه (بولس التَّيسِّي) فلم يقبله أهل الإسكندرية ولا ماجاء به ؛ ثم مات وغُلقت كنائس القبط اليعقوبية ، ولَقُوا شِدَّة من الملكية ، ومات (طودوشوش) الذي كان قد نُفِيَ .

وتولى البطركية (بطرس) ومات بعد سنتين .

وولي مكانه (داميانو) فمكث ستاً وثلاثين سنة ، وخربت الديرة في أيامه .

ثم ولي على الملكية بالإسكندرية ومصر (يوحنا الرَّحوم) وهو الذي عمل البهارستان للرضى بالإسكندرية ، ولمَّا سَمِع بمسير الفُرس إلى مصر هرب إلى قبرس فمات بها لعشر سنين من ولايته ، وخَلَا كرسيُّ الملكية بعده بالإسكندرية سبع سنين .

وكانت اليعاقبة بالإسكندرية قدّموا عليهم (انسطانيوس) فمكث فيهم ثلثي عشرة سنة ، وأسترد ما كانت الملكية آستولوا عليه من كنائس اليعقوبية ومات .

ثم ولي (اندرانيكون) بطركا على اليعاقبة فأقام ست سنين خربت فيها الديرة ، ثم مات .

وولي مكانه لأول الهجرة (بنيامين) فمكث تسعا وثلاثين سنة . وفي خلال أيامه غلب هرقل ملك الروم على مصر وملكها .

وولي أخاه (منانيا) بطركا على الاسكندرية وواليا وكان ملكيا . ورأى بنيامين
البطرك في نومه من يأمره بالاختفاء فاختفى . ثم غضب (هرقل) على أخيه (منانيا)
لمعتقد في الدين فأحرقه بالنار ثم رمى بجثثته في البحر ، وبقى (بنيامين) مختفيا إلى
أن فتح المسلمون الإسكندرية فكتب له عمرو بن العاص بالأمان ، فرجع إلى
الإسكندرية بعد أن غاب عن كرسيه ثلاث عشرة سنة ، وبقى حتى مات في سنة
تسع وثلاثين من الهجرة ، واستمرت البطركية بعده في اليعقوبية بمفردهم وغلبوا
على مصر ، وأقاموا جميع كراسيهم أساقفة يعاقبة ، وأرسلوا أساقفتهم إلى النوبة
والحبشة فصاروا يعاقبة .

وخلفه في مكانه (أغاثوا) فحك سبع عشرة سنة ، ثم مات في سنة ست وخمسين
من الهجرة ، وهو الذي في أيامه قد انتزعت كنائس الملكية من اليعاقبة ، وولي عليهم
بطرك بعد أن أقاموا من لدن خلافة عمر بغير بطرك نحوًا من مائة سنة ورياسة
البطرك لليعاقبة وهم الذين يبعثون الأساقفة إلى النواحي . ومن هنا صارت النوبة
ومن وراءهم من الحبشة يعاقبة ، وهو الذي بنى كنيسة مرقص وبقيت حتى
هدمت أيام العادل أبي بكر بن أيوب .

وولي مكانه بطرك اسمه (يوحنا) .

ثم ولي البطركية بعده (ايساك) فأقام سنتين وأحد عشر شهرا [ومات] ،
وكانت تقدمته في الثامنة عشرة ليوشطيان ملك الروم ، وتقرر أن لا يقدم بطرك
إلا يوم الأحد .

(١) عبارة "العبرج ٢ ص ٢٢٧" وفي أيام هشام ردت كنائس الملكية من أيدي اليعاقبة وولي
عليهم الخ .

وقُدِّمَ عوضه (سيمون السرياني) فأقام سبعم سنين ونصفا ، ومات في الرابع والعشرين من ألب سنة أربعمائة وست عشرة للشهداء في خلافة عبد الملك ابن مروان .

ويقال : إنه وصل إليه رسول من الهند يطلب منه أن يقدم لهم أسقفاً وقُسُوساً فامتنع إلى أن يأمره صاحب مصر ، ففضى إلى غيره ففعل له ذلك .

وقُدِّم بعده في البطركية (الاسكندروس) في سنة إحدى وثمانين من الهجرة في يوم عيد مرقص الإنجيلي سنة أربعمائة وعشرين للشهداء ، فسكت أربعا وعشرين سنة ونصفا ، وقيل خمسا وعشرين سنة ، وقاسى شدة عظيمة ، وصودر دفعتين ، أخذ منه في كل دفعة ثلاثة آلاف دينار ، ومات في سنة ثمان ومائة ، وكانت وفاته بالإسكندرية .

وقُدِّم عوضه (قسيسا) فأقام خمسة عشر شهرا ومات .

فقُدِّم مكانه (تادرس) في سنة تسع ومائة فأقام إحدى عشرة سنة ومات .

فقُدِّم مكانه (ميخائيل) ^(١) في سنة عشرين ومائة فأقام ثلاثا وعشرين سنة ولقى شدايد من عبد الملك بن موسى نائب مروان الجعدي على مصر ثم من مروان لما دخل إلى مصر إلى أن قُتل في أبي صير وأطلق البطرك والنصارى نائب أبي العباس السفاح .

وفي سنة إحدى وثلاثين ومائة رُسم بإعادة ما استولى عليه اليعاقبة من كنائس الملكية بالديار المصرية إليهم ، فأعيدت وأقيم لهم بطرك ، وكانت الملكية قد أقاموا بغير بطرك سبعا وتسعين سنة من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين الفتح الإسلامي إلى خلافة هشام بن عبد الملك .

(١) في الأصل جاتيل والتصحيح عن المقرئ .

وفي سنة سبع وأربعين ومائة هـ رف أبو جعفر المنصور (ميخائيل) بطرك اليعاقبة ،
وأقام عوضه (مينا) فأقام تسع سنين ، ومات في خلافة الهادي «محمد بن المهدي» .
وقدّم مكانه (يوحنا) فأقام ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات سادس عشر طوبة سنة
خمسائة وخمس عشرة للشهداء .

ثم في سنة اثنتين وسبعين ومائة في خلافة الرشيد قدّم في البطركية (مُرْقُص الجليلي)
فأقام عشرين سنة وسبعين يوماً . وفي أيامه رسم الرشيد بإعادة كنائس الملكية التي
استولى عليها اليعاقبة ثانياً إليهم ، وثارَت العربان والمغاربة وحرّبوا الديرة بوادي هيب
ولم يبق فيها من الرهبان إلا اليسير ثم مات في سنة إحدى عشرة ومائتين .

وقدّم عوضه في البطركية (يعقوب) قيل في السنة الثالثة من خلافة المأمون .
وفي أيامه حُمِرت الديارات وادّت الرهبان إليها ، ومات في سنة اثنتين وعشرين
ومائتين .

وقدّم عوضه (سيماون) في السنة المذكورة في خلافة المعتصم فأقام سنة واحدة .
وقيل سبعة شهور وستة عشر يوماً . وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وتسعة
وعشرين يوماً .

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين قدّم في البطركية (بطرس) ويقال (يوساب)
وكانت تقدمته في دير (يومقار) بوادي هيب حادي عشرى هاتور سنة خمسائة
وسبعة وأربعين للشهداء . وقيل : إنه قدّم في أيام المأمون ، وإنه أقام ثمانى عشرة
سنة ، وسير أساقفة إلى أفريقية والقيروان ، ومات سنة اثنتين وأربعين ومائتين ،
وخلا الكرسي بعده ثلاثين يوماً .

(١) وقُدِّم عوضه (جاتيل) في السنة العاشرة من خلافة المتوكل . ويقال : إنه كان قسًّا بدير بوحنس ، فأقام سنةً واحدةً وخمسة أشهر ، ثم مات ودفن بدير بومقار ، وهو أول من دُفِن [فيه] من البطارقة . وخلا الكرسي بعده أحدا وثمانين يوما .
وقُدِّم عوضه (قسما) في سنة أربع وأربعين ومائتين من الهجرة ، وهي الثانية عشرة من خلافة المتوكل ، وكان شماسا بدير بومقار ، فأقام سبع سنين وخمسة شهور ثم مات ودفن بدوشر ، وخلا الكرسي بعده أحدا وخمسين يوما .

وقُدِّم مكانه بطرك اسمه (اساسو) ويقال (سالوسو) في أول سنة من خلافة المعتز وأحمد بن طولون بمصر ، فأقام إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات ، وهو الذي عمل بجاري المياه التي تجري تحت الأرض من خليج الإسكندرية إلى أدريها .

ولما مات قُدِّم مكانه (ميخائيل) في خلافة المعتمد في سنة ثلاث وستين ومائتين ، فأقام خمسًا وعشرين سنة . وصاحبه أحمد بن طولون في عشرين ألف دينار ، فباع في المصادرة رباع الكنائس بالإسكندرية ، وبركة الحبش بظاهر مصر ، ومات .

فبقي الكرسي بعده أربع عشرة سنة شاغرا إلى سنة ثلثمائة . [وفي يوم الاثنين ثالث شوال سنة ثلثمائة^(٢)] احترقت الكنيسة العظمى بالإسكندرية التي كانت بنتها (كلا بطره) ملكة مصر هيكلًا لزلزل .

ثم قُدِّم البطرك (غبريال) في السنة السابعة من خلافة المقتدر ، وهي سنة إحدى وثلثمائة ، فأقام إحدى عشرة سنة ومات .

(١) في المقرئ ميكايل .

(٢) الزيادة عن المقرئ ليوضح الكلام .

فُقِّدَ مكانه البطرك (قسيا) فأقام آنَتَي عشرة سنة ومات . وفي السنة الأخيرة من رياسته (وهي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة) أحرق المسلمون كنيسة مريم بدمشق ونهبوا ما فيها وتبعوا كنائس اليعاقبة والنساطرة .

ولما مات قسيا المذكور قَدِّموا عليهم بطركا لم أقف على اسمه ، فأقام عشرين سنة ، ثم مات .

وقُدِّم في البطركية (تاوفانيوس) من أهل إسكندرية في السنة الحادية عشرة من خلافة المطيع فأقام أربع سنين وستة أشهر ، ومات مقتولا في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة .

وقُدِّم مكانه البطرك (مينا) في السنة الخامسة عشرة من خلافة المطيع ، والأخشيذ نائب بمصر ، فأقام إحدى عشرة سنة ثم مات . وخلا كرسي اليعاقبة بعد موته سنة واحدة .

ثم قُدِّم مكانه بطرك اسمه (أفراهام السرياني) في سنة ست وستين وثلاثمائة ، فأقام ثلاث سنين وستة أشهر ، ومات في أيام العزيز الفاطمي بمصر مسموما من بعض كُتَّاب النصارى : لإنكاره عليه التسري ، وقُطِعَ يدُ ذلك الكاتب بعد موته ، ومات لوقته . وخلا الكرسي بعده ستة أشهر .

وقُدِّم عوضه بطرك اسمه (فيلايوس) في سنة تسع وستين وثلاثمائة . وقيل : في السنة الخامسة للعزيز الفاطمي فأقام أربعاً وعشرين سنة وسبعة أشهر ومات .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (دخريس) في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم الفاطمي ، فأقام ثماناً وعشرين سنة ، ثم مات ودفن ببركة الحبش . وخلا كرسي

اليَعاقبة بعده أربعة وسبعين يوما . [ثم قُدِّم اليَعاقبة بعده (سابونين) بطركا في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ، فأقام خمس عشرة سنة ومات ؛ فخلا الكرسي بعده سنة (١) ونحسة أشهر] .

ثم قُدِّم بعده بطرك اسمه (افرستوديس) في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة في خلافة المستنصر الفاطمي ، فأقام ثلاثين سنة ، ومات في السنة الحادية والأربعين من خلافة المستنصر المذكور بالكنيسة المعلقة بمصر . وهو الذي جعل كنيسة بومر قورة بمصر وكنيسة السيدة بحارة الروم بطركية . وخلا الكرسي بعده اثنين وسبعين يوما .

ثم قُدِّم بعده البطرك (كيرلس) فأقام أربع عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف ، ومات بكنيسة المختارة بجزيرة مصر سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وأربعمائة . وخلا الكرسي بعده مائة وأربعة وعشرين يوما .

وقُدِّم عوضه بطرك اسمه (ميخائيل) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، في أيام المستنصر الفاطمي صاحب مصر ، وكان قبل ذلك حبسا بسنجار ، فأقام تسع سنين وثمانية أشهر ، ومات في المعلقة بمصر .

وقدَّموا عوضه بطركا اسمه (مقاري) سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة بدير بومقار ، ثم كل بالإسكندرية ، وعاد إلى مصر وقُدِّس بدير بومقار ثم في الكنيسة المعلقة . وفي أيامه هدم الأفضل بن أمير الجيوش كنيسة بجزيرة مصر كانت في بستان اشتراه .

ولما مات قُدِّم عوضه بطرك اسمه (غبريال) أبو العلا صاعد ، سنة خمس وعشرين وخمسمائة في أيام الخافض الفاطمي ، وكان قبل ذلك شماسا بكنيسة بومر قورة ؛ فُقِّدَم

(١) الزيادة عن المقرئ ، وهي لازمة بها يتم الكلام .

بالمعلّقة، وكُمِّل بالإسكندرية، فأقام أربع عشرة سنة، ومات بكنيسة بومرقورة .
وخلا الكرسي بعده ثلاثة أشهر .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (ميخائيل) بن التقدوسي في السنة الخامسة عشرة من
خلافة الحافظ أيضا ، وكان قبل ذلك راهبا بقلّاية دنشري ، قُدِّم بالمعلّقة وكُمِّل
بالإسكندرية ، ومات بدير بومقار في رابع شوال سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .
وخلا الكرسي بعده سنة واحدة وسبعين يوما .

وقُدِّم عوضه بطرك اسمه (يونس) بن أبي الفتح بالمعلّقة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ،
فأقام تسع عشرة سنة ، ومات في السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى
وخمسين وخمسمائة . وخلا الكرسي بعده ثلاثة وأربعين يوما .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (مرقص) أبو الفرج بن زرعة في سنة إحدى وستين
 وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، فأقام اثنين وعشرين سنة وستة أشهر وخمسة
وعشرين يوما ، وفي أيامه أُحرقت كنيسة بومرقورة بمصر ، ثم مات . وخلا الكرسي
بعده سبعة وعشرين يوما .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (يونس) بن أبي غالب في عاشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين
 وخمسمائة بمصر وكُمِّل بالإسكندرية ، وأقام سنًا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا
 وثلاثة عشر يوما ، ومات في رابع عشر رمضان المعظم قدره ، سنة ثلثي عشرة وستمائة
 بالمعلّقة بمصر ، ودُفِن ببركة الحبش .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (داود) بن يوحنا ، ويعرف بابن لقلق بأمر العادل بن
 الكامل ، فلم يُوافق عليه المصريون فأبطلت بطركيته ، وبقى الكرسي بغير بطرك
 تسع عشرة سنة .

ثم قُدِّم بطرك اسمه ^(١) (كيرلس) داود بن لقاق في التاسع والعشرين من رمضان المعظم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فأقام سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، ومات في السابع عشر من رمضان المعظم سنة أربعين وستمائة ، ودُفِنَ بدير الشَّعْبَ بالجيزة . وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما .

وقُدِّم بعده بطرك اسمه (سيوس) بن القُسَّ أبي المكارم ، في رابع رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وكَلَّ بالإسكندرية ، وأقام إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوما ، ومات في ثالث المحرم سنة ستين وستمائة . وخلا الكرسي من بعده خمسة وثلاثين يوما ^(٢) .

ثم قُدِّم بعده في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون البطرك (بنيامين) وهو الذي كان معاصرا للمَقَرَّ الشهابي بن فضل الله ، ونقل عنه بعض أخبار الحبشة . ثم قُدِّم بعده المؤتمن (جرجس) بن القُسَّ مفضَّل في شهور سنة أربع وستين وسبعمائة .

ثم قُدِّم بعده البطرك مَثَى وطالت مدَّته في البطركية ثم مات في شهور سنة اثنتي عشرة وثمانمائة .

وَأَسْتَقَرَّ بعده الشيخ الأُجْمَدُ (رفائيل) في أواخر السنة المذكورة ، وهو القائم بها إلى الآن .

(١) عبارة المقرئ بعد ما تقدم "ثم قدم هذا القس" يعنى به داود بن لقاق المتقدم فانه بعد أن منع عنها المدة المذكورة قدم اليها في التاريخ المذكور .

(٢) في الأصل إحدى وعشرين وهو خطأ ، والتصحيح عن المقرئ .

(٣) في المقرئ خمسة وثمانين يوما .



أما ملوكهم القائمون ببلادهم ، فلم يتَّصل بنا تفاصيل أخبارهم ؛ غير أن المشهور أن ملوكهم في الزمن المتقدم كان يلقَّب النجاشيَّ ، سمةً لكل من ملك عليهم ؛ إلى أن كان آخرهم (النجاشيَّ) الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم وكتب إليه بإسلامه ، ومات وصلى عليه صلاة الغائب ؛ وكان اسمه بالحبشية (أَصْحَمَة) ويقال (صَحْمَة) ومعناه بالعربية عَطِيَّة .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أن الملك الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم يسمى بلغتهم (الحَطِّي) بفتح الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة المكسورة وياء مشناة تحت في الآخر . ومعناه السلطان اسمًا موضوعًا لكل من قام عليهم ملكا كبيرا . ثم قال : ويقال : إن تحت يده تسعة وتسعين ملكا ، وهو لهم تمام المائة . وذكر أن الملك القائم بمملكتهم في زمانه اسمه (عَمْدَسِيُون) ومعناه ركن صهيون . قال : وصهيون بيعة قديمة البناء بالإسكندرية معظمة عندهم . قال : ويقال : إنه من الشجاعة على أوفر قسم ، وإنه حسن السيرة ، عادل في رعيته . قال في "التعريف" : وقد بلغنا أن الملك القائم عليهم أسلم سرا ، وأستمر على إظهار دين النصرانية إبقاءً للملكة . فيحتمل أنه (عَمْدَسِيُون) المقدم ذكره ، ويحتمل أنه غيره . قال في "التعريف" : ومُدبر دولته رجل يقرب إلى بني الأرشى الأطباء بدمشق . قال في "مسالك الأبصار" : ومع ما هم عليه من سعة البلاد ، وكثرة الخلق والأجناد ، مفتقرون إلى العناية والملاحظة من صاحب مصر . لأن المظفران الذي هو حاكم شرعهم في جميع بلادهم من أهل النصرانية لا يُقام إلا من الأقباط اليعاقبة بالديار المصرية ، بحيث تخرج الأوامر السلطانية من مصر

للبطرك المذكور بارسال مطرانٍ إليهم . وذلك بعد تقدّم سؤال ملك الحبشة الذى هو الحطّى وإرسال رُسُلِهِ وهَدَاياه . قال : وهم يدعون أنهم يحفظون مجارى النيل المنحدر إلى مصر، ويساعدون على إصلاح سُلوكة تقربا لصاحب مصر .

وقد ذكر ابن العميد مؤرّخ النصارى فى تاريخه : أنه لما توقف النيل فى زمن المستنصر بالله الفاطمى ، كان ذلك بسبب فساد مجارىه من بلادهم ، وأنّ المستنصر أرسل البطرك الذى كان فى زمانه إلى الحبشة حتى أصلحوه واستقامت مجارىه . لكن قد تقدّم فى الكلام على النيل عند ذكر ملكة الديار المصرية من هذه المقالة ما يخالف ذلك .

الجملة السادسة

(فى ترتيب مملكتهم)

قال فى "مسالك الأبصار" : يُقال إن الحطّى المذكور وجيشه لهم خيامٌ يتقلونها معهم فى الأسفار والتّزهات ، وإنه إذا جلس الملك يجلس على كرسيّ ، ويجلس حول كرسيّه أمراء مملكته وكبّراؤها على كرسيّ من حديد : منها ما هو مُطعم بالذهب ، ومنها ما هو ساذج على قدر مراتبهم . قال : ويُقال إن الملك مع نفاذ أمره فيهم يتثبّت فى أحكامه . ولم يزد فى ترتيب مملكتهم على ذلك .

ولمّا ملك الحبشة هذا مكتبةً عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، أتى ذكرها فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني

(من بلاد الحبشة ما بيد مسلمي الحبشة)

وهي البلادُ المُقابلَةُ لِبَرِّ الْيَمَنِ عَلَى أَعَالَى بَحْرِ الْقُزُومِ ، وما يتصلُّ به من بحر الهند ، ويعبرُ عنها ” بِالطَّرَازِ الْإِسْلَامِيِّ “ لأنها على جانب البحر كالطَّرَازِ له . قال في ” مسالك الأبصار “ : وهي البلاد التي يُقال لها بِمِصْرَ وَالشَّامِ بلادُ الزَّيْلَعِ . قال : والزَّيْلَعُ إنما هي قريةٌ من قُراها ، وجزيرةٌ من جزائرها ، غلب عليها اسمُها . قال الشيخ عبد المؤمن الزَّيْلَعِيُّ الفقيه : وطولُها بَرًّا وبحرًا خاصًّا بها نحو شهرين ، وعرضُها يمتدُّ أكثر من ذلك ، لكن الغالب في عرضها أنه مُنْقَصَرٌ ، أمامُ مقدارِ العِمَّارة فهو ثلاثة وأربعون يومًا طُولًا ، وأربعون يومًا عَرْضًا . قال في ” مسالك الأبصار “ : ويؤتَمُّ من طين وأحجار وأخشاب ، مَسْقَفَةٌ بِجَمْلُونَاتٍ وَقِيَابٍ ، وليست بذوات أسوار ولا لها نخامة بناء ، ومع ذلك فلها الجوامعُ ، والمساجدُ ، وتقام بها الخطبُ والجمع والجماعاتُ ، وعند أهلها محافظةٌ على الدِّينِ ، إلا أنه لا تُعرف عندهم مدرَّسةٌ ، ولا خانقاهُ ، ولا رِبَاطٌ ، ولا زاويةٌ . وهي بلادٌ شديدةُ الحرِّ ، وألوانُ أهلها إلى الصَّفَاءِ ، وليست شعورهم في غاية التَّفَلُّلِ كما في أهل مالئ وما يليها من جنوب المغرب ، وفِطْمَتُهُمْ أَنَبَسُهُ من غيرهم من السُّودَانِ ، وفِطْرُهُمْ أَذْكَى ، وفيهم الزُّهَادُ ، والأبرارُ ، والفُقهاءُ والعلماءُ ، ويمتدُّهُيُونَ بمذهب أبي حنيفة ، خلا وفات فان ملكها وغالب أهلها شافعيةٌ .

وتشتمل على ستِّ جمل :

الجملة الأولى

(فما اشتملت عليه من القواعد والأعمال)

مقتضى ما ذكره في "مسالك الأبصار" و"التعريف" أن هذه البلاد تشتمل على سبع قواعد ، كل قاعدة منها مملكة مستقلة بها ملك مستقل :

القاعدة الأولى

(وفات)

قال في "تقويم البلدان" : بالواو المفتوحة والفاء ثم ألف وتاء مشناة فوق في الآخر ، والعامة تسميها (أوفات) . ويقال لها أيضا (جيرة) بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر ، والنسبة إلى جيرة جبرتي . وموقعها بين الإقليم الأول وخط الاستواء . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض ثمان درج . قال : وعن بعض المسافرين أنها من أكبر مدن الحبشة . وهي على نثر من الأرض ، وعمارتها متفرقة ، ودار الملك فيها على تل والقلعة على تل ، ولها وادٍ فيه نهر صغير ، وتطر في الليل غالباً مطراً كثيراً ، وبها قصب السكر . قال في "مسالك الأبصار" : وقال الشيخ عبد الله الزبلي : وطول مملكتها خمسة عشر يوماً وعرضها عشرون يوماً بالسير المعتاد . قال : وكلها عامرة أهلة بقرى متصلة ، وهي أقرب أخواتها إلى الديار المصرية وإلى السواحل المسامنة لليمن ، وهي أوسع الممالك السبع أرضاً ، والإجلاب إليها أكثر لقربها من البلاد . قال في "مسالك الأبصار" : وعسكرها خمسة عشر ألفاً من الفرسان ، ويتبعهم عشرون ألفاً أكثر من الرجال ، وسيأتي الكلام على سائر أحوالها عند ذكر أحوال سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ومن مضافاتها (زَيْلَعٌ) . قال في "تقويم البلدان" : الظاهر أنها بفتح الزاي المعجمة وسكون الياء المشناة التحتية وفتح اللام ثم عين مهملة في الآخر . وهي فُرْضة من فَرَضَ هذه البلاد ، وموقعها بين الإقليم الأول وَخَطَّ الاستواء . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وستون درجة ، والعرض ثمان دَرَج . قال في "تقويم البلدان" : وهي في جهة الشرق عن (وَقَات) وبينهما نحو عشرين مرحلة . قال ابن سعيد : وهي مدينة مشهورة وأهلها مسلمون ، وهي على رُكْن من البحر في وَطَاءَة من الأرض . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض مَنْ رآها أنها مدينة صغيرة نحو عِيَذَابَ في القَدَر ، وهي على الساحل والتَّجَار تزل عندهم فَيُضِيفُونَهُمْ وَيَتَأَعُونَ لَهُمْ . قال ابن سعيد : وهي شديدة الحر وماؤها عذبي من جفارات ، وليس لهم بسايتن ، ولا يَعْرِفُونَ الفَوَاكِهَ . قال في "القانون" : وفيها مغاصٌ لُؤْلُؤِي . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنها في مملكة صاحب أَوْفَات . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض من رآها أن فيها شيوخا يحْكُون بين أهلها ، وقال : إن بينها وبين عَدَنَ من اليمن في البحر ثلاث مجاري ، وهي عن عَدَنَ في جهة الغرب بميلة إلى الجنوب .

القاعدة الثانية

(دَوَارو)

بفتح الدال المهملة وواو ثم ألف وراء مهملة وواو وهي مدينة ذكرها في "مسالك الأبصار" و "التعريف" : ولم يتعرَّض لصفحتها . وذكر في "مسالك الأبصار" : أنها تلي أوفات المقدِّمة الذكر ، وإن مملكتها طولها

خمسة أيام ، وعرضها يومان . ثم قال : وهى على هذا الضيق ذات عسكرٍ جمٍّ ،
نظير عسكر أوقات فى الفارس والراجل . وسيأتى الكلام على تفصيل أحوالها
مع أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثالثة

(أرابينى)

وهى مدينة ذكرها فى "المسالك" و"التعريف" أيضا ، ولم يذكر شيئا من
صفاتها . ثم ذكر أن مملكتها مربعة : طولها أربعة أيام ، وعرضها كذلك ؛ وعسكرها
يقارب عشرة آلاف فارس . أما الرحالة فكثيرة للغاية .

القاعدة الرابعة

(هندية)

قال فى "تقويم البلدان" : بالهاء والذال المهملة والياء المشنة التحتية ثم هاء
فى الآخر على ما ذكره بعض من رآها . وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة
وبين خط الاستواء . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ،
والعرض سبع درجات . وذكر عن بعض المسافرين أنها جنوبى (وقات) . قال
فى "مسالك الأبصار" : وهى تلى أرابينى المقدم ذكرها ، وطول مملكتها ثمانية أيام ،
وعرضها تسعة أيام ، وصاحبها أقوى إخوانه من ملوك هذه الممالك السبعة ،
وأكثر خيلا ورجالا ، وأشد بأسا على ضيق بلاده عن مقدار أوقات . قال :
ولملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس سوى الرحالة ، فإنهم خلق كثير مثل
الفرسان مرتين أو أكثر . قال فى "تقويم البلدان" : ومنها تجلب الخدَام ، وذكر

أنهم يَخْصُونَهُمْ بَقْرِيَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهَا . وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ الْخُدَّامَ تُجَلِّبُ إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ . ثُمَّ حَكَى عَنِ الْحَاجِّ فَرَجِ الْقَوَى التَّاجِرِ : أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ مَلِكَ أَمْحَرَا يَمْنَعُ مِنْ خَصِي الْعَبِيدِ وَيُنْكَرُ ذَلِكَ وَيُسَدِّدُ فِيهِ . وَإِنَّمَا السَّرَاقُ تَقْصِدُ بِهِمْ مَدِينَةَ أَسْمَهَا (وَسَلُّوْ) بَفَتْحِ الْوَاوِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَاللَّامِ ، أَهْلُهَا هَمَجٌ لِأَدِينٍ عِنْدَهُمْ فَتُخْصَى بِهَا الْعَبِيدُ ، لَا يُقَدِّمُ عَلَى هَذَا فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْخَبَشَةِ سِوَاهُمْ . قَالَ : وَلِلَّذَلِكَ التَّجَّارُ إِذَا اشْتَرَوْا الْعَبِيدَ يُخْرِجُونَ بِهِمْ إِلَى (وَسَلُّوْ) فَيَخْصُونَهُمْ بِهَا لِأَجْلِ زِيَادَةِ الثَّمَنِ ؛ ثُمَّ يَجْعَلُ مِنْ خُصِي مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ (هَدِيَّةٍ) لِقَرَبِهَا مِنْ (وَسَلُّوْ) فَيُعَادُ عَلَيْهِمُ الْمَوْسَى مَرَّةً ثَانِيَةً لِيَنْفَتَحَ مَجْرَى الْبُولِ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ آسَدَ عِنْدَ الْخُصِي بِالْقَيْحِ ، فَيُعَاجِلُونَ بِهِدِيَّةً إِلَى أَنْ يَبْرَأُوا ، وَلِأَنَّ أَهْلَ (وَسَلُّوْ) وَإِنْ كَانَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِالْخُصِي فَلَيْسَ لَهُمْ مَعْرِفَةٌ بِالْعِلَاجِ ، بِخِلَافِ أَهْلِ هَدِيَّةٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ دَرَبُوا [عَلَى] ذَلِكَ وَعَرَفُوهُ . ثُمَّ قَالَ : وَمَعَ هَذَا فَالَّذِي يَمُوتُ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِنَ الَّذِي يَعِيشُ ؛ وَأَضُرُّ مَا عَلَيْهِمْ حُلْمُهُمْ بِلَا مَعَالِجَةَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ ، فَإِنَّهُمْ لَوْ عَوَّلُوا فِي مَكَانٍ خَصَّيْهِمْ كَانَ أَرْفَقَ بِهِمْ .

القاعدة الخامسة

(شَرْحًا)

بَفَتْحِ الشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَحَاءٍ ثُمَّ أَلْفٌ .

وَهِيَ مَدِينَةُ تَلِي (هَدِيَّةٍ) الْمَقْدَمَةِ الذِّكْرُ . ذَكَرَهَا فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" وَ"التَّعْرِيفِ" وَلَمْ يَصْرِّحْ لَهَا بِوَصْفٍ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَطَوَّلَ مَمْلَكَتَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَعَرَضُهَا أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ . قَالَ : وَعَسَكَرَهَا ثَلَاثَةَ آلَافِ فَارِسٍ ، وَرَجَالَةٍ مِثْلَ ذَلِكَ صَرَتَيْنِ فَأَكْثَرُ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى سَائِرِ أَحْوَالِهَا مَعَ سَائِرِ أَخَوَاتِهَا فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

القاعدة السادسة

(بالي)

بفتح الباء الموحدة وألف ثم لام وياء آخر الحروف .

وهي مدينة تلي شرحاً المقدمة المذكور ذكرها في "المسالك" و "التعريف" قال في المسالك : ولكنها أكثر خصباً ، وأطيب سكناً ، وأبرد هواء ، وسيأتي الكلام على سائر أحوالها مع سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة السابعة

(دارة)

بفتح الدال المهملة وألف بعدها راء ثم هاء . وهي مدينة تلي (بالي) المقدمة الذكر، ذكرها في "المسالك" و "التعريف" . قال في "المسالك" : وطولها ثلاثة أيام، وعرضها كذلك . وهي أضعف أخواتها حالاً ، وأقلها خيلاً ورجالا . قال : وعسكرها لا يزيد على ألفي فارس ، ورجالة كذلك ، وسيأتي الكلام على سائر أحوالها في الكلام على سائر أخواتها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في الموجود بهذه الممالك، على ما ذكره في "مسالك الأبصار")

قد ذكر أن عندهم من المواشي الخيل العرب، والبغال، والحمير، والبقر، والغنم بكثرة . أما المعز فقليل عندهم . ومن الوحش : البقر، والحمير، والغزلان ،

والمها، والإيل، والكركدن، والفهد، والأسد، والضبعة العرجاء، وتسمى عندهم
مرعيف، وعندهم جواميس بريّة تُصاد كما تقدم في إقليم مالى. وعندهم من الطيور
الدواجن الدجاج، ولكن لا رغبة لهم في أكله استقذاراً له: لأكله القمامات والزبالات،
ودجاج الحبش يصيدونه ويأكلونه، وهو عندهم مُستطاب. وعندهم من الحبوب
الحنطة، والشعير، والذرة، والطّافى: وهو حُبُّ نحو الخردل أحرّ اللون على ما تقدم
ذكره في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة. وعندهم الخردل أيضاً. وعندهم
من الفواكه العنب الأسود على قلة، والموز، والرمان الحامض، والتوت الأسود
على قلة فيه، والجوز بكثرة. وعندهم من الحمضات: الأترج، والليمون، والقليل
من النارج. وعندهم تين برّى، وخوخ برّى، ولكنهم لا يأكلون الخوخ دون
التين. وعندهم فواكه أخرى لا تُعرف بمصر والشام والعراق، منها شجريسمى
كشباد، ثمرة أحرّ على صفة البسر، وهو حلو ماوى، وشجريسمى كوشى، ثمرة مستدير
كالبرقوق، ولونه أصفر خلوقى كالمشمش، وهو من ماوى، وشجريسمى طانة، ثمرة
أصغر من البسر، وفي وسطه شبه النوى، وهو حلو صادق الحلاوة ونواه يؤكل معه
لعدم صلابته. وشجر اسمه أوجاق - بفتح الواو والجيم - ثمرة أكبر من حب الفلفل
وطعمه شبيه به في الحرافة مع بعض حلاوة. وعندهم شجيران المقسّم ذكره
في القسم الأول من بلاد الحبشة، وهو الذى يؤكل عندهم للدّكاء والفطنة، ولكنه
يقل النوم والنكاح على ما تقدم ذكره هناك. وعندهم من أنواع المقائى البطيخ
الأخضر، والخيار، والقرع. ومن الخضروات اللوبيا، والكُرنب، والباذنجان،
والشمار، والصّعتر. أما الملوخيا فإنها تطلع عندهم بريّة.

الجملة الثالثة

(في معاملاتهم وأسعارهم)

أما معاملاتهم فعلى ثلاثة أنواع . منها ما هو بالأعراض مُقايضةً : تباع البقر بالغنم ونحو ذلك كما في القسم الأول من بلاد الحبشة . ومنها ما هو بالدنانير والدرهم كمصر والشام ونحوهما ، وهو (وَفَات) وأعمالها خاصة . قال في "مسالك الأبصار" : وليس بأوفات سِكَّةٌ تضرب بل معاملاتهم بدنانير مصر ودرهمها الواصلة إليهم صِحَّةَ التِّجَار . وذلك أنه لو ضرب أحدُ منهم سِكَّةً في بلاده لم تُرْجَ في بلد غيره . ومنها ما هو بالحِكْمَات ، جمع حَكْنَة - بفتح الحاء المهملة وضم الكاف والنون - كما ضبطه في "مسالك الأبصار" وهي قِطْع حديد في طُول الإبرة ، ولكنها أعرِضُ منها بحيث تكون في عَرْض ثلاثِ إبر ، يُتَعَامَلُ بها في سائر هذه البلاد سوى ما تقدّم ذكره . قال : وليس لهذه الحَكْنَة عندهم سعر مضبوطٌ بل تُباع البقرة الجيدة بسبعة آلاف حَكْنَة ، والشاة الجيدة بثلاثة آلاف حَكْنَة . وتُكَال غَلَّتْهم بِكِل أَمْسِه الرابضة ، بمقدار وِيَّة من الكِل المِصرى . وزنة أُرطالهم اثنتا عشرة أوقية كل أوقية عشرة دراهم بصنجة مصر .

وأما الأسعار فكلُّها رَخِيصةٌ حتّى قال في "مسالك الأبصار" : إنه يُباع بالدرهم الواحد عندهم من الحنطة بمقدار حِمْل بغل ، والشعير لاقيمة له . وعلى هذا فقيس .

الجملة الرابعة

(في ملوكهم)

قد تقدّم في الكلام على القسم الأول من بلاد الحبشة أن الحطّي الذي هو
سلطانهم الأكبر تحت يده تسعة وتسعون ملكاً وهو لهم تمام المائة . وقد ذكر
في "التعريف" : أن هذه السبعة من جملة التسعة والتسعين الذين هم تحت يده .
قال في "مسالك الأبصار" : والمُلك منهم في بيوت محفوظةٍ إلّا بآلِ اليوم ،
فإن المُلك بها صار إلى رجل ليس من أهل بيت المُلك ، تقرب إلى سلطان أحمرا
حتى ولّاه مملكة بالى فاستقلّ ملكاً بها . على أنه قد وليها من أهل بيت المُلك
رجال أكفاء ، ولكنّ الأرض لله يُورثها من يشاء . قال : وجميع ملوك هذه
الممالك وإن توارثوها لا يستقلّ منهم بملك إلّا من أقامه سلطان أحمرا ، وإذا
مات منهم ملك ومن أهله رجال قصدوا جميعهم سلطان أحمرا ، وتقربوا إليه جهداً
الطاقة ، فيختار منهم رجلاً يُولّيه ، فإذا ولّاه سمع البقية له وأطاعوا ، فهم له كالنواب ،
وأمرهم راجع إليه . ثم كلّهم متفقون على تعظيم صاحب أوقات ، مُنقادون إليه .
ثم قال : وهذه الممالك السبع ضعيفة البناء ، قليلة الغناء ، لضعف تركيب أهلها ،
وقلة محصول بلادهم ، وتسلط الحطّي سلطان أحمرا عليهم ، مع ما بينهم من عداوة
الدين ، ومباعدة ما بين النصاري والمسلمين . قال : وهم مع ذلك كلهم متفرقة ،
وذات بينهم فاسدة .

ثم حكى عن الشيخ عبد الله الزبائى وغيره : أنه لو أنفقت هذه الملوك السبعة
وأجتمعت ذات بينهم ، قدروا على مدافعة الحطّي أو التماسك معه ، ولكنهم مع
ماهم عليه من الضعف وأفتراق الكلمة بينهم تنافس . قال : وهم على ما هم عليه

من الدلة والمسكنة للخطى سلطان أمحرا عليهم قطائع مقررة، تحمل إليه في كل سنة من القماش الحرير والكتان، مما يُجلب إليهم من مصر واليمن والعراق . ثم قال : وقد كان الفقيه « عبد الله الزيلعي » قد سعى في الأبواب السلطانية بمصر عند وصول رسول سلطان أمحرا إلى مصر في تنجز كتاب البطريك إليه ، بكف أذنيه عن في بلاده من المسلمين وعن أخذ حريمهم . وبرزت المراسم السلطانية للبطريك بكتابة ذلك ، فكتب إليه عن نفسه كتابا بليغا شافيا ، فيه معنى الإنكار لهذه الأفعال ، وأنه حرم هذا على من يفعله ، بعبارات أجاد فيها ، ثم قال : وفي هذا دلالة على الحال .

قلت : وقد كتبت في أوائل الدولة الظاهرية « برقوق » كتاب عن السلطان في معنى ذلك ، وقرينه كتاب من البطريك (متى) بطريك الإسكندرية يومئذ بمعناه . وتوجه به إلى الخطى سلطان الحبشة ، « برهان الدين الدماطي » فذهب وعاد بالحياء من جهة الملك ؛ لكن ذكر عنه أنه أتى أمورا هناك تقدر في عقيدة ديانتهم ، والله أعلم بحقيقة ذلك . وستأتى الإشارة إلى المكتبة إلى هؤلاء الملوك السبعة في المقالة الرابعة في الكلام على المكتبات إن شاء الله تعالى .

الجملة الخامسة

(في زي أهل هذه المملكة)

أما لبسهم ، فإنه قد جرت عادتهم أن الملك يعصب رأسه بعصابة من حرير ، تدور بدائر رأسه ، ويبقى وسط رأسه مكشوقا ، والأمراء والجنود يعصبون رؤوسهم كذلك بعصائب من قطن ، والفقهاء يلبسون العائم ، والعامة يلبسون كوافي بيضا

طاقيات ؛ والسلطان والجند يترزون بثياب غير مخيطة : يشد وسطه بثوب ، ويتر
 بآخر ؛ ويلبسون مع ذلك سراويلات . ومن عداهم من الناس يقتصرُون على شد
 الوسط والأتزار خاصة بلا لبس سراويل . وربما لبس القمصان منهم بعض
 الفقهاء وأرباب النعم .

وأما ركوبهم الخيل ، فإنهم يركبونها بغير سروج ، بل يوطأ لهم على ظهورها يجلود
 من عزي حتى ملوكم .

وأما سلاحهم فغالبة الحراب والنشاب .

الجملة السادسة

(في شعار الملك وترتيبه)

أما شعار الملك ، فقد جرت عادتهم أن الملك إذا ركب تقدم قدامه الحجاب
 والثقباء لطرد الناس ، ويضرب بالشبابة أمامه ، ويضرب معها ببوقات من خشب ،
 في رءوسها قرون مجوفة ، ويدق مع ذلك طبول معلقة في أعناق الرجال تسمى عندهم
 الوطواط . ويتقدم أمام الكل بوق عظيم يسمى الجنباء ، وهو بوق ملوى من قرن
 وحش عندهم من نوع بقر الوحش اسمه (عجّرين) في طول ثلاثة أذرع ، مجوف
 يُسمع على مسيرة نصف يوم ، يعلم من سمعه ركوب الملك ، فيبادر إلى الركوب
 معه من له عادة به .

وأما ترتيب الملك عندهم ، فإن من عادتهم أن الملك يجلس على كرسي من حديد
 مطعم بالذهب ، علوه أربعة أذرع من الأرض ، ويجلس أكابر الأمراء حوله

على كراسى أخفض من كرسية ، وبقية الأمراء وقوف أمامه ، ويحمل رجلان السلاح على رأسه . ويختص صاحب (وفات) بأنه إذا ركب حمل على رأسه حتر على عادة الملوك .

ثم إن كان الملك راكبا فرسا ، كان حامل الحتر ماشيا بازائه والحتر بيده ، وإن كان راكبا بغلا ، كان حامل الحتر رديفه والحتر بيده على رأس الملك .

وبالجملة فإنه يعتد من حشمة الملك أو الأمير عندهم أنه إذا كان راكبا بغلا أن يُردف غلامه خلفه ، بخلاف ما إذا كان راكبا فرسا فإنه لا يُردف خلفه أحدا . ومما يعتد (وفات) من حشمة الملك أو الأمير أنه إذا مشى يتوكل على يدي رجلين . وملوكهم تنصلي للحكم بأنفسهم وإن كان عندهم القضاة والعلماء . وليس لأحد من الأمراء ولا سائر الجند إقطاعات على السلطان ولا نقود كما بمصر والشام ، بل لهم الدواب السائمة . ومن شاء منهم زرع واستغل ولا يعارض في ذلك . وليس لأحد من ملوكهم سباط عام ، بل إنما يمد سباطه له ولخاصته ، ولكنه يفرق على أمرائه بقرا عوضا عن أمر أكلهم على السباط . وأكثر ما يعطى الأمير الكبير منهم مائتا بقرة .

قلت : وأهمل المقتز الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" و"التعريف" عدة بلاد من ممالك الحبشة المسلمين .

منها (جزيرة دهلك) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الدال المهملة وسكون الهاء ثم لام مفتوحة وكاف . وهي جزيرة في بحر القلزم ، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول إحدى وستون درجة ، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي جزيرة مشهورة على

طريق المسافرين في بحر عَيْدَاب إلى الْيَمَن . قال ابن سعيد : غَرْبِيَّ مدينة (حَلِي) من بلاد الْيَمَن ، فطولها نحو مائتي ميل ، وبينها وبين بَرِّ الْيَمَن نحو ثلاثين ميلاً [وَمَلِك دَهْلَك من الحبش المسلمين] وهو يُدَارَى صاحب الْيَمَن .

ومنها (مدينة عَوَان) بفتح العين المهملة والواو وألف ثم نون . وهي مدينة على ساحل بحر الْقَزْم مقابل (شَهَامَةِ الْيَمَن) حيثُ الطُول ثَمَانٌ وسبعون درجة ، والعَرْضُ ثلاث عشرة درجةً ونصف درجة . قال في "تقويم الْبُلْدَان" : وإذا كان وقت الضحى ظهر منها (الْجَنَاح) وهو جبل عالٍ في البحر .

ومنها (مدينة مَقْدَشُو) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة ثم شين ^(٢) معجمة وواو في الآخر كما نقله في "تقويم الْبُلْدَان" عن ضبطه في "مُزِيل الْآرْتِيَاب" بالشكل . وموقعها بين الإقليم الأول من الأقاليم السبعة وَخَطَّ الأستواء . قال ابن سعيد : حيثُ الطُول اثنتان وسبعون درجةً ، والعَرْض درجتان . قال في "مُزِيل الْآرْتِيَاب" : وهي مدينة كبيرة بين الزَّنج والحبشة . قال : وهي على [بحر] الهند ، ولها نهر عظيم شبيه بنيل مصر في زيادته في الصَّيف . قال : وقد ذكر أنه شقيق لنيل مصر في مَحْرَجِهِ من مَجِيئِهِ كوراء ، ومَصْبُهُ ببحر الهند على الْقُرْب من مَقْدَشُو .

قلت : وقد أتى الحطّاي ملك الحبشة النصارى على معظم هذه الممالك بعد الثمانمائة وخرّبها وقتل أهلها وحرّق ما بها من المصاحف وأكره الكثير منهم على الدخول في دين النصرانية ، ولم يبق من ملوكها سوى ابن مسمار المقابلة بلاده لجزيرة دَهْلَك تحت طاعة الحطّاي ملك الحبشة وله عليه إتاوة مقرّرة ، والسلطان سعد الدين

(١) الزيادة عن تقويم البلدان .

(٢) ضبطها ياقوت بفتح الدال .

صاحب زَبَّاح وما معها وهو عاص له خارج عن طاعته بينه وبينه الحروب لا تنقطع ،
وللسلطان سعد الدين في كثير من الأوقات النصرة عليه والغلبة والله يؤيد نصره
من يشاء .



وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ مَمَالِكِ السُّودَانِ هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْهَا ، وَإِلَّا فَوْرَاءَ ذَلِكَ
بِلَادُ نَائِيَّةِ الْجَوَانِبِ بَعِيدَةِ الْمَرْمَى مِنْتَقِطَعَةِ الْأَخْبَارِ .

مِنْهَا (بِلَادُ الزَّبَّاحِ) . وَهِيَ بِلَادُ شَرْقِيِّ الْخَلِيجِ الْبَرْبَرِيِّ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ فِي الْكَلَامِ
عَلَى الْبَحَارِ ، تُقَابِلُ بِلَادِ الْخَبَشَةِ مِنَ الْبَرِّ الْآخَرِ .

وَقَاعَدَتَهَا (سُقَالَةُ الزَّبَّاحِ) . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْفَاءِ ثُمَّ أَلْفَ
وَلَامٍ وَهَاءٍ فِي الْآخِرِ . وَمَوْقِعُهَا جَنُوبِيَّ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ . قَالَ فِي "الْقَانُونِ" :
حَيْثُ الطَّوْلُ نَحْسُونِ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ فِي الْجَنُوبِ دَرَجَتَانِ . قَالَ فِي "الْقَانُونِ" :
وَأَهْلُهَا مُسْلِمُونَ . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَأَكْثَرُ مَعَايِشِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْحَدِيدِ ، وَلِبَاسُهُمْ
جُلُودُ الثَّمُورِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ الْخَلِيلَ لَا تَعِيشُ عِنْدَهُمْ ، وَعَسْكَرُهُمْ رَجَالَةٌ ، وَرَبَّمَا
قَاتَلُوا عَلَى الْبَقَرِ .

وَمِنْهَا (بِلَادُ الْهَمَجِ) جَنُوبِيَّ بِلَادِ التَّنْكَرُورِ . فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ سَعِيدٍ أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى أَصْنَافِ
السُّودَانِ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ [الدَّمَادِمُ] ^(١) يُشْبِهُونَ التَّنَرَّ ، خَرَجُوا فِي زَمَنِ خُرُوجِهِمْ
فَأَهْلَكُوا مَا جَاوَرَهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ . وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" عَنْ ابْنِ أَمِيرٍ حَاجِبٍ
وَالِي مِصْرَ عَنْ مَنْسَا مُوسَى مَلِكِ التَّنْكَرُورِ أَنَّهُمْ كَالْتَّنَرِّ فِي تَدْوِيرِ وُجُوهِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُ
خُيُولًا مُشَقَّقَةً الْأَنْوَفِ كَالْأَكْدِيشِ ، وَأَنَّ هَمَجَ السُّودَانِ عَدَدُ لَا يَسْتَوِعُهُمُ الزَّمَانُ
وَأَنَّ مِنْهُمْ قَوْمًا يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ .

(١) بِيَاضٌ بِالْأَصْلِ وَالتَّصْحِيحُ مِنْ مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ .

الفصل الرابع

من الباب الرابع من المقالة الثانية

(في الجهة الشمالية عن ممالك الديار المصرية ومضافاتها، خلا ما تقدم ذكره
 مما انضم إلى ممالك المشرق من شمالي الشرق، نحو أرمينية، وأران،
 وأذربيجان، وشمالي خراسان، وشمالي مملكة توران: من خوارزم،
 وما وراء النهر، وبلاد الأذق، وبلاد القرم، وما إلى ذلك
 وما انضم إلى ممالك المغرب من شمالي الغرب،
 وهو الأندلس)

وينقسم ذلك إلى قسمين :

القسم الأول

(ما بيد المسلمين مما في شرقي الخليج القسطنطيني فيما بينه وبين أرمينية
 وهي البلاد المعروفة ببلاد الروم)

قال في "التعريف": وتعرف الآن ببلاد الدربندات . وقد سماها في "التعريف"
 و "مسالك الأبصار" بلاد الأتراك، وكأنه يريد بالأتراك التركمان، فإنهم هم الذين
 أنضاف ملكها بعد ذلك إليهم، على ما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى .
 وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنه يحيط بهذه البلاد من جهة الغرب بحر الروم،
 وعامة الخليج القسطنطيني، وبحر القرم . ومن جهة الجنوب بلاد الشام والجزيرة .
 ومن جهة الشرق أرمينية . ومن جهة الشمال بلاد الكرچ وبحر القرم . وذكر

في "التعريف" ما يخالف ذلك فقال : إنها منحصرة بين بحري القرم والخليج القسطنطيني ، تنتهي من شرقها إلى بحر القرم المسمى ببحر نيطش وما نيطش ، وفي الغرب إلى الخليج القسطنطيني ، وتنتهي متشاملة إلى القسطنطينية ، وتنتهي جنوبا إلى بلاد لاؤن : وهي بلاد الأرمن يحدها البحر الشامي . وبالجملة فإنها مفارقة مايسامت شرقها من بلاد الأرمن المضافة إلى بلاد الشام من ممالك الديار المصرية . والحاصل أن هذه البلاد مبندوها من الشرق مما يلي المغرب حدود أرمينية في شمالي بلاد الجزيرة وما والاها من بلاد الأرمن المضافة الآن إلى مملكة حلب ، وتأخذ في جهة الغرب إلى بحر الروم ، فيصير البحر في جانبها من الجنوب ويمتد عليها حتى يتصل بالخليج القسطنطيني ، فيدور عليها الخليج وما يتصل به من بحر القرم من جهة الغرب ثم من جهة الشمال كالجزيرة ويحيط بها البحر من جميع جوانبها خلا جهة الشرق .

وقد كانت هذه البلاد في زمان الروم من مضافات القسطنطينية وأعمالها . قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه البلاد على عهد الروم تحت الأعنة ، ومشتبك الأسنة ، دار القياصرة ، ومكسر الأكاسره . ثم وصفها بأتم الأوصاف ، فقال بعد أن ذكر أنها أترى البلاد : تحورها نتفجر ماء ، وجوها يسخر أنواع ، تعقد دون السماء سماء ، فيخصب زرعها ، ويخصم المحل ضرعها ، ويخصف ورق الجنة على الحدائق ثمرها وينعمها ، ويطرب ورقها منظرها البديع ، ويحبرها من صناعة صنعاء الربيع ، فلا تسمع إلا كل مطربة تنجي النجي ، وتشجي الشجي ، وتخلب قلب الحلي ، وتهب الغواني ما في أطواقها من الحلي ، يعجب ثوبها السندسي ، ونباتها المتعلق بذيل البهار بسجافها القندسي . فلا تجول في أرضها إلا على أرائك ، ولا تنظر

إلا نساء كالحُور العين وولَدانا كالملائكة . ثم قال بعد كلام طويل : وهى شديدة البرد لا يوصف شتاؤها ، إلا أن سُكَّانها تستعدُّ للشتاء بها قبل دُخوله ، وتحصل ما تحتاج إليه ، وتدخِرُه فى بيوتها ، وتستكثر من القديد والأدهان والخمور ، فتأكل وتشرَبُ مدَّةَ أيام الشتاء ، ولا تخرج من بيوتها ، ولو أرادت ذلك لم تقدرُ عليه ، حتى تدوب الثَّلُوج . قال وهذه الأيام هى بلهنية العيش عندهم .
ويُحصر المقصودُ من ذلك فى خمس جمل :

الجملة الأولى

(فيما أشتملت عليه من القواعد ، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(القواعد المستقرَّة بها الملوك والحُكَّام)

من يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية)

فأما ما ذكره المقر الشهابى بن فضل الله من ذلك فى " التعريف " و " مسالك الأبصار " ، فست عشرة قاعدةً عبَّر عنها فى " مسالك الأبصار " :
بمالك . ونحن نُوردها على ما أوردها وإن كان قد أخلَّ بها فى الترتيب .

القاعدة الأولى - (كرميان) بكسر الكاف وسكون الراء المهمل والميم وفتح المشاة تحت وألف ثم نون فى الآخر . وهى مدينة فى شرق هذه البلاد ، متوسطة فى المقدار ، مبنية بالحجر ، عليها سُور دوائر . وبها مساجد وأسواق وحمامات ، وبوسطها قلعة حصينة على جبل مرتفع ، وخارجها أنهار تجري وبساتين ذات أشجار وفواكه متنوعة ، وأراضٍ مزدرة .

القاعدة الثانية — (طَنْغَزَلُو) بضم الطاء المهملة وسكون النون وضم النين المعجمة وسكون الزاي المعجمة وضم اللام وواو في الآخر . وهى مدينة متوسطة فى أوساط هذه البلاد ، وبنائها بالحجر ، وايس لها سور . وبها المساجد والأسواق والجمامات ، وخارجها أنهار تجري وبساتين محدقة ذات فواكه وثمار .

القاعدة الثالثة — (تَوَازَا) بضم التاء المشبهة فوق وواو مفتوحة بعدها ألف ثم زاي معجمة وألف فى الآخر وهى مدينة عظيمة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة تقع شرقى كرمان محضاً ، وموقعها ما بين جنوبى بركى إلى قوله ، وكرسيه تَوَازَا . قال : ولصاحبها أربع قلاع ونحو ستمائة قرية ، وعساكره نحو أربعة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وقد عدّها فى "مسالك الأبصار" من جملة مضافات كَسْطُمُونِيَّةِ الآتى ذكرها . وذكر أنه كان بها إذ ذاك أميرٌ من قبل صاحبها اسمه (مراد بك) . وذكر فى "التعريف" أن اسمه أرينة .

القاعدة الرابعة — (حميدلى) . قال فى "مسالك الأبصار" وحميدلى اسم للإقليم ، وقاعدته مدينة (بركو) وموقعها من قوله الى قراصار . قال : ولصاحبها أيضاً إقليم بلواج وإقليم قراغاج وإقليم اكرى دوز . قال : وهذه البلاد مدنها قليلة وقراها كثيرة ، وبها خمس عشرة قلعة ، وعسكر صاحبها خمسة عشر ألف فارس ومثلهم رجالة وهى نهاية ما أخذ الى الشمال وقد ذكر فى "التعريف" : أن صاحبها كان اسمه فى زمانه دندار . قال : وهو أخو يونس صاحب أنطاليا ، وحينئذ فتكون من مملكة بنى الحميد .

القاعدة الخامسة — (قَسْطُمُونِيَّة) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح القاف وسكون السين وبالطاء المهملتين وضم الميم وسكون الواو وكسر النون وبالياء المشبهة

من تحت وهاء في الآخر، وربما أبدلوا القاف كافاً، وعليه جرى في "التعريف"
 و"مسالك الأبصار": وهي مدينة في شرق هذه البلاد داخلية في حدودها، موقعها
 في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد: حيث الطول خمس وخمسون
 درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وأربعون درجة وثمان وأربعون دقيقة.
 قال: وهي قاعدة التركمان، وتراكتها يغزون (القسطنطينية) وهي شرق (هرقلة)
 وفي الجنوب عن سنوب على ثلاث مراحل منها، وقيل خمس مراحل. وهي
 في الشرق عن أنكورية على خمسة أيام منها. وقد أخبرني بعض أهل تلك النواحي
 أنها مدينة متوسطة المقدار، مبنية بالحجر، ذات مساجد وأسواق وحمامات، وليس
 عليها سور، وخارجها أنهر وبساتين ذات فواكه. قال في "مسالك الأبصار":
 وبها الأكاديش الرومية الفاتكة، المفضل بعضها على كل سابق من الخيل العرب،
 ولها أنساب محفوظة عندهم نكيل العرب، يتغالي في أمانها لا سيما في بلادها، حتى
 تبلغ قيمة الواحد منها ألف دينار فما فوقه، بل لا يستكثر فيها من يعرفها بذل مال.
 قال في "التعريف": وكانت آخر وقت (لسليمان باشا) وكان أميراً كبيراً كثير العدد،
 موفور المدد، ذا هيئة وتمتع، ثم مات

وورث ملكه ابنه (إبراهيم شاه) وكان عاقاً لأبيه، خارجاً عن مراضيه، وكان
 في حياته ينفرد بمملكة سنوب. قال: وهي الآن داخلية في ملكه، متخرطة
 في سلكه. قال: وعسكره على ما يقال لنا ويبلغنا نحو ثلاثين ألف فارس.

القاعدة السادسة — (فاويا). قال في "مسالك الأبصار": ومملكته تجاور
 سمسون من غربها. قال: ولصاحبها عشر مدن ومثلها قلاع، وعسكره نحو سبعة
 آلاف فارس أما الرجال فكثير عددهم ودرهمها نصف درهم فضة خالصة، ورطلها

ستة عشر رطلا بالمصرى ، ومدها نحو إردب بالمصرى ، وأسعارها رخيصة وقد ذكر في "التعريف" : أن أسم صاحبها في زمانه (مراد الدين حمزة) . قال : وهو ملكٌ مضعوف ، ورجل يجالس أنسه مشغوف .

القاعدة السابعة — (برسا) بضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين وألف في الآخر . وربما أبدلت السين صاداً مهملةً . والموجود في "التعريف" و"مسالك الأبصار" وغيرهما إثبات السين دون الصاد . وهى مدينة كبيرة فى شمالي هذه البلاد ، مبنية بالطوب والحجر ، وسقوفها من الخشب ، وغالبها بـجملونات ، وبها مساجد وأسواق وحمامات ، وبعض حماماتها من أعين حارة تنبع من الأرض كذلك كما فى طبرية بالشام ، ولها سور عظيم ، وبوسطها قلعة شاهقة مرتفعة البناء بها سكن سلطانها ، وفيها قصور عظيمة متعددة ، وجامع وثلاث حمامات .

وخارج ربح المدينة نهران :

أحدهما — يسمى (ككدرآ) بضم الكاف الأولى وسكون الثانية وفتح الدال والراء المهملتين وألف فى الآخر . ومعناه وادٍ أزرق ، سُمى بذلك لأنه يخرج من جبل أزرق ، وتقطع منه الحجارة بشدة جريه ، فتجرى منه بـجريان الماء ، فيأخذها من عليه من أهل تلك النواحي فيعمر بها ، ومعظم عمارة برسا منها .

والنهر الثانى — يسمى (منرباشى) فى قدر الفرات ، يُشق المدينة ويمر فى جامعها ، وبها جبل عظيم اسمه (كش) به معدن فضة سُمى باسم الفضة .

وبرسا هذه هى مقر مملكة أولاد (عثمان جق) الذين هم الآن رؤوس ملوك تلك البلاد ، وإليهم أنقياد جميعهم على ما سياتى ذكره فى الكلام على ملوكها . وقد ذكر فى "التعريف" : أن صاحبها فى زمانه كان أرخان بن عثمان . وذكر فى "مسالك

الأبصار“ عن الشيخ حيدر العريان : أن عسكره نحو خمسة وعشرين ألفاً ، وأن بيده وبين صاحب القسطنطينية الحروب ، وأيامها بينهم تارات ، له في غالبها على صاحب القسطنطينية الغلب ، وملك الروم يُداريه على مال ، يحمله إليه في كل هلال . قال : ولقد جاز الجزيرة إلى بلاد النصارى وعث في نواحيها ، وشهد على بطارقها لاعلى فلاحيا ، وألقى علوجها بحيث تقتلج سيول الدماء ، وتقتلج سيوف النصر من الأعداء ، وسيأتي ذكر ما انتهى إليه فتحه من بر القسطنطينية بعد هذا في الكلام على ملوك هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

القاعدة الثامنة — (أكيرا) . قال في ”مسالك الأبصار“ : وهي تجاور مملكة برسا آخذة إلى الشمال وجبل القسيس جنوبها وسنوب شمالها وهي طريق من طرق سنوب وقلاعها وعساكرها كثيرة . ومنها يخرج الحرير الكثير واللاذن إلى غيرها من البلاد ، ورطلها ثمانية أرتال بالمصرى ، ومدها نحو إردب ونصف وأسعارها رخيصة وقد ذكر في ”التعريف“ : أن صاحبها في زمانه كان (صاروخان بن قرآسى) ولم يبين من أى طوائف التتر كان هو .

القاعدة التاسعة — (مرمرا) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الميم الثانية والراء المهملة الثانية وألف في الآخر . وهي مدينة في شمالي هذه البلاد ، بها جبل فيه مقطع رخام . قال في ”الروض المعطار“ : والروم تسمى الرخام مرمرا ، فسميت بذلك . وذكر في ”التعريف“ : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (بنجشى بن قرآسى) ولم يبين من أى طوائف التتر كان هو . وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنها قد حُرِبَت ودُثِرَت ، ولم يبق بها عمارة .

القاعدة العاشرة — (مغنيسيا) بفتح الميم وسكون الغين المعجمة وكسر النون وسكون الياء المشددة تحت وكسر السين المهملة وفتح الياء الثانية وألف في الآخر .

وهى مدينة فى أوساط هذه البلاد، متوسطَّةٌ فى المقدار، مبنيةٌ بالبحر، وعليها سورٌ دائرٌ وبها مساجد وأسواق وحمامات وبساتين ومروج. وقد ذكر فى "التعريف": أنه كان اسمُ صاحبها فى زمانه (صاروخان) ولم يزد على ذلك .

القاعدة الحادية عشرة — (نَيْف) بكسر النون وسكون الياء المثناة تحت وفاء فى الآخر. وهى مدينة لطيفةٌ بأوساط هذه البلاد، بالقرب من (مَغْنِسِيَا) المقدم ذكرها على نحو مرحلتين منها. وهى مبنيةٌ بالبحر، وبها المساجد والأسواق والحمامات وخارجها الأنهار والزروع والبساتين المختلفة الفواكه .

القاعدة الثانية عشرة — (بَرَكِي) بفتح الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وكسر الكاف وياء مثناة تحت فى الآخر. وهى مدينة متوسطَّةٌ القدر على القرب من نَيْف المقدم ذكرها على نحو مرحلتين منها؛ وبها المساجد والأسواق والحمامات والمياه والبساتين والزروع .

القاعدة الثالثة عشرة — (فُوكه) . وقد ذكر فى "التعريف": أن صاحبها فى زمانه كان اسمه (أرخان بن منتشا) واقتصر على ذلك .

القاعدة الرابعة عشرة — (أَنْطَالِيَا) . قال فى "تقويم البلدان": بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة وألف ولام مكسورة وهاء فى الآخر. وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال فى "تقويم البلدان": والقياس أنها حيثُ الطول أربع وخمسون درجةً وأثنان وثلاثون دقيقةً، والعرض إحدى وأربعون درجةً وأربعون دقيقةً. قال ابن سعيد: وهى بلدة مشهورة. وقال ابن حوقل: هى حصن [لرّوم على شَطِّ البحر منيعٌ واسعُ الرستاق كثيرُ الأهل] ^(٢) . قال

(١) الذى فى التقويم وألف فى الآخر .

(٢) الزيادة عن التقويم .

في "تقويم البلدان" : وهي على دَخْلَة في البحر، وسُورُها من حجر في غاية الحَصَانَة، ولها بابان : بابٌ إلى البحر، وبابٌ إلى البر . وأخبرني من رآها أنها ذاتُ أشجار وبساتين ومياهٍ تجري ، وبها قلعة حصينة بوسطها ، وبها نهر يُعرف بالصَّبَاب . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة الحمضات : من الأترج، والتارنج، والليمون، وما أشبه ذلك . قال ابن سعيد : وكانت للروم فاستولى عليها المسلمون في عصرنا . قال : وبها أسطول صاحب الدروب، ومينأها غير مأمونة في الأنواء . قال في "تقويم البلدان" : وكان الحاكم بها شخصاً من أهل تلك البلاد نخرج منها إلى بعض جهاتها، فكبسها التركان وملكوها ثم أمسكوه فقتلوه . قال : وصاحبها في زماننا واحد من بنى الحميد ملوك التركان . وقد ذكر في "التعريف" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (خضر بن يونس) . وذكر في "مسالك الأبصار" : أن صاحبها في زمانه كان اسمه (خضر بن دندار) من أولاد (منتشا) . وقال : إن عسكره نحو أربعين ألف فارس . ثم قال : إن لبني دندار هؤلاء إلى ملوك مصر آتباء ، وكان بمصر منهم من له إمرة ثم عاد إلى بلاده .

القاعدة الخامسة عشرة — (قَرَاصار) بفتح القاف والراء المهملة وألف ثم صاد مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة في الآخر . وتُعرف بقراصار التكا بفتح التاء المشناة فوق . وهي قلعة على جبل مرتفع يحفُّ بها ربضٌ بأعلى الجبل ، وحول الربض في الجبل زراعاتهم وبساتينهم . وقد ذكر في "التعريف" : أن اسم صاحبها في زمانه (زكريا) ولم يزد على ذلك . وهي غير مدينة قَرَاصار الصاحب . وهي مدينة لطيفة بأوساط بلاد الروم في الغرب عن قَرَاصار هذه وفي الشمال عن أنطاليا .

القاعدة السادسة عشرة — (أَرَمَناك) بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وفتح النون وألف ثم كاف في الآخر . وهي مدينة في مشارق الروم، مبنية

بالبحر غير مسورة ؛ وبها مساجد واسواق وحمامات ؛ وبها بساتين كثيرة وفواكه
جمّة إلا أنها شديدة البرد . وقد ذكر في " التعريف " : أنها بيد أولاد قرمان .
وذكر في " مسالك الأبصار " : أن الملكة كانت ببسد (محمد بن قرمان) . وذكر
في " التثقيف " : أن آخر من أسستقر بها في شوال سنة سبع وستين وسبعائة
(علاء الدين على بك) بن قرمان .



وأما ما زاد ذكره في " التثقيف " : فخمس قواعد :

القاعدة الأولى — (العَلَايَا) بفتح العين المهملة واللام وألف بعدها ثم ياء
مشناة تحت وألف في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .
قال في " تقويم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول اثنتان وخمسون درجة ،
والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي بلدة محدثة أنشأها
(علاء الدين على) بعض ملوك بني سلجوق بالروم فنُسبت إليه . وقيل لها (العَلَايَا)
على النسب ، ثم خففها الناس ، فقالوا : (العَلَايَا) ثم قال : والذي تحقّق عندي
من جماعة قدّموا منها أنها بليدة صغيرة أصغر من أنطاليا على دخلة في بحر الروم .
وهي من فرض تلك البلاد . وذكر أنها في الجنوب عن أنطاليا على مسيرة يومين ،
وعليها سور دائر ، وأنها كثيرة المياه والبساتين . وقد ذكر في " التثقيف " : أن الحاكم
بها في زمانه كان اسمه (حسام الدين محمود) بن علاء الدين . وقال : إنه كتب إليه
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في شوال سنة سبع وستين وسبعائة ، ولم يبين
من أي طوائف التتركان هو . وذكر في " مسالك الأبصار " : أنها في ساحل بلاد
بني قرمان ، وأن الحاكم بها من قبلهم حينئذ كان اسمه (يوسف) .

القاعدة الثانية — (بَلَّاط) بفتح الباء الموحدة واللام وألف ثم طاء مهملة في الآخر . وهي بلدة بأوساط الروم على نحو ثمان مراحل من برّسّا ، وهي مدينة صغيرة غير سور ، وبها قلعة خراب كانت مبدئة بالرّخام ، وبها مساجد وأسواق وأربع حمامات . ذكر لي بعض أهل تلك البلاد أنها بيد أولاد (منتشا) من ملوك التّرْكمان .

القاعدة الثالثة — (أَكْرَدُور) بفتح الهمزة والكاف وسكون الراء وضم الدال المهملتين وسكون الواو وراء مهملة في الآخر . قال في "التثقيف" : ويقال أكردون بالنون بدل الراء الأخيرة . وهي بلدة غير مسورة بها قلعة عظيمة على جبل شاهق ، وبها مساجد وأسواق وحمامات ، إلا أن بساينها قليلة ، وبها برج عظيم .

القاعدة الرابعة — (أَيَّاسُ لُوقُ) بفتح الهمزة والياء المشناة تحت وألف ثم سين مهملة ساكنة ولام مضمومة بعدها واو ساكنة ثم قاف في الآخر . وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الرومي ، بها المساجد والأسواق والحمامات ، وبها أعين وأنهار تجري وبساين ذات فواكه . وقد أخبرني بعض أهل تلك البلاد أنها في ملك بني أيدين .

القاعدة الخامسة — (سنوب) . قال في "تقويم البلدان" : بالسّين المهملة والنون والواو وباء موحدة في الآخر ولم يقيدها بالضبط . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض ست وأربعون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قُرْضة مشهورة (يعني على بحر القريم) . ثم قال : وهي في الشمال عن كسْطْمُونِيَّة وفي الغرب عن سامْسون . قال : وعن بعض النّقات أن بسنوب سوراً حصيناً ، يضرب البحر في بعض أبراجه . ولها بساين كثيرة إلى الغاية ، وبينها وبين سامْسون نحو

(١)
أربع مراحِل . ثم قال : وصاحب سنوب في زماننا من ولد البرواناه ، وله شوانٍ
يغزوها في البحر ولا يكاد أن ينقهر . وذكر في ” مسالك الأبصار “ : أنها من
مضافات كَسْطُمُونِيَّة المقدم ذكرها ، وأنه كان بها في زمانه نائب من جهة (إبراهيم
ابن سليمان باشاه) صاحب كَسْطُمُونِيَّة اسمه غازي چلي . وقال في ” التثيف “ :
يقال إن بها إبراهيم بك بن سليمان باشاه ، فإن كان يريد الذي كان في زمن صاحب
” مسالك الأبصار “ : بكَسْطُمُونِيَّة ، فقد أبعد المرمى . وإن كان آخر بعده كان
سُمِّي باسمه ، فيحتمل أنه في ” التعريف “ قد ذكر صاحبها في جملة ملوك الكُفَر
وكان ذلك كان قبل أن تُفتح .

الضرب الثاني

(من هذه البلاد ما لم يَسْبِقْ إلى صاحبه مكاتبه
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، ممن هو بصدد أن تطرأ له
مكاتبه ، فيحتاج إلى معرفته)

وهي عدة قواعد :

منها (سيواس) . قال في ” تقويم البلدان “ : بكسر السين المهملة وسكون الياء
المشنة تحت وفتح الواو ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس
من الأقاليم السبعة . قال في ” الأطوال “ : حيث الطول إحدى وسبعون درجة
وثلاثون دقيقة ، والعرض أربعون درجة وعشر دقائق . قال ابن سعيد : وهي من
أهمّات البلاد مشهورة على ألسنة التجّار ، وهي في بَسِيط من الأرض . قال
في ” تقويم البلدان “ : وهي بلدة كبيرة مسورة ، وبها قلعة صغيرة ذات أعين ، والشجر

(١) في التقويم سامسون ، والصواب ما هنا .

بها قليل، ونهرها الكبير بعيدٌ عنها بمقدار نصف فرسخ . قال : ويقول المسافرون :
 إن فيها [أربعا^(١)] وعشرين خاناً للسبيل ، وهى شديدة البرد ، وبينها وبين قيسارية
 ستون ميلاً ، وكانت سيواس هذه قد غلب عليها فى الأيام الظاهرية « برقوق »
 صاحب الديار المصرية قاضيا (القاضى إبراهيم) وملكها .

ومنها (أماسية) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة والميم وألف وكسر
 السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية مفتوحة وهاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس
 من الأقاليم السبعة قال فى "رسم المعمور" : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة
 وثلاثون دقيقة ، والعرضُ خمس وأربعون درجة . قال فى "تقويم البلدان" : ذكر
 بعض من رآها أنها بلدة كبيرة ذات سور وقلعة ، وفيها بساتين ونهر كبير عليه
 أنواع ، يمر عليها ثم يصبُ فى بحر سنوب يعنى بحر القريم . قال ابن سعيد :
 وهى من مَدَن الحكماء ، وهى مشهورة بالحسن وكثرة المياه والبساتين والكروم ، وهى
 فى الشرق عن سنوب وبينهما ستة أيام . ثم قال : وذكر بعض من رآها أن بها
 معدن فضة .

ومنها (هرقلة) . قال فى "تقويم البلدان" : بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة
 وسكون القاف وفتح اللام ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم
 السبعة قال فى "الأطوال" : حيثُ الطولُ سبع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ،
 والعرضُ إحدى وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى فى شرق
 نهر يتزل من جبل العاليا إلى نحو سنوب وهرقلة عليه فى قرب البحر . قال :
 وهى التى هدمها الرشيد . قال : وفى شرقها جبل الكهف .

وقد حكى ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" عن بعضهم أنه سار إلى هذا الكهف ودخل بمساعدة صاحب الروم فوجد به أمواتاً برواق في كهف في جبل عليهم مسوح قد طال عليها الزمن حتى صارت تنفرك باليد ، وقد طليت أجسادهم بالمرّ والصبر فلم يبلّوا ، ولصقت جلودهم بعظامهم ، وجفت ، وعندهم سادئ يخدمهم ، وأنه أنكر أن يكون أولئك هم أهل الكهف المذكورون في القرآن ، للاختلاف في محل الكهف هل هو في هذه البلاد أو غيرها .

ومنها (أَقْسَرَا) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح السين والراء المهملتين وألف في الآخر، وربما أبدلت السين صاداً مهملة . قال : ويقال إن أصلها (أَخْ سَرَا) يعني بالحاء المعجمة بدل القاف . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وسبعون درجة ، والعرض أربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة ذات أشجار وفواكه ، ولها نهر كبير ينبجّر وسط البلد ويدخل الماء منه بعض بيوتها ، ولها قلعة حصينة في وسطها . قال ابن سعيد : وبها تعمل البسط الأقصرية الفائقة ، ومنها إلى قونية ثمانية وأربعون فرسخاً ، وكذلك بينها وبين قيسارية .

ومنها (قَيْسَارِيَّة) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وألف ثم راء مهملة وياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة وهاء في الآخر قال في "تقويم البلدان" : وتقال بالصاد المهملة بدل السين . قال ابن سعيد : وهي منسوبة إلى قيسر ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ستون درجة والعرض أربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي مدينة جليلة يحلّها سلطان البلاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة كبيرة

ذاتُ أشجار وبساتين ونواكه وعيون تدخل إليها . ودخلها قلعة حصينة ،
وبها دار للسلطنة .

وقيسارية هذه كان بها تحت السلطنة لبنى سلجوق هذه البلاد . ولما ملك التتر
هذه البلاد بقوا ببقاياهم في الملك إلى أن دخلها السلطان الملك (الظاهر بيبرس)
صاحب الديار المصرية ، وجلس على تحت آل سلجوق بها ، ثم عاد إلى الديار
المصرية فزال ملك السلجوقية منها من حينئذ ، على ما سأتى ذكره في الكلام على
ملوك هذه البلاد .

ومنها (قونية) . قال في " تقويم البلدان " : بضم التاف وسكون الواو وكسر
النون وبعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس
من الأقاليم السبعة قال في " الأطوال " : حيث الطول ست وخمسون درجة ،
والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهي مدينة مشهورة ، وبها دار
للسلطنة ، والجبال مطيفة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال . وينزل
من الجبل الجنوبي منها نهر يدخل إليها من غربيها ، وبها البساتين من جهة الجبل
على نحو ستة فراسخ ، ونهرها يسمى بساتينها ، ثم يصير بحيرة ومروجاً ، وبها الفواكه
الكثيرة ، وفيها يوجد الشمس المعروف بقمر الدين ، وهي ثاني قاعدة مملكة
السلجوقية ببلاد الروم ، كان الملك ينتقل منها إلى قيسارية ، ومن قيسارية إليها .
قال ابن سعيد [وبتلعتها تربة ^(١)] أفلاطون الحكيم .

ومنها (أقي شهر) بفتح الهمزة ثم قاف ساكنة وشين معجمة مفتوحة وهاء
ساكنة وراء مهملة في الآخر ، كما في " تقويم البلدان " : عمن يؤتى به من

(١) بياض بالأصل والتصحيح عن تقويم البلدان .

أهل المعرفة ، وربما أبدلوا الهاء ألفا فقالوا (أَقْشَار) . وفي كتاب ” الأطوال “ :
(أَخْ شَهْر) بابدال القاف خاء معجمة . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم
السبعة ، قال في ” الأطوال “ : حيث الطول خمس وخمسون درجة ، والعرض
إحدى وأربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي من أتره البُلْدَان ، وبها بساين
كثيرة وفواكه مفضلة . قال في ” تقويم البُلْدَان “ : وأخبرني من رآها أنها على
ثلاثة أيام من قونية شمالا بغرب .

ومنها (عُمُورِيَّة) . قال في ” تقويم البُلْدَان “ : بفتح العين المهملة وميم مشددة
مضمومة وواو ساكنة وراء مهملثة مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة وهاء
في الآخر . قال : وهي بلدة كبيرة ، ولها قلعة داخلها حصينة ، وأكثر ساكنيها
التركان وبها بساين قليلة ، ولها نهر وأعين جارية ، وهي التي فتحها « المعتصم
أبن الرشيد » : أحد خلفاء بني العباس ، وكان المتحمسون قد زعموا أنها لا تفتح
إلا في زمان التين والعنب ، فلما فتحها أشده أبو تمام قصيدته التي أولها :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ * فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ !

ومنها (أَنْكُورِيَّة) . قال في ” تقويم البُلْدَان “ : بفتح الهمزة وسكون النون وضم
الكاف وسكون الواو وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة تحتية مكسورة وهاء في الآخر .
ويقال لها (أَنْقَرَة) أيضا بفتح الهمزة وسكون النون ثم قاف وراء مهملثة وهاء
في الآخر . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في ” الأطوال “ :
حيث الطول أربع وخمسون درجة ، والعرض إحدى وأربعون درجة . قال ابن

(١) كذا في التقويم أيضا مضطبا عليه بعلامة التوقف ولعله مصحف عن مفتوحة ونظائرها كثيرة منسل
أرمينية وعمورية وانطاكية الخ .

سعيد : وهى بلدة لها قلعة على تل عالٍ ، وهى بين الجبال ، وليس بها بساتين ولا ماء ، وشرب أهلها من الآبار ، وهى عن قسطنطينية فى جهة الغرب على خمسة أيام .

ومنها (فلک بار) . قال فى "تقويم البلدان" : الفلک معروف ، وبار بباء موحدة وألف وراء مهملة فى آخرها . قال : وهى مدينة أنشأها ملك من ملوك بنى الحميد اسمه (فلک الدين) وهى فى مستوٍ من الأرض فى وسط الجبال على قريب من منتصف الطريق بين قونية والعلايا ، فى الغرب من قونية على مسيرة خمسة أيام ، وهى فى الشرق عن أنطاليا على مسيرة خمسة أيام . قال : وليس فى تلك الجبال الآن مدينة أكبر منها ، وقد صارت قاعدةً لبنى الحميد : ملوك التركمان بتلك الناحية .

ومنها (لارندة) . قال فى "تقويم البلدان" : بلام وألف وراء مهملة مفتوحة ونون ساكنة ثم دال مهملة وهاء فى الآخر . قال : وهى قرية من قونية على مسافة يوم من الشرق والشمال ، حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة .

وقد تقدم فى الكلام على مملكة الشام من مضافات الديار المصرية أن مدينة ملطية دخلت فى مملكة مصر ومضافاتها فصارت فى معاملة حلب .

والعلم انه قد تقدم أن خليج القسطنطينية وما اتصل به من بحر نيطش - المعروف ببحر المرم - يطيف بهذه البلاد من غربيها وشماليها ، وعلى ساحل هذا البحر عدة فرض منتظمة فى سلك هذه البلاد قد ذكرها فى "تقويم البلدان" فى الكلام على مملكة أرمينية وماعها ، وأشار إليها فى الكلام على هذا البحر عند ذكره له فى جملة البحار على ما تقدمت الإشارة إليه فى الكلام على البحار فى أول هذه المقالة ، غالبها فى مملكة ابن عثمان صاحب برسا .

أولها (الجرون) . وهي قلعة خراب عند قِمِّ الخليج القسطنطيني من الجهة الشمالية مقابل القُسْطَنْطِينِيَّة ، حيثُ الطول خمسون درجة ، والعرضُ خمس وأربعون درجة وعشر دقائق .

ويليها من جهة الشمال بِمَيْلَةٍ إلى الشرق مدينة أسمها (كِرِي) بكاف وراء مهملة ثم باء موحدة وياء مشاة تحت في الآخر .

ويليها في الشرق مدينة أسمها (بَنْتَر) بباء موحدة ونون وتاء مشاة فوق وراء مهملة .

ويليها في الشرق والشمال بلدة أسمها (سامصري) بسين مهملة وألف ثم ميم وصاد وراء مهملتين وألف في الآخر .

ويليها في الشرق أيضا مدينة أسمها (كُتْرُو) بكاف وتاء مشاة من فوق ثم راء وواو في الآخر وهي آخر أعمال قسطنطينية .

ويليها في الشرق مدينة أسمها (كِينُولِي) بكسر الكاف وسكون المشاة التحتية وضم النون وسكون الواو وكسر اللام وياء مشاة من تحت في الآخر .

ويليها في جهة الغرب (فُرْصَة سَنُوب) المقدم ذكرها في الكلام على ما زاده في "التقيف" .

ويليها من جهة الشرق مدينة (سَامْسُون) المقدم ذكرها في الكلام على الضرب الثاني من هذه البلاد .

ويليها في جهة الشرق أيضا مدينة (أَطْرَايُون) بألف وطاء وراء مهملتين وباء موحدة بعدها زاي معجمة ثم واو ونون . وهي آخر مدن هذه البلاد على الساحل ، ومنها ينتهي إلى ساحل بلاد الكُرْج على ما تقدم الكلام عليه في الكلام على بحر نيطش .

الجملة الثانية

(في ذكر الموجود بهذه البلاد)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان الرومي : أن بها من المواشي الخيل ، والبقر ، والغنم ما لا يقع عليه عدد ولا يدخل تحت الإحصاء ، ونتاج بلادهم من الخيل هي البراذين الرومية الفائقة . وقد تقدم الكلام على القسطنطينيات منها في الكلام على قسطنطينية ؛ وتُحلب إليهم العربيات من بلاد الشام وغيرها ؛ وأكثر مواشيهم نتاجاً الغنم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مما يُسَط فرش الأرض [منها] . قال : ومنها المعز المرعزي ، ذوات الأوبار المضاهية لأنعم الحرير . ثم قال : وغالب قنية أهل الشام وديار بكر والعراق وبلاد العجم وذبايحهم مما يفضل عنها ويُحلب إليها منها ، وهي أطيب أغنام البلاد تحماً ، وأشهاها شحماً ؛ ويترتب على ذلك في كثرة الوجود الألبان وما يتحصّل عنها من السمن والجبن وغير ذلك . وبها من الحبوب القمح ، والشعير ، والباقل ونحوها ؛ ويزرع بها الكتان ، والقطن الكثير ؛ وبها من الفواكه كل ما يوجد بمصر والشام من التفاح ، والسفرجل ، والكمثرى ، والقراصيا ، والإجاص ، والرمان : الحلو والمز والحامض ، وغير ذلك . أما الحمضات فلا توجد إلا ببلاد السواحل من بلادهم على ما تقدم ذكره ؛ والموز والتخيل لا يوجد ببلادهم ؛ وبها من العسل ما يُضاهي الثلج بياضاً والسكر لذّة وطعماً ، لا حدّة فيه ولا إفراط حلاوة تُوقِف الأكل عنه ، إلى غير ذلك من الأشياء التي يطول ذكرها . وقد تقدم أن بها معدن فضة بمدينة بُرسا ، ومعدن فضة بأماسية . وذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان أن بها ثلاثة معادن فضّة مستمرة العمل : معدن بمدينة ركوة ، ومعدن بمدينة كش ، ومعدن بأراضي مدينة تانرت .

الجملة الثالثة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها، فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ حيدر العريان أن ملوك
التركيان هؤلاء نقودا ولكن لا يروج نقد واحد منهم في بلاد الآخر. قال : ودرهمهم
في الغالب تقدير نصف وربع درهم من نقد مصر، وأرطالهم مختلفة، وأكثرها
بالتقريب زنة اثني عشر رطلا بالمصري، وأقلها ثمانية أرطال، ويكلمهم الذي تباع
به الغلات يسمى الوط تقدير إردب ونصف بالمصري.

وأما أسعارها، فقد ذكر أنها رخيصة رخيصة الأسعار للغاية لقلة المكوس وكثرة
المراعى واتساع أسباب التجارة وافتقار البحر لها من كل جانب بحيث يحمل
إليها على ظهره كل شيء مما لا يوجد فيها. قال : وقيمة الغلات بها دون قيمتها بمصر
والشام أو مثلهما في الغالب. والأغنام في غاية الرخص، حتى إن الرأس الغنم الجيد
لا يجاوز اثني عشر درهما من درهمهم، يكون بنحو تسعة دراهم من دراهم مصر إلى
ما دون ذلك، ويترتب على ذلك رخص اللحم. أما اللبن وما يعمل منه فإنه لا يكاد
يوجد من يشتريه : لاستغناء كل أحد بما عنده من لبن مواشيه، لا سيما في زمن
الربيع. قال : والعسل لا يتجاوز الرطل منه ثلاثة دراهم برطلهم ودرهمهم، وهو
(ذلك الرطل الكبير والدرهم الصغير) والقواكه في أوانها في حكم اللبن وما في معناه
في زمن الربيع، في عدم وجود من يشتريه. ثم قال : وبالجملة فبلاد الروم إذا غلت
وأخضت كانت كسعر الشام إذا أقبل وأرخض.

الجملة الرابعة

(في ذكر مَنْ ملك هذه البلاد)

قد ذكر ابن سعيد : أن هذه البلاد كانت بيد اليونان ، وهم بنو يونان بن علجان ابن يافت بن نوح عليه السلام من جملة ما بيدهم قبل أن يغلب عليهم الروم ؛ ثم غلب عليها الروم بعد ذلك فيما غلبوهم عليه ، واستمرت بأيديهم في مملكة صاحب القُسطنطينية على ما سيأتي ذكره في الكلام على مملكة القُسطنطينية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وكان كُلُّ مَنْ ملك هذه البلاد التي شرقيّ الخليج القُسطنطيني يسمى (الدستق) بضم الدال المهملة وفتح الميم وسكون السين المهملة والتاء المثناة فوق وقاف في الآخر ، وله ذكر في حروب الإسلام . قال في "العبر" : وكان تُعور المسلمين حينئذ من جهة الشام (مَلَطِيَّة) ومن جهة أذربيجان (أرمينية) إلى أن دخل بعض قرابة (طغرل بك) أحد ملوك السَّلاجُوقية في عسكرٍ إلى بلاد الروم هذه فلم يظفروا منها بشيء .

ثم دخلها بعد ذلك (ماني) أحد أمراءهم بعد الثلاثين وأربعمئة ، ففتح وغنم وأنتهى في بلادهم حتى صار من القُسطنطينية على خمس عشرة مرحلة ؛ وبلغ سبيله مائة ألف رأس ، والغنائم عشرة آلاف عجلة ، والظهُر مالا يُحصى .

ثم فتح (قطامش) بن إسرائيل بن سَاجُوق قونية ، وأقصرًا ، وأعمالها ؛ ثم وقعت الفتنة بين قطامش وبين (ألب أرسلان) السَّاجُوق بعد طغرل بك ، وقُتِل قطامش في حربه في سنة ست وخمسين وأربعمئة .

وملك البلاد من بعده (أبنة سليمان) ثم كان بين سليمان ومسلم بن قريش صاحب الشام حروبٌ أنهزم سليمان في بعضها وطعن نفسه بخنجر فمات في سنة ثمان وسبعين وأربع مائة .

وملك بعده أبنة (قليج أرسلان) تلك البلاد ، ثم قُتل قليج أرسلان في بعض الوقائع .

وولي مكانه بقونية وأقصرًا وسائر بلاد الروم أبنة (مسعود) واستقام له ملكها ، ثم توفي مسعود بن قليج أرسلان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده أبنة (قليج أرسلان) .

ثم قسم قليج أرسلان المذكور هذه البلاد بين أولاده : فأعطى قونية وأعمالها لأبنة (غياث الدين كيخسرو) وأقصرًا وسيواس لأبنة (قطب الدين) ودُوفاط لأبنة (ركن الدين سليمان) وأنكورية لأبنة (محيي الدين) وملطية لأبنة (عز الدين قيصر شاه) والأبلستين لأبنة (غياث الدين) وقيسارية لأبنة (نور الدين محمود) وأعطى أماسية لأبنة أخيه . ثم ندم على هذه القسمة ، وأراد انتزاع الأعمال من أولاده فخرجوا عن طاعته إلا أبنة غياث الدين كيخسرو صاحب قونية فإنه بقي معه . وحاصر أبنة محمودا في قيسارية فتوفي وهو محاصر لها في منتصف شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

وأستقل (غياث الدين كيخسرو) بقونية وما والاها .

ثم ملكها من يده أخوه (نور الدين محمود) .

ثم ملك (قطب الدين) صاحب أقصرًا وسيواس قيسارية من يد أخيه محمود غُدرًا ، ثم مات قطب الدين في آخر ذلك .

فملك أخوه (ركن الدين سليمان) صاحب دُوقا ما كان بيد أخيه قطب الدين من سيواس وأقصرًا وقيسارية . ثم ملك قونية بعد ذلك من يد أخيه غياث الدين . ثم ملك أماسية ، ثم سار إلى ملطية ، فملكها من يد عز الدين قيصر شاه سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ثم ملك أنكورية بعد ذلك في سنة إحدى وستمائة ، وأجتمع لركن الدين سليمان سائر أعمال إخوته وتوفي عقب ذلك .

وتولى بعده ابنه (قليج أرسلان) فأقام يسيرا ثم قبض عليه أهل قونية وملكوا عمه غياث الدين كيخسرو مكانه فقوى ملكه وعظم شأنه ، وبقي حتى قُتل في حرب صاحب القسطنطينية سنة سبع وستمائة .

وملك بعده ابنه (كيكاوس) وتلقب الغالب بالله ، وبقي حتى مات سنة ست عشرة وستمائة ، وخلف بنين صغارًا .

وملك بعده أخوه (علاء الدين كيقيباد محمد شاه) وبقي حتى توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة .

وملك بعده ابنه (غياث الدين كيخسرو) وتوفي سنة أربع وخمسين وستمائة .
وملك بعده ابنه (علاء الدين كيقيباد) بعهد من أبيه . وفي أيامه أرسل القان (منكوقان بن جنكخان) صاحب التخت بقرافوم عسكرا فاستولوا على قيسارية ومسيره شهر معها ورجعوا إلى بلادهم . ثم عادوا في سنة خمس وخمسين وستمائة واستولوا على ما كانوا استولوا عليه أولاً وزادوا عليه ، فسار علاء الدين كيقيباد إلى القان بهدأياً استصحبها معه مصانعاً له ثبات في طريقه ، فوصل رفقة بهم معهم من الهدايا إلى القان ، فأخبروه الخبر ، ورغبوا إليه في ولاية (عز الدين كيكاوس) أنخى كيقيباد المذكور فكتب القان إليه بالولاية ، ثم أشرك بعد ذلك بينه وبين أخيه

(ركن الدين قليج أرسلان) على أن يكون من سيواس إلى نُحُوم القسطنطينية غربا لعز الدين كيكائوس . ومن سيواس إلى أرزن الروم شرقا متصلا ببلاد التتر ، لركن الدين قليج أرسلان ، على إتاة نُجُل إلى القان بقرأوم ، وجهاز القان من أمراءه أميراً اسمه (بيدو) على أن يكون شحنة له ببلاد الروم ، لا ينفذون في شيء إلا عن رأيه ، ورجعوا إلى بلادهم ، وقد حملوا معهم جثة كيكباد إلى قونية فدفنوه بها . ولم يزل الأمر على ذلك حتى سار هولاكو بن طولی بن جنكخان بعد استيلائه على بغداد إلى الشام في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، بعث إلى عز الدين كيكائوس ، وركن الدين قليج أرسلان المذكورين بالطلب ، فحضرأ إليه وحضرأ معه فتح حلب ، ومعهما معين الدين سليمان البرواناه صاحب دقلم ، فاخترأ هولاكو أن يكون البرواناه المذكور سفيراً بينه وبينهما ، ثم هلك بيدو الشحنة ببلاد الروم .

وولى بعده ابنه (صفغان) ثم غلب ركن الدين قليج أرسلان على أخيه (عز الدين كيكائوس) وبقي في الملك وحده ، وفر كيكائوس إلى (مبخائيل الشكري) صاحب القسطنطينية ، فأقام عنده حتى بلغه عنه ما غير خاطره عليه فقبض عليه وأعتقله حتى مات .

وأستبد ركن الدين قليج أرسلان بسائر بلاد الروم ، فغلب على أمره معين الدين سليمان البرواناه المقدم ذكره ، ولم يزل حتى قتله .

وأقام ابنه (غياث الدين كيخسرو) بن قليج أرسلان مكانه وأستولى عليه وحجره ، وصار البرواناه هو المستولى على بلاد الروم والقائم بملكها .

ثم دخل (الظاهر بيبرس) صاحب الديار المصرية إلى بلاد الروم في سنة خمس وسبعين وستمائة ، ولقيه صفغان بن بيدو الشحنة من جهة التتار على بلاد الروم

في جيش التَّسَرَّ، فهزَّمهم وقتل وأسَر، وسار إلى قيسارية فملكها وجلس على تخت آل سَلْجُوق بها، ثم رجع إلى بلاده .

وبلغ ذلك (أبغا) بن هولاكو صاحب إيران، فسار في جموعه إلى قيسارية ورأى مصارعَ قومه فشَقَّ عليه، وآتهم البرواناه في مملأة الظاهر، فقبض عليه وقتله .

وأستقلَّ (غياث الدين كيخسرو) بن ركن الدين قليج أرسلان بالملك بعده .

ثم لما وليَ (أرغون) بن أبغا مملكة إيران بعد أبيه، قبض على غياث الدين كيخسرو وقتله في سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وأقام مكانه (مسعودا) ابن عمه كيكاؤس، وعزل صفغان بن بيدو الشحنة .
وولي مكانه أميرا أسمه (أولاكو) وبقى مسعود بن كيخسرو في الملك وليس له منه سوى الأسم، والمتحدث هو الشحنة الذي من جهة التتر إلى أن مات في سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وأستقلَّ الشحنة بالمملكة . وبقى أمراء التتر يتغالبون على الشحنة واحدة بعد واحد إلى أن كان منهم الأمير (سلامش) وبقى بها مدة .
ثم انحرف عن طاعة بيت هولاكو صاحب إيران، وكتب إلى الملك المنصور لاجين صاحب الديار المصرية يطلب تقليدا بأن يكون حاكما بجميع بلاد الروم، وأن يكون (أولاد قرمان) ومن عداهم في طاعته، فكتب له تقليد ذلك بإنشاء الشيخ شهاب الدين «محمود الحلبي» على ماسياتي ذكره في الكلام على التقاليد فيما بعد إن شاء الله تعالى في المقالة الخامسة .

ثم خاف على نفسه من (غازان) صاحب إيران، ففر إلى الديار المصرية في الدولة المنصورية لاجين، ثم عاد إلى بلاد الروم لإحضار من تأخر من أهله فقبضت عليه

عساکر غازان وحملته إليه فقتله . ولم يزل أمرهم على التنقل من أمير إلى أمير من أمراء التتر إلى أن كان منهم الأمير (برغلي) وهو الذى قتل هيتوم ملك الأرمن صاحب سيس . ثم كان بعده فى سنة عشرين وسبعائة الأمير (إبشغا) .

ثم ولى أبو سعيد صاحب إيران بعد ذلك على بلاد الروم هذه (دمرداش) ابن جوبان سنة ثلاث وعشرين وسبعائة فقوى بها ملكه . ثم قتل أبو سعيد جوبان والد دمرداش المذكور ، فهرب دمرداش إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية . وكان سُنقر الأشقر أحد أمراء الملك الناصر قد هرب إلى السلطان أبى سعيد فوقع الصلح بين السلطانين على أن كلا منهما يقتل الذى عنده ففعلاً ذلك .

وكان قد بقى ببلاد الروم أمير من أمراء دمرداش اسمه (أرتنا) فبعث إلى أبى سعيد بطاعته ، فولاه البلاد فملكها ، فنزل سيواس واتخذها كرسياً لملكه ، ثم خرج عن طاعة أبى سعيد وكتب إلى الناصر «محمد بن قلاوون» صاحب الديار المصرية ، وسأله كتابة تقليد بالبلاد ، فكتب إليه بذلك وجّهت إليه الخلع ، فأقام دعوة الخطبة الناصرية على منابر البلاد الرومية ، وضرب السكة باسمه ، وجّه بعض الدراهم المضروبة إلى الديار المصرية ، وصارت بلاد الروم هذه من مضافات الديار المصرية ، ولم يزل (أرتنا) على ذلك إلى أن توفى سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .

وأستولى على الروم أولاده من بعده إلى أن كان بها (محمد بن أرتنا) فى سنة ست وستين وسبعائة ، وبقى حتى توفى فى حدود الثمانين والسبعائة وخلف أبنا صغيرا . فاستولى عليه الأمير (قليج أرسلان) أحد أمراء دولتهم وكفله .

ثم غدر به (القاضي إبراهيم) صاحب سيواس وقتله في سنة اثنتين وتسعين وسبعائة وأستولى على مملكة سيواس .

قال في "العبر" : وكان من طوائف التُّركان بلاد الروم جموعٌ كثيرة ، كانوا يستعينون بهم في حروبهم على أعدائهم ، وكان كبيرهم في المائة الرابعة أميراً من أمراءهم اسمه (جق) فلما ملك سليمان بن قطلمش المقدم ذكره قونيةً وأقصرًا بعد أبيه على ماتقدم ذكره ، خرج جق هذا مع «مسلم بن قریش» صاحب الموصِل على سليمان بن قطلمش . فلما آلتقِ الجمعان مال (جق) بمن معه من التُّركان إلى سليمان بن قطلمش ، فانهزم مسلم بن قریش وقُتِل ، وأقام أولئك التُّركان أيامَ سليمان بن قطلمش بجمال تلك البلاد وسواحلها . فلما ملك التتر هذه البلاد وصار الملك لقليج أرسلان بعد غلبة أخيه كيكائوس ، كان أمراء التُّركان يومئذ (محمد بك) وأخوه (إلياس بك) وصهره (على بك) وقرينه (سويج) فخرجوا عن طاعة قليج أرسلان وبعثوا بطاعتهم إلى هولاكو صاحب إيران وتقرير إتاوة عليهم على أن يبعث إليهم بلواء الملك على عادة الملوك ، وأن يبعث شحنةً من التتر تختص بهم ، فأجابهم إلى ذلك وقلدهم الملك وبعث إليهم بلواء . فلكوا عليهم (محمد بك) .

ثم أرسل هولاكو يطلب محمد بك ، فامتنع عليه وخالفه صهره على بك فقدم على هولاكو فقدمه على قومه مكان محمد بك . ثم جاء محمد بك إلى قليج أرسلان صاحب بلاد الروم مستأمنًا فأمنه ثم قتله ، وأستقر على بك في إمرة التُّركان .

ولما تناقص أمر التتر وضعف بلاد الروم المذكورة وأستقر بنو أرتنا بسيواس وأعمالها ، غلب هولاكو على ما وراء الدروب وما كان فتحه التتر من نواحي الشمال إلى خليج القسطنطينية^(١) .

وأشتهر من ملوكهم ست طوائف :

(١) في الأصل «ثم غلب هولاكو الخ» وهو خطأ والصواب ما أثبتناه نقلاً عن "البرج ص ٥٦٢" .

الطائفة الأولى

(أولاد قرمان)

وهم أصحاب أزمناك وقسطمونية وما والاها من شرق هذه البلاد كما تقدم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت توارثوا هذه البلاد ، ولا يخاطب قائم منهم إلا بالإمارة . قال في "التعريف" : وهم أجل من لدى ملوكنا من التتر : لقرب ديارهم ، وتواصل أخبارهم ، ولنكابتهم في ممالك سبى وأهل بلاد الأرمن ، وأجتيابهم لهم من ذلك الجانب ، مثل اجتياح عساكرنا لهم من هذا الجانب . قال : وأكبرهم قدرا ، وأفتكهم نابا وظفرا ، الأمير (بهاء الدين موسى) وحضر إلى باب السلطان وتلقى بالإجلال ؛ وأحل في متمد الظلال ، وأورد موارد الزلال ، وأرى ميامن أسعد من طلعة الهلال ؛ وجمع مع الركب المصرى وقضى المناسك ، وأسبل في ترى تلك الربا بقيسة دمه المتناسك ؛ وشكر أمراء الركب دينه المتين ، وذكروا ما فيه من حسن اليقين ، وعاد إلى الأبواب السلطانية ، وأجلس في المرتين مع أمراء المشورة ، فأشرك في الرأي وسأل السلطان في منشور يكتب له بما يفتح بسيفه من بلاد الأرمن ليقاتل بعلمه المنشور ، ويحتني من شجر المران حتى غسله المنشور ، فكتبه له .

ثم قال : وهم على ما هم عليه يدارون ملوك التتر ، وهو ومن سلف من أهل بيته مع ملوك مصر لأنغب المكاتبات بينهم ، ولا يتقطع بذل خدمته لهم ، وإقبالهم عليه ، واعتدادهم بمولاته .

قال في "مسالك الأبصار" : وهم عصابة ذات أيد ويد ، وجيوش كثيرة العدد ، وهم أصحاب الحروب التي ضعفت الحبال ؛ ولهم مع الأرمن وبلاد التكفور ، وقائع

لَا يَحْدُهَا إِلَّا الْكَفُورُ ؛ نَخْطِفُهُمْ عِقَابَهُمُ الْقَسَاحِمَ [وَتَلْتَمِمْهُمْ] ^(١) أَسُودَهُمُ الضَّرَاحِمَ .
 قَالَ : وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَحَبَّةً مِنْهُ ، وَإِذَا شَاءَ أَمِيرُهُمْ جَمَعَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا .
 ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ بِكَلَامِ طَوِيلٍ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا أَلْفَوْا بَيْنَ سَلَامِشَ وَبَيْنَ الْمَنْصُورِ
 لَاجِينَ ، وَأَنَّ هُمُ الَّذِينَ لَا يُرْتَابُ فِي رَأْيِهِمْ ، وَلَا يُطْعَنُ فِي دِينِهِمْ ، بَلْ مَهْمَا وَرَدَ
 مِنْ جَهْتِهِمْ تَلَقَّى بِالْقَبُولِ ، وَحَمَلَ عَلَى أَحْسَنِ الْحَامِلِ . ثُمَّ قَالَ : وَحِكْمِي عَمَّنْ تَرُدُّ
 إِلَيْهِمْ وَعَرَفَ مَا هُمْ عَلَيْهِ أَنَّهُمْ رِجَالٌ صِدْقٌ ، وَقَوْمٌ صَبْرٌ ، لَا تُسْتَخَفُّ لَهُمْ حَفِيزُهُ ،
 وَلَا تُرَدُّ بِحَقَّتِهَا لَهُمْ صُدُورٌ مَنِيظَةٌ ؛ وَلِهَذَا أَمْرَاءُ الرُّومِ لَا يَطْئُونَ لَهُمْ مَوْطِئًا يَغِيظُ ،
 وَلَا يُوَاطِئُونَ لَهُمْ عِدَّةَ شُهُورٍ فِي مَشَقٍّ وَلَا مَقِيزٍ ؛ وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُحْسِدُهُمْ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا مَنْ يَسْتَجِيشُ عَلَيْهِمْ بِالتَّنَارِ ، وَيَعْدُدُّ طِيْعَهُمُ عِظَامَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ ؛
 وَوَقَايَةُ اللَّهِ تَكْفِيهِمْ ، وَحَيَاطَتُهُ عَنْ عِيُونِ الْقَوْمِ تُخْفِيهِمْ ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ السُّلْطَانُ
 (مُحَمَّدُ غَازَانُ) يَقُولُ : أَنَا أَطْلُبُ الْبَاغِيَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَالْبَاغِيَ فِي ثَوْبِي ، يَرِيدُ
 أَوْلَادَ قَرْمَانَ وَتُرْكُمَانَ الرُّومِ [وَمَعَ هَذَا لَمْ يَسْلُطْ عَلَيْهِمْ] ^(٢) .

وَحَكَى عَنِ الصَّدْرِ شَمْسِ الدِّينِ عَبْدِ الْلطِيفِ أُنْحَى التَّجِيبُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا : لَوْلَا
 الْأَكْرَادُ وَأَوْلَادُ قَرْمَانَ وَتُرْكُمَانَ الرُّومِ ، دُسْتُ بِحَيْلِي مَغْرِبَ الشَّمْسِ .

الطائفة الثانية

(بنو الحميد)

وَهُمْ أَصْحَابُ أَنْطَلِيَا وَفَلَكْ بَارِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ ، وَهُمْ مِنْ عِظَاءِ مَلُوكِ التُّرْكُمَانِ .

(١) بياض بالاصل والتصحيح عن "مسالك الابصار".

(٢) الزيادة من المسالك .

الطائفة الثالثة

(بنو أيدين)

وهم أصحاب بركي وما معها، على ما تقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" وقد ذكر محمد بن أيدين صاحب بركي المذكورة : وهذا ابن أيدين ما أعرف أن له بمن حوله من ملوك الممالك الماء، ولا أن له أخباراً تردّ طروقاً ولا الماء، بل هو في عزلة من كل جانب، لا مخالطة ولا مجانب .

الطائفة الرابعة

(بنو منتشا . وهم أصحاب فولة وما معها)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن منهم أولاد دندار . ثم قال : ول هؤلاء بني دندار إلى ملوك مصر أنتماء، ولهم من تحف سلاطينها نعاء . قال : وكان بمصر منهم من له إمرة فيها ثم عاد إلى بلاده بعد مهلك تمرناش بن جوبان ، لأنه كان قد ترك بلاده لأجله ، وفترها رباً من يده لعداوة كان قد اضطربت بينهما شروها، واضطربت أمورها، فلما خلت من مجاورة تمرناش تلك البلاد، عاد . ويقال : إنه قُتل ولم يصل إلى بلاده .

الطائفة الخامسة

(بنو أورخان بن عثمان جق)

وهو صاحب برسا على ما تقدم ذكره . قال في "العبر" : وكان قد اتخذ برسا داراً للملكة ، ولكنه لم يفارق الحيام إلى القصور ، وإنما كان ينزل بخيامه في بسيطها وضواحيها ولم يزل على ذلك إلى أن مات .

وملك بعده أبنه (مراد بك) وتوغل في بلاد النصرانية فيما وراء الخليج القسطنطيني في الجانب الغربي ، وفتح بلادهم إلى أن قرب من خليج البنادقة ، وجبال جنوة ، وصير أكثرهم أمراء ورعايا له ، وعاش في بلاد الكفار بما لم يعهد قبله من مثله ؛ وأحاط بالقسطنطينية من كل جانب حتى أعطاه صاحبها الحزيرة . ولم يزل على ذلك حتى قُتل في حرب الصقالة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده أبنه (أبو يزيد) فخرى على سنن أبيه ، وغلب على قطعة من بلاد الروم هذه فيما بين سيواس وأنطاليا والعلايا ، بساحل البحر إلى قريب مدينة بنى قمران ؛ ثم تزوج في بنى قمران بنت أحدهم وغلب على ما بيده من تلك النواحي ؛ ودخل بنو قمران وسائر التركمان في طاعته ، ولم يبق خارجاً عن ملكه إلا سيواس التي كانت بيد قاضيا (إبراهيم) المتغلب عليها ومطية الداخلة في مملكة الديار المصرية ومضافاتها على ما تقدم . ولم يزل على ذلك حتى قصده ثمرلوك بعد تخريب الشام في سنة ثلاث وثمانمائة وقبض عليه ، فبقى في يده حتى مات .

وملك بعده أبنه (سليمان جلبي) وبقى حتى مات .

فلما بعده أخوه (محمد بن أبي يزيد) بن مراد بك بن عثمان جق ، وهو القائم بمملكتهما إلى الآن .

قال في "مسالك الأبصار" : ولو قد اجتمعت هذه البلاد لسلطان واحد ، وكُفَّت بها أكلُ المفاسد ؛ لما وسع ملوك الأرض إلا انتجاع سحابه ، وأرتجاع كل زمانٍ ذاهبٍ في غير جنابه ، ثم قال : الله أكبر إن ذلك لملك عظيم ، وسلك تنظيم ؛ وسلطنة كبرى ودنيا أخرى ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ .

الجملة الخامسة

(في زى أهل هذه المملكة ، وترتيب الملك بها)

أما زى أهلها فإن ليس السلطان والأمراء والجند أقيّة تربية ضيقة الأكام ،
منزلة على الأكف ، والأمراء منهم يلبسون فوق ذلك أقيّة قصار الأكام من رقيق
الخام مضربة تضرباً واسعاً ، وعلى رؤوسهم عمام من لانس متوسطة المقدار بين الكبر
والصغر ، مكورة تكويراً خاصاً ، حسن الصنعة ، متداخل بعض اللقات في بعض ،
ويلبسون خفافاً من آدم ، وقد شاهدت أميراً من أمراءهم وردّ رسولاً عن أبي يزيد
أبن مراد بك بن عثمان إلى الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية وهو على هذه
الهيئة ، وكثير من الجند يلبسون الطرايطير البيض والحر المتخذة من اللبد .



وأما ترتيب مملكتهم فلم تتحرر لي كيفية ذلك إلا أنه قد تقدّم نقلاً عن صاحب
« العبر » أنهم كانوا يسكنون الخيم ثم نزّوا المدن بعد ذلك ، فلا يبعد أن يكون
ترتيب ملكهم على نحو من ترتيب التترواللة أعلم .

القسم الثاني

(من الجهة الشمالية عن الديار المصرية ، ما بيد ملوك النصارى)

وهو ثلاثة أضرب :

الضرب الأول

(جزائر بحر الروم)

وهو البحر الشاميّ الممتد من البحر المحيط الغربيّ ، المسمى (بحر أوقيانوس) إلى
ساحل الشام وما على شمته من بلاد الأرمن الممتد ساحله الجنوبيّ على ساحل

الديار المصرية، ثم على ساحل بَرْقَة، ثم على ساحل أفرِيقِيَّة، ثم على ساحل الغرب الأوسط، ثم على ساحل الغرب الأقصى إلى البحر المحيط. وساحله الشمالي على بلاد الروم التي شرقيّ الخليج القسطنطينيّ، ثم على سواحل بلاد الروم والفرنجية من غربيّ الخليج المذكور إلى ساحل الأندلس إلى البحر المحيط، على ما تقدّم ذكره في الكلام على البحار في أوّل هذه المقالة.

وبه إحدى عشرة جزيرة:

إحداها — جزيرة (قُبْرُس) . قال في ”اللباب“ : بضم القاف وسكون الباء الموحدة وضم الراء المهملة وفي آخرها سين مهملة . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في ”الأطوال“ : حيث الطول سبع وخمسون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . وهي جزيرة في مشارق هذا البحر . قال ابن سعيد : على القُرب من ساحل الشام بينها وبين الكُرك^(١) (بضم الكاف وسكون الراء المهملة من بلاد الأرمن) نحو نصف مجرى . قال : وطولها من الغرب إلى الشرق مائتا ميل، ولها ذنب دقيق في شرقها . قال الإدريسي : ودورها مائتان وخمسون ميلا، ولصاحبها مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ماسياتي ذكره في الكلام على المكتبات، في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الثانية — (جزيرة رُودِس) . قال في ”تقويم البلدان“ : بضم الراء المهملة ثم واو ساكنة ودال مهملة ويقال معجمة مكسورة ثم سين مهملة . وموقعها في الإقليم^(٢) [الرابع] من الأقاليم السبعة قال في ”الأطوال“ : حيث الطول إحدى وخمسون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في ”تقويم البلدان“ : وهي

(١) كذا في التقويم أيضا بالكاف في الآخر ولعله بالميم .

(٢) بياض بالأصل، والصحيح عن ”تقويم البلدان“ .

على حيال الإسكندرية، بين جزيرة المصطكى وجزيرة أقريطش . قال : وأمتدادها من الشمال إلى الجنوب بانحراف نحو خمسين ميلا ، وعرضها نصف ذلك . وبين هذه الجزيرة وبين ذنب جزيرة أقريطش مجرى واحد ، وهى فى الغرب عن جزيرة قبرس بانحراف إلى الشمال . قال : وبعضها للفرنج ، وبعضها لصاحب اصطنبول (وهى القسطنطينية) ومن رُودس يُجلب العسل الطيب العديم النظير ، ولصاحبها مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالثة — (جزيرة أقريطش) . قال فى " اللباب " : بفتح الألف وسكون القاف وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وكسر الطاء وشين معجمة فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : سميت بذلك لأن أول من عمرها كان اسمه (قراطى) قال : وتسمى أيضا (أقريطش البترليش) ومعناها بالعربية مائة مدينة . وهى على سمت برقة ، وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة ، قال ابن سعيد : ومدينتها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى جزيرة عظيمة مشهورة ، وأمتدادها من الغرب إلى الشرق ودورها ثلثمائة وخمسون ميلا . وقيل : هذه الأيال إنما هى طولها شرقا بغرب لادورها ، وذكر فى "كتاب الأطوال" أن دورها سبعة عشر يوما . قال فى "تقويم البلدان" : ومنها يجلب إلى الإسكندرية العسل والجبن وغير ذلك . قال فى "الروض المعطار" : وهى جزيرة عامرة ، كثيرة الخصب ، ذات كروم وأشجار ، وبها معدن ذهب . وأكثر مواشيتها المعز ، وليس بها إبل ؛ ولم يكن بها سبع ولا ثعلب ولا غيرها من الدواب الدابة بالليل ، وكذلك ليس بها حية ، وإن دخلت إليها حية ماتت فى عامها . ويقال : إن صناعة الموسيقى أول ما ظهرت بها ، وبينها وبين ساحل برقة يوم وليلة ، وبينها وبين قبرس أربعة مجاري ،

وإليها ينسب الأتيمون الأقريطشي المستعمل في الأدوية . وكان « عبد الله بن أبي سرح » أمير مصر قد أفتتحها في زمان إمارته في خلافة « عثمان » رضى الله عنه ، وبقيت بأيدي المسلمين حتى تغلب عليها النصارى في سنة خمس وأربعين وثلاثمائة . قال في « الروض المطار » : وهي بيد صاحب القسطنطينية .

الرابعة - (جزيرة المصطكى) بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة والكاف وألف في الآخر . سميت بذلك لأنه ينبت بها شجر المصطكى . قال في « تقويم البلدان » : وهي جزيرة بالقرب من فم الخليج القسطنطيني . وقال ابن سعيد : هي داخلية في بحر الروم على مائة وخمسين ميلا من فم الخليج القسطنطيني . قال : وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ستين ميلا . قال : وهي شرقى (جزيرة التفرير) وبينهما نحو ثلاثين ميلا . قال في « تقويم البلدان » : وبها ديرة وقرى ، ومنها تجلب المصطكى إلى البلاد ، وهي صمغ شجر ينبت بها يشبه شجر الفستق الصغار ، يُسَرَط في فصل الربيع بمشاريط فتسيل منها المصطكى ، ثم تجدد على الشجر ، وربما قَطَر منه شيء على الأرض ، والأول أجود .

الخامسة - (جزيرة التفرير ^(١)) بالطاء المثناة فوق المفتوحة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحت وباء موحدة في الآخر . قال في « تقويم البلدان » : وهي من الغربية ، وموقعها في أواخر الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : وطرفها الشرقى حيث الطول ثمان وأربعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وهي جزيرة كبيرة في الغرب عن جزيرة المصطكى المقدم ذكرها ، وامتدادها من المغرب إلى المشرق بانحراف إلى

(١) سماها في تقويم البلدان « جزيرة التفرير » وذكر أن في بعض النسخ « التفرير » كما هنا .

الجنوب مائة وخمسون ميلا ، وفي العرض من عشرين ميلا إلى نحو ذلك . قال في "تقويم البلدان" : وهي معروفة بخروج الشوانى والقطائع منها .

السادسة — (جزيرة لَمْرِيَا) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام وسكون الميم وكسر الراء المهملة ثم ياء مشناة تحتية وألف في الآخر . قال : وعن بعض المسافرين أن بعد المشناة هاء . قال ابن سعيد : وتعرف في الكتب بجزيرة بلونس ، وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : ووسطها حيث الطول خمس وأربعون درجة وأثنان وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال : وهي أكبر جزائر الروم ودورها على التحقيق سبع مائة ميل ، وفيها أخوار وتعريجات ، ومديتها في وسطها .

السابعة — (جزيرة صَقْلِيَّة) . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والقاف (١) . ولام وياء مشناة من تحت وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، وبين ذنبها الغربى وبين تونس جَرَّى وستون ميلا ، ودورها خمسمائة ميل . وهي على صورة شكل مثلث حاد الزاوية : فالزاوية الأولى شمالية ، وهناك المجاز الضيق إلى الأرض الكبيرة (يعنى التى وراء الأندلس) وهو نحو ستة أميال . والزاوية الثانية جنوبية ، وهي تقابل برطرابلس من أفريقية من بلاد الغرب . والزاوية الثالثة غربية ، وهناك (بركان النار) في جزيرة صغيرة منقطعة شمالى الزاوية المذكورة ، وشمالى صَقْلِيَّة بلاد قلفرية الآتى ذكرها في الكلام على الضرب الثانى . قال في "تقويم البلدان" : وصاحب صَقْلِيَّة في زماننا هذا فرنجى من الكيتلان اسمه الريد افريك .

(١) ضبطها ياقوت بثلاث كرات وتشديد اللام والياء ثم قال وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام .

وقاعدتها مدينة (بَلَزَم) بفتح الباء الموحدة واللام وسكون الزاي المعجمة وميم في الآخر . قال ابن سعيد : وهي حيثُ الطولُ خمس وثلاثون درجةً ، والعرضُ ست وثلاثون درجةً وثلاثون دقيقة . وبها عدةُ مدُن غير هذه القاعدة .

منها مدينة (مازَر) . قال في "المشترك" : بفتح الزاي المعجمة وبعدها راء مهملة ، وإليها ينسب "الإمام المازريُّ المالكي" شارح "موطأ مالك" وغيره . ومنها (قَصْرُ يَانَّة) بلفظ قصر المعروف ، ويَانَّةُ بفتح الياء المثناة تحت وألف ونون مشددة ، وهي مدينة كبيرة على سَنِّ جبل .

الثامنة — (جزيرة سِرْدَانِيَّة) . قال في "تقويم البلدان" : بضم السين وكسر الراء وفتح الدال المهملات ثم ألف ونون مكسورة وياء مثناة تحت مفتوحة وهاء في الآخر . قال : وأسمها بالقرنيمة صِرْدَانِي ، يعني ببدال السين صادًا مهملةً وحذف الهاء من الآخر . وهي غربيّ الجزر المتقدمة الذكر . وموقعها في الإقليم الرابع بين مَرَسِيّ الحَرَز من البر الجنوبيّ وبين مملكة يَزَة من البر الشماليّ . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وثلاثون درجة ، وعرضها ثمان وعشرون درجة . قال ابن سعيد : وأمتدادها من الطول من الشمال إلى الجنوب مجزئ ونصف ، وفي غربيها مَغَاص المَرْجَان الفائق الذي ليس له نظيرٌ، وبها معدِنُ فِضَّة ، وهي الآن بيد الفَرَنْج الكَيْتَلَانِيين ، ولَمَلِك الكَيْتَلَان نائِبٌ بها .

التاسعة — (جزيرة قَرْسَقَة) بفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح السين المهملة والقاف وهاء في الآخر . وهي مقابل (جَنَوَة) الآتي ذكرها في الضرب الثاني ؛

(١) في المعجم بفتح أوله وسكون ثانيه .

وبينها وبين سَرْدَانِيَّةِ المتقدمة الذكر مجاز نحو عشرة أميال ، وامتدادها من الشمال إلى الجنوب مجرى ونصف ، ووسطها متسع ، ورأسها من جهة جَنَوَة ضيق .

العاشرة — (جزيرة أنكلطرة) بألف ونون ساكنة وكاف مفتوحة ولام مفتوحة وطاء مهملة ساكنة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . قال ابن سعيد : ويقال (أنكلترة) ببدال الطاء تاء مثناة من فوق . قال : وطول هذه الجزيرة من الجنوب إلى الشمال بانحراف قليل أربعائة وثلاثون ميلا ، وآتساعها في الوسط نحو مائتي ميل ، وفيها معدن [الذهب] ^(١) والفضة والنحاس [والقصدير] ^(١) وليس فيها كروم أشد البرد بها ، وأهلها يحملون الذهب إلى بلاد الفرنج ، ويعتاضون عنه الخمر لمدمه عندهم .

وقاعدتها (مدينة لندرس) بلام ونون ودال وراء وسين مهملات . وصاحب هذه الجزيرة يسمى (الانكتار) بنون وكاف وتاء مثناة فوقية وألف وراء مهملة في الآخر . وهو الذي عقد الهدنة بينه وبين الملك العادل « أبى بكر بن أيوب » في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، والملك العادل على عسقلان . وكان من أمره أنه لم يخلف على الهدنة بل أخذت يده وعاهدوه ، واحتج بأن الملوك لا يحلفون ، وكانت الهدنة بينهما ثلاث سنين وثلاثة أشهر ، أولها كانون الأول الموافق لحادى عشرى شعبان من السنة المذكورة .

الحادية عشرة — (جزيرة السنافر) . جمع سُنفَر وهو الجراح المعروف المقدم ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى وصفه في المقالة الأولى . وهى جزيرة على القُرب من (جزيرة أنكلترة) المقدمة الذكر ، قال ابن سعيد : وامتدادها في الطول شرقا بغرب سبعة أيام ، وفي العرض أربعة أيام . قال في "تقويم البلدان" : ومنها

(١) الزيادة عن التقويم .

ومن الجزائر التي شمالها تجلب السناقر التي هي أشرف أنواع الجوارح ، وإلى ذلك أشار في "التعريف" في الكلام على أوصاف السناقر بقوله وهي مجلوبة من البحر الشامي . قلت : وجزيرة حربة تقدم ذكرها مع بلاد أفريقية . وجزيرة ميورقة وجزيرة يانسة وجزيرة قادس تقدم ذكرها مع جزيرة الأندلس .

الضرب الثاني

(ماشمالاً بحر الروم المقدم ذكره من غربي الخليج القسطنطيني مما يمتد غرباً إلى البحر المحيط الغربي ، وما يتصل بذلك مما شمالاً بحر نيطس المعروف بحر القرم إلى أقصى الشمال ، وهو جهتان)

الجهة الأولى

(ما هو في جهة الغرب عن الخليج القسطنطيني . وهو قطران)

القطر الأول

(ما بين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندلس ، وما على سمت ذلك .

ويشتمل على ممالك كبار وممالك صغار)

فأما الممالك الكبار ، فالمشهور منها خمس ممالك :

المملكة الأولى

(مملكة القسطنطينية)

قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء الثانية وسكون المشاة من تحت ثم نون (يعني مفتوحة) ثم هاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى بوزنطيا يعني بالبلاء الموحدة والواو

والزأى المعجمة والنون والطاء المهملة ثم ياء مشناة من تحت وألف في الآخر .
وربما قالوا : بُوزَظِيَّةٌ ببدال الألف هاء . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم
السبعة قال في "رسم المعمور" : حيث الطرل ثمان وأربعون درجة ، والعرص
خمس وأربعون درجة ، وواقفه على ذلك صاحب "الأطوال" وصاحب "القانون"
وأبن سعيد : وهي قاعدة الروم بعد رومية وعمورية ، وهي المستقرة قاعدة ملك
لهم إلى الآن .

قال في "الروض المعطار" : نزل رومية من ملوك الروم عشرون ملكاً ، ثم نزل
عمورية منهم ملكان ، ثم عادت المملكة إلى رومية فترها منهم ملكان ، ثم ملك
(قُسطنطين) بن هيلاني ، فجدد بناء بُوزَظِيَّةَ وزاد في بنائها ، وسماها قُسطنطينية نسبة
إليه ونزل بها فصارت دار ملك للروم بعده إلى الآن . قال : وهي على ضفة الخليج
المنصب من بحر نيطش ومانيطش إلى بحر الروم ، وقد صار هذا الخليج مشهوراً بها .
فيقال فيه (الخليج القسطنطيني) كما تقدم . وجهاؤها الثلاث من الشرق والغرب
والجنوب إلى البحر ، والجهة الرابعة وهي الشمال إلى البر ، وقطرها من الشرق إلى
الغرب ثمانية وعشرون ميلاً ، ولها سوران من حجارة بينهما فضاء ستون ذراعاً ،
وعرض السور الداخل اثنا عشر ذراعاً ، وارتفاعه اثنا وسبعون ذراعاً ، وعرض
السور الخارج ثمانية أذرع ، وارتفاعه اثنا وأربعون ذراعاً ، وفيما بين السورين
نهر يسمى (قُسطنطينيانوس) مغطى ببلاط من نحاس ، يشتمل على اثنين وأربعين
ألف بلاطة ، طول كل بلاطة ستة وأربعون ذراعاً ، وعمق النهر اثنا وأربعون
ذراعاً . ولها نحو مائة باب أكبرها باب الذهب : وهو باب في شمالها ، طوله
أحد وعشرون ذراعاً ، وهو مضرب بالحديد ، وبه أعمدة من ذهب ، وبها قصر
في غاية الكبر والعلو ، وطريقه الذي يتوصل إليه منه يعرف بالبدندون . وهو من

عجائب الدنيا، يُعْشَى فيه بين سَطْرَيْن من صُور مفرّغة من النحاس البديع الصّناعة على صُور الآدميين وأنواع الخيل والسّباع وغير ذلك ، وفي القصر ضروب من عجائب المصنوعات .

قال في "تقويم البلدان" : وحكى لي بعض من سافر إليها أن داخلها مزدرع وبساتين ، وبها خراب كثير ، وأكثَر عمارتها في الجانب الشرقى الشّمالى ، وكنيسة مستطيّلة ، وإلى جانب الكنيسة عمود عالٍ دَوْرُهُ أَكْثَر من ثلاثة باعات ، وعلى رأسه فارسٌ وفرسٌ من نحاس ، وفي إحدى يديه حربة كبيرة ، وقد فتح أصابع يده الأخرى وهو مشير بها . قيل : إن ذلك صورة (قُسْطَنْطِين) باني المدينة . قال في العريزي : ولها أربع عشرة معاملة .

وَأَعْلَم أن هذه المملكة كانت أولاً بيد اليونان . قال البيهقي : وهم بنو يونان بن علجان ، بن يافث ، بن نوح عليه السلام . وفي التوراة أن يونان ابن يافث لصلبه ، وأسمه فيها (ياثان) بفاء تقرب من الواو . وخالف الكندي فنسبهم إلى عابر بن فالغ فجعل يونان أحاً لقحطان ، وذكر أنه خرج من اليمن بأهله وولده مغاضباً لأخيه قحطان فقتل ما بين إفرنجة والروم ، فاختلط نسبه بنسبهم . وردّ عليه أبو العباس^(١) الناشي في ذلك بقوله :

[و] تَخَاطَ يُونَانًا بِقَحْطَانَ ضِلَّةً * لَعَمْرِي لَقَدْ بَاعَدْتَ بَيْنَهُمَا جِدًّا !

(١) هو عبد الله بن محمد الناشي وأوّل الأبيات :

أبا يوسف إني نظرت فلم أجِد * على الفحص رأيا صح منك ولا عقدا
وصرت حكما عند قوم إذا أمرؤ * بلاهم جميعا لم يجد عندهم عندا
أتقرن الحادا بدين محمد * لقد جئت شيئا بأخا كندة إذا

وتخلط الخ اه من مروج الذهب (ج ١ ص ١٣٨) .

وقيل إنهم إنما نَجُّوا من رجل يقال له (الكن) وُلِدَ سنة سبع وأربعين لوفاة موسى عليه السلام .

وكانت قاعدة ملكهم الأولى (مدينة أغريقية) . وهي مدينة بناها (أغريقش) ابن يونان المتقدم ذكره على الجانب الغربى من الخليج القُسْطَنْطِينِيّ ، وهي أول مدنها ، ثم هدمها هيلوس أحد ملوكهم وبنى (مدينة مَقْدُونِيَّة) ^(١) في وسط المملكة بالجانب الغربى أيضا ونزلها فصارت منزلا لملوكهم من بعده ، وإليها ينسب ملوكهم فيقال ملوك مَقْدُونِيَّة ، وقد كان يقال للإسكندر بن فيلبس المَقْدُونِيّ نسبة إلى مَقْدُونِيَّة هذه . ومن طائفة اليونان كان معظم الحكماء الذين عنهم أُخِذَتْ علوم الفلسفة ، ومنهم بقراط وسقراط وأفلاطن وأرسطوطاليس وإقليدس وغيرهم من الحكماء .

وكان لهم عدة ملوك ، أولهم (يُونان) بن يافث بن نوح .

ثم ملك بعده ابنه (أغريقش) وهو الذى بنى مدينة أغريقية المتقدم ذكرها . وتوالى الملك فى ولده ، وقهروا اللّطِينِيّين ودال ملكهم فى أرمينية .

ثم ملك (هرقل الجبار) بن ملكان ، بن سلقوس ، بن أغريقش .

ثم ملك بعده ابنه (بلاق) وإليه تُنسب الأمة البلاقية التى هى الآن على بحر سوداق ، واتصل الملك فى عقب بلاق المذكور إلى أن ظهر عليهم إخوانهم الروم واستبدوا بالملك .

فكان أولهم (هردوس) بن مطرون ، بن روى ، بن يونان ، فملك الأئم الثلاثة ، وصار اسمه لقباً لكل من ملك بعده .

(١) قال ياقوت : بفتح أوله وثانية وضم الدال المعجمة الخ .

ثم ملك بعده أبْنُه (هرمس) وحاربه الفُرس فقهروه وضربوا عليه الإناوة .

ثم ملك بعده أبْنُه (مطرنوس) فحمل الإناوة للفرس .

ثم ملك بعده (فيلبوس) فظهر على الأعداء وهدم مدينة أغريقية ، وبني مدينة مقدونية المتقدم ذكرها ، وكان محباً في الحكمة فكثر الحكماء في دولته .

ثم ملك بعده أبْنُه (الإسكندر) فاستقام له الأمر وملك الشام ، وبيت المقدس ، والهند ، والسند ، وبلاد الصين ، والتبت ، وخراسان ، وبلاد الترك ، وذلك له سائر الملوك ، وهاداه أهل المغرب والاندلس والسودان ، وبني مدينة الإسكندرية بالديار المصرية عند مصب النيل على ساحل البحر الرومي ، وبني بالسند أيضاً مدينة سماها الإسكندرية ، ورجع إلى بابل فمات بها ، وعرض الملك على أبْنِه إسكندروس فأبى واختار الرهبانية .

ثم ملك بعده (لوغوس) من بيت الملك ، وتلقب (بطليموس) فصار ذلك علماً على كل من ملك منهم . وقيل : هو بطليموس بن لاوى صاحب عسكر الإسكندرية ، وهلك لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده أبْنُه (فلديش) فأقام ثمانيا وثلاثين سنة ، وترجمت له التوراة من العبراني إلى الرومي .

(١) ثم ملك بعده أبْنُه (أنطريطش) فأقام ستاً وعشرين سنة وهلك .

(٢) فملك بعده أخوه (قلوباظر) فأقام سبع عشرة سنة وهلك .

فملك بعده أبْنُه (أيفانث) فأقام أربعاً وعشرين سنة .

(١) في "العبرج ٢ ص ١٨٩" انطريس .

(٢) في "العبرج ٢ ص ١٨٩" قلوباذي .

وملك بعده ابنه (قلو، اظر) فأقام خمسا وثلاثين سنة . وكان مقره الإسكندرية وهلك .

فملك بعده ابنه (إبرياطش) فأقام سبعا وعشرين سنة . وعلى عهده استفحل ملك رومة، وملكوا الأندلس وأفريقية وهلك .

فملك بعده ابنه (شوطا) ^(١) فأقام سبع عشرة سنة، وهلك .

فملك بعده أخوه (الإسكندر) فأقام عشر سنين وهلك .

فملك بعده (دئونشيش) بن شوطا، فأقام ثمانيا وثلاثين سنة، وفي أيامه ملك الروم بيت المقدس وأنطاكية، وهلك .

فملك بعده بنته (كلاطرة) فأقامت سنتين، وكان سكنها الإسكندرية . وكان الملك على الروم يومئذ أغسطس قيصر ملك الروم، فقصدتها، فاحتالت بأن اتخذت حية توجد بين الحجاز والشام، فلمست الحية فيست مكانها، وبقيت الحية في رياحين حوّلها، وحضر أغسطس فوجدها جالسة ولم يشعر بموتها، فتناول من الرياحين ليشمها فاسعته الحية فمات ^(٢) . وزالت دولة اليونان بزوالها .

هكذا رتبهم (هرشيوش مؤرخ الروم) وسبب ذلك أن الروم واليونان كانوا متجاورين متلاصقين لعلاقة النسب فقد نقل ابن سعيد عن البيهقي أن الروم من ولد رومي بن يونان المتقدم ذكره . وقيل هم بنو لطين بن يونان أخى رومي المذكور، ولذلك يقال لهم اللطينيون . وقيل هم من بنى كيثم بن ياثان وهو يونان . وقيل بل هم من بنى عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

(١) في "البرج ٢ ص ١٩٠" شوطار .

(٢) في القطعة الأثرية لإصلاح على هذا الوجه [فبطل شقه ولم يمت إذ كانت الحية قد أفرغت سمها في كلاطرة قبله] .

قال صاحب حماة في تاريخه : وكان أول ظهورهم في سنة ست وتسعين وثلاثمائة
لوفاة موسى عليه السلام . قال : وهم يعرفون بنى الأصفر ، والأصفر هو رؤيم
أبن العيص . قال في "العبر" : وذلك أنه لما خرج يوسف عليه السلام من مصر
بأبيه يعقوب ليُدْفَنه بالشَّام عند الخليل عليه السلام ، أَعترضه بنو عيصو فخار بهم
وهمز مهم ، وأسر منهم صفوا بن إليفار بن عيصو ، وبعث به إلى أفريقية ، فأقام بها
وأتصل بملكها وأشتهر بالشجاعة ، ثم هرب من أفريقية إلى أسبانية ، فزوجه
وملكوه عليهم ، فأقام في الملك خمسا وخمسين سنة ، وبقي الملك في عقبه إلى أن كان
منهم ملك اسمه (رؤيمش) فبنى مدينة رومية وسكنها فعرفت به . وبالجملة فإنهم كانوا
مجاورين لهم : الروم في المغرب ، واليونان في المشرق ، ف وقعت الحرب بينهم ، وكانت
الغلبة للروم على اليونان مرة بعد أخرى إلى أن كانت غلبة أعشطش على قلوبطرا
على ما تقدم ذكره .

ثم ملوك الروم على طبقات :

الطبقة الأولى

(من ملك منهم قبل القيامة)

قال "هر وشيوش" مؤرخ الروم : وأول من ملك منهم (بيقش) بن شطونش^(١)
أبن يوب ، في آخر الألف الرابع من أول العالم على زمن تيه بنى إسرائيل .
ثم ملك بعده ابنه (بريامش) وأتصل الملك في عقب بيقش المذكور وإخوته
إلى أن كان منهم كرمش بن مرسية بن شين بن مركة ، بعد أربعة آلاف وخمسين

(١) في العبرج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

لأول العالم في زمن بار بن كلعاد من ملوك بني إسرائيل ، وهو الذي ألف حروف اللسان اللطيني ولم تكن قبله .

ثم كان منهم (أناش) من عقب بريامش بن بيقش المتقدم ذكره لأربعة آلاف ومائة وعشرين للعالم .

وفي أيامه حرب الأغريقيون مدينة طروبة المتقدم ذكرها في قواعد مملكتهم .

ثم ملك بعده أبنة (أشكانيش) وهو الذي بنى مدينة ألبا ، ثم اتصل الملك فيهم إلى أن أفرق أمرهم ؛ ثم كان من أعقابهم برقاش على عهد عزيا بن أمصيا من ملوك بني إسرائيل . واتصل الملك لأبنة ثم لحافديه روملش وراملش لأربعة آلاف وخمسمائة سنة للعالم . وهما اللذان اختطا مدينة رومية ، وكان الروم بعد روملش وراملش وأقراض عقبهم قد سئمو ولاية الملوك عليهم ، فصيروا أمرهم شورى بين سبعين وزيرا . وقال ابن العميد : كانوا يقدمون شيئا بعد شيخ ، ولم يزل أمرهم على ذلك مدة سبعمائة سنة ، تقترع الوزراء في كل سنة ، فيخرج قائد منهم إلى كل ناحية على ما توجه القرعة ؛ فيحاربون الأثم والطوائف ، ويفتحون الممالك حتى ملكوا الأندلس وأنخوا في الجلالقة ، وملكوا سمورية مدينة القوط ، وأستولوا على الشام وأرض الحجاز ، وأفتحوا بيت المقدس وأسروا ملكها ، وكانت الحرب بينهم وبين الفرس سجالا إلى أن كانت القياصرة كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

(١) في العبرج ٢ ص ١٤٦ "الفنش" .

(٢) في القاموس والمعجم سمورة أى بدون ياء فلعلها من النسخ .

الطبقة الثانية

(القياصرة قبل ظهور دين النصرانية فيهم)

قال ابن العميد: لم يزل تدير المشايخ الذين رتبهم نافذاً فيهم، إلى أن كان آحرهم أغانيوش فدبرهم أربع سنين وتسمى قيصر، وهو أول من تسمى بذلك من ملوكهم، ثم صار سمة لمن بعده . وسيأتى الكلام على معنى هذه اللفظة .

ثم ملك بعده (بواوش قيصر) ثلاث سنين .

ثم ملك بعده (أوغشطش قيصر) بن مونوخس، وهو وشيوش يسميه (أكتيان قيصر) وهو الثاني من القياصرة، وهو الذى سلب ملك كلابطرا آخر ملوك اليونان المقدم ذكرها . واستولى على مصر والإسكندرية وسائر ممالك اليونان الروم . ويقال: إنه كان آحر قواد الشيخ مدبر رومة، وإنه توجه بالعساكر لفتح الأندلس ففتحها ثم عاد إلى رومة فملكها وطرده الشيخ عنها، ووافقه الناس على ذلك؛ ثم قتل نائبه بناحية المشرق واستولى عليها لثقتى عشرة سنة من ملكه [ولثنتين وأربعين سنة من ملك أغشطش ولد المسيح بعد مولد يحيى بثلاثة أشهر وذلك] (٢) لتنام خمسة آلاف وخمسمائة سنة شمسية للعالم .

ثم ملك من بعده ابنه (طباريش قيصر) فاستولى على النواحي، وفى أيامه كان رفع المسيح عليه السلام وأقترأ الحواريين فى الآفاق لإقامة الدين وحمل الأمم على عبادة الله تعالى . ومات لثلاث وعشرين سنة من ملكه بعد أن جدّد مدينة طبرية وأشتق اسمها من اسمه .

(١) هنا انتهت القطعة الأزهرية وتوحد الأصل والله المستعان .

(٢) الزيادة من "العبرج ٢ ص ٢٠٠" ليم الكلام وفيه فى بعض أسماء الملوك مغايرة لما فى الأصل .

ثم ملك من بعده (غابيش قيصر) وهو الرابع من القياصرة . وقال هر وشيوش :
وهو أخو طباريش ، وسماه غابيش قليفة بن أكتيان . قال ابن العميد : ووقعت
في أيامه شدة على النصارى ، وقتل يعقوب أخاه يوحنا من الحواريين ، وحبس
بطرس رأسهم ، ثم وثب عليه بعض قواده فقتله .

وملك من بعده (فلوديش قيصر) وهو الخامس من القياصرة . قال هر وشيوش :
هو ابن طباريش المتقدم ذكره فيكون أخا غابيش ، وعلى عهده كتب متى الحوارى^(١)
إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ، ونقله يوحنا بن زندي إلى الرومية ، وكتب
بطرس رأس الحواريين إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم ، وهلك
فلوديش قيصر لأربع عشرة سنة من ملكه .

وملك بعده ابنه (نيرون قيصر) وهو السادس من القياصرة ، وكان غشوما فاسقا ،
فأنكر على من أخذ بدين المسيح وقتلهم ، وقتل بطرس وبولس الحواريين ،
وقتل مرقس الإنجيلي : بطرك الإسكندرية لثنتي عشرة سنة من ملكه . وفي أيامه
هدم اليهود كنيسة النصارى بالقدس ، ودفنوا خشبي الصليب بزعمهم في الزباله .
قال هر وشيوش : وقتله جماعة من قواده لأربع عشرة سنة من ملكه ، وأنقطع
ملك آل يوليوش قيصر لمائة وست عشرة سنة من أول ملكهم . قال هر وشيوش :
وكان نيرون قيصر قد وجه قائدا إلى جهة الأندلس فافتتحها وعاد إلى رومة بعد مهلك
نيرون قيصر فملكه الروم عليهم . وكان لنيرون قيصر صهر على أخته يسمى
(يشبشيان) وابن العميد يسميه (إشباشانس) وكان نيرون قيصر قد وجه لفتح
بيت المقدس ففتحه وعاد فقتل ذلك القائد الذي استولى على المملكة بعد نيرون

(٢) لعل الصواب فيكون ابن أخى غابيش .

قيصر، ومَلِك مكانه، وتسمى قيصر كمن كان قبله وأستقام له الملك، هكذا ذكره هرشيوش .

والذي ذكره ابن العميد أنه لما هلك نيرون قيصر وإشباشيانس الذي سماه هرشيوش يشبشيان [محاصر للقدس^(١)] مَلِك الروم عليهم غلياش قيصر، فأقام تسعة أشهر وكان ردىء السيرة فقتله بعض خدَمه .

ثم ملَّكوا عَوْضَه (أنون) ثلاثة أشهر، وملَّكوا (بطالس) ثمانية أشهر، وسار إليه اشباشيانس الذي يسميه هرشيوش يشبشيان فقتله ، وهلك اشباشيانس المذكور لتسع سنين من مُلكه .

وملك بعده ابنه (طيطش قيصر) لأربعمائة سنة من مُلك الإسكندر، فأقام فيهم ستين وقيل ثلاثا وقيل أربعا ، وكان حسن السيرة متفنا في العلوم .

ثم ملك بعده أخوه (دومريان قيصر) وقيل اسمه دوسطيانوس ، وقيل دوماطيانوس، فأقام خمس عشرة سنة، وقيل ست عشرة سنة، وقيل تسع سنين، وهو ابن أخت نيرون قيصر المتقدم ذكره، وكان ظلوما غاشما فحبس يوحنا الحواري، وأمر بقتل النصارى ونفيهم، وقتل اليهود من نسل داود حذار أن يملِكوا، وهلك في حرب الفرنج .

وملك بعده (نربا) ابن أخيه طيطش ، وقيل اسمه تاوداس ، وقيل قارون ، وقيل : برسطوس، فأقام نحواً من ستين أو سنة ونصفاً، فأحسن السيرة وأمر برَد مَنْ نَفَى من النصارى وخلاهم ودينهم ، ولم يكن له ولد .

(١) الزيادة من الأبرج ٢ ص ٢٠٢ يستقيم الكلام .

فَعَهْدَ بِالْمَلِكِ إِلَى (طريانس) من عطاء قواده . وقيل : اسمه أنديانوش ، وقيل
طرينوس ، فملك بعده وتسمى قيصر ، فأقام تسع عشرة سنة ، ولقى النصراني
في أيامه شدة وتبع أئمتهم بالقتل واستعبد عآمتهم . وفي زمنه كتب يوحنا إنجيله
برومة في بعض الجزائر ، وهلك طريانس المذكور تسع عشرة سنة من ولايته .

وملك بعده (أندريانوس) ^(١) فأقام إحدى وعشرين سنة ، وقيل عشرين سنة
وهو الذي بنى مدينة القدس وسماها إيليا ، وكان شديدا على النصراني وقتل منهم
خلقا كثيرا ، وأخذ الناس بعبادة الأوثان ، وألزم أهل مصر حفر خليج من النيل
إلى القلزم فخفروه وأجروا فيه ماء النيل ثم آرتدم بعد ذلك .

ولما جاء الفتح الإسلامي ألزمهم عمرو بن العاص رضى الله عنه حفره فخفروه
وجرى فيه الماء ثم آرتدم أيضا ، وبقي على ذلك مردوما إلى زماننا . ومات
أندريانوس لاحدى وعشرين سنة من ملكه .

فملك بعده أبنه (أنطونيش) وتسمى (قيصر الرحيم) فأقام اثنين وعشرين سنة ،
وقيل إحدى وعشرين سنة وهلك .

فملك بعده أخوه (أوراليانس) وقيل اسمه أورالش ، وقيل اسمه أنطونيش
الأصغر ، وأصاب الأرض في زمنه قحط ووباء عظيم ، وأصاب النصراني في أيامه
شدة عظيمة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وهلك تسع عشرة سنة من ملكه .

وملك من بعده أبنه (كودة) ويقال بالثقاف بدل الكاف ، فأقام ثلاث عشرة
سنة ، وقيل ثنتي عشرة سنة . وفي عاشرة ملكه ظهر « أردشير بن بابك » أول

(١) في الأصل إحدى عشرة والتصحيح من العبرج ٢ ص ٢٠٤ .

ملوك الساسانية من الفُرس . وفي زمنه كان «جالينوس» اليوناني المشهور بالطب ، و«بقراطس» الحكيم ، ومات كمودة المذكور .

فملك بعده (ورميتلوش قيصر) وقيل اسمه برطنوش ، وقيل اسمه فرطيوخوس ، وقيل برطانوس ، وقيل أليش بن طنچيش فأقام ثلاثة أشهر ، وقيل شهرين ، وقيل سنة ، وقتله بعض قواده .

فملك بعده (يوليانوس قيصر) فأقام شهرين ومات .

فملك بعده (سوريانوس قيصر) وقيل اسمه سورس ، وقيل طباريش ، فأقام تسع عشرة سنة ، وقيل ثمان عشرة ، وقيل ست عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل ست سنين ، واشتد على النصاري وقتل فيهم وسار إلى مصر والإسكندرية فقتلهم ، وهدم كنائسهم وشردهم في البلاد ، وهلك .

فملك من بعده (أنطونيش قيصر) وقيل أنطونيش قسطنطس لخمس وعشرين سنة وخمسمائة لعلبة الإسكندر ، فأقام ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وضعف عن مقاومة الفُرس فغلبوا على أكثر مدن الشام ونواحي أرمينية ، وهلك في حروبه . فملك بعده (مقرين قيصر) بن مركة ، وقيل اسمه مقرونيوس ، وقيل مرقيانوس ، فأقام سنة وقتله قواد رومة .

ثم ملك من بعده (أنطونيش) قبل ثلاث سنين ، وقيل أربع سنين ، وفي أول سنة من ملكه بُنيت مدينة عمّاس^(١) بأرض فلسطين من الشام وملك سابور ابن أردشير مدناً كثيرة من الشام ، ومات .

(١) وقع في العبرج ٢ ص ٢٠٦ عمان والصواب ما في الأصل لأن عمّاس هي التي من أرض فلسطين أنظر معجم ياقوت .

فملك من بعده (اسكندروس) فأقام ثلاث عشرة سنة ، وقيل عشرين سنة ، وكانت أمه نصرانية ، فكانت النصراني معه في سعة من أمرهم . قال هرودشوش : ولعشر من ملكه غزا فارس وقتل سابور بن أردشير ملك الفرس ، وثار عليه أهل رومة فقتلوه .

وملك بعده (مخشميان) بن لوجيه ، وقيل اسمه نقيموس ، فأقام ثلاث سنين ولقي النصراني منه شدة عظيمة . قال ابن العميد : وفي ثالثة ملكه مات سابور ابن أردشير ، وهو خلاف ما تقدم من كلام هرودشوش أنه قتله [اسكندروس] في العاشرة من ملكه ، وهلك .

فملك بعده (يونيوش) وقيل اسمه لوكيوش قيصر ، وقيل بلينايوس ، فأقام ثلاثة أشهر وقتل .

ثم ملك بعده (غرديانوس قيصر) وقيل اسمه فودينوس ، وقيل فرطانوس وقيل غرديان بن بلنسيان ، فأقام ست سنين ، وقيل سبع سنين ، وطالت حروبه مع الفرس ، وقتله أصحابه على نهر الفرات .

وملك بعده (فلفش قيصر) بن أوليان بن أنطونيش ، فأقام سبع سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل تسع سنين ، ودان يدين النصرانية . وهو أول من تنصر من ملوك الروم ، وقتله قائد من قواده .

وملك ذلك القائد الذي قتله مكانه ، وكان من أولاد الملوك . وأسمه داجية ابن مخشميان فأقام خمس سنين ، وقيل ستين ، وقيل سنة ، وكان يعبد الأصنام ولقي النصراني منه شدة ، قيل وفي أيامه كانت قصة أهل الكهف مع ملكهم ، وهلك .

فملك من بعده (غالش قيصر) فأقام سنتين ، وقيل ثلاث سنين ، واستتبع في قتل النصراني . وكان في أيامه وباءٌ عظيمٌ أقفرت منه المدن ، ومات .

فملك بعده (والاريانس) لسبعين وخمسمائة لعلبة الإسكندر ، وقيل اسمه غاليوش ، وقيل أقيوس وغاليوش ابنه ، وقيل أورليوس ، وقيل غليوش ، وقيل أدرياليانوس ، فأقام إحدى عشرة سنة ، وقيل خمس عشرة سنة ، وقيل أربع عشرة سنة ، وقيل خمس سنين ، وكان يعبد الأصنام فلقى النصراني منه شدة عظيمة ، ووقع في أيامه وباءٌ عظيمٌ فرفع الطلب عن النصراني بسببه . وفي أيامه خرج القوط من بلادهم وتغلبوا على بلاد مقدونية وبلاد النبط وأقتلعوها منه ، وقتله بعض قواد رومة .

وملك بعده (افلوديوش قيصر) لثمانين وخمسمائة للإسكندر ، فأقام سنة واحدة ، وقيل سنة وتسعة أشهر ، وقيل هو فلوديش بن بلاريان ولم يكن من بيت الملك وأقام سنتين ، وقيل ملك [بعده أخوه ^(١)] قتل فأقام سبعة عشر يوما ، ودفع القوط عن مقدونية وأرمينية ، وقتله بعض قواده .

ثم ملك (أوريليانس) وقيل اسمه أوراليوس ، وقيل أورينوس ، وقيل أورليوس ، وقيل أوراليان بن بلنسيان ، فأقام ست سنين ، وقيل خمس سنين ، وأشتد على النصراني وجدد بناء رومة ، وفي سادسة ملكه ولد قسطنطين ، ثم قتل .

وملك بعده (طافيش بن اليش) وقيل اسمه طافسيوس ، وقيل طافساس ، فأقام نحو سنة ، وقيل تسعة أشهر ، وقيل ستة أشهر .

ثم ملك بعده (فروفش قيصر) وقيل اسمه فرويس ، وقيل برويش ، وقيل
ولاكيوش ، وقيل ارفيون ، فأقام خمس سنين ، وقيل ست سنين ، وقيل سبع
سنين ، وقتله قواد رومة .

ثم ملك بعده (قاريوش قيصر) وقيل اسمه قوروش ، وقيل قاروش الخمسائة
وثنتين وتسعين للإسكندر في زمن سابور ذى الأكتاف : أحد ملوك الساسانية
من الفرس ، فأقام سنتين ، وقيل ثلاث سنين ، وتغلب على كثير من بلاد الفرس ،
وأشدد على النصارى وقتل منهم خلقا كثيرا وهلك في الحرب .

فملك بعده ابنه (مناريان) وقيل لوقته .

ثم ملك من بعده (ديقلاديانوس) الخمسائة وخمس وتسعين سنة للإسكندر ،
وقيل اسمه دقلطيانوس ، وقيل غرنيطا ، فأقام إحدى وعشرين سنة ، وقيل عشرين
سنة ، وقيل ثمان عشرة ، ولقى النصارى منه شدة وأمر بغلق الكنائس ، وقتل جملة
من أعيان النصارى ، وهلك .

فملك بعده ابنه (مقسيمانوس قيصر) فأقام سبع سنين ، وقيل سنة واحدة .

وكان شريكه في الملك (مفطوس) وهو أشد كفرا منه ، ولقى النصارى منهما شدة
عظيمة وقتل منهم خلقا كثيرا ، ووقع في كلام هر وشيوش ما يخالف هذا الترتيب ،
ولا حاجة بنا إلى ذكره .

الطبقة الثالثة

(القيصرية المنتصرة إلى الفتح الإسلامي)

وكانوا يدينون أولاً يدين الصابئة ، ثم دانوا بدين المجوسية ، ثم بعد ظهور
الحواريين وتسلطهم عليهم مرة بعد أخرى أخذوا بدين النصرانية . وكان أول من
أخذ منهم به قسطنطين بن قسطنش بن ولينتوش ، وكان قد خرج على مقسيانوس
قيصر : آخر القياصرة من الطبقة الثانية ، فهزمه ورجع مقسيانوس إلى رومة ، فزاد
عسكره على الجسر فغرق فيمن غرق ، ودخل قسطنطين رومة وملكها فبسط
العدل ، ورفع الجور ، وتنصر لثلاث عشرة سنة من ملكه ، وهدم بيوت الأصنام ،
وتوجهت أمه (هالانة) ^(١) إلى القدس واستخرجت خشبة الصليب بزعمهم من تحت
القمامات ، وبنت مكانها كنيسة قمامة ، وذلك لثلاثمائة وثمان وعشرين سنة من مولد
المسيح عليه السلام . وفي السنة التاسعة عشرة من ملكه كان جمع الأساقفة بنيقية .
ولما تنصر قسطنطين وخرج عن دين المجوسية ، خاف من قومه فارتحل من رومة
إلى مدينة بوزنطية فجدها وزاد فيها وسمّاها القسطنطينية باسمه ، وأقام في الملك
خمسين سنة : منها بوزنطية ست وعشرون سنة قبل غلبة مقسيانوس ، وأربع وعشرون
بعد أسبيلائه على الروم ، وهلك لستمائة وخمسين للإسكندر .

وملك بعده ابنه (قسطنطين الأصغر) بن قسطنطين ، بن قسطنش ^(٢)
فأقام أربعاً وعشرين سنة ومات .

(١) الذي في تاريخ أبي الفداء أن اسمها "هيلاني" .

(٢) لعل هذا اللفظ زائد من قلم النسخ .

فملك بعده آبن عمه (يوليائش) فأقام سنة واحدة، وقيل سنتين، فكان على غير دين النصرانية : فقتل النصاري وعزّ لهم عن الكائس وأطرحهم من الديوان، وسار لقتال الفرس فمات من سهم أصابه، وقيل ضلّ في مفازة فقتله أعداؤه .

وملك بعده (يليان) بن قسطنطين سنة واحدة وهلك .

فملك بعده (بوشانوش) فأقام سنة واحدة، وقيل إنما هو بلنسيان بن قسطنطين، وقيل واليطينوش، وأنه ملك ثلثي عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ثم هلك بالفالج .

وملك بعده أخوه (واليش) وقيل اسمه وآلاش فأقام أربع سنين، وقيل ثلاث سنين، وقيل سنتين، وقيل إنه كان شريك واليطينوش المتقدم ذكره في المُلّا، ثم خرج على واليش خارج من العرب وقُتل في حربه .

وملك بعده (اغراديانوس قيصر) وهو أخو واليش، ويقال إن ولنطيانش ويقال والنطوش بن واليش كان شريكاً له في الملك فأقام سنة واحدة، وقيل سنتين، وقيل ثلاث سنين، ومات اغراديانوس وآبن أخيه في سنة واحدة .

وملك بعدهما (تاوداسيوس) ويقال إنه طودوشوش لستائة وتسعين من مُلك الإسكندر، فأقام سبع عشرة سنة، وفي الخامسة عشرة من مُلكه ظهر أهل الكهف وأفاقوا من نومهم، فأرسل في طلبهم فوجدهم قد ماتوا فأمر أن تبنى عليهم كنيسة ويُتخذ يوم ظهورهم عيداً . وفي أيامه كان المجمع بقسطنطينية لِمائتين وخمسين سنة من [مجمع] نيقية .

ثم ملك (اركاديش) بن تاوداسيوس، فأقام ثلاث عشرة سنة، ووُلد له ولد سماه طودوشوش، فلما كبر هرب إلى مصر وترهب، وأقام في مغارة في الجبل المُقطم ومات، فبنى الملك على قبره كنيسة وديرا يسمى دير القصير، وهو دير البغل، وهلك .

فملك بعده أبنيه (طودوشيش قيصر) الأصغر، فأقام ^{ثنتين} وأربعين سنة .
وفي أيامه كان الجمع الثالث للنصارى بمدينة أفسس، وولى أخاه أنوريش على رومة
وأقسما الملك بينهما، وقيل إن أركاديش بن طودوشوش ولى أخاه أنوريش على
رومة وأقسما الملك وإنه لما هلك أركاديش استبد أخوه أنوريش قيصر بالملك
نحس عشرة سنة؛ وإنه لما هلك ملك من بعده طودوشيش المقدم ذكره .

ثم ملك (مرقان قيصر) ويقال بالكاف بدل القاف، فأقام ست سنين .
وفي أيامه كان الجمع الرابع بخلقذونية وأقسم النصارى إلى يعقوبية وملكية،
ونسطورية . وفي أيامه سكن شمعون الحنيس الصومعة بأنطاكية وترهب فيها
وهو أول من فعل ذلك من النصارى؛ ثم مات مرقان .

وملك بعده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الكبير لسبعماية وسبعين سنة من ملك
الإسكندر، وقيل اسمه ليون بن شميخية، وكان ملكاً فأقام ست عشرة سنة ومات .
وملك بعده (لاون قيصر) ويعرف بلاون الصغير، وكان يعقوبياً فأقام سنة
واحدة وهلك .

فملك بعده (زينون قيصر) وقيل اسمه سينون بالسين المهملة بدل الزاي، وكان
يعقوبياً فأقام سبع عشرة سنة وهلك .

فملك بعده (نسطاش قيصر) لثمانمائة وثلاث سنين للإسكندر، فأقام سبعاً
وعشرين سنة، وكان يعقوبياً، وسكن حماة من الشام، وأمر أن تُشاد وتُحصن
فبُنيَت في سنتين؛ وأمر بقتل كل امرأة قارئة كاتبة؛ وهلك .

(١) تقدم أن اسمه "تاوداسيوس" .

فلك بعده (يشطيانش قيصر) لثمانائة وثلاثين للإسكندر ، وكان ملكاً فأقام تسع سنين ، وقيل سبع سنين ، ويقال إنه كان معه شريك في ملكه يقال له يشطيان ، وهلك .

فلك بعده (يشطيناش قيصر) لثمانائة وأربعين للإسكندر ، وكان ملكاً وهو ابن عم يشطيانش الملك قبله ، وقيل كان شريكه فأقام أربعين سنة ، وقيل ثلاثاً وثلاثين سنة ، وأمر بأن يتخذ عيد الميلاد في الرابع والعشرين من كانون ، والفطاس في ست منه ، وكان قبل ذلك جميعاً في سادسه ، وكانت كنيسة بيت لحم بالقدس صغيرة فزاد فيها ووسّعها حتى صارت على ما هي عليه الآن . وفي أيامه كان التجمع الخامس للنصارى بالقسطنطينية ، وهلك .

فلك بعده (يوشطونش قيصر) لثمانائة وثمانين سنة للإسكندر في زمن كسرى أنوشروان فأقام ثلاث عشرة سنة ، وقيل إحدى عشرة سنة ، وهلك .

فلك بعده (طباريش قيصر) لثمانائة وثلثين وتسعين للإسكندر ، فأقام ثلاث سنين ، وقيل أربع سنين ، وهلك .

فلك بعده (موريكش قيصر) لثمانائة وخمس وتسعين للإسكندر ، فأقام عشرين سنة ، وكان حسن السيرة ، ووثب عليه بعض مماليكه فقتله .

وملك بعده (قوقاص قيصر) قريب موريكش الملك قبله ، وكان هو الذي بعث مملوكه على قتله . وفي أيامه ثار كسرى أبرويز على بلاد الروم ، وملك الشام ومصر ، فأقاما في مملكة الفرس عشر سنين ، وحاصر القسطنطينية طلباً لثار موريكش لمصاهرة كانت بينهما ، فثار الروم على قوقاص فقتلته بسبب ما جابهه إليهم من الفتنة .

وملك بعده (هَرَقل) بن أنطونيش ، وقيل هَرَقل بن هَرَقل بن أنطونيش
لستمائة وإحدى عشرة من تاريخ المسيح ، ولألف ومائة من بناء رومة ، ولستمائة
وثنتين وعشرين سنة للإسكندر ، ولأول سنة من الهجرة ، وقيل لإحدى عشرة
سنة منها ، وقيل لتسع سنين . فارتحل أبرويز عن القُسطنطينية راجعا إلى بلاده ،
وأقام هَرَقل في الملك إحدى وثلاثين سنة ونصفا ، وقيل ثنتين وثلاثين سنة ، وثار
على بلاد الفرس فخر بها في غيبة كسرى ، وضعفت مملكة الفرس بسبب ذلك ،
وآستولى هَرَقل على ما كان كسرى آستولى عليه من بلاده : وهو مصر والشام ،
وأعاد بناء ما كان تحرب من الكنائس فيهما ، وكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم
يدعوه للإسلام .

قال المسعودي ، وقيل إن مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان في أيام يوشطيانش ،
وإن ملكه كان عشرين سنة . ثم ملك (هَرَقل بن نوسطيونس) خمس عشرة سنة ،
وإليه تُنسب الدراهم الهِرَقْلِيَّة . ثم ملك بعده (مورق بن هَرَقل) . قال : والمشهور
بين الناس أن الهجرة وأيام الشيخين كان مُلك الروم لِهَرَقل . قال : وفي كتب السير
أن الهجرة كانت على عهد قيصَر بن مورق ، ثم كان بعده قيصَر بن قيصَر [أيام أبي بكر
ثم هَرَقل بن قيصَر^(١) أيام عمر ، وعليه كان الفتح وهو المخرج من الشام .

(١) الزيادة من (العبرج ٢ ص ٢٢٢) .

الطبقة الرابعة

(ملوك الروم بعد الفتح الإسلامي إلى زماننا)

قد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وهاجر هِرَقْلَ ملك الروم، وكتب إليه يدعوه إلى الإسلام. وبقي هِرَقْلُ إلى أن أفتح المسلمون الشام في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. فلما غلب المسلمون على أكثر بلاد الشام، خرج إلى الرها، ثم علا على نسي من الأرض وألقت إلى الشام وقال: "السلام عليك يا سوريا سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفاً" وسار حتى بلغ القسطنطينية فأقام بها، وأستولى المسلمون على الشام ومصر والإسكندرية وأفريقية والأندلس، وأستولوا على جزائر البحر الرومي: مثل صقلية، ودانية، وميورقة وغيرها مما كان بيد الروم. وأقام في الملك إحدى وثلاثين سنة، وهلك لإحدى وعشرين سنة من الهجرة.

وملك بعده على الروم بقسطنطينية ابنه (قسطنطين) بن هِرَقْلَ فأقام ستة أشهر وقتله بعض نساء أبيه.

وملك بعده أخوه (هِرَقْلُ) بن هِرَقْلَ، فنشأ به الروم فخلعوه وقتلوه. وملكوا عليهم (قسطينو بن قسطنطين) فأقام ست عشرة سنة. وفي أيامه غزا معاوية ابن أبي سفيان بلاد الروم وهو أمير على الشام من قبل عمر بن الخطاب في سنة أربع وعشرين من الهجرة فدوخ البلاد وفتح منها مدناً كثيرة؛ ثم أغزى عساكر المسلمين إلى قبرص في البحر في سنة سبع وعشرين، ففتح منها حصونا، وضرب الجزية على أهلها. ومات قسطينو سنة سبع وثلاثين من الهجرة.

فملك بعده آبنه (يوطيانس) فأقام اثنتي عشرة سنة ، ومات سنة ثمان وأربعين من الهجرة .

(١)

وملك بعده آبنه (لاون) فأقام ثلاث سنين ، ومات سنة خمسين من الهجرة .

فملك بعده (طيباريوس قيصر) فملك سبع سنين . وفي أيامه غزا يزيد بن معاوية القسطنطينية في عساكر المسلمين وحاصرها مدة ، ثم أفرج عنها واستشهد أبو أيوب الأنصاري في حصارها ودُفن في ساحتها ، وقُتل طيباريوس المذكور سنة ثمان وخمسين من الهجرة .

وملك بعده (أغسطس قيصر) فذبحه بعض عبيده .

وملك بعده آبنه (إصطفانيوس) في أيام عبد الملك بن مروان ثم خلع .

وملك بعده (لاون) ومات سنة ثمان وسبعين من الهجرة .

وملك بعده (طيباريوس) سبع سنين ، ومات سنة ست وثمانين من الهجرة .

وملك بعده (سطينيوس) في أيام الوليد بن عبد الملك باني الجامع الأموي بدمشق .

ثم ملك بعده (تداوس) في سنة إحدى ومائة من الهجرة ، فأقام سنة ونصفا .

ثم ملك بعده (لاون) فأقام أربعاً وعشرين سنة .

وملك بعده آبنه (قسطنطين) . وفي أيامه غزا هشام بن عبد الملك الصائفة اليسرى من بلاد الروم ، وأخوه سليمان الصائفة اليمنى في سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلقبهم قسطنطين المذكور في جموع الروم فانهزم وأخذ أسيراً ثم أطلق .

(١) كذا في العبر أيضاً إلا أنه جعله تاريخاً لوفاة يوطيانس وأسقط لاون من البين .

ثم ملك بعده رجل اسمه (جرحس) من غير بيت الملك فبقى أيام السَّاقح ،
والمنصور وأمره مضطرب ثم مات .

وملك بعده (قسطنطين) بن لاون ، وبني المَدُن وأسكنها أهل أرمينية وغيرهم ،
ثم مات .

وملك بعده ابنه (لاون) وهلك .

فملك بعده (نقفور) وهلك في خلافة الأمين بن الرشيد .

وملك بعده ابنه (استيراق قيصر) وأقام إلى خلافة المأمون . وفي أيام المأمون
غلب قسطنطين [بن قلفط^(١)] على مملكة الروم ، وطرد ابن نقفور ، هكذا رتبته ابن
العميد . وفي كلام المسعودي ما يخالفه .

قال المسعودي : ثم ملك بعد قسطنطين (نوفيل) أيام المعتصم .

ثم ملك من بعده (ميخائيل) بن نوفيل أيام الواثق ، والمتوكل ، والمتنصر ،
والمستعين .

ثم تنازع الروم وملكو عليهم (نوفيل بن ميخائيل) أيام المعتز ، والمهتدي ، وبعض
أيام المعتمد .

ثم ملك من بعده ابنه (أليون) بن نوفيل [بقية] أيام المعتمد وصَدْرًا من أيام
المعتضد .

ثم ملك من بعده (الإسكندروس) بن أليون ، فتَقَمَّوا سيرته ، فخلَعوه .

وملَّكوا عليهم أخاه [لاوى^(١)] بن أليون ، فأقام [بقية] أيام المعتضد والمكتفي ،
وصدرا من أيام المقتدر ثم هلك .

(١) الزيادة عن "العبرج ٢ ص ٢٢٩ نقلا عن المسعودي" : لثم الفائدة .

وملك أبْنَه (قسطنطين) صغيراً ، وقام بتدبير دولته أرمنوس بِطريق البحر ، وزوجه أبنته وتسمى بالدمستق ، والدمستق هو الذى يلى شرق الخليج القسطنطيني .
وأتصل ذلك أيامَ المقتدر ، والقاهر ، والراضى ، والمتقى . ثم أفترق أمرُ الروم .

ثم ظاهرُ كلام ابن الأثير أن أرمنوس المتقدم ذكره صار إليه الملك بعد قسطنطين . قال : وكان الـدمستق على عهده قوقاس فملك مَلَطِيَّة من يد المسلمين بالأمان فى سنة ثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وولى تقفور ديمستقا ، وهلك أرمنوس وترك ولدين صغيرين وكان تقفور الـدمستق غائباً ببلاد المسلمين فلما رجع اجتمع إليه زعماء الروم وقدموه لتدبير أمر الصغيرين وألبسوه الناج ، ثم دسَّت عليه^(١) أم زوجة أرمنوس أم الصغيرين ، فقتلته فى سنة ستين وثلاثمائة .

وقام أبْنُها الأكبر وهو (بسيل بن أرمنوس) بتدبير ملكه فطالت مدته ، وأقام فى الملك نيّفاً وسبعين سنة ، وهلك بسيل سنة عشر وأربعمائة .

وملك بعده أخوه (قسطنطين) فأقام تسع سنين ، ثم هلك عن ثلاث بنات .

فملك الروم عليهم الكُبرى منهم ، وقام بأمرها ابنُ خالها (أرمانوس) وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم ، ثم مالت زوجته إلى المتحكّم فى دولته ، وأسمه ميخائيل فدسّته عليه فقتله وأستولى على الأمر ، ثم أصابه الصرع ودام به .

فعُهِد لابْنِ أخت له اسمه (ميخائيل) فأحسن السيرة وطلب من زوجة خاله أن تحلّ نفسها عن الملك فأبّت فنفاها إلى بعض الجُرُر ، وأستولى على المملكة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وأنكر عليه البطرك خلّع المرأة فهم بقتله ، فنادى البطركُ

(١) لعل لفظ أم زائد ، أنظر العبر .

في النصراني بخلعه نخلعوه، واستدعى المديكة التي خلعها وأعادها إلى الملك، ونفت ميخائيل كما نفاها، ثم اتفق البطريرك والروم على خلعه خفية .

وملكوا عليهم أختها (ندورة) وسموا ميخائيل فوق الحلف بسبب ذلك، فأقرعوا بين المترشحين للملك منهم فخرجت على رجل منهم اسمه (قسطنطين) فملكوه عليهم وزوجوه بندورة الملكة في سنة أربع وثلاثين وأربعائة ، ثم توفي قسطنطين المذكور سنة ست وأربعين وأربعائة .

وملك على الروم (أرمانيوس) وذلك لأول دولة السلجوقية، وخرج لبلاد الإسلام [فزحف إليه ألب أرسلان من أذربيجان فهزمه وحصل في أسره ، ثم فاداه على مال يعطيه وأجروه عليه وعقد معه صلحا ^(١)] .

فوثب (ميخائيل) بعده على مملكة الروم . فلما انطلق من الأسر وعاد إلى قسطنطينية ، دفعه ميخائيل عن الملك ، وألتم ألب أرسلان ما انعقد عليه الصلح . وترهب أرمانيوس وترك الملك . إلى هنا انتهى كلام ابن الأثير .

ثم توالى عليها ملوك الروم واحداً بعد واحد إلى آخر المائة السادسة . وكان ملك القسطنطينية يومئذ قد تزوج أخت الفرئيس ملك القرنجة ، فولد له منها ابن ذكر .

ثم وثب بالملك أخوه فسمله وملك مكانه ، ولحق الابن بخاله الفرئيس ، فوجده قد جهز الأساطيل لارتجاع بيت المقدس وفيها ثلاثة من ملوك القرنجة وهم كيدقليس : أحد ملوكهم ، وهو أكبرهم ، ودوقس البنادقة ، والمركين مقدم الفرئيس . فأمرهم الفرئيس بالحوار على القسطنطينية ليصالحوا بين ابن أخته

(١) الزيادة عن العبرج ٢ ص ١٣١ لينضج المقام .

وبين عمه ملك الروم . فلما وصلوا إلى مرسى القسطنطينية خرج إليهم عمه وحاربهم فهزموه ودخلوا البلد ، وأجلسوا الصبي على سرير الملك ؛ وساء أمرهم في البلد ، وصادروا أهل النعم ، وأخذوا أموال الكنائس ، وثقلت وطأتهم على الروم ؛ فعمَلُوا الصبي وأخرجوهم من البلد ، وأعادوا عم الصبي إلى الملك . ثم هجم الفرنج البلد واستباحوها ثمانية أيام حتى أقفرت ، وقتلوا من بها من القسيسين والرهبان والأساقفة ، وخلصوا الصبي ، وأقترع ملوك الفرنج الثلاثة على الملك ، فخرجت الفرقة على كيد قليس كبيرهم فلكوه على القسطنطينية وما يجاورها . وجعلوا لدوقس البنادقة الجزائر البحرية : مثل أفریطش ورودس وغيرها ، وللمركين البلاد التي في شرقي الخليج : مثل أرسوا ولارتو في جوار سليمان بن قايح أرسلان ، فلم يحصل لأحد منهم شيء من ذلك إلا لمن أخذ شرقي الخليج . ثم تغلب على القسطنطينية بطريق من بطارقة الروم شهرته لشكرى واسمه (ميخائيل) فدفع عنها الفرنج وملكها وقتل الذي كان ملكا قبله ، وعقد معه الصلح الملك المنصور « قلاوون الصالح » صاحب مصر والشام ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وملك بعده ابنه (ياندر) وتلقب الدوقس ، وشهرتهم جميعا الشكرى ، وبقي بنوه في ملكها إلى الآن . ولم أقف على تفاصيل أخبارهم غير أنه لم يبق بيدهم سوى قسطنطينية وبعض أعمالها المجاورة لها . وقد استولى الفرنج على جهاتها الغربية ، واستولى المسلمون على ما هو شرقي الخليج القسطنطيني وعلى أعمال كثيرة من غربيته إلى ما يقارب خليج البنادقة على ما تقدم بيانه في الكلام على القسم الأول من هذا المقصد ، مع تسلط صاحب السراي ملك تتر الشمال من بني جنكخان عليه بالبعوث والسرايا قبل ذلك ، حتى إن « القان أزبك » صاحب هذه المملكة قرر عليه إتاوة تحمل إليه في كل سنة ليكف عنه ، كما أشار إليه في « التعريف » في الكلام على

مكتبة صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة . قال ابن سعيد : ومنتهى حكم الشكرى صاحب القسطنطينية الآن إلى إيشية . قال في "تقويم البلدان" : بالهمزة والياء المثناة التحتية والياء المثناة ونون ثم ياء مثناة تحتية ثانية وهاء في الآخر . قال ابن سعيد : وهي غربي الخليج القسطنطيني بشمال . قال ابن حوقل : وهي مدينة بها جمع النصارى بقرب البحر، وهي دار حكمة اليونان في القديم ، وبها تُحفظ علومهم ، وحكمهم .

ولصاحب القسطنطينية المستقر بها مكتبة تخصه من الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، على ما يأتي بيانه في الكلام على مكاتبات ملوك الكفر في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

المملكة الثانية

(مملكة الألمان)

قال المؤيد صاحب حِصَّة في تاريخه : وهم من أكبر أُمم النصارى ، يسكنون في غربي القُسْطَنْطِينِيَّة إلى الشمال ، وملِكهم كثيرُ الجنود . قال : وهو الذي سار إلى الشام في زمن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، فهلك قبل وصوله إلى الشام . وكان قد خرج بمائة ألف مقاتل فسلط الله عليهم الغلاء والوباء فمات أكثرهم في الطريق ، ولما وصل إلى بلاد الأرمن نزل يغتسل في نهر هناك فغرق فيه ، وبقي من عسكره قدر ألف مقاتل لا غير فعادوا إلى بلادهم . ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ .

وقاعدتهم فيما ذكر ابن سعيد (مدينة برّشان) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح السين المعجمة ثم ألف ونون في الآخر . قال : ويقال لها أيضا (برّجان) بالجم وذ كر ابن سعيد : أنه كان بها الأمة المسماة برّجان في قديم الزمان فاستولت عليهم الألمانية وأبادوهم حتى لم يبق منهم أحد ، ولم يبق لهم أثر . وهؤلاء البرّجان هم الذين كان يقاتلهم قسطنطين ورأى في منامه أعلاما عليها صلبان فتنصر .

المملكة الثالثة

(مملكة البنادقة)

وهم طائفة مشهورة من الفرنج ، وبلادهم شرق بلاد (الأندلس) الآتي ذكرهم . وقاعدة مملكتهم (البندقية) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة وسكون النون ثم دال مهملة وقاف ومثناة تحتية وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول اثنتان وثلاثون درجة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال ابن سعيد : وهي على طرف الخليج المعروف بجون البنادقة ، وقد تقدّم الكلام عليه عند ذكره في الكلام على بحر الروم . قال : وعمارتها في البحر ، وتخرق المراكب أكثرها ، تتردد بين الدور ، ومركب الإنسان على باب داره ، وليس لهم مكان يمشون فيه إلا السباط الذي فيه سوق الصّرف ، صنعوه لراحتهم إذا أرادوا التمشي ، وملّكهم من أنفسهم يقال له الدوك ، يعني بضم الدال المهملة وسكون الواو وكاف في الآخر . ودنانيرهم أفضل دنانير الفرنجة ، وقد تقدّم في الكلام على معاملة الديار المصرية في أوّل هذه المقالة أن دينارهم

يقال له (دوكات) نسبة الى الدوك الذى هو ملكهم ، وإليها يُنسب الجوخ البندقيّ .
الفائق لكل نوع من الجوخ .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه : وهى قرية من جنوة
فى البر ، وبينهما نحو ثمانية أيام . أما فى البحر فينبهما أمد بعيد أكثر من شهرين ،
وذلك أنهم يخرجون إلى بحر الروم فى جهة الشرق ثم يسرون فى بحر الروم إلى
جهة الغرب .

قال فى "تقويم البلدان" : ومن أعمال البندقية (جزائر التقربنت) بفتح النون
وسكون القاف والراء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون النون وتاء مثناة فوقية
فى الآخر . قال : وكثيرا ما يَكُن بين تلك الجزائر شوانى الحرّامية .

ثم قال : وفى شمالى هذه الجزائر مملكة (أستيب) بفتح الهمزة وسكون السين
المهملة وكسر المثناة فوقية وسكون المثناة التحتية وباء موحدة فى الآخر . وفى مملكة
أستيب هذه يعمل الأطلس المعدنى .

المملكة الرابعة

(مملكة الجنوين)

وهى طائفة من الفرنج مشهورة أيضا .

وقاعدة مملكتهم (مدينة جنوة) . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الجيم والنون
والواو ثم هاء فى الآخر . وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد :
حيث الطول إحدى وثلاثون درجة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون
دقيقة . قال : وهى على غربى جَوْن عظيم من البحر الرومى ، والبحر فيما بينها وبين

الأندلس يدخل في الشمال . وهي غربيّ (بلاد البيازنة) . قال الشريف الإدريسي :
وبها جَنَاتٌ وأودية ، وبها مَرَسِيٌّ جَيِّدٌ مَأْمُونٌ ، ومدخله من الغرب . قال
في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها في ذيل جبل عظيم ، وهي على حافة
البحر ، ومينائها عليها سُورٌ ، وأنها مدينة كبيرة إلى الغاية ، وفيها أنواع الفواكه ،
ودور أهلها عظيمة ، كلُّ دار بمنزلة قلعة ، ولذلك آغتنوا عن عمل سُور عليها ، ولها
عيون ماء ، منها شربهم وشرب بساكنيهم . قال المؤيد صاحب حماة في تاريخه :
ولها بلاد كثيرة .

المملكة الخامسة

(بلاد رومية)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وكسر الميم وفتح الياء المشناة تحت المشددة وهاء
في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا رُومَة (يعني بضم الراء وسكون
الواو وفتح الميم وهاء في الآخر) . وهي مدينة عظيمة واقعة في الإقليم الخامس من
الأقاليم السبعة قال في "القانون" : حيثُ الطولُ خمس وثلاثون درجةً وعشرون
دقيقةً ، والعرضُ أربعون درجةً وخمسون دقيقةً . قال ابن سعيد : وهي مدينة
مشهورة في جنوبيّ جَوْنِ البَادِقَةِ على جانبيّ نهرٍ يُعرف بنهر الصُّفَر .

وقد ذكر «هروشيوش» مؤرخ الروم أنها بُنيت لأربعة آلاف وخمسمائة سنة
من أول العالم ، على زمن حرقيا بن احاز رابع عشر ملوك بني إسرائيل . وذكر ابن
كريون : أنها بُنيت في زمن داود عليه السلام ، وبينهما تفاوت كثير في المدة . قال

(١) ضبطها ياقوت بخفيف الياء ونقل عن الأصمعي أنها مثل أنطاكية وأفامية إلى أن قال وهو كثير
في كلام الروم وبلادهم فانظره ج ٢ ص ٨٦٦ .

في "الروض المعطار": وهي من أعظم المدن وأحفاها . يقال : إنه كان طولها من الشمال إلى الجنوب عشرين ميلا ، وعرضها من الشرق إلى الغرب اثني عشر ميلا . وقيل : دورها أربعون ميلا ، وقطرها اثنا عشر ميلا ، وارتفاع سورها ثمانية وأربعون ذراعا . وقيل اثنا وسبعون ذراعا ، في عرض اثني عشر شبرا مبنى بالحجر ، وهي في سهل من الأرض تحيط بها الجبال على بُعد ، وبينها وبين البحر الرومي اثنا عشر ميلا ، ويُشقُّها نهر ينقسم داخلها قسمين ثم يلتقيان آخرها ، وأرضه مفروشة بالثحاس الأصفر مسافة عشرين ميلا ، وفي وسطها صحن في حجرة مرتفعة لم يظفر به عدوّ قط .

وفي داخلها كنيسة طولها ثلثمائة ذراع وارتفاعها مائتا ذراع ، لها أربعة ابواب من فضة سبكا واحدا ، مسقفة بالثحاس الأصفر المُلصق بالقصدير ، وحيطانها ملبسة بصفايح الثحاس ، وبها كنيسة أخرى بها بُرج طوله في الهواء مائة ذراع ، وعلى راس ذلك البرج قبة مبنية بالرصاص ، وعلى رأس القبة زُرُور من نحاس إذا أدرك الزيتون انحشرت إليه الزرايزر من الأقطار البعيدة ، في منقار كل زُرُور زيتونة وفي رجليه زيتونتان ، فيطرحها على ذلك البرج فيعصر ويؤخذ زيتته ، فيستصَبح به في الكنيسة جميع السنة . قال : وأهل رومية أجبن خلق الله تعالى ، ومن سنتهم أنهم لا يدفنون موتاهم ، وإنما يدخلونهم في مغائر^(١) ويتركونهم فيها فيستوي هواؤهم ويقع الدباب على الموتى ، ثم يقع على ثمارهم فيفسدها ، ولذلك هم أكثر بلاد الله تعالى طواغين ، حتى إن الطاعون يقع فيها ولا يتعداها إلى غيرها فوق عشرين ميلا ، وجميع أهلها يحلقون لحاهم ، ويزعمون أن كل من لا يحلق لحيمته

(١) لعل الصواب "منارات" أو "مغاور" فإن وزنها مفعلة لا فعالة حتى تجمع هذا الجمع ولم يبه عليها اللغويون في الشواذ .

فليس نصرانياً كاملاً ، زاعمين أن سبب ذلك أن شمعون الصفا والحواريين جاءوهم وهم قومٌ مساكينٌ ليس مع كل واحد منهم إلا عصا وجرابٌ ، فدعَوْهم إلى النصرانية فلم يُحييهم ، وأخذوهم فعدَّبُوهم وحلَّقوا رؤوسهم وحلَّاهم . فلما ظهر لهم صدقُ قولهم وأسوَّهم بأن فعلوا بأنفسهم مثل ذلك .

ولم تزل روميةُ هي القاعدةُ العظمى للروم حتى بنيت القُسطنطينية وتحوَّل إليها قُسطنطين ، وصارت قسطنطينيةُ هي دار ملك الروم على ما تقدَّم ذكره في الكلام عليها ، مع بقاء روميةَ عندهم على رفعة المحلِّ وعِظَم الشأن إلى أن غلب عليها الفرنج وأتزعواها من أيديهم ، ورفعوا منها قواعدهم وأستولوا على ما وراءها من النواحي والبلدان والجزائر : بجنوة ، والبندقية ، وأفريطش ، ورودس ، وأسترجعوا كثيراً مما كان المسلمون آستولوا عليه من بلاد الروم كغالب الأندلس . ثم حدثت الفتنُ بينهم وبين الروم بالقُسطنطينية ، وعظمت الفتنُ بينهم ودامت نحواً من مائة سنةٍ «وملك الروم بالقُسطنطينية معهم في تناقص» حتى إن رجلاً صاحب جزيرة صقلية صار يغزو القسطنطينية بأساطيله ويأخذ ما يحب في ميناها من سفن التجار وشواني المدينة ، وأتتهى أمره أن جرجا بن ميخائيل صاحب أساطيله دخل إلى مينا القسطنطينية في سنة أربع وأربعين وخمسة ورحى قصر الملك بالسَّهام ، فكان ذلك أنكى على الروم من كل نكابة . ثم ترايد الحال إلى أن آستولى الفرنج على القسطنطينية نفسها في آخر المائة السادسة ، وأوقعوا بأهلها وقتلوا وخربوا على ما تقدَّم بيانه في الكلام على ملوك القسطنطينية . وبالجملة فروميةُ اليوم من قواعد الفرنج ، وهي مقتر (بابهم) الذي هو خليفة النصارى المِلِكانيَّة وإليه مرجعهم في التحليل والتحرير .

ولهذا الباب مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، كما سيأتى ذكره فى الكلام على المكتبات فى المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

*
*
*

وأما الممالك الصغار فسبع ممالك :

الأولى

(مملكة المراء)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم والراء المهملة وألف . وهى مملكة تبتدى من الخليج القسطنطينى من الغرب على ساحل بحر الروم وتمتد مغرباً [وتشتمل على^(١) قطعة من] ساحل بحر الروم وعلى بلاد وجرال خارجة عن البحر . قال : وهذه المملكة مناصفة بين صاحب قسطنطينية وبين جنس من الفرنج يقال لهم (القيتلان) بالقاف والياء الساكنة آخر الحروف والمثناة الفوقية ولام ألف ونون ، ويقال (الكيئلان) بإبدال القاف كافاً، وهذا هو الجارى على ألسنة الناس فى النطق بهم .

الثانية

(بلاد الملفجوط)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون اللام وفتح الفاء وضم الجيم وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر . وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به ، وبلادهم من أعمال قسطنطينية على ساحل بحر الروم مما يلي مملكة المراء المقدم ذكرها من جهة الغرب فى مقابلة مشاريق برقة من البر الآخر ، على ما تقدم ذكره فى الكلام على بحر الروم فى أول هذه المقالة .

(١) الزيادة من التقويم ص ١٩٨ ليستقيم الكلام .

الثالثة

(بسلاد إقْلِرْس)

قال في "تقويم البلدان": بكسر الهمزة وسكون القاف وكسر اللام والراء المهملة وسكون النون وسين مهملة في الآخر . وهي بلاد على ساحل بحر الروم غربي بلاد المَلَفْجُوط المَقْدَم ذكراها وشرقي بلاد الباسليسة الآتي ذكرها ، وهم في مملكة الباسليسة المذكورة .

الرابعة

(مملكة بُولِيَة)

بضم الباء الموحدة وسكون الواو ولام وياء آخر الحروف وهاء . قال : ويقال لها أَبُولِيَة أيضا يعني بزيادة همزة في أولها ونون ساكنة بعدها . وهي مملكة على بحر الروم عند فَم جَوْن البنادقة من غربيّه ، في مقابل مملكة الباسليسة من برالجَوْن المذكور من الجهة الشرقية ، وبُولِيَة هذه يُعرف الزيت المعروف بالبُولِيَة . قال في "تقويم البلدان" : وملك بُولِيَة هذه في زماننا يقال له الريدشار .

الخامسة

(بلاد قَلْفَرِيَة)

قال في "تقويم البلدان" : بفتح القاف واللام وسكون الفاء وكسر الراء المهملة وفتح المشناة تحت وهاء في الآخر . قال : ويقال لها قَلْوَرِيَة أيضا بإبدال الفاء واوا . وهي من جملة بُولِيَة المقسّمة الذكر ، واقعة في غربيها وشرقيّ مملكة رُومِيَة المتقدمة الذكر ، وقد تقدّم في الكلام على بحر الروم أنه يقابلها طرابُلُس الغرب من البر الآخر .

السادسة

(بلاد التُّسْقَانِ)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة الفوقية وسكون السين المهملة وقاف وألف ونون . قال : وهم جنس من الفرنج ليس لهم ملكٌ بعينه يحكم عليهم بل لهم أكايرٌ يحكون بينهم ، ثم قال : وبتلك البلاد يكون نباتُ الزعفران ، وقد تقدّم في الكلام على البحر الرومي أنه يقابلها مدينة تُونس من البر الآخر .

السابعة

(بلاد البِيَّازِنَةِ)

بفتح الباء الموحدة والياء المثناة تحت وألفٍ ثم زاي معجمة مكسورة ونون مفتوحة وهاء في الآخر . وهم فرقة من الفرنج . وقاعدة مُلكهم (مدينة بِيَّزَة) . قال في "تقويم البلدان" : بباء موحدة مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وزاي معجمة يعنى وهاء في الآخر . قال : وقد تُبدل الزاي شينا معجمة . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال : والقياس أنها حيثُ الطولُ اثنتان وثلاثون درجةً ، والعرضُ ستُّ وأربعون درجةً وسبعٌ وعشرون دقيقةً . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أنها على الركن الشمالي من بلاد الأندلس في مقابل جزيرة سِرْدَانِيَّة المقدّمة الذكر . وهى غربى بلاد رُومِيَّة ؛ وليس لهم ملك وإنما مرجعهم إلى الباب : خليفة النصارى ؛ وإلى بِيَّزَة هذه تُنسب الفرنج البِيَّازِنَةُ والحديد البِيَّازَانِي . وقد تقدّم في الكلام على البحر الرومي أنه يقابلها من البر الآخر مرسى الخرز .

القطر الثاني

(مما غربي الخليج القسطنطيني الأرض الكبيرة)

قال صاحب حماة : وهي أرض متسعة في شمالي الأندلس ، بها أسن كثيرة مختلفة . وقد ذكر في " التعريف " أنها في شرق الأندلس ، ولا يصح ذلك إلا أن يريد منها ما هو شرق شمالي الأندلس .

ويتعلق الغرض منها بثلاث ممالك :

المملكة الأولى

(مملكة الفرنج القديمة)

وقاعدتها (مدينة فرنجية) بالفاء والراء المهملة المفتوحتين وسكون النون وفتح الجيم وهاء في الآخر، وقد تبدل الجيم منها سينا مهملة فيقال فرنسة . ويقال للملكهم ريد إفرنس ، ومعناه ملك إفرنس ، والعامة تقول الفرنسيس . وهو الذي قصد ديار مصر وأخذ دمياط وأسره المساهمون ثم أطلقوه . يشير بذلك إلى قضية تاريخية ، وهي أن الفرنج في سنة خمس عشرة وسمائة وهم مستولون على سواحل الشام يومئذ سار منهم نحو عشرين ملكاً من عكا وقصدوا دمياط في أيام الملك العادل «أبي بكر بن أيوب» رحمه الله ، وسار العادل من مصر إليهم فنزل مقابلهم ، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر ، ومات العادل في أثناء ذلك ، وآستقر بعده في الملك ابنه الملك «الكامل محمد» فوقع في عسكره اختلاف تشاغل به ، فهجم الفرنج دمياط وملكوها عنوة في سنة ست عشرة وسمائة ، وطمعوا بذلك في ملكة الديار المصرية ، فبنى الملك الكامل بلدة عند مفرق النيل : الفرقة الذاهبة إلى دمياط ، والفرقة الذاهبة إلى أشموم طنّاح ، وسمّاها (المنصورة) ونزلها بعساكره ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى

أن دخلت سنة ثمان عشرة وستائة، وقد اشتد طمع الفرنج في الديار المصرية، وتقدموا عن دمياط إلى المنصورة وضايقوا المسلمين إلى أن سألهم الملك الكامل في الصلح على أن يكون لهم القدس، وعسقلان، وطبرية، واللاذقية، وجبله، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من سواحل الشام، خلا الكرك والشوبك؛ فأبوا إلا أن يكون لهم الكرك والشوبك أيضا، وأن يعطوا مع ذلك ثلثمائة ألف دينار في نظير ما حاربوه من سور القدس؛ فأعمل المسلمون حينئذ الحيلة في إرسال قرع من النيل في إبان زيادته، حال بين الفرنج وبين دمياط، أقطع بسببه الميرة عنهم، وأشرفوا على الهلاك؛ وكان آخر أمرهم أن أعرضوا عن جميع ما كانوا سئلوا به من الاماكن المتقدمة الذكر ونزلوا عن دمياط للمسلمين، وتسلمها الملك الكامل منهم؛ ثم عاد إلى مصر وبقيت دمياط بيد المسلمين إلى أن قصدها الفرنسيس في خمسين ألف مقاتل، ومعه الأدفونش صاحب طليطلة في أيام الملك «الصلاح أيوب» بن الكامل محمد، بن العادل أبي بكر، بن أيوب في سنة سبع وأربعين وستائة، وهجم دمياط وملكها عنوة؛ وسار الملك الصالح فنزل بالمنصورة، وسار الفرنج فتلوا مقابله؛ ثم قصدوا دمياط فتبعهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف، فقتلوا منهم نحو ثلاثين ألفا، وأسروا الفرنسيس وحبس بالمنصورة بدار الصاحب «نحر الدين إبراهيم بن لقمان» صاحب ديوان الإنشاء، ووكل به الطواشي صبيح «المعظمي» ومات الصالح في أثناء ذلك، وأستقر ابنه الملك المعظم مكانه في الملك؛ ثم قتل عن قريب، وفوض الأمر إلى «شجرة الدر» زوجة الملك الصالح، وقام بتدبير الملكة معها «أيبك التركماني» ثم تسلم المسلمون دمياط من الفرنسيس وأطلقوه فسار إلى بلاده فيمن بقي معه من جماعته . وفي ذلك يقول جمال الدين يحيى بن مطروح الشاعر :

(١) قُلْ لِلرَّئِيسِ إِذَا حُتِّه * مَقَالَ صَدِيقٍ مِنْ قَوْلِ نَصُوح :
 أَتَيْتَ مِصْرًا تَبْتَغِي مُلْكَهَا * تَحْسَبُ أَنَّ الزَّمْرَ يَاطِلُ رِيحُ
 وَكُلَّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعْتَهُمْ * بِحُسْنِ تَدْيِيرِكَ بَطْنُ الضَّرِيحِ !
 خَمْسِينَ أَلْفًا لَا تَرَى مِنْهُمْ * غَيْرَ قَتِيلٍ أَوْ أُسِيرٍ جَرِيحِ !
 وَفَقَّكَ اللَّهُ لِأَمْنِهَا * لَعَلَّ عَيْسَى مِنْكُمْ يُسْتَرِيحُ
 أَحْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى * أَفْنَيْتَ عِبَادَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
 فَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا عَوْدَةً * لِأَخْذِ ثَارٍ أَوْ لِقَصْدِ صَحِيحِ !
 دَارُ «أَبْنِ ثَمَانَ» عَلَى حَالِهَا * وَالْقَيْدُ بَاقٍ، وَالطَّوْاشِي صَبِيحِ !

وقد تعرض في "التعريف" للإشارة لهذه الواقعة في الكلام على مكتبة الأدفونش صاحب طليطلة من الأندلس، وأقتصر من هذه الأبيات على الأول والأخير فقط.

المملكة الثانية

(مملكة الخلافة)

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : وهم أمة كالبهايم ، يغلب عليهم الجهل والحقاء . ومن زعيمهم أنهم لا يفضلون ثيابهم ، بل يتركونها عليهم إلى أن تتلى ، ويدخل أحدكم دار الآخر بغير إذن . قال : وهم أشد من القرنج ، ولهم بلاد كثيرة شمالي الأندلس ، ونسبتهم إلى مدينة لهم قديمة تسمى جليقية . قال في "الباب" : بكسر الجيم واللام المشددة وبعدها ياء آخر الحروف وقاف . قال في "تقويم البلدان" : [ثم ياء ثانية^(٢)] وهاء .

(١) في تاريخ أبي الفداء وخطط المقرئ "قول نصيح وفي ابن عباس فصيح" .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان .

وقاعدتها (مدينة سُمُورَة) بسين مهملة وميم مشددة مضمومة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر . وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : حيث الطول عشر درج ، والعرض ست وأربعون درجة . قال في ” اللباب “ : وهى من بلاد الروم المتاخمة للأندلس ؛ وكأنه يريد أنها كانت للروم أولا . قال في ” تقويم البلدان “ : وعن بعضهم أنها مدينة جليلة عظيمة عندهم . قال ابن سعيد : وهى قاعدة جليقية ، أكبر مدن الفش ، فى جزيرة بين فرعين من نهر يعرف بها . قال : وكان المسلمون قد ملكوها ثم أسترجعها الجلائقة زمن الفتنة ، ونهرها يصب فى البحر المحيط الغربى حيث الطول خمس درج وثلاثون دقيقة من الجزائر الخالدات ، والعرض ست وأربعون درجة .

المملكة الثالثة

(مملكة اللنبردية)

قال فى ” تقويم البلدان “ : باللام المشددة المضمومة والنون الساكنة والياء الموحدة المفتوحة والراء المهملة الساكنة والداال المهملة والياء المثناة التحتية والهاء . قال : ويقال لها النوبردية ، والأنبردية . وموقعها فى أول الإقليم السادس من الأقاليم السبعة قال ابن سعيد : حيث الطول ثلاثون درجة وسبع وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال فى ” تقويم البلدان “ : وهى ناحية من الأرض الكبيرة ، وبلادها تحيط بها جبال إلى حد جنوة . قال : وملكها فى زماننا صاحب القسطنطينية ، ورثها من خاله المراكيش .

ثم قال : وغربي هذه البلاد (الريدراقون) بكسر الراء المهملة وسكون المشنة التحتية ثم دال مهملة وراء مهملة ^(١) [وألف] وقاف مضمومة وواو ونون في الآخر . ومعناه ملك راقون ، وقد تبدل القاف غينا معجمة . فيقال ريدراغون وهو الموجود في مكاتبات أهل الأندلس وهذهم .

الجهة الثانية

(مائمالى مدينة القسطنطينية وبحر نيطش وما نيطش إلى نهاية المعمور في الشمال)
ويشتمل على عدة ممالك وبلاد :

منها (بلاد الحركس) : قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه :
وهم على بحر نيطش من شريقه ، وهم في شطيف من العيش . قال : والغالب عليهم دين النصرانية .

قلت : وقد جلب منهم « الظاهر برقوق » صاحب الديار المصرية من الممالك أيام سلطنته ما يربو على العدد حتى صار منهم معظم جند الديار المصرية ، وصار بهم جمال مواكبا ، والمملك باق فيهم بالديار المصرية إلى الآن .

ومنها (بلاد الآص) ^(٢) : بفتح الهمزة الأولى والثانية وصاد مهملة في الآخر . وهم طائفة ، وبلادهم على بحر نيطش .

وقاعدتهم (مدينة قرقر) . قال في « تقويم البلدان » : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية وكسر الراء المهملة في الآخر . وموقعها في الشمال

(١) الزيادة من التقويم .

(٢) تقدم له ضبطه بمد الهمزة وبالصاد وهو الصواب .

عن الإقليم السابع أو في آخره . قال : والقياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمسون درجة . وهى قلعة عاصية منيعة فى جبل لا يقدر أحد على الطلوع إليه ، وفى وسط الجبل وطاءة تسع ^(١) [أهل] تلك البلاد ؛ وعندها جبل عظيم شاهق يقال له (جاطر طاغ) يظهر لأهل السفن من بحر القرم . وهى فى شمالى صارى كرمان على نحو يوم منها .

ومنها (بلاد البرغال) بضم الموحدة وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وألف ثم لام فى الآخر . ويقال لهم أولائق أيضا بقاف فى الآخر .

وقاعدتهم (مدينة طرنو) . قال فى " تقويم البلدان " : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والنون المفتوحة وواو فى الآخر . وموقعها فى الإقليم السابع . قال : والقياس أنها حيث الطول ست وأربعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمسون درجة . وهى غربى صقجى على ثلاثة أيام وأهلها كفار . قال بعض المسافرين وهى على خور البرغال .

ومنها (بلاد البلغار والسرب) . وهما طائفتان على بحر نيطش .

فأما البلغار فبضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الغين المعجمة وألف ثم راء مهملة . قال المؤيد صاحب حماة فى تاريخه : وهم منسوبون إلى المدينة التى يسكنونها . وقد سماها فى كتابه " تقويم البلدان " بلار بضم الباء وفتح اللام وألف وراء مهملة فى الآخر . ثم قال : ويقال لها بالعربية (بلغار) .

وأما السرب فبفتح السين وسكون الراء المهملتين وباء موحدة فى الآخر . وهم فى مملكة صاحب البلغار . وقاعدة ملكهم مدينة بلغار المذكورة ، وموقعها فى الشمال

(١) بياض بالاصول والتصحيح عن تقويم البلدان .

عن الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيثُ الطول ثمانون درجة ، والعرضُ خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي بلدة في نهاية العجارة الشمالية قريبةً من شطِ إئيل من الجانب الشمالي الشرقي ، وهي وصراى في بر واحد ، وبينهما فوق عشرين مرحلةً ، وهي في وطاءة ، والجبل عنها أقل من يوم ، وبها ثلاثُ حمّامات ، ولا يكون بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه من العنب وغيره لشدة بردها ، وبها الفُجل الأسود في غاية الكبر . قال المؤيد صاحبُ حماة : وحكى لي بعض أهلها أنّ في أوّل فصل الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليّلاً في غاية القصر . ثم قال : وهذا الذي حكاه صحيحٌ موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى [عدم ^(١)] غيبوبة الشفق في أوّل فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصَحَّ ذلك على كل تقدير .

وقد حكى في "مسالك الأبصار" عن حسن الرومي عن مسعود الموقت بها : أنّ أقصر ليّليها أربع ساعات ونصف تحريراً ، وأنهم جربوه بالآلات الرصدية فوجدوه كذلك . قال صاحب حماة في تاريخه : وكان الغالبُ عليهم النصرانية ثم أسلم منهم جماعة . وذكر في "تقويم البلدان" : أنّ أهلها مسلمون حنيفة . وذكر المسعودي في "مروج الذهب" : أنّه كان بالسَّرب والبُلغار دأراً إسلام من قديم . قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقد تبدلت بآيمانها كُفراً ، وتداولها طائفة من عبّاد الصليب ، ووصلت منهم رُسُلٌ إلى صاحب مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة بكتاب من صاحب السَّرب والبُلغار ، يعرضُ نفسه على مودّته ويسأله سيفاً يتقلّده ، وسنَجَقاً يقهر أعداءه به ، فأكرم رُسولَه ، وأحسن نُزْلَه ، وجَهَّزَه معه خِلعَةً كاملة :

(١) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .

طَرَدَ وَحَشَ بَقَصَبٍ بِسِنَجَابٍ مُقَدَّسٍ ، عَلَى مَفَرَّجِ إِسْكَندَرِي ، وَكَلُوتِهِ زَرْكَشَ ،
وَشَاشَ بِطَرَفَيْنِ رَقْمَ ، وَمِنْطَقَةَ ذَهَبَ ، وَكَلَالِيْبَ كَذَلِكَ ، وَسَيْفَ مُحَلَّى ، وَسَنْجَقَ
سُلْطَانِيٍّ أَصْفَرَ مُدْهَبَ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَجَهْزَلُهُ أَيْضًا الْخَيْلَ الْمُسَرَّجَةَ الْمَلْجَمَةَ .
وَرَبَّمَا أَنَّهُ يُظْهِرُ لِصَاحِبِ السَّرَايِ الْإِنْتِقَادَ وَالطَّاعَةَ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" :
وَذَلِكَ لِعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَهُ بِخَنَاقِهِمْ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُ .

ولصاحب السَّربِ والبُلغارِ مكتبة تخصه عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .
ومنها (بِلَادُ أَفْتَكُونِ) بِأَلْفِ وَفَاءٍ وَتَاءٍ مِثْلَةَ ثَمَّ كَافٍ وَوَاوٍ وَنُونٍ . وَهِيَ بِلَادُ
تَلِي بِلَادِ الْبُلْغَارِ فِي جِهَةِ الشَّامِ .

وقاعدتهم مدينة تسمى (قَصَبَةُ أَفْتَكُونِ) . وَالْقَصَبَةُ فِي مَصْطَلَحِهِمُ الْمَدِينَةُ الصَّغِيرَةُ .
قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبُلْغَارِ مَسَافَةٌ عَشْرِينَ يَوْمًا بِالسَّيْرِ الْمُعْتَادِ .
وَحَكِيَ عَنْ مَسْعُودِ الْمَوْقُتِ بِالْبُلْغَارِ أَنَّهُ حَرَّرَ لَيْلَهَا فَوَجَدَ أَقْصَرَ لَيْلَهَا ثَلَاثَ سَاعَاتٍ
وَنِصْفَ ، أَقْصَرَ مِنْ لَيْلِ الْبُلْغَارِ بِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ .

ومنها (بِلَادُ الصَّعَالِيَّةِ) بَفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ وَالْقَافِ وَأَلْفِ وَكسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْبَاءِ
الْمُوَحَّدَةِ وَهَاءٍ فِي الْآخِرِ . وَيُقَالُ لِبَعْضِ بِلَادِهَا بِلَادُ سَبْرَاوِيرَ . وَهِيَ تَلِي بِلَادَ أَفْتَكُونِ
فِي جِهَةِ الشَّامِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَهِيَ بِلَادٌ شَدِيدَةُ الْبَرْدِ ، لَا يَفَارِقُهَا
التَّلَاجُ مَدَّةَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَى جِبَالِهِمْ وَيُبَوِّتُهُمْ ، وَلِهَذَا تَقِلُّ الْمَوَاشِي عَنْهُمْ .
وَحَكِيَ عَنْ الْفَاضِلِ شِجَاعِ الدِّينِ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْخَوَارِزْمِيَّ التَّرْجَمَانُ أَنَّ مِنْهَا يُحَلَبُ
السَّمُورُ وَالسَّنَجَابُ . ثُمَّ قَالَ : وَلَيْسَ بَعْدَهُمْ فِي الْعِبَارَةِ شَيْءٌ . وَذَكَرَ أَنَّهُ جَاءَ جَدُّهُ
قُتَيْبًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِهَا يَسْأَلُ فِيهَا كَيْفَ تَكُونُ صَلَاةُ أَهْلِ بِلَادِهِ لَا يَغِيبُ عَنْهُمْ الشَّفَقُ

حتى يطلع الصبح ؟ لسرعة انقضاء الليل وهذا ظاهر في أن هذه البلاد مسلمون أو فيهم المسلمون .

ومنها (بلاد جُولْمَان) بجيم وواو ولام ثم ميم وألف ونون . وهي تلي بلاد سبراوير المقدمة الذكر في جهة الشمال . وهي على مثل حال بلاد سبراوير في شدة البرد وكثرة الثلج وأشد من ذلك . قال في "مسالك الأبصار" قال حسن الرومي : وهؤلاء هم سُكَّان قلب الشَّمال ، والواصل إليهم من الناس قليل ، والأقوات عندهم قليلة حتى يحكى عنهم أن الإنسان منهم يجمع عظام أي حيوان كان ، ثم يغلي عليه بقدر كفايته ثم يتركها ، وبعد سماع مرات لا يبقى فيها شيء من الودك . قال : وهم مع ضيق العيش ليس في اجناس الرقيق أنعم من أجسامهم ، ولا أحسن من بياضهم ؛ وصورتهم تامة الخلقة في حسن وبياض ونعومة عجبية ، ولكنهم زُرُقُ العيون . وإذا سافر المسافر من جُولْمَان إلى جهة الشرق ، وصل إلى مدينة قَرَأُوم قاعدة القان الكبير القديمة . قال : وهي من بلاد الصين ، وإذا سافر منها إلى جهة الغرب وصل إلى بلاد الرُّوس ، ثم إلى بلاد الفَرَنْج .

ومنها (بلادُ الرُّوس) بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بلادٌ واغلة في الشَّمال ، في غربي بلاد جُولْمَان المقدمة الذكر . قال صاحب حماة في تاريخه : ولهم جزائر أيضا في بحر نيطش .

ومنها (بلادُ الباشقرد) . قال صاحب حماة في تاريخه : وهم أمة كبيرة ما بين بلاد الباب وبلاد فرَنْجَة . قال : وغالبهم نصارى وفيهم مسلمون ، وهم شِرْسُو الأخلاق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مُصَاقِبَة لبلاد جُولْمَان . ثم قال : وفي باشقرد قاض مسلمٌ معتبر .

ومنها (بلاد البرجان) بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وألف ونون، وقد تبدل الجيم شينا . قال صاحب حماة في تاريخه : وهم أمم كثيرة طاغية قد فشا فيهم التثليث . قال : وبلادهم واغلة في الشمال ، وأخبارهم وسير ملوكهم منقطعة عنا لبعدهم وجفاء طباعهم . وقد تقدم أن البرجان غلب على مكاثرهم الألبانية ، فيحتمل أنهم هؤلاء ، ويحتمل أنهم طائفة أخرى منهم غير هؤلاء .

ومنها (بلاد بَمَخ) بباء موحدة وميم ثم خاء معجمة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بلاد مشتركة بين بلاد الروس والفرنج .

ومنها (بلاد بُوغَزَة) بباء موحدة ثم واو وغين وزاى ثم هاء في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : قال الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي : وهي بلاد في أقصى الشمال ، وليس بعدها عمارة غير بُرج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية ، ليس وراءه مذهب إلا الظلمات ؛ وهي صحار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد ، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان أصلا ، متصلة ببحر أسود لا يزال يُمطر والغيم منعقد عليه ، ولا تطلع عليه الشمس أبدا . قال ابن النعمان : ويقال إن الإسكندر مرَّ بأطراف أوائل جبال الظلمات الغربية من العارة فرأى فيه أناسا من جنس الترك أشبه شيء بالوحوش لا يعرف أحد بلغتهم ، وإذا أمسكهم أحد فروا من يده ، يأكون من نبات الجبال المجاورة لهم فإذا ألقوا أكل بعضهم بعضا ، فتر بهم ولم يعتزهم .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان أن التجار المترددين إلى بلاد الديار المصرية لا يتعدون في سفرهم بلاد البلغار ، ثم يرجعون من هنالك ؛ ثم تجار بلغار يسافرون منها إلى بلاد جُولمان ، وتجار جُولمان

يسافرون إلى بلاد بُوغْزَة التي ليس بعدها عمارة . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن شمالي بلاد الروس مما هو متصل بالبحر المحيط الشمالي قوماً يبيعون مغايبة . وذكر عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنه إذا وصل التجار إلى ثُومهم ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى مكانٍ معروفٍ عندهم بالبيع والشراء ، فيضع كل تاجر بضاعته ، ويعلمها بعلامة ، ثم يرجعون إلى منازلهم ، ثم يحضر أولئك القوم ويضعون مقابل تلك البضائع السمور ، والوشق ، والثعلب ، وما شاكل ذلك ، ويدعونهم ويمضون ، ثم يحضر التجار من الغد فن أعجبه ذلك أخذه وإلا تركه ، حتى يتفصلوا على الرضا . وقد تقدم ذكر مثل ذلك عن قوم بالهند وعن قوم ببلاد السودان في الكلام على مملكة مالي .

قلت : وقد تقدم في الكلام على مملكة خوارزم والقبيحاق من مملكة التورانيين في القسم الثاني منها أن الجركس والروس والآص أهل مدن عامرة أهلة ، وجبال مشجرة مثمرة ، ينبت عندهم الزرع ، ويدبر الضرع ، وتجري الأنهار ، وتجنّي الثمار ، ولا طاقة لهم بسلطان تلك البلاد . وإن كان فيهم ملوك فهم كالرعايا لصاحب السراي إن داروه بالطاعة والتخف والطرف كف عنهم وإلا شن عليهم الغارات وضايقتهم وحاصروهم .

المقالة الثالثة

(في ذكر أمورٍ تشترك فيها أنواعُ المكاتبات ، والولايات ، وغيرهما من الأسماء ، والكنى ، والألقاب ، ومقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام ، ومقادير البياض في أول الدرج وحاشيته ، ومقدار بُعد ما بين السطور في الكتابات ، وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء بهذه المملكة : من مكاتبات ، وولايات ، وكتابة المخلصات ، وكيفية تعيين صاحب الديوان لها ، وبيان القوائم ، والحواتم . وفيه أربعة أبواب) .

الباب الأول

(في الأسماء والكنى والألقاب ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في الأسماء والكنى ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في الأسماء)

والأسم عند النحاة ما دلَّ على مسمى دلالة إشارة ، واشتقاقه من السمة وهي العلامة لأنه يصير علامة على المسمى يميزه عن غيره ؛ أو من السمو لأن الاسم يعالو المسمى باعتبار وضعه عليه .

ثم المراد هنا بالاسم أحد أقسام العلم : وهو ما ليس بكنية ولا لقب ؛ وفيه جملتان :

الجملة الأولى

(في أصل التسمية والمقصود منها ، وتنويع الأسماء ،
وما يُستحسن منها ، وما يُستقبح)

أما أصل التسمية فهي لا تخرج عن أمرين :

أحدهما أن يكون الاسم مُرتجلاً : بأن يضعه الواضعُ على المسمى ابتداءً ، كأدَد اسم رجل ، وسُعَادَ اسم امرأة ، فإنهما ليسا بمسبوقين بالوضع على غيرهما . والرجوع في معرفة ذلك إلى النقل والاستقراء .

والثاني أن يكون الاسم منقولاً عن معنى آخر ، كاسدٍ إذا سُمِّي به الرجل نقلاً عن الحيوان المفترس ، وزيدٍ إذا سُمِّي به نقلاً عن معنى الزيادة وما أشبه ذلك . وهذا هو أكثر الأسماء الأعلام وقوعاً ، والرجوع في معرفته إلى النقل والاستقراء أيضاً كما تقدم في المرتجل .



وأما المقصود من التسمية ، فتمييز المسمى عن غيره بالاسم الموضوع عليه ليتعرف .



وأما تنويع الأسماء ، فيختلف باختلاف المسمين وما يدور في خرائن خيالهم مما يألّفونه ويحاورونه ويخالطونه .

فالعرب - أكثر أسمائهم منقولةً عما لديهم مما يدور في خرائن خيالهم إما من أسماء الحيوان كَبَكْر : وهو ولدُ الناقة ، وأَسَد : وهو الحيوان المفترس المعروف ، وإما من

أَسْمَاءُ النَّبَاتِ كَحَنْظَلَةٌ : وهو أَسْمُ لَوَاحِدَةِ الْحَنْظَلِ الَّذِي هُوَ النَّبَاتُ الْمَعْرُوفُ مِنْ نَبَاتِ
الْبَادِيَةِ ، وَطَلْحَةٌ : وهو أَسْمُ لَشَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ الْغَضِي ، وَعَوْسَجَةٌ : وهو أَسْمُ لَشَجَرَةٍ
مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ . وإِما مِنْ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ كَحَزَنٌ : وهو الْغَلِيظُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَصَخْرٌ :
وهو الصَّخْرَةُ مِنَ الْحِجَارَةِ . وإِما مِنْ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ كَرَبِيعٌ : وهو أَحَدُ فُصُولِ السَّنَةِ
الْأَرْبَعَةِ . وإِما مِنْ أَسْمَاءِ النُّجُومِ كَسِيَاكُ : أَسْمُ لِنَجْمٍ مَعْرُوفٍ . وإِما مِنْ أَسْمَاءِ
الْفَاعِلِينَ : كَحَارِثٍ فَاعِلٍ مِنَ الْحَرْثِ ، وَهَمَّامٍ فَاعِلٍ مِنْ هَمٍّ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْمَقُولَاتِ الَّتِي لَا تُحْصَى .

وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْأَنْبَاءِ مِنْ الْأَسْمَاءِ مَا فِيهِ الْبَأْسُ وَالشَّدَّةُ وَنَحْوُ ذَلِكَ :
كَمُحَارِبٍ ، وَمُقَاتِلٍ ، وَمُزَاحِمٍ ، وَمُدَافِعٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ ؛ وَلِمَوَالِيهِمْ مَا فِيهِ مَعْنَى التَّفَاؤُلِ :
كَفَلَاحٍ ، وَنَجَاحٍ ، وَسَالِمٍ ، وَمُبَارَكٍ ، وَمَا أَشْبَهَهَا ؛ وَيَقُولُونَ : أَسْمَاءُ أَبْنَائِنَا لِأَعْدَائِنَا ،
وَأَسْمَاءُ مَوَالِينَا لَنَا ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَكْثَرُ مَا يَدْعُو فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ مَوَالِيَهُ لِلْإِسْتِخْدَامِ
دُونَ أَبْنَائِهِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ فِي وَقْتِ الْقِتَالِ وَنَحْوِهِ .

وَالْتَّرَكَ - رَاعَوْا فِي أَسْمَائِهِمْ مَا يُدِلُّ عَلَى الْجِلَادَةِ وَالْقُوَّةِ مِمَّا يَأْلَقُونَهُ وَيُجَاوِرُونَهُ ،
وْغَالِبٌ مَا يُسَمُّونَ بِاسْمِ بَغَا ، وَمَعْنَاهُ بَلَعْتُهُمُ الْفَحْلُ : إِمَّا مُفْرَدًا كَمَا تَقْدِّمُ وَهُوَ قَلِيلٌ ،
وَإِمَّا مُوصُوفًا بِحَيَوَانَاتٍ ، مُقَدِّمِينَ الصِّفَّةَ عَلَى الْمَوْصُوفِ عَلَى قَاعِدَةٍ لِعَقْدِهِمْ
فِي ذَلِكَ ، كَطَيِّبًا بِمَعْنَى خَلٍ مُهْرٍ . وَإِمَّا بِمَعْنَى مِنَ الْمَعَادِنِ : كَالطَّيِّبِ بِمَعْنَى خَلٍ
ذَهَبٍ ، وَكَمُشْبَغًا بِمَعْنَى خَلٍ فُضِيَّةٍ ، وَتَمْرَبَغًا بِمَعْنَى خَلٍ حَدِيدٍ . وَرَبَّمَا أُبْدِلَ أَسْمُ الْفَحْلِ
بِاسْمِ الْحَدِيدِ ، وَأَسْمُهُ بِلِقَّتِهِمْ دُحْرٌ كَبِيٍّ دُحْرٌ بِمَعْنَى أَمْسِيرِ حَدِيدٍ ، وَطِيٌّ دُحْرٌ بِمَعْنَى مُهْرٍ
حَدِيدٍ . وَرَبَّمَا أُفْرِدُوا الْأَسْمُ بِالْوَصْفِ كَدُحْرٍ بِمَعْنَى حَدِيدٍ ، وَأَرْسَلَانٍ بِمَعْنَى أَسَدٍ ،
وَتُسْكُرٌ بِمَعْنَى بَحْرٍ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَفْرَدَاتِ وَالْمُرَكَّبَاتِ الَّتِي لَا يَأْخُذُهَا

حصر . وكذلك كلُّ أمة من أمم الأعاجم تُراعى في التسمية ما يدور في خزانة خيالها
مما يخاطونه ويخاورونه .

وأما الأمم المتدنية فإنهم راعوا في أسمائهم التسمية بأسماء أنبيائهم وصحابةهم .

فالمسلمون — تسموا باسمي النبي صلى الله عليه وسلم الواردين في القرآن
وهما ”مجد“ و”أحمد“ إذ يقول صلى الله عليه وسلم ، تسموا باسمي . وكذلك
تسموا باسم غيره من الأنبياء عليهم السلام : إما بكثرة : كإبراهيم ، وموسى ،
هارون ، وإما بقلّة : كآدم ، ونوح ، ولوط . وأخذوا بوافر حظ من أسماء
الصّحابة رضوان الله عليهم : كآبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وحسن ، وحسين ،
وما أشبه ذلك .

والنصارى — تسموا باسم عيسى وغيره من الانبياء عليهم السلام ممن يعتقدون
نبوته : كإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، وكذلك أسماء
الحواريين : كبطرس ، ويوحنا ، وتوما ، ومثي ، ولوقا ، وسمعان ، وبرتلوما ،
وأندراوس ، ونحوها : كمرقص ، وبولص ، وغيرهما .

واليهود — تسموا باسم موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء الذين يعتقدون
نبوتهم : كإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، ولم يتسموا باسم عيسى
عليه السلام لإنكارهم نبوته .



وأما ما يستحسن من الأسماء فما وردت الشريعة بالتدب إلى التسمية به : كاسماء
الأنبياء عليهم السلام ، وعبد الله ، وعبد الرحمن ، ففي سنن أبي داود والترمذي من

رواية أبي وهب الجشمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَحِبُّوا الْأَسْمَاءَ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَصْدُقُهَا حَارِثٌ ، وَهَمَامٌ ، وَأَفْجَحُهَا حَرْبٌ ، وَهَمْرَةٌ » .



وأما ما يُسْتَقْبَحُ فما وردت الشريعة بالنهي عنه : إما لكرَاهَةِ لفظه كحَرْبٍ وَهَمْرَةٍ ، وإما للتطير به كَرَبَاحٍ ، وَأَفْلَحَ ، وَنَجَّحَ ، وَرَافَعَ ، وَنَحَوَهَا . ففي صحيح مسلم وغيره النهي عن التسمية بمثل ذلك معللاً بأنك تقول : أَيْمٌ هُوَ ؟ فيقال لا ، وإما لعَظَمَةٍ فِيهِ : كالتسمية بشَاهِنْشَاهٍ ، ومعناه بالفارسية مَلِكُ الْأَمْلاَكِ . ففي الصحيحين من رواية أبي هريرة أنه أَخْنَعَ أَسْمَ . وقد ورد في جامع الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها ، « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُغَيِّرُ الْأِسْمَ الْقَبِيحَ » .

الجملة الثانية

(في مواضع ذكر الأسماء في المكاتبات والولايات)

أما المكاتبات ، فالأسماء التي تذكر فيها على أربعة أنواع :

النوع الأول

(اسم المكتوب عنه)

وذكره إنما يقع في المكاتبات في موضع الخُصُوع والتواضع ، إذ من شأن المكتوب عنه ذلك ، وله مَخْلَان :

المحل الأول — في نفس المكتبة وذلك فيما إذا كانت المكتبة بصورة « من فلان إلى فلان » كما كان يُكْتَبُ عن النبي صلى الله عليه وسلم : من محمد رسول الله إلى

فلان ، وكما كان يُكْتَب عن الخلفاء : من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان ، وكما يُكْتَب الآن في المكاتبات السلطانية إلى ملوك المغرب ، وما يكتب عنهم إلى الأبواب السلطانية ونحو ذلك .

المحل الثاني — العلامة في المكاتبات كما يكتب الملوك فلان ، أو أخوه فلان ، أو شاكركه فلان ، أو فلان فقط ، ونحو ذلك على اختلاف المراتب الآتية على ماسياتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى .

النوع الثاني

(أسم المكتوب إليه ، وله محلان)

المحل الأول — ابتداء المكتوبة كما يُكْتَب في بعض المكاتبات « من فلان إلى فلان ، أو إلى فلان من فلان » ونحو ذلك ؛ وكما يكتب في مكاتبات القانات ، فلان خان ؛ وكما يذكر أسم ملوك الكُفَر في مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية ونحو ذلك . وفيما عدا ذلك من المكاتبات المصدرة بالتقيل والدعاء وغيرهما من المصطلح عليه في زماننا وما قاربه لا يُصَرَّح باسم المكتوب إليه غالبا تعظيما له عن التفؤ به ذكره ، إذ ترك التصريح بالأسم دليل التعظيم والتوقير والتبجيل ، بخلاف الكنية واللقب ، فإنهما يصدد التعظيم لللقب أو المكنى على ماسياتي بيانه فيما بعد إن شاء الله تعالى ولذلك لم يخاطب الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابه العزيز باسمه تشريفا لمقامه ، ورفعاً لمحلّه ، فلم يقل يا محمد أو يا أحمد كما قال يا آدم ، يا نوح ، يا إبراهيم ، يا موسى ، يا عيسى . بل قال ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ وقد صرح أصحابنا الشافعية وغيرهم أنه لا يجوز ندأؤه صلى الله عليه وسلم باسمه احتجاجا بالآية الكريمة .

وفي كتاب ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معه غُلامٌ فقال للغلام : مَنْ هذا ؟ - قال أبي - قال : فلا تَمْشِ أَمَامَهُ ولا تَسْتَسِيبْ لَهُ ، ولا تَجْلِسْ قَبْلَهُ ، ولا تَدْعُهُ بِاسْمِهِ . »

المحل الثاني - العنوان من الأدنى إلى الأعلى . كما يكتب في عنوان بعض المكاتبات « مُطالعة المملوك فلان » على ماسياتي في الكلام على العنوان . وإذا كان من تعظيم المخاطب أن لا يُخاطب باسمه فكذلك في مكاتباته : لأن المكاتبة الصادرة إلى الشخص قائمة مقام خطابه ، بل المكاتبة أجدر بالتعظيم لأصطلاحهم في القديم والحديث على ذلك .

النوع الثالث

(اسم المكتوب بسببه)

وهو مما لا نقص فيه بسبب ذكره ، إذ لا بُد من التصريح باسمه ليُعرف ، اللهم إلا أن يشتهر حتى تغني شهرته عن ذكر اسمه ، وله محلان :

المحل الأول - في الطرة بأن يقال « هذا ماعهد به فلان » إما الخليفة في عهده بالخلافة أو السلطنة ، أو السلطان في عهده بالسلطنة على ماسياتي بيانه . وفي معنى ذلك البيعات بأن يقال « مبايعة شريفة لفلان » ونحو ذلك .

المحل الثاني - صدر الولاية حيث يقال : هذا ماعهد عبد الله ووليّه فلان ، أو من عبد الله ووليّه فلان ، ونحو ذلك على اختلاف المذاهب في الابتداء على ماسياتي .

النوع الرابع

(أسم من تصدر إليه الولاية، وله محلان)

المحل الأول — في الطرة إما في العهود حيث يقال : هذا ماعهد فلان إلى فلان .
وإما في التقاليد والتواقيع والمراسيم ، حيث يقال : أن يفوض إلى فلان ، أو أن
يستقر فلان ، أو أن يرتب فلان .

المحل الثاني — أثناء الولاية حيث يقال : أن يفوض إلى فلان ، أو أن يستقر
فلان ، أو أن يرتب فلان ، على نظير ما في الطرة ، أما المولى عليه فقل أن يذكركما
في التحدث على شخص معين ونحوه .

الطرف الثاني

(في الكنى)

والكنية عند النحاة أحد أقسام العلم أيضا ، والمراد بها ما صدر باب أو أم ، مثل
أبي القاسم ، وأم كلثوم وما أشبه ذلك . وقد كان للعرب بالكنى أتم العناية ، حتى
إنهم كنوا جملة من الحيوان بكنى مختلفة : فكنوا الأسد بأبي الحارث ، والثعلب
بأبي الحصين ، والديك بأبي سليمان ، وكنوا الضبع بأم عامر ، والدجاجة بأم حفصة ،
والجرادة بأم عوف ونحو ذلك . وفيه ثلاث جمل :

الجملة الأولى

(في جواز الكُنية ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(كُنى المسلمين)

قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله في كتابه "الأذكار" : وجواز التكني أشهر من أن نذكر فيه شيئاً منقولاً ، فإن دلائله يشترك فيها الخواص والعوام .
قال : والأدب أن يُخاطب أهل الفضل ومن قاربهم بالكُنية ، وكذلك إن كتب إليه رسالة ، أو روى عنه رواية . فيقال : حدثنا الشيخ أو الإمام أبو فلان فلان بن فلان وما أشبهه .

وأعلم أن الأولين أكثر ما كانوا يعظمون بعضهم بعضاً في المخاطبات ونحوها بالكُنى ، ويرون ذلك في غاية الرفعة ونهاية التعظيم حتى في الخلفاء والملوك : فيقال : أبو فلان فلان ، وبالعوا في ذلك حتى كنوا من أسمه في الأصل كُنية فقالوا في أبي بكر « أبو المناقب » اعتناءً بشأن الكُنية ، وربما وقف الأمر في الزمن القديم في تسمية خاصة الخليفة وأمرائه على ما يكتبه به الخليفة ، فيكون له في الرفعة منتهى ينتهى إليه ، ثم رجع أمرهم بعد ذلك إلى التعظيم بالألقاب . على أن التعظيم بالكُنى باقٍ في الخلفاء والملوك فمن دونهم إلى الآن على ما استقف عليه في مواضعه إن شاء الله تعالى ، وكذلك القضاة والعلماء ، بخلاف الأمراء والجُند والحُكَّاب ، فإنه لا عناية لهم بالكُنى .

ثم لا فرق في جواز التكنّي بين الرجال والنساء، فقد كانت «عائشة» أم المؤمنين رضى الله عنها تكنّي «بأمّ عبد الله» وكذلك غيرها من نساء الصحابة والتابعين كان هنّ كنّي يكتنّين بها .

النوع الثاني

(كنّي أهل الكُفر والفَسَقَة والمبتدِعين)

قال الترمذى : والكافر والفاسق والمبتدع إن كان لا يُعرف إلا بالكُنية جاز تَكْنِيَّتُهُ . قال تعالى ﴿ تَبْتَ يَدَايَ لِهَبِّ ﴾ وأسمه عبد العزى ، قيل : إنه ذكر تَكْنِيَّتَهُ لكونه كان لا يُعرف إلا بها ، وقيل : كراهةً لأسمه حيث جعل عبداً للصنم ؛ وقد تكرر في الحديث ذكر أبى طالب بكنيته ، وأسمه عبد مناف . وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم «لَمَّا مَرَّ بِأَرْضِ الْحِجْرِ مِنَ الشَّامِ ، قَالَ هَذَا قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ» لعاقِرِ الناقةِ من قومِ ثمود . قال : وكذلك إذا خيف من ذكره باسمه فتنه ، كما ثبت في الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمارٍ ليعود سعد بن عبادة رضى الله عنه ، فمَرَّ فِي طَرِيقِهِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سُلَولٍ الْمَنَافِقِ ، وَمَا كَانَ مِنْ بَدَأَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ ؟ (يريدُ عبدَ الله بنَ أبي ابنِ سُلَولٍ) قَالَ كَذًا وَكَذَا . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . قَالَ : فَإِنْ كَانَ يُعْرَفُ بِغَيْرِ الْكُنيةِ وَلَمْ يُخَفَّ فتنه لَمْ يُدْرَ عَلَى الْأَسْمِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ «مَنْ مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَى

هَرَقَل « فسمّاه باسمه ولم يكنّه ولا لقّبه بمليك الروم . قال : ونظائر هذا كثيرة ، وقد أمرنا بالإغلاظ عليهم ، ولا يذنبى لنا أن نكنّيهم ، ولا نرقّق بهم ، ولا نأين لهم قولاً ، ولا نظهر لهم ودّاً ولا مؤالفة .

الجملة الثانية

(فيما يُكنّى به ، وهو على نوعين)

النوع الأول

(كُنّى الرجال ، ولها حالان)

الحال الأول — أن يكون للرجل ولدٌ أو أولادٌ . قال النووي : فإن كان له ولدٌ يُكنّى به ، ولا فرق في ذلك بين أن يكون الولد ذكراً أو أنثى ، فيجوز تكنية الرجل بأبي فلانة كما يجوز بأبي فلان . فقد تكنّى جماعة من أفاضل السلف من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم بأبي فلانة ، فمن الصحابة أبو ليلى : والد عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وأبو فاطمة الليثي ، وأبو صريم الأزدي ، وأبو ربيعة تميم الداري ، وأبو زرعة المقداد بن معدى كرب . ومن التابعين أبو عائشة مسروق بن الأجدع وخلائق لا يحصون . وإن كان له أولادٌ يُكنّى بأكثرهم : فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُكنّى بأبي القاسم ، وكان القاسم أكبر بيته .

وفي سنن أبي داود والنسائي عن شريح الحارثي أنه وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فسمعهم يُكنّونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو الحكم وإليه الحكم ! فلم تُكنّى أبا الحكم ؟ — فقال : إن قومي

اختلفوا في شيء فَأَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كُلَا الْفَرِيقَيْنِ - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسن هذا ! فما لك من الولد؟ - قال : شريح ، ومسلم ، وعبد الله - قال : فمن أكبرهم؟ - قال - شريح - قال : فأنت أبو شريح «
فلو تكني بغير أولاده فلا بأس به قاله النووي . ثم قال : وهذا الباب واسع لأخصي من يتصف به .

وقد اختلف في جواز التكني بأبي القاسم : فنص الشافعي رضي الله عنه على أنه لا يجوز التكني بذلك مطلقاً ، لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « تسموا بأسمي ولا تكنوا بكنتي » . وذهب ذاهبون إلى تخصيص ذلك بحياته صلى الله عليه وسلم احتجاجاً بأن المنع فيه كان لعلّة : وهي أن اليهود كانوا ينادون بأبا القاسم ! فإذا التفت النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : لم نعنك ، قصداً لإيذائه صلى الله عليه وسلم وقد زالت هذه العلّة بوفاته صلى الله عليه وسلم ، واختاره النووي من أصحابنا الشافعية ، وذهب آخرون إلى تخصيص المنع بما إذا جمع لواحد بين الأسم والكنية ، بأن يتسمى محمداً ويتكني بأبي القاسم ، بخلاف ما إذا لم يكن اسمه محمداً فإنه يجوز ، وهو وجه قوي .

الحال الثاني - أن لا يكون للرجل ولد بأن لم يولد له ولد أصلاً ، قال النووي : فيجوز تكنيته حتى الصغير . ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقال له أبو عمير (قال الراوي) : أحسبه فطياً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء يقول يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ لنغير كان يلعب به » . قال النووي : وكان من الصحابة رضوان الله عليهم جماعات لهم كني قبل أن يولد لهم ،

كأبي هريرة وخلائق لا يُحصون من التابعين فمن بعدهم . قال : ولا مكرهة فيه بل هو محبوب بشرطه .

وأعلم أن الرجل قد يكون له كُنيَتان فأكثر ، فقد كان لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلاث كُنى : أبو عمرو ، وأبو عبد الله ، وأبو ليلى .

النوع الثانى

(كُنى النساء)

والحال فيه أنه إن كان للمرأة وَلَدٌ تَكَنَّتْ به ذكرًا أو أنثى ، كما تقدم في الرجل . وإن كان لها أولاد تَكَنَّتْ بأكبرهم مع جواز الكُنية بغير أولادها كما في الرجل أيضا . قال النووي : ويجوز تَكْنِيَتُها ولو لم يُولَدْ لها ، ففى سَنَنِ أبى داود وغيره بأسانيد صحيحة عن عائشة رضى الله عنها قالت : « يارسول الله كُلُّ صَوَاحِي هُنَّ كُنًى » قال : فَاكْتَنَى بِابْنِكَ عَبْدُ اللَّهِ - يعنى عبد الله بن الزبير ، وهو ابن أختها أسماء ، وكانت عائشة رضى الله عنها تَكْنَى أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ » قال : هذا هو الصحيح المعروف . وما رواه ابن السنى عن عائشة أنها قالت « أَتَقَطُّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِقْطًا فسماه عبد الله » فحديث ضعيف . ثم كما تجوز تَكْنِيَةُ الرجل بأبى فلانة ، يجوز تَكْنِيَةُ المرأة بِأُمِّ فلانة من باب أولى .

الجزء الثالثة

(في التكني في المكاتبات والولايات)

فأما الكنية في المكاتبات فعلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(تكني المكتوب عنه)

قال محمد بن عمر المدايني في كتاب " القلم والدواة " : أول من آكنتي في كُتبه « الوليد بن عبد الملك » . قال النووي في " الأذكار " : والأدب أن لا يذكر الرجل كنيته في كتابه ولا في غيره إلا أن لا يعرف إلا بكنته ، أو كانت الكنية أشهر من اسمه . وقال أبو جعفر النحاس : إذا كانت الكنية أشهر ، يكنى على نظيره ويسمى لمن فوقه ثم يَأْحَقُ « المعروف أبا فلان ، أو بابي فلان » .

ثم الكنية من المكتوب عنه قد تكون في صدر الكتاب كما يكتب عن الخلفاء « من عبد الله ووليّه أبي فلان فلان أمير المؤمنين » أو في موضع العلامة كما يكتب في الطغرة من السلطان لملوك الكُفَر بعد سِياقة ألقاب السلطان « أبو فلان فلان » أو في العنوان كما كان يكتب في المصطلح القديم « من أبي فلان فلان إلى فلان » .

النوع الثاني

(تَكْنِيَّةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ)

وبه كان الاعتناء في الزمن المتقدم لاسيما إذا كان المکتوبُ إليه ممن يستحقُّ التعظيمَ بالكُنْيَةِ . وكُنْيَةُ المَكْتُوبِ إليه تارةً تكون في عنوان الكتاب كما يكتب « إلى أبي فلان فلان » وتارة تكون في صدر الكتاب كما كان يكتب « من فلان إلى أبي فلان فلان » .

النوع الثالث

(تَكْنِيَّةُ الْمَكْتُوبِ بِسَبَبِهِ)

وهي تارةً تذكر في طرّة الكتاب فيقال فيمن قصد تعظيمه « بما قصده أبو فلان فلان » وأستعمله قليل . وتارة تذكر في أثناء الكتاب حيث يجري ذكره .



وأما الكنية في الولايات فلها محلان :

أحدهما - في طرّة الولاية، حيث يقال : « عهد شريف [لأبي فلان^(٢)] فلان » أو « تقليد شريف بأن يفوض إلى [أبي فلان^(٢)] فلان » .

والثاني - في أثناء الولايات حيث يجري ذكره على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل عنه ، وهو غير مناسب ، والتصحيح عن الضوء للؤلؤف .

(٢) الزيادة عن الضوء .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الثالثة

(في الألقاب ، وفيه طرفان)

الطَّرَفُ الأول

(في أصول الألقاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في معنى اللَّقَبِ والنَّعْتِ ، وما يجوز منه ويمتنع)

أما اللقب فأصله في اللغة النَّبَرُ - بفتح الباء . قال ابن حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" : والنَّبَرُ ما يَخاطَبُ به الرجلُ الرجلَ من ذكر عيوبه وما ستره عنده أحبُّ إليه من كشفه ، وليس من باب الشَّمِّ والقَدْفِ .



وأما النعتُ فأصله في اللغة الصِّفَةُ . يقال : نعتَه يَنعُتُه نَعْتًا إذا وصفَه . قال في "ذخيرة الكتاب" : وهو مُتَّفَقٌ على أنه ما يختاره الرجل ويؤثره ويزيد في إجلاله ونباهته ، بخلاف اللَّقَبِ . قال : لكن العامةُ استعملت اللَّقَبَ في موضع النعت الحسن ، وأوقعوه مَوْقِعَهُ لكثرة استعمالهم إياه ، حتى وقع الاتفاق والأصطلاحُ على استعماله في التشريف والإجلال والتعظيم والزيادة في النِّبَاهَةِ والتَّكْرِيمَةِ .

قلت : والتحقيق في ذلك أن اللَّقَبَ والنعت يُستعملان في المدح والذم جميعاً : فمن الألقاب والنُّعوت ما هو صفةٌ مدحٍ ومنها ما هو صفةٌ ذمٍّ . وقد عرفت النجاة اللَّقَبَ بأنه ما أدَّى إلى مَدْحٍ أو ذمٍّ ، فالْمُؤدِّي إلى المدح كأمير المؤمنين ،

وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ ؛ وَالْمُؤَدَّى إِلَى الدَّمِّ كَانْفِ النَّاقَةِ وَسَعِيدِ كُرْزٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .
وَالنَّعْتُ تَارَةً يَكُونُ صِفَةً مَدْحٍ ، وَتَارَةً يَكُونُ صِفَةً ذَمٍّ ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا
مِنَ اللَّقَبِ وَالنَّعْتُ مَا أُدْخِلَ إِلَى الْمَدْحِ دُونَ الدَّمِّ . وَقَدْ أَصْطَلَحَ الْكُتَّابُ عَلَى أَنْ يَسَمُّوا
صِفَاتِ الْمَدْحِ الَّتِي يُورَدُونَهَا فِي صُدُورِ الْمَكَاتِبَاتِ وَنَحْوِهَا بِصِیْغَةِ الْإِفْرَادِ كَالْأَمِيرِ
وَالْأَمِيرِيِّ وَالْأَجَلِّ وَالْأَجَلِّيِّ وَالْكَبِيرِ وَالْكَبِيرِيِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ أَلقَابًا ؛ وَصِفَاتِ الْمَدْحِ
الَّتِي يُورَدُونَهَا عَلَى صُورَةِ التَّرَكِيبِ كَسَيِّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ
وَنَحْوِ ذَلِكَ نَعْوَاتًا ؛ وَلَا مَعْنَى لِتَخْصِیْصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْأَسْمِ الَّذِي سَمَّوْهُ بِهِ إِلَّا مَجْرَدُ
الْأَصْطِلَاحِ ؛ وَلَا نِزَاعَ فِي إِطْلَاقِ اللَّقَبِ وَالنَّعْتِ عَلَيْهِمَا بِاعْتِبَارَيْنِ : فَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا
صِفَاتٌ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى الْمَدْحِ يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَسْمُ اللَّقَبِ ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا صِفَاتٌ لِدَوَاتٍ
قَائِمَةٌ بِهَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا أَسْمُ النَّعْتِ .



وَأَمَّا مَا يَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعُ ، فَالْجَائِزُ مِنْهُ مَا أُدْخِلَ إِلَى الْمَدْحِ مِمَّا يَحِبُّهُ صَاحِبُهُ
وَيُؤَثِّرُهُ ، بَلْ رُبَّمَا أَسْتَحَبَّ ، كَمَا صَرَحَ بِهِ النَّوَوِيُّ فِي «الْأَذْكَارِ» لِلْإِطْبَاقِ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ
قَدِيمًا وَحَدِيثًا . وَالْمَمْتَنِعُ مِنْهُ مَا أُدْخِلَ إِلَى الدَّمِّ وَالنَّقِیْصَةِ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ وَلَا يُحِبُّ
نَسِبَتَهُ إِلَيْهِ . قَالَ النَّوَوِيُّ : وَهُوَ حَرَامٌ بِالْإِتْفَاقِ ، سِوَاءِ كَانَ صِفَةً لَهُ : كَالْأَعْمَشِ ،
وَالْأَجْلَحِ ، وَالْأَعْمَى ، وَالْأَحْوَلِ ، وَالْأَبْرَصِ ، وَالْأَشَّجِ ، وَالْأَصْفَرِ ، وَالْأَحْدَبِ ،
وَالْأَصَمِّ ، وَالْأَزْرَقِ ، وَالْأَشْتَرِ ، وَالْأَثَرَمِ ، وَالْأَقْطَعِ ، وَالزَّيْمِ ، وَالْمُقْعَدِ ، وَالْأَشْلَلِ ،
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . أَوْ كَانَ صِفَةً لِأَبِيهِ : كَابْنِ الْأَعْمَى ، أَوْ لَأُمِّهِ : كَابْنِ الصَّوْرَاءِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُهُ قَالَ تَعَالَى : ﴿لَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾

قال: وأنفقوا على جواز ذكره بذلك على جهة التعريف لمن لا يعرفه إلا بذلك؛ ودلائل ذكره كثيرة مشهورة، وهو أحد المواضع التي تجوز فيها الغيبة.

الجملة الثانية

(في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية إلى المدح)

وأعلم أن ألقاب المدح ونعوتها لم تزل واقعة على أشرف الناس وجملة الخلق في القديم والحديث؛ فقد ثبت تلقيب إبراهيم عليه السلام بـ«الحليل» وتلقيب موسى عليه السلام بـ«الكليم» وتلقيب عيسى عليه السلام بـ«المسيح» وتلقيب يونس عليه السلام بـ«ذي النون» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقب قبل البعثة بـ«الأمين» ووردت التواريخ بذكر ألقاب جماعة من العرب في الجاهلية: كـ«ذي النور» و«ذي نواس» و«ذي رعين» و«ذي جدن» وغيرهم مما هو مشهور شائع. وكذلك وقعت ألقاب المدح على كثير من عظماء الإسلام وأشرفه كالصحابه رضوان الله عليهم فمن بعدهم من الخلفاء والوزراء وغيرهم: فكان لقب أبي بكر «عتيقاً» ثم لقب بـ«الصدّيق» بعد ذلك، ولقب عمر «الفاروق» ولقب عثمان «ذا النورين» ولقب علي «حيدر» ولقب حمزة بن عبدالمطلب «أسد الله» ولقب خالد بن الوليد «سيف الله» ولقب عمرو بن عمرو «ذا الدين» ولقب مالك بن النّيمان الأنصاري «ذا السيفين» ولقب خزيمة بن ثابت الأنصاري «ذا الشهادتين» ولقب جعفر بن أبي طالب بعد استشهاده «ذا الجناحين».

وأما الخلفاء، فخلفاء بني أمية لم يتلقب أحد منهم، فلما صارت الخلافة إلى بني العباس وأخذت البيعة لإبراهيم بن محمد، لقب بـ«الإمام» ثم تلقب من بعده من

(١) في كتب اللغة والحديث أن اسمه الخرباق فلعل فيه خلافاً.

خلفائهم : فتلقَّب محمد بن عليّ بـ «السَّفَّاح» لكثرة ماسِّفَح من دماء بني أُمَيَّة .
وأختلِف في لقبه بالخِلافة : ف قيل «القائم» وقيل «المهتدي» وقيل «المرتضى»
واللقاب الخلفاء بعده وإلى زماننا معروفة مشهورة على ما مرَّ ذكره في المقالة الثانية .
وعلى ذلك كانت ألقاب خلفاء بني أُمَيَّة بالأندلس إلى حين آنقراضهم على ما هو
مذكور في مكتبة صاحب الأندلس ، على ما سيأتى في المكتبات في المقالة الرابعة
إن شاء الله تعالى .

ثم تعدَّت ألقاب الخِلافة إلى كثير من ملوك الغُرب بعد ذلك ، وتلا الخلفاء
في الألقاب الوزراء لآستقبال الدولة العباسية وما بعد ذلك : فتلقَّب أبو سلمة خلَّال
وزير السَّفَّاح بـ «وزير آل محمد» ولقَّب المهديُّ وزيره يعقوب بن داود بن طهمان
«الأخ في الله» ولقَّب المأمونُ الفضل بن سهل حين استوزره «ذا الكفائتين»
ولقَّب أخاه الحسن بن سهل «ذا الرِّاستين» ولقَّب المعتمد على الله وزيره صاعد
أبن مخلد «ذا الوزارتين» إشارة إلى وزارة المعتمد والموفق ، وكان لقب إسماعيل
أبن بلبل الشكور «الناصر لدين الله» كألقاب الخلفاء .

وكذلك وقع التلقيب لجماعة من أرباب السيوف وقوَّاد الجيوش : فتلقَّب
أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة بـ «أمير آل محمد» . وقيل «سيف آل محمد»
وتلقَّب أبو الطيب طاهر بن الحسين بـ «بذى اليمينين» ولقَّب المعتصم بالله حيدر
أبن كاووس بـ «الأفشين» لأنه أشروسني ، والأفشين لقب على الملك بأشروسنة
ولقَّب إسحاق بن كساح أيام المعتمد بـ «بذى السيفين» ولقَّب مؤنس في أيام
المقتدر بـ «المظفر» ولقَّب سلامة أخو مُجَّح أيام القاهرة بـ «المؤمن» ولقَّب أبو بكر
أبن محمد بن طُغج الراضي بالله بـ «الأخشيدي» والأخشيدي لقب على الملك بفرغانة .

(١) ثم وقع التلقيب بالإضافة إلى الدولة في أيام المكفي بالله : فَلَقَّبَ الْمَكْفِي
أَبَا الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُمَيْدٍ اللَّهِ « وَلِيَ الدَّوْلَةَ » ، وهو أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِالْإِضَافَةِ
إِلَى الدَّوْلَةِ ، وَلَقَّبَ الْمُقْتَدِرُ بِاللَّهِ عَلَى بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَهُ « عُمَيْدُ الدَّوْلَةِ » .

ووافت الدولة البويهية أيام المطيع لله والأمر جارٍ على التلقيب بالإضافة للدولة ،
فافتُتِحَتْ ألقاب الملوك بالإضافة إلى الدولة ، فكان أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِذَلِكَ مِنَ الْمُلُوكِ
بَنُو بُوَيْهِ السَّلاَةِ : فَلُقِّبَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنُ بُوَيْهِ بِ« عِمَادِ الدَّوْلَةِ » وَلُقِّبَ أَخُوهُ
أَبُو عَلَى الْحَسَنِ بِ« رُكْنِ الدَّوْلَةِ » وَأَخُوهُمَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بِ« مُعِزِّ الدَّوْلَةِ » ثُمَّ وَافَى
« عَضُدُ الدَّوْلَةِ » مِنْ بَعْدِهِمْ فَاقْتَرَحَ أَنْ يَلْقَّبَ بِ« تَاجِ الدَّوْلَةِ » فَلَمْ يُجِبْ إِلَيْهِ وَعُدِلَ
بِهِ إِلَى « عَضُدِ الدَّوْلَةِ » ؛ فَلَمَّا بَذَلَ نَفْسَهُ لِلْعَاوَنَةِ عَلَى الْأَتْرَافِ ، اخْتَارَ لَهُ أَبُو إِسْحَاقَ
الصَّابِي صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنِّشَاءِ « تَاجَ الْمِلَّةِ » مُضَافًا إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ ؛ فَكَانَ يُقَالُ
« عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَتَاجُ الْمِلَّةِ » وَلُقِّبَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ حَمْدَانَ أَيَّامَ الْمُتَّقِي لِلَّهِ
« نَاصِرَ الدَّوْلَةِ » وَلُقِّبَ أَخُوهُ أَبُو الْحَسَنِ عَلَى بْنُ حَمْدَانَ « سَيْفَ الدَّوْلَةِ » .

وَبَقِيَ الْأَمْرُ عَلَى التَّلْقِيبِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الدَّوْلَةِ إِلَى أَيَّامِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ فَافْتَتَحَ التَّلْقِيبُ
بِالإضافة إلى الدين . وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهِ أَبُو نَصْرِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ بْنُ
عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ ، زَيْدٌ عَلَى لَقْبِهِ بَهَاءُ الدَّوْلَةِ « نِظَامُ الدِّينِ » فَكَانَ يُقَالُ
« بَهَاءُ الدَّوْلَةِ وَنِظَامُ الدِّينِ » قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ النِّعَمَانُ : ثُمَّ تَزَايَدَ التَّلْقِيبُ بِهِ وَأَفْرَطَ ،
حَتَّى دَخَلَ فِيهِ الْكُتَّابُ وَالْجُنُودُ وَالْأَعْرَابُ وَالْأَكْرَادُ ، وَسَائِرُ مَنْ طَلَبَ وَأَرَادَ ،
وَكَرِهَ (٢) حَتَّى صَارَ لِقَبًا عَلَى الْأَصْلِ . وَلَا شَكَّ أَنَّهُ فِي زَمَانِنَا قَدْ خَرَجَ عَنِ الْحَدِّ

(١) لم يذكر في الضوء لفظ الاب في المحليين .

حتى تعاطاه أهل الأسواق ومن في معناهم ، ولم تصر به ميزة لكبير على صغير ،
حتى قال قائلهم :

طَلَعَ الدِّينُ مُسْتَفِئًا إِلَى اللَّهِ * وَقَالَ : الْعِبَادُ قَدْ ظَلَمُونِي !
يَتَسَمَّوْنَ بِي ، وَحَقَّكَ لَا أَعْرِفُ مِنْهُمْ شَخْصًا وَلَا يَعْرِفُونِي !

أما الديار المصرية فكان جريهم في الألقاب على ما ينتهي إليهم خبره من ألقاب
الدولة العباسية ببغداد ، فتلقب خلفاء الفاطميين بها بنحو ألقاب خلفاء بني العباس
ببغداد ، فكان لقب أول خلفائهم بها « المعز لدين الله » وثانيهم بها « العزيز بالله »
وعلى ذلك إلى أن كان لقب آخرهم « العاضد لدين الله » على ما تقدم في المقالة الثانية
في الكلام على ملوك الديار المصرية .

وتلقب وزراؤهم وكتّابهم بالإضافة إلى الدولة ، ومن لقب بذلك في دولتهم
« ولي الدولة » بن أبي كدينة وزير المستنصر ، وأيضا « ولي الدولة » بن خيران
كاتب الإنشاء المشهور . ولما صارت الوزارة لبدر الجمالي تلقب بـ « أمير الجيوش » .
ثم تلقب الوزراء بعده بنحو « الأفضل » و « المأمون » . ثم تلقبوا بالملك الفلاني ،
كـ « الملك الأفضل » و « الملك الصالح » ونحو ذلك على ما سيأتي بيانه إن شاء
الله تعالى .

وكان الحجاب في أواخر الدولة الفاطمية إلى أثناء الدولة الأيوبية يلقبون
بـ « الفضل » و « الرشيد » و « العماد » وما أشبه ذلك ، ثم دخلوا في عموم التلقب
بالإضافة إلى الدين ، واختص التلقب بالإضافة إلى الدولة كولي الدولة بحجاب
النصارى ، والأمر على ذلك إلى الآن .

الطرف الثاني

(في بيان معاني الألقاب ، وفيه تسعٌ جميل)

الجملة الأولى

(في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعتمدة التي بها انتظامُ أمور

المملكة وقوامها ، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية ، وهي نوعان)

النوع الأول

(الألقاب القديمة المتداولة الحُكم إلى زماننا ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ألقاب أرباب السيوف ، وهي سبعة ألقاب)

الأول — الخليفة . وهو لقب على الزعيم الأعظم القائم بأمور الأمة ، وقد اختلف في معناه ، فقيل : إنه فعيل بمعنى مفعول ، كخرج بمعنى مجروح ، وقَتِيل بمعنى مقتول ويكون المعنى أنه يخلفه من بعده ، وعليه حمل قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ على قول من قال : إن آدم عليه السلام أول من عمّر الأرض وخلفه بنوه من بعده . وقيل : فعيل بمعنى فاعل ، ويكون المراد أنه يخلف من بعده ، وعليه حمل الآية من قال إنه كان قبله في الأرض الحنّ وإنه خلقهم فييا ، واختاره النحاس

(١) كذا في الضوء أيضا وفي نسخة أخرى والأظهر من قبله .

في "صناعة الكتاب" : وعليه اقتصر البغوي في "شرح السنة" ، والمأوردى في "الأحكام السلطانية" . قال النحاس : وعليه خُوطب أبو بكر الصديق رضي الله عنه بخليفة رسول الله .

وقد أجازوا أن يُقال في الخليفة « خليفة رسول الله » لأنه خلفه في أمته . واختلفوا هل يجوز أن يُقال فيه خليفة الله : بفوز بعضهم ذلك لقيامه بحقوقه في خلقه محتجين بقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) وامتنع جمهور الفقهاء من ذلك محتجين بأنه إنما يَسْتَخَافُ من يَغيب أو يموت والله تعالى باقٍ موجود إلى الأبد لا يَغيب ولا يموت . ويؤيد ما نقل عن الجمهور بما روى أنه قيل لأبي بكر رضي الله عنه : يا خليفة الله - فقال : لَسْتُ بِخَلِيفَةِ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله - فقال : وَيْلَكَ ! لقد تناولتُ مُتَنَاولًا بَعِيدًا ! إِنْ أُمِّي سَمَّتَنِي عُمَرُ ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهَذَا الْإِسْمِ قِيلَتْ ، ثُمَّ كَبُرَتْ فَكُنْتُ أَبَاحْفِصَ ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهِ قِيلَتْ ، ثُمَّ وَلَيْتُمُونِي أُمُورَكُمْ فَسَمَّيْتُمُونِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَوْ دَعَوْتَنِي بِهِ كَفَاكَ . وخصَّ البغوي جواز إطلاق ذلك بآدم وداود عليهما السلام ، محتجًا بقوله تعالى في حق آدم : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وقوله في حق داود : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) ثم قال : ولا يسمى أحد خليفة الله بعدهما . قال في "شرح السنة" : ويسمى خليفة وإن كان مخالفا لسيرة أئمة العدل .

ثم قد كره جماعة من الفقهاء منهم « أحمد بن حنبل » إطلاق اسم الخليفة على ما بعد خلافة « الحسين بن علي » رضي الله عنهما فيما حكاه النحاس وغيره ، محتجين بحديث « الخِلافة بعدى ثلاثون » يعني ثلاثين سنة ، وكان انقضاء الثلاثين بانقضاء

خليفة الحسن ، ولما اتقضت الخلافة صارت ملكا . قال المعافى بن إسماعيل في تفسيره : وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان عن الفرق بين الخليفة والملك - فقال طلحة والزبير لا ندري - فقال سلمان : الخليفة الذى يعدل فى الرعية ، ويقسم بينهم بالسوية ، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله والوالد على ولده ، ويقضى بينهم بكتاب الله تعالى - فقال كعب : ما كنت أحسب أن فى هذا المجلس من يفرق بين الخليفة والملك ، ولكن الله أهدى سلمات حكما وعلمًا ! .

وآخلف فى الهاء فى آخره : ف قيل أدخلت فيه للبافسة كما أدخلت فى رجل داهية وراوية وعلامة ونسابة وهو قول الفراء ، واستحسنه النحاس ناقلًا له عن أكثر النحويين وخطأه على بن سليمان محتجًا بأنه لو كان كذلك لكان التأنيث فيه حقيقياً . وقيل : الهاء فيه لتأنيث الصيغة . قال النحاس : وربما أسقطوا الهاء منه وأضافوه فقالوا « فلان خليف فلان » يعنون خليفته .

ثم الأصل فيه التذكير نظرا للغنى لأن المراد بالخليفة رجل وهو مذكر ، فيقال أمر الخليفة بكذا على التذكير ، وأجاز الكوفيون فيه التأنيث على لفظ خليفة فيقال أمرت الخليفة بكذا ، وأنشد الفراء .

* أبوك خليفة ولدته أخرى *

ومنه البصريون محتجين بأنه لو جاز ذلك لجاز قالت طلحة فى رجل اسمه طلحة وهو ممتنع . فإن ظهر أسم الخليفة تعين التذكير باتفاق فتقول قال أبو جعفر الخليفة اوقال الراضى الخليفة ونحو ذلك . ويجمع على خلفاء ككريم وكرماء ، وعليه ورد قوله تعالى : « وأذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » وعلى خلاف كصحيفة

وَصَحَائِفَ ، وعليه جاء قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ والنسبة إليه خَلَفَى كما يُنسَب إلى حنيفة حَنَفَى . وقول العامة درهم خَلِيقَتِي ونحوه خطأ ، إذ قاعدة النسب أن يحدَف من المنسوب إليه الياء وهاء التأنيث على ما هو مقرر في علم النحو . ومن وَهَم في ذلك المقرُّ الشهابيُّ بن فضل الله رحمه الله في كتابه " التعريف " حيث قال : وأول ما نبدأ بالمكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفةية ، ولعله سبق قلم منه ، وإلا فالمسألة أظهر من أن يجهلها أو تخفى عليه .

الثاني — المَلِك . وهو الرِّعِم الأعظم ممن لم يُطَقَّ عليه اسمُ الخِلافة ، وقد نطق القراءُ بذكره في غير موضع كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ (وقال المَلِكُ أَتُونِي بِهِ) إلى غير ذلك من الآيات . ويقال فيه مَلِك بكسر اللام ومَلِك بإسكانها ومَلِك بزيادة ياء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴾ قال الجوهري : والمَلِك مقصورٌ من مالك أو مَلِك ؛ ويجمع على مُلُوك وأملاك . ويقال لموضع المَلِك المَمْلَكَة .

الثالث — السُّلطان . وهو اسمٌ خاصٌ في العُرف العامِّ بالملوك . ويقال : إن أوَّل من لُقِّب به « خالد بن برمك » وزيرُ الرشيد ، لقَّبه به الرشيدُ تعظيماً له ، ثم أُنقطع التلقب به إلى أيام بني بُوَيْه فتلقب به مُلُوكُهم فمن بعدهم من الملوك السَّلاجقة وغيرهم وهَلُمَّ جرّاً إلى زماننا .

وأصله في اللغة الحُجَّة قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ يعني من حُجَّة . وسمَّى السلطان بذلك لأنه حُجَّة على الرعية يجب عليهم الانقياد إليه .

وأختلَف في اشتقاقه : ف قيل إنه مشتقٌّ من السَّلاطَة وهي القهر والغلبة : لقهره الرعية وأنقيادهم له ، وقيل مشتقٌّ من السَّليط : وهو الشَّيرجُ في لغة أهل اليمن

لأنه يُستضاء به في خلاص الحقوق ، وقيل من قولهم لسانٌ سَاطِعٌ أى حادٌ ماضٍ لمضى أمره ونُفُوذِهِ . وقال محمد بن يزيد البصري : السُّلْطَانُ جَمْعٌ واحدُه سَلِيطٌ كَقَفِيزٍ وَنُفْرَانٍ ، وَبَعِيرٍ وَبُعْرَانٍ .

وحكى صاحب "ذخيرة الكُتَّاب" : أنه يكون واحداً ويكون جمعاً ، ثم هو يُدَكَّرُ على معنى الرجل ، ويؤنث على معنى الحُجَّة . وحكى الكسائي والفراء على التأنيث عن بعض العرب قَصَّتْ به عليك السلطانُ . قال العسكري في كتابه "الفروق" في اللغة : والفرق بينه وبين المَلِكِ أن المَلِكَ يَخْتَصُّ بالزَّعِيمِ الأعظم ، والسُّلْطَانُ يُطْلَقُ عليه وعلى غيره . وعلى ما ذكره العسكري عرَّفَ الفقهاء في كتبهم ، إذ يُطْلَقُونَهُ على الحاكم من حيث هو حتى على القاضي فيقولون فيمن ليس لها وَلِيٌّ خَاصٌّ يَرْجُحُهَا السُّلْطَانُ ونحو ذلك . ومن حيث إن السلطان أعمُّ من المَلِكِ يُقَدِّمُ عليه في قولهم السلطانُ المَلِكُ الفلاني : ليقع السلطانُ أولاً على المَلِكِ وعلى غيره ثم يخرج غير المَلِكِ بعد ذلك بذكر المَلِكِ .

الرابع — الوزير . وهو المتحدث للمَلِكِ في أمر مملكته . واختلف في اشتقاقه : فقول مستق من الوَزَرِ بفتح الواو والزاي وهو المَلْجَأُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَاؤَزَّرَ ﴾ سُمِّيَ بذلك لأن الرعية يَلْجَأُونَ إليه في حوائجهم ، وقيل مشتق من الأَوْزَارِ وهي الأمتعة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ سُمِّيَ بذلك لأنه منقلدٌ بخزان المَلِكِ وأمتعه ، وقيل مشتق من الوَزَرِ بكسر الواو وإسكان الزاي وهو الثقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ سُمِّيَ بذلك لأنه يتحمل أثقال المَلِكِ ، وقيل مشتق من الأَزَرِ : وهو الظَّهْرُ ، سُمِّيَ بذلك لأن المَلِكِ يقوى بوزيره كقوة البدن بالظَّهْرِ ، وتكون الواو فيه على هذا التقدير متقلبةً عن همزة . وقد

أوضحت القول في ذلك في "النفعات الشريفة في الوزارة البدرية". قال القضاعى في "عيون المعارف في أخبار الخلائف": وأول من لُقّب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة: حفص بن سلمان الخلال وزير السفاح. قال: وإنما كانوا قبل ذلك يقولون كاتب. ثم هو إمام وزير تفويض: وهو الذى يفوض الإمام إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على أجهاده كما كانت الوزراء بالديار المصرية من لئدنى وزارة بدر الجمالي وإلى حين انقراضها، وإمام وزير تنفيذ: وهو الذى يكون وسيطا بين الإمام والرعيا معتمدا على رأي الإمام وتديره. وهذه هى التى كان أهل الدولة الفاطمية يعبرون عنها بالوساطة. أما الوزارة فى زماننا فقد تقاصرت عن ذلك كله حتى لم يبق منها إلا الاسم دون الرسم، ولم تزل الوزارة فى الدول تتردد بين أرباب السيوف والأقلام تارة وتارة إلا أنها فى زماننا فى أرباب الأقلام.

الخامس — الأمير، وهو زعيم الجيش أو الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الإمام. وأصله فى اللغة ذو الأمر وهو فاعل بمعنى فاعل فيكون أمير بمعنى أمر، سمي بذلك لأنّ مثال قومه أمره. يقال: أمر فلان إذا صار أميرا، والمصدر الإمرة والإمارة بالكسر فيهما، والتأثير تولية الأمير، وهى وظيفة قديمة.

السادس — الحاجب. وهو فى أصل الوضع عبارة عن يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام ويأخذ لهم الإذن منه، وهى وظيفة قديمة الوضع كانت لأبتداء الخلافة فقد ذكر القضاعى فى "عيون المعارف" لكل خليفة حاجبا من أبتداء الأمر وإلى زمانه: فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق رضى الله عنه «شديدا» مولاه، وحاجب عمر «يرفا» مولاه، وحاجب عثمان «حمران» مولاه، وحاجب على «قنبرا» مولاه، وعلى ذلك فى كل خليفة، ماعدا الحسن بن على رضى الله عنهما فإنه لم يذكر له حاجبا. وسمى الحاجب بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عن

يدخل إليه بغير إذن . قال زياد لحاجبه : « وَلَيْتَكَ حِجَابِي وَعَزَمْتُكَ عَنْ أَرْبَع :
هذا المنادي إلى الله في الصلاة والفلاح فلا تَعُوجِنَهُ عَنِّي وَلَا سُلْطَانٌ لَكَ عَلَيْهِ ،
وطارق الليل فلا تَحْجِبُهُ فَشَرًّا مَا جَاءَ بِهِ وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا جَاءَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ،
ورسول الثَّغْرِ فَإِنَّهُ إِنْ أَبْطَأَ سَاعَةً أَفْسَدَ عَمَلَ سَنَةٍ فَأَدْخِلْهُ عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُ فِي حِجَابِي ،
وصاحبُ الطعامِ فَإِنَّ الطعامَ إِذَا أُعِيدَ تَسَخِيْنُهُ فُسِدَ » .

ثم تصرّف الناس في هذا اللَّقَبِ ووضعوه في غير موضعه ، حتى كان في أعقاب
خلافة بني أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ ربما أُطْلِقَ عَلَى مَنْ قَامَ مَقَامَ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَمْرِ ، وَكَانُوا
فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ يُعَبَّرُونَ عَنْهُ بِصَاحِبِ الْبَابِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ
فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ دَوْلَتِهِمْ . أَمَّا فِي زَمَانِنَا فَإِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ يَقِفِ
بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ وَنَحْوِهِ فِي الْمَوَاقِبِ ، لِيَبْلُغَ ضَرُورَاتِ الرِّعَايَةِ إِلَيْهِ ، وَيَرْكَبَ أَمَامَهُ
بَعْضًا فِي يَدِهِ ، وَيَتَصَدَّى لِفَضْلِ الْمَظْلَمِ بَيْنَ الْمُتَدَاعِيَيْنِ خُصُوصًا فِيمَا لَا تَسُوغُ الدَّعْوَى
فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَةِ وَنَحْوِهَا . وَلَهُ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ أَوْضَاعٌ تَخْصُهُ
فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ ، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَاتِبَتِهِمْ فِي الْمَقَالَةِ الرَّابِعَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

السابع — صاحبُ الشُّرْطَةِ . بضم الشين المعجمة وإسكان الراء : وهو المعبرُ
عنه فِي زَمَانِنَا بِالْوَالِي ، وَتَجْمَعُ الشُّرْطَةُ عَلَى شُرَاطٍ بضم الشين المعجمة وفتح الراء .
وَفِي أَشْتِقَاقِهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الشَّرَطِ بِفَتْحِ الشين والراء وَهِيَ الْعَلَامَةُ ،
لأنهم يجعلون لأنفسهم علاماتٍ يُعَرِّفُونَ بِهَا ، وَمِنْهُ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ يَعْنِي غَلَامَاتُهَا ،
وَقِيلَ مِنَ الشَّرَطِ بِالْفَتْحِ أَيْضًا : وَهُوَ رُدَّالُ الْمَالِ ، لِأَنَّهُمْ يَتَخَذُونَ فِي أَرَاذِلِ النَّاسِ
وَسِفْلَتِهِمْ مِنْ لَامَالٍ لَهُ مِنَ الْأَلْصُوصِ وَنَحْوِهِمْ .

الصِّنف الثاني

(ألقاب أرباب الأقاليم، وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول - القاضي . وهو عبارة عن يتولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية . وهي وظيفة قديمة كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد ذكر القضاة أنه صلى الله عليه وسلم ولي القضاء بايمن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري ، وأن أبا بكر رضي الله عنه ولي القضاء عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .

ثم هو مشتق من القضاء ، وأختلف في معناه فقال أبو عبيد : هو إحكام الشيء والفراغ منه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ أى أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه . قال أبو جعفر النحاس : سمي القاضي قاضياً لأنه يقال قضى بين الخصمين إذا فصل بينهما وفرغ ، وقيل معناه القطع ، يقال قضى الشيء إذا قطعه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَقِضْ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ وسمى القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم ، على أن كتاب الزمان يطبقون هذا اللقب واللقاب المتفرعة منه كالتضائي والقاضوي على أرباب الأقاليم في الحملة ، سواء كان صاحب اللقب متصدياً لهذه الوظيفة أو غيرها ، كسائر العلماء والكتاب ومن في معناهم ، وعلى ذلك عرف العامة أيضاً .

الثاني - المحتسب . وهو عبارة عن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحدث في أمر المكاييل والموازين ونحوهما . قال الماوردي في " الأحكام السلطانية " : وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكف ، سمي بذلك لأنه يكفي

(١) عبارة الضوء نقلاً عن الماوردي هكذا (وهو مشتق من قولهم حسبك بمعنى اكف لأنه يكف عن الظلم وقال النحاس من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفي الخ) وبه تعلم ما في الأصل .

الناس مؤونة من ينحسهم حقوقهم . قال النحاس : وحقيقته في اللغة المجتهد في كفاية المسلمين ومنفعتهم إذ حقيقة أفتل عند الخليل وسيدييه بمعنى اجتهد . وأول من قام بهذا الأمر وصنع الدرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته . وقد كانوا في الأيام الفاطمية بالديار المصرية يضيفونها إلى الشرطة في بعض الأحيان ، كما هو موجود في تقاليد الحسبة في زمانهم .

الثالث — الكاتب . وقد تقدم استقافه ومعناه في مقدمة الكتاب ، وأنه كان في الزمن الأول عند الإطلاق إنما يراد به كاتب الإنشاء ثم تغير الحال بعد ذلك إلى أن صار في العرف العام بالديار المصرية عند الإطلاق يراد به كاتب المال ومن في معناه . وهو من الألقاب القديمة فقد تقدم في الكلام على الوزارة من كلام القضاة أنهم قبل التلقيب بالوزارة في الدولة العباسية في خلافة السفاح إنما كانوا يقولون كاتب .

قلت : ووراء ما تقدم من الألقاب القديمة المتداولة ألقاب أخرى كانت مستعملة في الأيام الفاطمية ثم رُفِضَت الآن وتُرِكَت .

كـ «صاحب المظالم» وهو المتحدث في فصل الخصومات .

وصاحب الصلاة : وهو المتحدث في أمر المساجد والصلوات .

وكلتحدث في الوساطة ، وهي القيام بوظيفة الوزارة ممن لم يؤهل لإطلاق اسم الوزارة عليه .

وصاحب الباب كنحو الحاجب .

وداعي الدعاة للشيعة ونحو ذلك .

النوع الثاني

(الألقاب المحدثنة)

وهي إما عَرَبِيَّةٌ ، وإما عَجَمِيَّةٌ . والعجمية منها إما فارسية ، وإما تركية ، وأكثرها الفارسية . والسبب في استعمال الفارسي منها وإن كانت الفرس لم تلها في الإسلام أن الخلافة كانت ببغداد وغالب كلام أهلها الفارسية ، والوظائف منقولة عنها إلى هذه المملكة ، إما مضاهاة كما في الدولة الفاطمية على قلة ، كما في الاسفهرسار ، وإما تبعا كما في الدولة الأيوبية فبعدها .
وهي أربعة أصناف :

الصنف الأول

(المفردة ، وهي ضربان)

الضرب الأول

(مالفظه عَرَبِيٌّ ، وهو ثلاثة ألقاب)

الأول — النائب : وهو لقبٌ على القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها ، والألف فيه متقلبة عن واو . يقال : ناب فلان عن فلان ينوب نوبا ومنابا إذا قام مقامه فهو نائب . ويطلق هذا اللقب في العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها في قرب أو بُعد ، إلا أن النائب عن السلطان بالحضرة يُوصف في عرف النُجَّاب بالكافل : فيقال « النائب الكافل » وفي حال الإضافة « كافل المالك الإسلامية » على ما سيأتي ذكره في التبعوت إن شاء الله تعالى ،

(١) مراده المهمة التي هي عين فاعل .

والنائب عنه بِدَمَشَقْ يُقال فيه «كافِلُ السَّطَنَةِ» وَمَنْ دُونَهُ مِنْ أَكْبَرِ النُّوَابِ :
 كاتِبَ حَلَبَ وَنائبَ طَرَابُلسَ وَنائبَ حَمَّاهَ وَنائبَ صَفَدَ وَنائبَ الكَرْكَ مِنَ المَمَالِكِ
 الشَّامِيَةِ ، وَنائبَ الإسْكَندَرِيَّةَ وَنائبِي الوَجْهَيْنِ : القِبْلَى وَالبَحْرَى بِالديارِ المِصْرِيَّةِ .
 [يُقال فيه نَائبُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِكَذَا لَيْسَ إِلَّا] ^(١) وَيُقال فِيمَنْ دُونَهُمْ مِنَ النُّوَابِ
 بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَائبَ حُصْنِ وَنائبَ الرَّجْبَةِ وَغيرَهُمَا «النَّائِبُ بِفُلَانَةٍ» .

الثَّانِي - السَّاقِي . وَهُوَ لَقَبٌ عَلَى الَّذِي يَتَوَلَّى مَدَّ السَّهْمِ وَتَقْطِيعَ اللَّحْمِ وَسَقَى
 الْمَشْرُوبَ بَعْدَ رَفْعِ السَّهْمِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ . وَكَانَهُ وَضِعَ فِي الْأَوَّلِ لِسَقَى الْمَشْرُوبِ فَقَطْ
 ثُمَّ اسْتَحْدَثَ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ الْأُخْرَى تَبَعًا . وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَقَبٌ بِذَلِكَ لِأَنَّ سَقَى
 الْمَشْرُوبِ آخِرُ عَمَلِهِ الَّذِي يَخْتِمُ بِهِ وَظِيفَتُهُ .

الثَّالِثُ - الْمُشْرِفُ . وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ الْمَطْبَخِ وَيَقِفُ عَلَى مِشَارَفَةِ
 الْأَطْبَاطِ فِي خِدْمَةِ إِسْتَادَارِ الصُّحْبَةِ الْآتِي ذِكْرَهُ ، وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ .

الضرب الثاني

(مَا لَفْظُهُ عَجْمِيٌّ وَهُوَ لَقَبٌ وَاحِدٌ)

وَهُوَ «الْأَوْجَاقِي» وَهُوَ لَقَبٌ عَلَى الَّذِي يَتَوَلَّى رُكُوبَ الْخَيُْولِ لِلتَّنْسِيرِ وَالرِّيَاضَةِ ،
 وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَعْنَاهُ .

(١) الزيادة من الضوء، ص ٢٤٢ ليم الكلام .

الصنف الثانى

(المركبة ، وهى ثلاثة اضراب)

الضرب الأول

(ماتمحص تركيه من اللفظ العربى ، وفيه سبعة ألقاب)

الأول — ملك الأمراء . وهو من الألقاب التى أصطلح عليها لكُفَّال الممالك من نواب السلطنة ، كأكابر النواب بالممالك الشامية ومن فى معناهم . وذلك أنه قام فيهم مقام الملك فى التصرف والتنفيذ ، والأمراء فى خدمته نخدمة السلطان . وأكثر ما يخاطب به النواب فى المكتبات ، وذلك مختص بغير المخاطبات السلطانية ، أما السلطان فلا يخاطب عنه أحد منهم بذلك .

الثانى — رأس نوبة . وهو لقب على الذى يتحدث على ممالك السلطان أو الأمير ، وتنفيذ أمره فيهم ، ويجمع على رؤوس نوب . والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاه . والنوبة واحدة النوب وهى المرة بعد الأخرى ، والعامّة تقول لأعلامهم فى خدمة السلطان « رأس نوبة النوب » وهو خطأ لأن المقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها ، والصواب فيه أن يقال : « رأس رؤوس النوب » أى أعلامهم .

الثالث — أمير مجلس . وهو لقب على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره ، ويجمع على أمراء ، ومعناه ظاهر ، والأحسن فيه أن يقال أمير المجلس بتعريف المضاف إليه ، وتكون الألف واللام فيه للعهد الدهنى ، إما مجلس السلطان أو غيره .

الرابع — أمير سلاح . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير . ويجمع على أمراء سلاح ، والسلاح آلة القتال . قال الجوهري : وهو مدَّكر ويجوز تأنيته .

الخامس — مُقدِّم الممالك . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر الممالك للسلطان أو الأمير . من الخُدَّام الخِصَّيان المعروفين الآن بالطواشيَّة . ومقامه فيهم نحو مقام رأس النوبة ، ولفظ المُقدِّم والممالك معروف .

السادس — أمير علم . وهو لقبٌ على الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية والطَّبَّخانة وما يجرى مجرى ذلك . والعلم فى اللغة يطلق بإزاء معانٍ أحدها الرأية^(١) ، وهو المراد هنا .

السابع — نقيب الجيش . وهو الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم ، والنقيب فى اللغة العريف الذى هو ضمين القوم وفى التتريل حكاية عن بنى اسرائيل : « وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا » ويقال : نَقَب على قومه يَنْقُب نَقْبًا مثل كَتَب يَكْتُب كِتْبًا . والجيش العسكر ويجمع على جيوش . أما بالممالك الشامية فإنه يقال فى مثله نَقِيب النقباء .

الضرب الثانى

(ما تمحَّص تركيبه من اللفظ العجمي)

وقاعدة اللغات العجمية تقديم المضاف إليه على المضاف ، والصِّفة على الموصوف ،^(٢) بخلاف اللغة العربية . ولهذا الضرب حالتان :

(١) فى الأصول التروية ، والتصحيح عن الضوء .

(٢) فى الأصول " المضاف على المضاف إليه " وهو سبق قلم .

الحالة الأولى

(أن تكون الإضافة إلى لفظ دار)

وهي لفظة فارسية معناها مُسِكَ فاعل من الإمساك . وكثير من كُتّاب الزمان أو أكثرهم بل كلُّهم يظنون أن لفظ دار في ذلك عربي بمعنى المحلة ، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك ، وهو خطأ كما سيأتي بيانه في الكلام على إستدار ، ونحو زدار وغيرهما .

والمضاف إلى لفظ دار من وظائف أرباب السيوف تسعة ألقاب :

الأول — الإِستدار . بكسر الهمزة وهو لقب على الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرقه ، ويُمثّل أو امرؤه فيه . وهو مركّب من لفظتين فارسيتين : إحداهما إِستد ، بهمزة مكسورة وسين مهملة ساكنة بعدها تاء مشناة من فوق ثم ذال معجمة ساكنة ، ومعناها الأخذ . والثانية دار ، ومعناها المُسِكَ كما تقدّم ، فأدغمت الذال الأولى وهي المعجمة في الثانية وهي المهملة فصار إِستدار . والمعنى المتولّى للأخذ ، سمي بذلك لما تقدّم من أنه يتولى قبض المال . ويقال فيه أيضا : سِتدار بإسقاط الألف من أوله وكسر السين ، والمشتقون من الكُتّاب يضمّون الهمزة في أوله ويحقّون فيه ألفا بعد التاء ، فيقولون : «أُستادّار» وربما قالوا : «أُستاذ الدار» بادخال الألف واللام على لفظ الدار ظنا منهم أن المراد حقيقة الدار في اللفظ العربي ، وأن أُستاذ بمعنى السيد أو الكبير ، ولذلك يقولون «أُستاذار العالية» : أو «أُستاذ الدار العالية» وهو خطأ صريح لما تقدّم بيانه . على أن العامة تنطق به على الصواب ، من كسر الهمزة وحذف الألف بعد التاء . ثم قد يزداد في هذا اللقب لفظ الصُحبة ، فيصير «إِستدار الصُحبة» ويكون لقباً على متولّى أمر المطبخ ، وكأنه لقب بذلك للازمته الباب سقرا وحضرا .

الثانى — الجُوكَانْدَار . وهو لقب على الذى يحمل الجُوكَان مع السلطان فى لعب الكُرَّة ، ويجمع على جُوكَان دَارِيَّة ، وهو مركب من لفظتين فارسيتين أيضا : إحداهما جوكان ، وهو المَحْجَن الذى تُضْرَب به الكُرَّة ، ويعبر عنه بالصُّوْلَحَان أيضا : والثانية دار ، ومعناه مُسِك كما تقدم . فيكون المعنى 'مسك الجُوكَان' . والعامة تقول : « جُكَنْدَار » بحذف الواو بعد الجيم والألف بعد الكاف .

الثالث — الطَّبَرْدَار . وهو الذى يحمل الطَّبَر حَوْلَ السلطان عند ركوبه فى المَوَاكِب وغيرها . وهو مركب من لفظين فارسيتين : أحدهما طَبَر ومعناه الفأس ، ولذلك يقولون فى الشُّكْرِ الصُّلْبِ الشَّدِيدِ الصَّلَابَةِ طَبَرَزْد بمعنى 'يكسر بالفأس' . والثانى دار ومعناه مُسِك كما تقدم ، فيكون المعنى 'مُسِك الطَّبَر' .

الرابع — السَّنَجَقْدَار . وهو الذى يحمل السَّنَجَق خلف السلطان . وهو مركب من لفظتين : أحدهما تَرْكِي وهو سَنَجَق ، ومعناه الرُّح وهو فى لغتهم مصدر طَعَن ، ويعبر به عن الرُّح الذى يُطَعَن به . والثانى دار ومعناه مُسِك كما تقدم ، ويكون المعنى 'مُسِك السَّنَجَق' وهو الرُّح . والمراد هنا العلم الذى هو الراية كما تقدم ، إلا أنه لما كانت الراية إنما تُجْعَل فى أعلى الرُّح عبر بالرح نفسه عنها .

الخامس — البَنْدَقْدَار . وهو الذى يحمل جِراوة البَنْدَق^(١) خلف السلطان أو الأمير . وهو مركب من لفظتين فارسيتين إحداهما بَنْدُق ، وإن كان الجوهرى قد أطلق ذكره فى الصحاح من غير تعرض لأنه معرب فقال : والبَنْدُق الذى يُرْمَى به . ثم هو منقول عن البَنْدَق الذى يؤكَل وهو الحَلْوَز بكسر الجيم والزى المعجمة فى آخره .

(١) كذا فى الأصل ولعله مصحف عن غرارة أو نحوه .

فقد قال أبو حنيفة في كتاب "النبات" الجَلَوَزُ عربي وهو البُنْدُق والبُنْدُق فارسي .
اللفظة الثانية دار ومعناها ممسك كما تقدم ، ويكون المعنى 'ممسك البُنْدُق' .

السادس — الجَمْدَار . وهو الذي يتصدى للإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .
وأصله جاماً دار فُجِدَتْ الألف بعد الجيم وبعد الميم استئقلاً وقيل جَمْدَار .
وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ، ومعناه الثوب . والثاني دار ،
ومعناه ممسك كما تقدم فيكون المعنى 'ممسك الثوب' .

السابع — البَشْمَقْدَار . وهو الذي يحمل نعل السلطان أو الأمير ، وهو مَرَكَبٌ
من لفظين : أحدهما من اللغة التركية وهو بَشْمَق ومعناه النعل . والثاني من
اللغة الفارسية وهو دار ومعناه مُمَسِكٌ على ما تقدم . ويكون المعنى 'ممسك النعل' .
على أن صاحب « الأنوار الضوئية في إظهار غلط الدرّة المضية في اللغة التركية »
قد ذكر أن الصواب في النعل بصمق بالصاد المهملة بدل الشين المعجمة ، وحينئذ
فيكون صوابه على ما ذكر بصْمَقْدَار . والمعروف في السنة الترك بالديار المصرية
ما تقدم .

الثامن — المَهْمَقْدَار . وهو الذي يتصدى لتلقي الرُّسُل والعُرَبان الواردين على
السلطان ويُنزِلُهُم دَارَ الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين
فارسيين : أحدهما مَهْمَن بفتح الميم ومعناه الضيف ، والثاني دار ومعناه ممسك
كما تقدم ، ويكون معناه ممسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره .

التاسع — الزَنَانُ دار المعبر عنه « بالزَّمام دار » . وهو لقب على الذي يتحدث
على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخُتَّام الخَصِيان . وهو مَرَكَبٌ من لفظين
فارسيين : أحدهما زَنَان بفتح الزاي ونونين بينهما ألف ، ومعناه النساء .

والثاني دار، ومعناه ممسك كما تقدم فيكون معناه ممسك النساء، بمعنى أنه الموكَّل بحفظ الحريم إلا أن العامة والخاصة قد قبلوا النونين فيه بيمين فعبَّروا عنه بالزَّمام دار كما تقدم، ظناً أن الدار على معناها العربي والزَّمام بمعنى القائد، أخذاً من زِمَام البعير الذي يُقاد به .

الحالة الثانية

(أن تكون الإضافة إلى غير لفظ دار، وفيها لقبان)

الأول — الجَسَّاشُ كَبِير . وهو الذي يتصَدَّى لِدَوَقَانِ الْمَأْكُولِ والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يَدَسَّ عليه فيه سُمٌّ ونحوه . وهو مركَّب من لفظين فارسيين : أحدهما چاشنا بحيم في أوَّلِهِ قَرِيبَةٌ في اللفظ من الشين ، ومعناه الدَّوقُ، ولذلك يقولون في الذي يذوق الطعام والشراب الشَّيشِيَّ . والثاني كِير وهو بمعنى المتعاطي لذلك، ويكون المعنى الذي يذوق .

الثاني — السَّرَاخُور . وهو الذي يتحدَّثُ على عَلفِ الدَّوَابِّ من الخيل وغيرها . وهو مركَّب من لفظين فارسيين : أحدهما سَرَا ومعناه الكبير . والثاني خُور، ومعناه العلف، ويكون المعنى كبيرُ العلف والمراد كبير الجماعة الذين يتولَّون عَلفَ الدَّوَابِّ . والعامة يقولون سَرَاخُورِيٌّ بإثبات ياء النسب في آخره ولا وجه له . ومتشبهو الكُتَّابِ يبدلون الراء فيه لاما فيقولون سَلَاخُورِيٌّ وهو خطأ .

(١) مصدر ذاق الدوق والمذاق والدواق فسا في الأصل جارئ في لغة العامة .

(٢) خالف في هذا قاعدة اللغة العجمية من تقدم المضاف اليه على المضاف . ووجد بهامش بعض النسخ " السراخور مركب من سرا فارسي بمعنى الرأس واخور بمعنى اصطبل فعبَّراهما رأس الاصطبل السلطاني " .

الضرب الثالث

(ما ترَكَّب من لفظ عربيّ ولفظٍ عجميّ ، وله حالتان)

الحالة الأولى

(أن يصنّر بلفظ أمير وهو لفظٌ عربيّ كما تقدّم

في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف ، وفيها أربعة ألقاب)

الأول - أمير آخوَر . وهو الذي يتحدّث على إصطبل السلطان أو الأمير ، ويتولّى أمرَ ما فيه من الخيل والإبل وغيرهما مما هو داخل في حكم الإصطبلات ، وهو مرَكَّب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو أمير ، والثاني فارسيّ وهو آخوَر بهمة مفتوحة ممدودة بعدها خاء معجمة ثم واو وراء مهملة ومعناه المَعْلَف ، والمعنى أمير المَعْلَف : لأنه المتولّى لأمر الدواب على ما تقدّم وأهم أمورها المَعْلَف .

الثاني - أمير جَانْدَار . وهو لقب على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل . وهو مرَكَّب من ثلاثة ألفاظ : أحدها عربيّ وهو أمير وقد تقدّم معناه . والثاني جان يجسم وألف ونون ، ومعناه الروح بالفارسيّة والتركية جميعا . والثالث دار ، ومعناه ممسك كما تقدّم ، فيكون المعنى « الأمير الممسك للروح » ولم يظهر لي وجه ذلك إلا أن يكون المراد أنه الحافظ لدم السلطان فلا يادّن عليه إلا لمن يأمن عاقبته .

الثالث - أمير شِكَار . وهو لقب على الذي يتحدّث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد . وهو مرَكَّب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو أمير والثاني فارسيّ وهو شِكَار بكسر الشين المعجمة وكاف وألف ثم راء مهملة في الآخر ، ومعناه الصيد فيكون المراد « أمير الصيد » .

الرابع — أمير طَبَر . وهو لَقَب علي الذي يتحدث علي الطَّبَرْدَارِيَّة الذين يحملون الأَطْبَارَ حول السلطان في المواكب ونحوها . وهو مرَّكَب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو أمير ، والثاني طَبَر وهو بالفارسية النَّاسُ كما تقدّم في الكلام علي الطَّبَرْدَار .

الحالة الثانية

(أن لا يُصدّر اللَّقَبُ بلفظ أمير، وفيها خمسة ألقاب)

الأوّل — الدَّوَادَار . وهو لقب علي الذي يحمل دَوَاة السلطان أو الأمير أو غيرهما، ويتولّى أمرها مع ما ينضمّ إلى ذلك من الأمور اللازمة لهذا المعنى من حُكْم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال . وهو مرَّكَب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو الدَّوَاة ، والمصادر التي يُكتب منها . والثاني فارسيّ وهو دار، ومعناه مُسك كما تقدّم . ويكون المعنى « مُسك الدَّوَاة » وحذفت الهاء من آخر الدَّوَاة استئثالا . أما في اللغة العربية فإنه يقال لحامل الدَّوَاة « دَاوٍ » علي وزن قاض ، فنثبت الياء فيه مع الألف واللام فتقول جاء الدَّاوي ورأيت الدَّاوي ومررت بالدَّاوي، ويجوز حذفها كما في سائر الأسماء المنقوصة .

الثاني — السِّلَاح دَار . وهو لقب علي الذي يحمل سِلَاح السلطان أو الأمير ويتولّى أمر السِّلَاح حَتَاهُ وما هو من توابع ذلك . وهو مرَّكَب من لفظين : أحدهما عربيّ وهو السِّلَاح ، وقد تقدّم معناه في الكلام علي أمير سِلَاح . والثاني فارسيّ وهو دار ومعناه مُسك كما تقدّم، ويكون المعنى « مُسك السِّلَاح » .

الثالث — الخِزَنَدَار بكسر الخاء وفتح الراء المعجمتين . وهو لَقَب علي الذي يتحدث علي خِزَانَةِ السلطان أو الأمير أو غيرهما . وهو مرَّكَب من لفظين : أحدهما

عربيّ وهو خزانة : وهى ما يُخزَن فيه المال . والثانى فارسىّ وهو دار، ومعناه مُمسك كما تقدّم خذفت الألف والهاء من خزانة استتقلا فصار خزاندار ويكون المعنى «مُسك الخزانة» والمراد المتولّى لأمرها ، ومتشققو الكتاب يُسقطون الألف والهاء من خزانة على ما تقدّم ويُلحقون بعد الخاء ألفا فينقلون لفظ خزانة إلى خازن فاعل من الخزن ويضيفونه إلى دار، ظنا منهم أن الدار على معناها العربىّ كما تقدّم فى الإستمدار والزّان دار ، وهو خطأ كما تقدّم بيانه هناك . على أن العامة تنطق بحروفه على الصواب إلا أنهم يكسرون الزاى بعد الخاء والصواب فتحها .

الرابع — العلم دار . وهو لقب على الذى يحمل العلم مع السلطان فى المواكب . وهو مركّب من لفظين : أحدهما عربىّ وهو العلم ، وقد تقدّم أن معناه الراية . والثانى فارسىّ وهو دار ومعناه مُمسك كما تقدّم ، ويكون المعنى « ممسك العلم » .

الصف الثاني^(١)

(ألقاب أرباب الأعلام ، وهى على خمسة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب أرباب الوظائف من العلماء ، وفيه خمسة ألقاب)

الأول — الخطيب . وهو الذى يُخطب الناس ويُذكّرهم فى الجمع والأعياد ونحوهما . وقد كان ذلك فى الزمن المتقدّم مختصّا بالخلفاء والأمراء بالنواحي على ما تقدّم فى الكلام على ترتيب الخلافة فى المقالة الثانية .

(١) كذا فى الأصل ولعله الثالث ومع ذلك لم يذكر الصف الرابع وقد جعل فى الضوء هذا القسم من نوع ألقاب أرباب الوظائف الدينية وهو الموافق .

الثاني — الْمُقَرِّئ . وهو الذي يُقَرِّئُ القُرَّانَ العَظِيمَ ، وقد غلبَ اِختصاصُهُ في العُرْفِ على مشايخِ القِرَاءَةِ من قُرَّاءِ السَّبعةِ المُحَمَّدِيِّينَ المتَصَدِّينَ لتعليمِ عِلْمِ القِرَاءَةِ .

الثالث — المُحَدِّث . والمراد به مَنْ يتعاطى عِلْمَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطريقِ الرِّوَايَةِ والدِّرَايَةِ ، والعِلْمِ بِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وطُرُقِ الْأَحَادِيثِ ، والمَعْرِفَةِ بِالْأَسَانِيدِ ونحو ذلك .

الرابع — المُدَرِّس . وهو الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية : من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والتصريف ونحو ذلك . وهو مأخوذ من دَرَسَ الكتابَ دِرَاسَةً إِذَا كَرَّرْتَهُ لِلحِفْظِ .

الخامس — المُعَيِّد . وهو ثاني رُتْبَةِ المُدَرِّسِ فيما تقدّم ، وأصلُ موضوعِهِ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ المُدَرِّسُ الدَّرْسَ وَأَنْصَرَفَ أَعَادَ لِلطَّلِبَةِ مَا أَلْقَاهُ المُدَرِّسُ إِلَيْهِمْ لِيَفْهَمُوهُ وَيُحَسِّنُوهُ .

الضرب الثاني

(ألقابُ الكُتَّابِ ، وهى مَظَانِ)

المنط الأول

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ من كُتَّابِ الإنشاء . وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — كاتبُ السَّرِّ . وهو صاحبُ ديوانِ الإنشاءِ وقد تقدّمَ الكلامُ عليه مستوفى عند الكلام على الكِتَابَةِ والكُتَّابِ فى مقدّمة الكتاب .

الثاني — كاتبُ الدَّسْتِ . وهو الذى يجلسُ مع كاتبِ السَّرِّ بدارِ العدلِ أمامَ السلطانِ أو النَّائِبِ بِمَمْلَكَةٍ مِنَ الممالك ، ويوقعُ على القِصَصِ . وهم جماعة وقد تقدّمَ الكلامُ عليهم فى المقدّمة أيضا .

الثالث — كاتب الدَّرج . وهو الذى يَكْتُبُ المَكْتَبَاتِ وَالوَلَايَاتِ وغيرها
فى الغالب وربما شاركه فى ذلك كُتَّابُ الدَّستِ ، ويعبرُ الآنَ عنه بالمُوقَّعِ ، وقد تقدَّم
الكلام عليه هناك أيضا .^(١)

الضرب الثالث

(ألقاب أرباب الوظائف من كُتَّابِ الأموال ونحوها ، وفيه تسعة ألقاب)
الأول — الوزير إذا كان من أرباب الأقاليم ، وقد تقدَّم الكلام عليه
فى ألقاب أرباب السُّيوف فى الصَّنِيفِ الأوَّلِ .^(٢)

الثانى — الناظر . وهو من ينظر فى الأموال وينقذ تصرفاتها ويرفع إليه
حسابها لينظر فيه ويتأمله فيُمضِى ما يُمضى ويرُدُّ ما يرُدُّ . وهو مأخوذ إما من
النظر الذى هو رأى العين : لأنه يُدير نظره فى أمور ما ينظر فيه ، وإما من النظر
الذى هو بمعنى الفكر : لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك . ثم هو يختلف باختلاف
ما يُضاف إليه كـ (ناظر الحَيْشِ) وهو الذى يتحدَّث فى أمر الحَيْشِ وضبطها .
أو (ناظر الخِصَّاصِ) وهو الذى ينظر فى خاصِّ أموال السلطان . أو (ناظر الدَّواوين)
وهو الذى يعبر عنه بناظر الدَّولة ويُشارِكُ الوزير فى التصرف . أو (ناظر النُّظارِ
بِدَمْشَقَ) وهو الذى يقوم بها مقام الوزير بالديار المصرية . أو (ناظر المَمْلُوكَةِ)
بحلب ، أو طرابُلس ، أو حماة ونحوها . أو (ناظر أوقاف أوجهات ير) وما يجرى
مجرى ذلك .

(١) لم يذكر النمط الثانى من هذا الضرب ولعله سهو من النسخ . وهو كذلك فى نسخة أخرى .

(٢) أى من الألقاب الإسلامية القديمة وقد تقدم فى ص ٤٤٨ من هذا الجزء .

الثالث - صاحب الديوان . وكانوا في الزمن الاول يعبرون عنه بمتولى الديوان ، وهو ثاني رتبة الناظر في المراجعة . وله أمور تخصه لترتيب الدرج ونحو ذلك .

الرابع - الشاهد . وهو الذي يشهد بمتعلقات الديوان نفيا وإثباتا .

الخامس - المستوفي . وهو الذي يضبط الديوان ، وينبئه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك . ولعظم موقعه أشار إليه الحريري في مقاماته بقوله : « منهم المستوفي الذي هو قُطْبُ الديوان » إلى آخره . ثم في بعض المباشرات قد ينقسم إلى مستوفي أصل ومستوفي مباشرة ، ولكل منهما أعمال تخصه .

السادس - العامل ، وهو الذي ينظم الحسابات ويكتبها . وقد كان هذا اللقب في الاصل إنما يقع على الأمير المتولى العمل ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب وخصه به دون غيره .

السابع - الماسح . وهو الذي يتصدى لقياس أرض الزراعة ، وهو فاعل من مسح الأرض يمسحها مساحا إذا ذرعاها .

الثامن - المعين . وهو الذي يتصدى للكتابة إعانة لأحد من المباشرين المذكورين ، ومعناه واشتقاقه ظاهر .

التاسع - الصيرفي . وهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها . وهو مأخوذ من الصرف : وهو صرف الذهب والفضة في الميزان . وكان يقال له فيما تقدم الجيهدي .

الضرب الرابع

(ألقابُ أربابِ الوظائفِ من أهلِ الصَّناعاتِ ، وفيه خمسةُ ألقابِ)

الأول — مَهْنَدِسُ العِمَارِ . وهو الذى يتولَّى ترتيبَ العِمَارِ وتقديرها ويحكم على أربابِ صناعاتها . والهندسةُ علمٌ معروفٌ فيه كتبٌ مفردةٌ بالتصنيف .

الثانى — رئيسُ الأطِبَاءِ . وهو الذى يحكم على طائفةِ الأطِبَاءِ ويأذنُ لهم فى التطبيبِ ونحو ذلك . وسيأتى الكلامُ على ضَبْطِ ذلك ومعناه فى الكلامِ على الرئيسِ فى الألقابِ المفردةِ فى حرفِ الراء فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الثالث — (رئيسُ الكَحَّالِينَ) . وحكمه فى الكلامِ على طائفةِ الكَحَّالِينَ حُكْمُ رئيسِ الأطِبَاءِ فى طائفةِ الأطِبَاءِ .

الرابع — رئيسُ الجِرَّائِيَّةِ . وحكمه فى الكلامِ على طائفةِ الجِرَّائِيَّةِ والمجبرِّين كالرئيسين المتقدِّمين .

الخامس — رئيسُ الحِرَّاقَةِ . وهو الذى يحكم على رجالِ الحِرَّاقَةِ السلطانيةِ ويتولَّى أمرها . وكان فى الزمنِ المتقدِّمِ يقالُ له رئيسُ الخِلافةِ جَرِيًّا على ما كان الأمرُ عليه فى الخلافةِ الفاطمية بالديارِ المصريةِ .

الضرب الخامس

(ألقاب أرباب الوظائف من الأتباع والخواشي والخدم، وهم طائفتان)

الطائفة الأولى

(الأعوان، وهم نمطان)

النمط الأول

(ما تمحضت ألفاظه عربية، وفيه ثلاثة ألقاب)

الأول — مُقَدِّمُ الدَّوْلَةِ . وهو الذى يتحدَّث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير . والمراد المقدم على الدولة، والدولة لفظ قد خصه العرف بمتعلقات الوزارة . كما يقال لناظر الدواوين ناظر الدولة على ما تقدم ذكره .

الثانى — مُقَدِّمُ الخَاصِّ . وهو المتحدِّث على الأعوان والمتصرفين بديوان الخاص المختص بالسلطان، كمقدم الدولة بالنسبة إلى أعوان الوزارة .

الثالث — مُقَدِّمُ التُّرُكَّانِ . ويكون بالبلاد الشامية والحلبية متحدِّثاً على طوائف التُّرُكَّان الذين يُمَدَّم عليهم .

النمط الثانى

(ما تمحض لفظه عجمياً، وفيه لقب واحد)

وهو (البرددار) . وهو الذى يكون فى خدمة مباشرى الديوان فى الجملة متحدِّثاً على أعوانه والمتصرفين فيه، كما فى مقدم الدولة والخاص المقدم ذكرهما . وأصله

(فَرْدَادَار) بقاء في أوله وهو مركب من لفظين فارسيين : أحدهما فَرْدَا ، ومعناه الستارة . والثاني دار ، ومعناه ممسك ، والمراد «ممسك الستارة» وكأنه في أول الوضع كان يقف بباب الستارة ثم نقل إلى الديوان .

الطائفة الثانية

(أرباب الخدم ، وهم نَمَطَان)

النمط الأول

(ما يُضَاف إلى لفظ الدار كما تقدّم في أرباب الشيوف ، وهي سبعة ألقاب)
الأول — الشَرَبْدَار . وهو لقب على الذي يتصدّى للخدمة بالشراب خاناه ، التي هي أحد البيوت . وهو مركب من لفظين : أحدهما شَرَاب وهو ما يُشْرَب من ماء وغيره ، فحذفوا الألف فيه استئقلا ، والثاني دار ، ومعناه ممسك على ما تقدّم ، والمعنى «ممسك الشراب» .

الثاني — الطُسْتِ دَار . وهو لقب على بعض رجال الطشت خاناه . وهو مركب من لفظين أحدهما طُسْتِ بفتح الطاء وإسكان السين المهملة في اللغة العربية ، وهو الذي يُغْسَل فيه ، ويجمع على طُسُوس بسينين من غير تاء ، ويقال فيه أيضا طُسُ بإسقاط التاء ، إلا أن العامة أبدلوا السين المهملة فيه بشين معجمة . والثاني دار ومعناه ممسك على ما تقدّم ، فيكون معناه «ممسك الطشت» .

الثالث — البَاَزْدَار . وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده . وحُصِّصَ بضافته إلى الباز الذي هو أحد أنواع الجوارح دون غيره لأنه هو المتعارف بين الملوك في الزمن القديم ، على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

الرابع — الحَوْنَدَار . وهو الذى يتصدى لخدمة طُيُور الصيد من الكَرَايِّ والبَشُونات ونحوها ، ويحملها إلى موضع تعليم الجَوَارِح . وأصله « حَيَوَانُ دَار » أطلق الحيوان فى عرفهم على هذا النوع من الطيور ، كما أطلق على مَنْ يتعانى معامل الفُرُوج الحَيَوَانِيَّ .

الخامس — المَرْقَدَار . وهو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المَطْبَخُ وحفظه . سُمي بذلك لكثرة معاطاته لمرق الطعام عند رفع الحَيَوَان ونحو ذلك .

السادس — المِحَقَّدار بكسر الميم . وهو الذى يتصدى لخدمة المِحَقَّة . وهو مركب من لفظين . أحدهما مِحَقَّة فحذفت التاء منها استنقلا ، والثانى دار ، ومعناه ممسك على ما تقدم ، فيكون بمعنى « ممسك المِحَقَّة » .

المنط الثانى

(مالا يتقيد بالإضافة إلى دار ولا غيرها ، وفيه خمسة ألقاب)

الأول — المِهْتَارُ . وهو لقب واقع على كبير كل طائفة من ذلهم البيوت ، كِمِهْتَار الشَّراب خاناه ، ومِهْتَار الطَّسْت خاناه ، ومِهْتَار الرِّكَّاب خاناه . ومِه بكسر الميم معناه بالفارسية الكبير ، وتار بمعنى أفعل التفضيل ، فيكون معنى المِهْتَار الأكبر .

الثانى — أَلْبَابَا . وهو لقب عام لجميع رجال الطَّسْت خاناه ممن يتعاطى الفسل والصقل وغير ذلك . وهو لفظ رومى ، ومعناه أبو الآباء على ماسيأتى بيانه فى لقب الباب فى الكلام على ألقاب أهل الكُفَر . وكأنه لُقِّب بذلك لأنه لما تعاطى ما فيه ترفيه مخدمه : من تنظيف قَاشه وتحسين هيئته أشبه الأب الشفيق فُلُقِّب بذلك .

الثالث — الرَّخْتَوَان . وهو لقبٌ لبعض رجال الطُّسْتِ خاناه يتعاطى الدُّمَاشَ ،
والرَّخْتُ بالفارسية اسمٌ للقماش ، والواو والألف والنون بمعنى ياء النسب ، ومعناه
«المتولَّى لامر القماش» .

الرابع — الْخَوَان سَلَار . وهو لقبٌ مختصٌّ بكبير رجال المَطْبَخِ السلطاني ،
القائم مقام المهتار في غير المَطْبَخِ من البيوت . وهو مركَّبٌ من لفظين : أحدهما
خَوَان ، وهو الذي يؤكَلُ عليه . قال الجوهري : وهو معرَّبٌ . والثاني سَلَار ، وهي
فارسية ومعناها المقدم وكأنه يقول مقدِّم الْخَوَان . والعامَّة تقول : «إخوان سَلَار»
بألف في أوَّله وهو لحن .

الخامس — الْمِهْمَرْد . وهو الذي يتصدَّى لحفظ قُماشِ الحِمالِ أو قُماشِ
الإصطبل والسقائين ونحو ذلك . ومعناه باللغة الفارسية «الرجل الكبير» . فله اسمٌ
للكبير ، ومَرْدٌ اسمٌ للرجل .

السادس — (الغلام) . وهو الذي يتصدَّى لخدمة الخيل ، ويجمع على غِلْمَانٍ
وغيَلْمَةٍ بكسر الغين وسكون اللام . وهو في أصل اللغة مخصوصٌ بالصبي الصغير
والمملوك ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكانهم سمَّوه بذلك لصغره
في النفوس . وربما أُطلق على غيره من رجال الطُّسْتِ خاناه ونحوهم .

القسم الثاني

(من ألقاب أرباب الوظائف ألقابُ أرباب الوظائف من أهل الكُفَر؛
والمشهور منهم طائفتان)

الطائفة الأولى النصارى

(والمشهور من ألقاب أرباب وظائفهم ثمانية ألقاب)

الأول — الباب — بياين موحدتين مفخمتين في اللفظ . وهو لقب على القائم
بأمور دين النصارى المِلِكانيَّة بمدينة رُومِيَّة . وما ذكره في "التثقيف" من أنه عندهم
بمثابة القان عند التتار خطأ ظاهر : لأن الباب قائم في النصارى مقام الخليفة ،
بل به عندهم يَنَاطُ التحليل والتحریم ، وإليه مرجعهم في أمر دِياناتهم بخلاف القان
فإن أمره قاصر على أمر الملك ، وأصله البابا بزيادة ألف في آخره ، والكتاب يُثَبِّتونها
في بعض المواضع ويحذفونها في بعض ، وربما قيل فيه البابا ببدال الألف هاء .
وهي لفظة رُومِيَّة معناها أبو الآباء . وأول ماؤضع هذا اللقب عندهم على بطرك
الإسكندرية الآتى ذكره فيما بعد ، وذلك أن صاحب كل وظيفة من وظائفهم
الآتى ذكرها كان يَخَاطَبُ مَنْ فوقه منهم بالآب ، فالتبس ذلك عليهم فاخترعوا
لبطرك الإسكندرية البابا دفعا للاشتراك في اسم الباب ، وجعلوه أَبَا للكل ، ثم رأوا
أن بطرك رُومِيَّة أحق بهذا اللقب : لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين
ورسول المسيح عليه السلام إلى رُومِيَّة ، وبطرك الإسكندرية صاحب كرسي
مَرْقُس الإنجيلي تلميذ بطرس الحواري المتقدم ذكره فنقلوا اسم البابا إلى بطرك
رُومِيَّة ، وأبقوا اسم البطرك على بطرك الإسكندرية .

الثانى - البَطْرَك - بياء موحدة مفتوحة ثم طاء مهملة ساكنة وبعدها راء مهملة مفتوحة ثم كاف فى الآخر . وهو لقب على القائم بأمر دين النصرانية . وكراسى البطاركة عندهم أربعة : كرسى برومية وهو مقر الباب المقدم ذكره ، وكرسى^(١) بأنطاكية من بلاد العواصم ، وكرسى بالقدس ، [وكرسى بالإسكندرية] وقد غلب الآن بالديار المصرية على رئيس النصارى اليعقوبية بالديار المصرية وهو المعبر عنه فى الزمن القديم ببطرك الإسكندرية ، ومقره الآن بالكنيسة المعلقة بالقسطنطين على ما سياتى ذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى .

وأصله البَطْرِيْكُ بزيادة ياء مشناة تحت مفتوحة بعدها راء ساكنة وهو لفظ رومى معناه ... (٢) ... ورأيت فى ترسل العلاء بن موصلاً كاتب القائم بأمر الله العباسى فى تقليد أنشأه "الفطرك" ببدال الباء الموحدة ذاء . وقد تقدم أن هذا البطرك هو الذى كان يدعى أولاً بالبايا ثم نُقِلَ ذلك إلى بابا رومية ، على أن بطرك الإسكندرية لم يكن فى الزمن المتقدم مختصاً ببطرك اليعقوبية بل كان تارة يكون يعقوبياً وتارة يكون ملكانياً وإنما حدث اختصاصه باليعقوبية فى الدولة الإسلامية على ما سياتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الثالث - الأسقف - بضم الهَمْزة والقاف . وهو عندهم عبارة عن نائب البَطْرَك .

الرابع - المطران - بكسر الميم . وهو عبارة عن القاضى الذى يفصل الخصومات بينهم .

الخامس - القسيس - بكسر القاف . وهو القارئ الذى يقرأ عليهم الإنجيل والمزامير وغيرها .

(١) الزيادة من الضوء .

(٢) بياض بالاصول .

السادس — الجَائِلِقُ — يجيم بعدها ألف ثم تاء مشناة فوق ولام ثم ياء مشناة تحت^(١)
وقاف في الآخر . وهو عندهم عبارة عن صاحب الصلاة .

السابع — الشَّاس — شين معجمة في الأول وسين مهملة في الآخر وميم
مشددة . وهو عبارة عندهم عن قِيم الكَنِيسة .

الثامن — الراهِبُ . وهو عبارة عن الذي حبس نفسه على العبادة
في الخلوة .

الطائفة الثانية اليهود

(والمشهور من ألقاب ارباب وظائفهم ثلاثة ألقاب)

الأول — الرئيس . وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى ، وقد تقدم
الكلام على لفظ الرئيس وأنه يقال بالهمز وتشديد الياء .

الثاني — الحَزَّان — بحاء مهملة و زاي معجمة مشددة وبعد الألف نون .
وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر ويعظهم .

الثالث — الشَّيْخَصَبُور — بكسر الشين المعجمة واللام وفتح الياء المشناة تحت
وبعدها حاء مهملة ساكنة ثم صاد مهملة مفتوحة وباء موحدة مشددة مضمومة
بعدها راء مهملة . وهو الإمام الذي يصلي بهم .

(١) نص في القاموس على: جواز الفتح والكسريه وأورده بالشاء المثناة فاعل ما أثبت في الاصل

تصحيف أولته .

الجملة الثانية

(في ذكر الألقاب المرتبة على الأصول العظام من ألقاب أرباب
الوظائف المتقدمة ، وهي نوعان)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء المرتبة على لقب الخليفة ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ماجرى منها مجرى العموم ، وهو لقبان)

الأول — أمير المؤمنين . وهو لقب عام للخلفاء . وأول من لقب به منهم عمر
أبن الخطاب رضى الله عنه فى أثناء خلافته ، وكانوا قبل ذلك يدعون أبا بكر الصديق
رضى الله عنه بخليفة رسول الله ، ثم دعوا عمر بعده لابتداء خلافته بخليفة
رسول الله .

وأختلف فى أصل تلقيبه بأمر المؤمنين فروى أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتاب"
بسند إلى أبى وبرة ، أن أصل تلقيبه بذلك أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا
يجلidan فى الشراب أربعين ، قال فبعثنى خالد إلى عمر فى خلافته أسأله عن الجلد
فى الشراب فبعثنى ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن خالدًا بعثنى إليك — قال فيم ؟ قلت :
إن الناس قد تخافوا العقوبة وأنهم كوا فى الخمر فما ترى فى ذلك فقال عمر إن حوله
ما ترون فى ذلك فقال على نرى يا أمير المؤمنين ثمانين جلدة فتبيل ذلك عمر فكان
أبو وبرة ثم على بن أبى طالب أول من لقبه بذلك .

وذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل" أن أصل ذلك أن عمر رضي الله عنه بعث إلى عامله بالعراق أن يرسل إليه رجلين عارفين بأمور العراق يسألها عما يريد فأنفذ إليه لبيد بن ربيعة وعدى بن هشام^(١) فلما وصلا المدينة دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين - فقال لهما عمرو : أنتما أصبتما اسمه ! ثم دخل على عمر فقال السلام على « أمير المؤمنين » - فقال : مابدا لك يا ابن العاص ؟ لتخرجن من هذا القول ! فقص عليه القصة فأقره على ذلك ، فكان ذلك أول تلقيسه بأمر المؤمنين ، ثم استقر ذلك لقباً على كل من ولي الخلافة بعده أو ادعاه خلا خلفاء بني أمية بالأندلس فإنهم كانوا يخاطبون بالإمارة فقط إلى أن ولي منهم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، بن عبد الرحمن ، وهو الثالث عشر من خلفائهم إلى زماننا .

الثاني - عبد الله ووليه . وهو لقب عام للخلفاء أيضا ، إذ يكتب في نعت الخليفة في المكاتبات ونحوها « من عبد الله ووليه أبي فلان فلان أمير المؤمنين » فأما عبد الله فأول من تلقب به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضا ، فكان يكتب في مكاتباته « من عبد الله عمر » ولزم ذلك من بعده من الخلفاء حتى إن المأمون كان اسمه عبد الله فكان يكتب من « عبد الله عبد الله بن هارون » مكرراً لعبد الله على الأسم الخالص واللقب العام ، وأما إردافها بقوله « ووليه » فأحدث بعد ذلك .

(١) كذا في الأصول ومثله في الضوء وفي مروج الذهب عدى بن حاتم وهو الصواب .

الـصـنـف الثاني

(ألقابُ الخلافة الخاصةُ بكل خليفة)

والمتلقَّبون بألقاب الخلافة خمس طوائف :

الطائفة الأولى

(خلفاء بني العباس)

قد تقدّم في الجملة الثانية من الطّرف الأول من هذا الفصل في الكلام على أصل وضع الألقاب والنُّعوت أن خلفاء بني أميّة لم يتلقَّب أحدٌ منهم بألقاب الخلافة ، وأن ذلك أبتدئ بابتداء الدولة العبّاسية فتلقّب إبراهيم بن مُحمّد حين أخذت له البيعة بـ «الإمام» وأن الخُلُف وقع في لقب السَّقّاح : فقبل «القائم» وقيل «المهتدي» وقيل «المرتضى» ، ثم تلقّب أخوه بعده بـ «المنصور» وأسْتَقَرَّت الألقابُ جاريةً على خلفائهم كذلك إلى أن وَلِيَ الخلافة أبو إسحاق إبراهيم بن الرشيد بعد أخيه المأمون فتلقّب بـ «المتعصم بالله» فكان أول من أُضيف في لقبه من الخلفاء اسمُ الله . وجرى الأمر على ذلك فيما بعده من الخلفاء ، كـ «الواثق بالله» و «المتوكل على الله» و «الطائع لله» و «القائم بأمر الله» و «الناصر لدين الله» وما أشبه ذلك من الألقاب المتقدمة في الكلام على ترتيب الخلافة في المقالة الثانية .

وكان من عادتهم أنه لا يتلقَّب خليفة بلقب خليفة قبله إلى أن صارت الخلافة إلى الديار المصرية فتأدّفوا على الألقاب السابقة ، واستعملوا ألقاب من سلف من الخلفاء على ما تقدّمت الإشارة إليه في الكلام على ترتيب الخلفاء ، إلى أن تلقّب أمير المؤمنين مُحمّد بن أبي بكر خليفة العصر بـ «المتوكل على الله» وهو من أوائل ألقاب الخلافة العبّاسية .

الطائفة الثانية

(خلفاء بني أمية بالأندلس)

(حين غلب بنو العباس على الأمر بالعراق ، وأنزعوا الخلافة منهم)

وأول من ولي الخلافة منهم بالأندلس « عبد الرحمن » بن معاوية ، بن هشام ،
 ابن عبد الملك ، بن مروان ، المعروف (بالداخل) لدخوله الأندلس في سنة تسع وثلاثين
 ومائة على ماسياتي ذكره في مكتبة صاحب الأندلس . ولم يتلقب بالقب من
 أئتاب الخلافة جريا على قاعدتهم الأولى في الخلافة . وجرى على ذلك من بعده من
 خلفائهم إلى أن ولي منهم « عبد الرحمن » بن محمد ، المعروف بـ « المقبول » فتلقب
 بـ « الناصر » بعد أن مضى من خلافته تسع وعشرون سنة ، وتبعه من بعده منهم
 على ذلك إلى أن ولي عبد الرحمن بن محمد ، بن عبد الملك ، بن الناصر عبد الرحمن
 المتقدم ذكره ، فتلقب بـ « المرتضى بالله » وهو أول من أضيف في لقبه بالخلافة منهم
 اسم الله ، مضاهاة لبني العباس ، وذلك في حدود الأربعمائة . وبقى الأمر على ذلك
 في خلفائهم إلى أن كان آخرهم هشام بن محمد فتلقب بـ « المعتمد بالله » وأنقرضت
 خلافتهم من الاندلس بعد ذلك بانقراضه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

الطائفة الثالثة

(الخلفاء الفاطميون ببلاد الغرب ثم بالديار المصرية)

وأول ناجم نجم منهم ببلاد الغرب (أبو محمد عبيد الله) في سنة ست وتسعين
 ومائتين من الهجرة ، وتلقب بـ « المهدي » ثم تلقب بنوه من بعده بألقاب الخلافة
 المضاف فيها اسم الله كـ « القائم بأمر الله » و « المنصور بالله » إلى أن كان منهم

المعز لدين الله أبو تميم معد، وهو الذي انتزع الديار المصرية من أيدي الأخشيدة، وصار إليها في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. وتداول خلفاؤهم بها مثل هذه الألقاب إلى أن كان آخرهم العاضد لدين الله عبد الله وأتقرضت خلافتهم بالدولة الأيوبية على ما تقدم ذكره في المقالة الثانية في الكلام على ملوك الديار المصرية.

الطائفة الرابعة

(الخلفاء الموحدون الذين ملوك أفريقية بتونس الآن من بقاياهم)

وأولهم في التلقب بألقاب الخلافة إمامهم محمد بن تومرت البربري، القائم ببلاد الغرب في أعقاب الفاطميين المتقدم ذكرهم، تلقب بـ «المهدي» وآل الأمر من جماعته إلى الشيخ أبي حفص أحد أصحابه، ومن عقبه ملوك تونس المتقدم ذكرهم فلم يتلقب أحد منهم بألقاب الخلافة إلى أن ولي منهم أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى فتلقب بـ «المستنصر بالله» وتبعه من بعده من ملوكها على التلقب بألقاب الخلافة إلى زماننا. ولذلك قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه «التعريف» في الكلام على مكتبة صاحب تونس «لا يدعى إلا الخلافة» وشبهتهم في ذلك أنهم يدعون أنسابهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو من صميم قریش.

الطائفة الخامسة

(جماعة من ملوك الغرب ممن لا شبهة لهم في دعوى الخلافة)

كمولك الطوائف القائمين بالأندلس بعد اتقراض الدولة الأموية منها: من بنى عباد وبني هود وغيرهم حيث كانوا يلقبون بـ «المعتمد» وغيره.

النوع الثاني

(ألقابُ الملوك المختصةُ بالملك ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(الألقابُ العامة ، وهي التي تقع بالعموم على ملوك ممالك مخصوصة
تصدق على كل واحد منهم ، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقابُ القديمة ، والمشهور منها ألقاب ست طوائف)

الطائفة الأولى

(التَّابِعَةُ لملوك اليمن)

كان يقال لكل منهم «تبع» . قال السَّهيليُّ في «الروض الأُنْف» : سُموا بذلك
لأن الناس يَدَّجُونَهُمْ ، وواقته الزُّخْشَرِيُّ على ذلك . وقال ابن سيده في «المحكم» :
سُموا بذلك لأنهم يَتَّبِعُ بعضهم بعضاً . قال المسعودي في «مروج الذهب» :
ولم يكونوا لِيُسَمُّوا أحداً منهم تَبَعاً حَتَّى يملك اليمنَ والشَّجَرُ وحضرموت . وقيل :
حَتَّى يَتَّبِعَهُ بنو جُشَمَ بن عبد شمس ، أما إذا لم يكن كذلك فإنما يسمَّى مَلِكاً . وأقول
من لُقِّبَ منهم بذلك «الحارث بن ذي شمر» وهو الرَّائِسُ . ولم يزل هذا اللقب واقعاً
على ملوكهم إلى أن زالت مملكتهم بملك الحبشة اليمن .

الطائفة الثانية

(ملوك القُرس ، وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — الفيشدادية . كان يقال لكل من ملك منهم قيشداد ، ومعناه « سيرة العئل » وأولهم كيومرث ، والقُرس كلهم مطبقون على أنه مبدأ نسل البشر ، وكانهم يريدون به آدم عليه السلام .

وحكى الغزالي في "نصيحة الملوك" : أن كيومرث ابنُ آدم لُصِّبه ، وأن آدم عهد إلى شِيث بأمر الدين وإلى كيومرث بأمر الملك . وبعضهم يقول إنه كامرُ ابنُ يافث بن نوح عليه السلام .

الطبقة الثانية — (الكَيَانِيَّة) . سَمُّوا بذلك لأن في أول أسم كل واحد منهم لفظ كي ، وأولهم (كِتْمَانْد) .

الطبقة الثالثة — (الْأَشْعَائِيَّة) . كان يقال لكل منهم «أشخان» . قال المسعودي :
بالغين المعجزة ويقال بالكاف .

الطبقة الرابعة — (الْأَكَايسِرَةُ) . كان يقال لكل منهم «كسرى» بكسر الكاف وفتحها ، وربما قيل فيهم « السامائية » نسبةً إلى جدِّهم ساسان بن أردشير بن كي بهمن . وأولهم أردشير بن بابك وآخرهم يزدجرد الذي أنقَضَ ملكهم بارتراع المسلمين الملك من يديه في خلافة عثمان رضى الله عنه .

(١) في العبر ج ٢ ص ١٥٩ "الكينية"

(٢) في الاصول بدون نون والتصحيح من المسعودي .

الطائفة الثالثة

(ملوك مصر من بعد الطوفان من القبط)

كان كلُّ مَنْ ملكها منهم يسمى « فِرْعَوْنَ » قال إبراهيم بن وصيف شاه في « كتاب العجائب » : والقبط تزعم أن الفراعنة من ملكها من العاقلة دون القبط ، كالوليد بن دؤمغ ونحوه . ويقال : إن أول من تسمى بهذا الاسم منهم (فرعان) آخر ملوكها قبل الطوفان ثم تسمى من بعده بـ « فِرْعَوْنَ » . قال المؤيد صاحب حاة في تاريخه : ولم أدر لأى معنى سَمِيَ بذلك . والمذكور في الفرعان منهم هو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه .

الطائفة الرابعة

(ملوك الروم ، وهم طبقات)

الطبقة الأولى منهما ليس لهم لقبٌ يعمُّ كلَّ ملك ، بل لكلِّ ملك منهم اسمٌ يخصُّه .

الطبقة الثانية — القياصرة . كان يقال لكلِّ مَنْ ملك منهم قيصر . وأصل هذه اللفظة فى اللغة الرومية جاشربجيم وشين معجمة فمرَّبَّتها العرب قيصر ولها فى لغتهم معنيان : أحدهما الشعر ، والثانى الشئ المشقوق .

وآخِلَف فى أول مَنْ تلقَّب بهذا اللقب منهم : فقيلى أغانيوش أول ملوك الطبقة الثانية منهم . سَمِيَ بذلك لأنَّ أمه ماتت وهو حَلٌّ فى بطنها فسُقَّ جوفُها وأُخرج فأُطلق عليه هذا اللفظ أخذًا من معنى السَّق ، ثم صار علمًا على كلِّ مَنْ ملكهم بعده ، وقيل أول مَنْ تلقَّب بذلك يوليوش الذى ملك بعد أغانيوش المذكور ، وقيل

أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِهِ أَغْشَطُشُ ، وَاخْتَلَفَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهِ بِذَلِكَ : فَقِيلَ لِأَنَّهُ أَمَّهُ مَاتَتْ وَهُوَ فِي جَوْفِهَا فَشُقَّ عَنْهُ وَأُخْرِجَ كَمَا تَقْدُمُ الْقَوْلُ فِي أَغَانِيُوشَ ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ وَلَدٌ وَلَهُ شَعْرٌ تَأَمُّ فَلُقِّبَ بِذَلِكَ أَخْذَا مِنْ مَعْنَى الشَّعْرُ كَمَا تَقْدُمُ . وَلَمْ يَزَلْ هَذَا اللَّقْبُ جَارِيًّا عَلَى مُلُوكِهِمْ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْهُمْ هِرَقْلُ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَرَزَعُ الْقَاضِي شَهَابُ الدِّينِ بْنِ فَضْلٍ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ "التَّعْرِيفُ" فِي الْكَلَامِ عَلَى مَكَاتِبِ الْأَدْفُونِشِ أَنَّ هِرَقْلَ لَمْ يَكُنِ الْمَلِكُ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا كَانَ مُتَسَلِّمَ الشَّامِ لِقَيْصَرَ ، وَقَيْصَرٌ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لَمْ يَرَمْهُ ، وَإِنَّمَا كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ لِقُرْبِهِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَبَقِيَ هَذَا اللَّقْبُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُ مَنْ تَلَقَّبَ بِهِ مِنْهُمْ (إِسْتِيرَاقُ قَيْصَرَ) مَلِكُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ بْنِ الرَّشِيدِ .

الطائفة الخامسة

(ملوك الكنعانيين بالشام)

كَانَ كُلُّ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ يُقْبَضُ بِـ«بِجَالُوتَ» إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُمْ جَالُوتَ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشة)

كَانَ كُلُّ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ يُقْبَضُ بِـ«النَّجَاشِيِّ» وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ لِقَبْلِ عَلَى مُلُوكِهِمْ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْهُمْ النَّجَاشِيُّ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَهُوَ الَّذِي هَاجَرَ إِلَيْهِ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْمُهْجَرَةُ الْأُولَى . وَاسْمُهُ صَخْمَةُ وَيُقَالُ أَخْخَمَةُ ، وَمَعْنَاهُ بِالْعَرَبِيَّةِ عَطِيَّةٌ .

الضرب الثاني

(الألقاب المستحدثة، والمشهور منها ألقاب ست طوائف)

الطائفة الأولى

(ملوك فرغانة)

كان كلُّ مَنْ ملك منهم يُلقَّب «الأخشيدي» ولذلك لُقِّب الراضي بالله العباسيُّ محمد بن طُفَّج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية بـ«الأخشيدي» لأنه كان فرغانياً.

الطائفة الثانية

(ملوك أشروسنة)

كان كلُّ مَنْ ملكها يقال له «الأفشين» . قال في «ذخيرة الكتاب» :
وبه لُقِّب المعتصم بالله حيدر بن كاوس بـ«الأفشين» لأنه أشروسني .

الطائفة الثالثة

(ملوك الجلائقة من الفرنج)

الذين قاعدة ملكهم طليطلة وبرشالونة من الأندلس . يقال لكلِّ مَنْ ملك منهم «أدْفُونَس» بدال مهملثة ثم فاء بعدها واو ثم نون مفتوحة وشين معجمة في آخره . وهذا اللقب جارٍ على ملوكهم إلى زماننا ، وهو الذي تُسمِّيه العامة «الْفُنْش» .

الطائفة الرابعة

(ملوك فرنسة، ويقال فرنجة بالجيم)

وهو ملك الأرض الكبيرة بظاهر الأندلس . يقال لكل من ملكها «ريدافرنس» ومعنى ريد بلغتهم الملك، والأفرنس اسم للجنس الذين يملك عليهم . والمعنى ملك الأفرنس . وهو الذى تسميه العامة «الفرنسيس» وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى الآن .

الطائفة الخامسة

(ملوك البندقية من بلاد الفرنج)

كل من ملك منهم يسمونه «دوك» بالكاف المشوبة بالجيم فيقال : «دوك البندقية» . وهذا اللقب جار على ملوكهم إلى آخر وقت .

الطائفة السادسة

(ملوك الحبشة فى زماننا)

كل من ملك منهم يقال له «حطى» بفتح الحاء المهملة وكسر الطاء المهملة المشددة . وهذا اللقب يذكر فى مكاتباتهم عن الأبواب السلطانية على ماسياتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من النوع الثاني الألقاب الخاصة)

وهي التي يُحَصُّ كُلُّ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا بِلقبٍ ، وهو المعبر عنه عند الكُتَّاب بِاللقب المُلُوكِيِّ . ويختلف الحال فيه باختلاف البلاد والزمان .

فأما بلاد المشرق فأقول أفتتاح تلقب ملوكهم بالإضافة إلى الدولة ، وكان أول من تلقب منهم بذلك بنو حمدان ملوك حلب ، فلقب أبو محمد الحسن بن حمدان في أيام المتقي لله « ناصر الدولة » وتلقب أخوه أبو الحسن علي « سيف الدولة » وعلى ذلك جرى الحال في ملوك بني بويه على ما تقدم ذكره في الكلام على أصول الألقاب ، وتوالى ذلك فيهم إلى انقراض دولتهم . ثم وقع التلقب بالسلطان فيما بعدهم من الدول كدولة بني سُبُكْتِكِين ، وبني ساسان ، وبني سلجوق ، إلى أن غلبت التتار على بلاد المشرق فحرت ملوكهم في التلقب بألقاب على عادة ملوكهم .

وأما بلاد المغرب : فأوائل ملوكهم على عموم ملوكهم جميعها وخصوصه بعضها ما بين مدع للخلافة ، كبنى أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ ، وأتباع المهدي بن تومرت ، فيدور أمر أحدهم بين التلقب بألقاب الخلافة والافتصار على اسمه أو كنيته ، وما بين غير مدع للخلافة ، فيقتصر على اسمه أو كنيته فقط إلى أن غلب يوسف بن تاشفين في أوائل دولة المرابطين من الملتزمين من البربر على بلاد المغرب والأندلس ، ودان بطاعة الخلافة العباسية ببغداد ، فتلقب بـ « أمير المؤمنين » خضوعاً عن أن يتلقب بـ « أمير المؤمنين » الذي هو من خصائص الخلافة ، وتبعه على ذلك من جاء بعده من ملوك الغرب من البربر : فتلقب به بنو مَرِينٍ : ملوك فاس ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وبقى الأمر على ذلك إلى أن ملك فاس وما معها من بلاد المغرب

أبو عَنان من أحفاد السلطان أبي الحسن، فلقب بـ «أمير المؤمنين» وصارت مكاتباته تردُّ إلى الديار المصرية بذلك، وتبعه من بعده من ملوكهم على ذلك .

أما ملوك تونس من بقايا الموحِّدين، فلم يزالوا يلقَّبون باللقاب الخليفة على ما سبق ذكره في الكلام على ألقاب الخلفاء .

وأما الديار المصرية، فخصي الأمر فيها على نواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي وإلى انقراض الدولة الأُخشيديَّة ولم يتلقَّب أحد منهم بلقب من الألقاب المملوكية . ثم كانت دولة الفاطميين فتلقَّبوا باللقاب الخلفاء على ما مر ذكره . ولم يتلقَّب أحد من وزرائهم أرباب السيوف لأبداء أمرهم بالألقاب المملوكية إلى أن ولي الوزارة المستنصر بدر الحليّ وعظم أمر الوزارة، وصارت قاعة مقام السلطنة الآن فتلقب بـ «أمير الجيوش» وتلقب أبنته في وزارته بعده بـ «الأفضل» وتلقب ابن السلا بعد ذلك بـ «العاذل» وتلقب ابن البطاحي وزير الأمر بـ «المأمون» ثم وُزِّر بعد ذلك الحافظ بهرام الأرميني النصراني فتلقب بـ «تاج الدولة» ثم وُزِّر بعده وزير اسمه رضوان، فلقبه بـ «الملك الأفضل» . قال المؤيد صاحب حماة : وهو أوَّل من لقب من وزرائهم بالملك، وجرى الأمر على ذلك في وزارتهم حتى كان منهم الملك الصالح طلائع بن رزيق وزير الفائز ثم العاضد، ثم وُزِّر للعاضد أخرا أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولقب بـ «الملك المنصور» ثم وُزِّر له بعده ابن أخيه صلاح الدين، فلقب بـ «الملك الناصر» ثم استقلَّ بالملك بعد ذلك، وبقى في السلطنة على لقبه الأوَّل . وتداول ملوك الدولة الأيووية بعده مثل هذه الألقاب : كالملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين، والملك العادل أبي بكر بن أيوب، والملك الكامل محمد ابنه، والأفضل صاحب دمشق، والمعظم صاحب الكرك، وغيرهم إلى حين انقراض دولتهم ودخول الدولة التركيَّة . فتلقب أيك التركمان أوَّل ملوكهم

بـ«الملك المُعِزِّ» واستمر التلقب بمثل ذلك في الدولة التركية إلى أن صارت المملكة
 آنحراً إلى الظاهر برقوق، ثم آبنه الناصر فرج، وهم على ذلك. وعلى نحو ذلك ملوك
 البلاد المجاورة لهذه المملكة : كاردین، وحصن كفا ونحوهما .

الجملة الثالثة

(في الألقاب المفعلة على الأسماء، على ما استقر عليه الحال من التلقب
 بالإضافة إلى الدين، وهي على أربعة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب ارباب السيف، وهم صنفان)

الصنف الأول

(ألقاب الجند من الترك ومن في معناهم)

وأعلم أن الغالب في ألقاب الترك من الجند التلقب بـ«سيف الدين» لما فيه من
 مناسبة حالهم وأنتسابهم إلى القوة والشدة : كـبَغَا، ومنكلى بَغَا، وبى بَغَا،
 وأسنى بَغَا، وتغرى بردى، وتغرى برمش، ونحو ذلك . وقد يخرج ذلك في بعض
 الأسماء فيلقب بألقاب خاصة، كما يلقبون طيغنا، والطنبغا، وقراغا «علاء الدين»
 وأيدمر وييدمر «عز الدين» ولاچين «حسام الدين» وأرسلان «بهاء الدين»
 وأقوش «جمال الدين» وسنجر «علم الدين» ونحو ذلك . وفي المولدين يقولون
 في لقب محمد : «ناصر الدين» ولقب أبى بكر «سيف الدين» ولقب عمر
 «ركن الدين» ولقب على «علاء الدين» ولقب إبراهيم «صالح الدين» ولقب
 إسماعيل «تاج الدين» ولقب حسن وحسين «حسام الدين» ولقب خالد
 «شجاع الدين» ونحو ذلك .

الصف الثاني

(ألقاب الخُدام الخُصيان المعبر عنهم الآن بالطواشيّة،

وفي زمن الفاطميين بالأستاذين)

ولهم ألقابٌ تخصهم : فيقولون في هلال ومرجان « زَيْنُ الدِّين » وفي دينارٍ
« عِزُّ الدِّين » وفي بَشِيرٍ « سَعْدُ الدِّين » وفي شَاهِينَ « فَارِسُ الدِّين » وفي جَوْهَرٍ
« صَنِيعُ الدِّين » وفي مِثْقَالٍ « سَابِقُ الدِّين » وفي عَنَبٍ « شُجَاعُ الدِّين » وفي أَوَّلُو
« بَذَرُ الدِّين » وفي صَوَابٍ « شَمْسُ الدِّين » وفي مُحْسِنٍ « جَمَالُ الدِّين » ونحو ذلك .

النوع الثاني

(ألقابُ أرباب الأقاليم ، وهي على صنفين)

الصف الأول

(ألقابُ القضاة والعلماء)

قد كان في الزمن الأول لغالب أسمائهم ألقابٌ لا يتعدونها ، كقولهم في محمد :
« شَمْسُ الدِّين » وفي أحمد « شِهَابُ الدِّين » وفي أبي بكر « زَيْنُ الدِّين » وفي عمر
« سِرَاجُ الدِّين » وفي عثمان « نَجْمُ الدِّين » وفي عليّ « نُورُ الدِّين » وفي يوسف
« جَمَالُ الدِّين » وفي عبد الرحمن « زَيْنُ الدِّين » وفي إبراهيم « بُرْهَانُ الدِّين » ونحو ذلك .
ثم ترك أعيانهم ذلك لاجتماعه بكثرة الاستعمال ، وحدثوا إلى ألقابٍ آخرَ ابتدعوها على
حَسَبِ أغراضهم فقالوا في محمد « بَذَرُ الدِّين » و « صَدْرُ الدِّين » و « عِزُّ الدِّين »
ونحوها ، وفي أحمد « بَهَاءُ الدِّين » و « صدرُ الدِّين » و « صَلَاحُ الدِّين » وفي عليّ
« تَقِيُّ الدِّين » وفي عبد الرحمن « جَلَالُ الدِّين » ونحو ذلك ، ولم يتوقفوا في ذلك على
لقبٍ مخصوص ، بل صاروا يقصدون المخالفة لما عليه جادّة من تقدمهم في ذلك .

الصف الثاني

(ألقاب الكُتَّاب من القِبْط)

ولهم ألقاب تخصُّهم أيضًا : فيقولون في عبد الله « شمس الدين »^(١) وفي عبد الرزاق « تاج الدين » وربما قالوا « سعد الدين » وفي إبراهيم « علم الدين » وفي ماجد « مجد الدين » وفي وهبة « تقي الدين » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(ألقاب عامة الناس من التجَّار والعلماء السلطانية ونحوهم)

وهم على سَنَن النُقباء في ألقابهم ، وربما مال مَنْ هو منهم في الخِدم السلطانية إلى التلقب بألقاب الخِند .

النوع الرابع

(ألقاب أهل الذمَّة من الكُتَّاب والصَّيارف)

ومَنْ في معنَاهم من اليهود والنصارى)

وقد أصطلحوا على ألقاب يتلقبون بها غالبها مصدرًا بالشيخ ؛ ثم منهم مَنْ يجرى على الرسم الأوَّل في التلقب بالإضافة إلى الدولة فيتلقب بولي الدولة ونحوه ؛ ومنهم من يحذف المضاف إليه في الجملة ويعرف اللقب بالألف واللام فيقولون

(١) لعل هذا بعد إسلامهم كما يدل عليه ما بعد في النوع الرابع .

« الشيخ الشمسى » و « الشيخ الصفى » و « الشيخ الموفق » وما أشبه ذلك . فإذا أسلم أحدهم أسقطت الألف واللام من أول لقبه ذلك ، وأضيف إلى لفظ الدين . فيقال فى الشيخ الشمسى « شمس الدين » وفى الصفى « صفى الدين » وفى ولى الدولة « ولى الدين » وما أشبه ذلك . وربما كان لقب الذمى ليس له موافقة فى شىء مما يضاف إلى الدين من ألقاب المسلمين ، فيراعى فيه إذا أسلم أقرب الألقاب إليه ، مثل أن يقال فى الشيخ السعيد مثلاً إذا أسلم « سعد الدين » ونحو ذلك .

الجملة الرابعة

(فى أصل وضع الألقاب الجارية بين الكُتَّاب ، ثم آتائها إلى غاية التعظيم ومجاورتها الحدَّ فى التكثير)

أما أصل وضعها ثم آتائها إلى غاية التعظيم فإن ألقاب الخلافة فى ابتداء الأمر - على جلالة قدرها وعظم شأنها - كانت فى المكاتبات الصادرة عن ديوان الخلافة وإليه ، والولايات الناشئة عنه « عبد الله ووليه الإمام الفلانى أمير المؤمنين » ولم يزل الأمر على هذا الحدَّ فى الألقاب إلى أن استولى بنو بويه من الديلم على الأمر ، وغلبوا على الخلفاء ، واستبدوا عليهم واحتجبت الخلفاء ولم يبق إليهم فيما يكتب عنهم غالباً سوى الولايات ، وفوض الأمر فى غالب المكاتبات إلى وزراءهم ، وصارت الحال إذا اقتضت ذكر الخليفة كُنِيَ عنه بـ « المواقف المقدسة » و « المقامات الشريفة » و « السرة النبوية » و « الدار العزيزة » و « المحل المجد » يعنون « بالمواقف » الأماكن التى يقف فيها الخليفة ، وكذلك المقامات ، وبالسرة الأعماط التى يجلس عليها الخليفة ، و « بالدار » دار الخلافة ، و « بالمحل » محل الخليفة . قال فى « ذخيرة الكُتَّاب » : ولت شعري أى شىء قصَّده من كنى عن أمير المؤمنين

(١) كذا هو بالراء المهملة فى الأصول وهو اصطلاح لهم .

بهذه الكليات ، وبمثل نعوته وصفاته المعظمة المكرمة بهذه الألفاظ المحقرات ؟
 وإذا أُسْجِيزَ ذلك ورضي به وأغضى عنه كان لآخر أن يقول «المجالس الطاهرة»
 و«المقاعد المقدسة» و«المراكب المعظمة» و«الأسرة المحجدة» ومايجرى هذا الجرى
 مما ينبو عنه السمع وينكره لاستحداثه واستجداده ، على أنه لو توالى على الأسماع
 كتوالى تلك الألفاظ لم تنكره بعد إذ لا فرق . قال : ولم يستسنه النبي صلى الله
 عليه وسلم ولا آختره لنفسه ، ولا استحدثه الخلفاء من بعده . فما وجه العمل
 بموضعه والافتقار لأثره ؟ وكيف يجوز أن يكتفى عن الجادات ، بما يُكتفى به
 عن الإنسان الخى الناطق الكامل الصفات . ولما انتهى الحال بالخلفاء إلى التعظيم
 بهذه الألقاب والنعوت المستعارة ، تداعى الأمر إلى تعظيم الملوك والوزراء بالتلقب
 بـ«المجلس العالى» و«الحضرة السامية» وما أشبه ذلك . قال : وهذا مما لم يكن
 فى زمان ، ولا جرى فى وقت ، ولا كتب به النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا استعمله
 الخلفاء بعده ، ثم ترايد الحال فى ذلك إلى أن كتبوا بـ«المقام» و«المقر»
 و«الجناب» و«المجلس» ونحو ذلك على ما سياتى ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .



وأما مجاوزتها الحد فى الكثرة ، فقد تقدم أن اللقب الواحد كان يُلقب به الشخص
 دون تعدد ألقاب ، إلى أن وافى أيام القادر بالله والتلقب بالإضافة إلى الدولة
 فزيد فى لقب عضد الدولة بن بويه (تاج الملة) فكان يقال «عضد الدولة وتاج الملة»
 وكان أول من زيد فى لقبه على الأفراد ، وإن أبنه «بهاء الدولة» زيد فى لقبه
 فى الأيام القادرية أيضا «نظام الدين» فكان يقال : «بهاء الدولة ونظام الدين»

ويقال : إنه زاده من بعد بهاء الدولة لفظ « في الأمة » فكان يقال : « بهاء الدولة في الأمة ونظام الدين » ثم لقب محمود بن سُبُكْتِكِين في الأيام القادرية أيضا « يمين الدولة ، وأمين الملة ، وكهف الإسلام والمسلمين ، ولي أمير المؤمنين » وتزايد الأمر بعد ذلك في تكثير الألقاب حتى جاوز الحد وبلغ النهاية ، وصارت الكُتُب في كل زمن يَقترِحون ألقابا زيادة على ما سبق إلى أن صارت من الكثرة في زماننا على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى فيما بعد .

الجزء الخامسة

(في بيان الألقاب الأصول وذكر معانيها وأشتقاقها ، وهي صفان)

الصف الأول

(ما يقع في المكاتبات والولايات ، وهي ثمانية ألقاب)

الأول — الجانب . وهو من ألقاب ولاية العهد بالخلافة ومن في معناهم : كإمام الرِّيْدِيَّة باليمن في مكاتبته عن الأبواب السلطانية . وربما وقع في الخطاب في أثناء المكاتبه فيقال « الجانب الأعلى » و « الجانب الشريف العالي » [والجانب الكريم العالي ^(١)] و « الجانب العالي » مجزئا عنهما ، رتبة بعد رتبة .

ثم الجانب في أصل اللغة اسمٌ للناحية ، والمراد الناحية التي صاحب اللقب فيها ، كُنِيَ بها عنه تعظيما له عن أن يُنفَوْه بذكره ، وكذا في غيره مما يحرى هذا المجزئ من الألقاب المكتوبة : كالمقام والمقر ونحوهما .

الثاني — المقام بفتح الميم . وهو من الألقاب الخاصة بالملوك . وأصل المقام في اللغة اسمٌ لموضع القيام ، أحدا من قام يقوم مآما . وقد ورد [في] التزويل بمعنى موضع القيام في قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يريد موضع قدميه

(١) الزيادة ساقطة من النسخ يحتاج إليها الكلام .

في الصخرة التي كان يقوم عليها لبناء البيت ، ثم توسع فيه فأطلق على ما هو أعم من موضع القيام من محلة الرجل أو مدينته ونحو ذلك ، ومن ثم قال الزحشرى في الكلام على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمَتِّينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ إنه خاص يستعمل في معنى العموم ، يعنى أنه يستعمل في موضع الإقامة في الجملة . أما المقام بالضم فاسم لموضع الإقامة أخذاً من أقام يقيم ، إذ الفعل متى جاوز الثلاثة فالموضع منه مضموم كقولهم في المكان الذي يدرج فيه مدرج كما نبه عليه الجوهري وغيره . وقد قرئ قوله تعالى : ﴿ يَا هَلْ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ ﴾ بالفتح والضم جميعاً على المعنيين . قال الجوهري : وقد يكون المقام بالفتح بمعنى الإقامة والسقام بالضم بمعنى موضع القيام . وجعل من الثانى قوله تعالى : ﴿ حَسَنَاتٌ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ أى موضعاً . وبالجملة فلذى يستعمله الحُكَّاب في المقام الفتح خاصة ، يكونون بذلك عن السلطان تعظيماً له عن القوة باسمه . قال المقرئ الشهابى بن فضل الله في "عرف التعريف" : ويقال فيه «المقام الأشرف» و «المقام الشريف العالى» ورُبَّما قيل فيه «المقام العالى» ولم يتعرض لذكر «المقام الكريم» ولو عمل عليه تأسيّاً بالنظ القرءان الكريم حيث قال تعالى : ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ لكان حسناً .

الثالث - المقرئ - بفتح الميم والقاف . قال في "عرف التعريف" : ويختص بكبار الأمراء ، وأعيان الوزراء ، وكُتَّاب السرومن يحوى مجراهم : كناظر الخاخص ، وناظر الحشيش . وناظر الدولة ، وكُتَّاب الدست ومن في مناهم . قال : ولا يُكْتَب لأحد من العلماء والقضاة ، وكأنه يريد العرف العام . والتحقيق في ذلك أن الحال فيه يختلف بحسب المكتوب عنه ، فلا يقال فيما يُكْتَب عن السلطان إلا لأكابر الأمراء وبعض الملوك المكاتبين عن هذه المملكة : كصاحب ماردین ونحوه .

بل قد ذكر ابن شَيْثٍ في "معالم الكتابة" أن المَقَرَّ من أجل ألقاب السلطان .
وقد رأيت ذلك في العهد المكتَب بالسلطنة للنصور قلاوون من إنشاء القاضي
محي الدين بن عبد الظاهر . أما عَمَّن عدا السلطان كالألقاب ونحوهم فإنه يُكْتَب به
لأكابر أرباب السيوف والأقلام : من القضاة والعلماء والكُتَّاب . على أن ابن شَيْثٍ
في "معالم الكتابة" قد جعله من الألقاب الملوكة كالمقام ، بل جعلهما على حدٍّ
واحد في ذلك . قال في "عرف التعريف" : ويقال فيه « المَقَرُّ الأشرف »
و« المَقَرُّ الشريف العالى » و« المَقَرُّ الكريم العالى » و« المَقَرُّ العالى » مجزداً عن ذلك .
وأصله في اللغة لمَوْضِع الاستقرار ، والمراد الموضع الذى يستقرُّ فيه صاحبُ ذلك
اللقب . ولا يخفى أنه من الخاص الذى استعمل في العموم كما تقدّم في لفظ المقام
عن الزحشمى . إذ يجوز أن يقال فلان مقَرّه محَلّة كذا وبلدة كذا ، كما يقال مقامه
محَلّة كذا وبلد كذا .

الرابع — الحَنَاب . وهو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعاً فيما يكتب
به عن السلطان وغيره من النواب ومن في معانهم . قال في "عرف التعريف" :
وهو أعلى ما يكتب للقضاة والعلماء من الألقاب . قال : ويكتب لمن لا يؤهل للقر
من الأمراء وغيرهم ممن يجرى مجرى الوزراء ، ويزيد على ما قد ذكره أنه يكتب به
لبعض الملوك الحكّامين عن الأبواب السلطانية . قال في "عرف التعريف" :
ويقال فيه « الحَنَاب الشريف العالى » و« الحَنَاب الكريم العالى » و« الحَنَاب العالى »
مجزداً عنهما . وأصل الحَنَاب في اللغة الفناء أو ما قُرب من محَلّة القوم ، ومنه قوطم :
لَدُنَا بِحَنَابِ فُلانٍ وفلانٌ خَصِيب الحَنَاب ، فيعبر عن الرجل بفنائه وما قُرب من
محَلّته تعظيماً له ، ويجمع على أَجْنِيَةِ كَمَا كانَ وَأَمَكِنَةٍ وعلى جَنَابَاتٍ جَمَادٍ وَجَمَادَاتٍ .

الخامس — المجلس . وهو من ألقاب أرباب السُّيوف والأقلام أيضا ممن لم يُؤهل لرتبة الجَنَاب ، وربما نُقِبَ به بعضُ الملوك في المكتبات السلطانية . على أنه كان في الدولة الأيوبية لا يُلقَّب به إلا الملوكُ ومن في معناهم . ومكتبات القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني وغيرهما من كُتَّاب الدولة الأيوبية ومن عاصرها مشحونةٌ بذلك ، حتى قال صاحب "معالم الكُتَّابة" : وقد كانوا لا يكتبون المجلس إلا للسلطان خاصَّةً . قال : ولم يكن السلطان يُكاتب به أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره . ثم ذكر أنه كان يُكُتَّب به في زمانه إلى كبار الأمراء والوزراء وولاة العهد بالسلطنة .

أما في زماننا فقد صار في أدنى الرُّتب وجُعِلَ الجَنَابُ والمَقَرُّ فوقه على ما تقدَّم . ويقال فيه : « المجلس العالي » و« المجلس السامي » رتبةٌ بعد رتبة . ويقال في المجلس السامي السامي بالياء ، والسامي بغير ياء ، رتبةٌ بعد رتبة .

وأعلم أن العالي والسامي اسمان منقوصات كالقاضي والوالي وقد تقرَّر في علم النحو أنه إذا دخلت الألف واللام على الاسم المنقوص جاز فيه إثبات الياء وحذفها فيقال القاضي والقاضي ونحو ذلك ، وحينئذ فيجوز في العالي والسامي إثبات الياء وحذفها ولكن الكُتَّاب لا يستعملونها إلا بالياء .

فأما في العالي فيجوز أن تكون الياء التي تُثبتها الكُتَّاب في آخره هي الياء اللاحقة للاسم المنقوص على ما تقدَّم وتكون حينئذ ساكنة ، ويجوز أن تكون ياء النسب نسبة إلى العالي وتكون مشددة ، وكذلك في السامي بالياء .

أما السامي بغير ياء فيجوز أن يكون المراد حذف ياء النسب لا الياء اللاحقة للاسم المنقوص ، لما تقدَّم من أن الكُتَّاب لم يستعملوها إلا بإثبات الياء ، وحينئذ

فُتَحَذَف الياء من الألقاب التي تُتَعَت بها . ويحتمل أن يكون المراد حذف الياء
اللاحقة للأسم المتقوص وهو بعيد .

وأصل المجلس في اللغة لموضع الجلوس ، ويشار بذلك إلى الموضع الذي يجلس
فيه تعظيماً له على ما تقدم في غيره . ولا يخفى أنه ليس للمجلس ما للمقر والمقام
من العموم حتى يعم ما فوق موضع الجلوس ، إذ لا يحسن أن يقال مجلس فلان محلة
كذا ولا بلد كذا كما يحسن أن يقال : مقره أو مقامه محلة كذا أو بلد كذا .

السادس — مجلس — مجرداً عن الألف واللام مضافاً إلى ما بعده بـ وله
في الاصطلاح أربع حالات :

الأولى أن يُضاف إلى الأمير : فيقال « مجلس الأمير » وهو مختص بأرباب
السيوف على اختلاف أنواعهم من الترك والعرب وغيرهم .

الثانية أن يُضاف إلى القاضي : فيقال « مجلس القاضي » وهو مختص بأرباب
الأقلام من القضاة والعلماء والحُجَّاب ومن في معناهم .

الثالثة أن يُضاف إلى الشيخ : فيقال « مجلس الشيخ » ويختص ذلك بالصوفيَّة
وأهل الصلاح ومن في معناهم .

الرابعة أن يُضاف إلى الصدر : فيقال « مجلس الصدر » وهو مختص بالتجار
وأرباب الصنائع ومن في معناهم ، وربما كُتِبَ به في الدولة الناصرية « محمد بن
قلاوون » وما قاربها لكتاب الدرج ومن في معناهم . والمراد بالصدر صدر المجلس
الذي هو أعلى أماكنته وأرفعها ، والمضاف والمضاف إليه فيه كالمعنيين ، والتقدير
صدر المجلس .

السابع — أن يُقْتَصَر على المضاف إليه من مجلس الأمير، أو مجلس القاضي، أو مجلس الشيخ، أو مجلس الصدر ويقال فيه: «الأمير الأجل» و«القاضي الأجل» و«الشيخ الصالح» و«الصدر الأجل».

الثامن — الحضرة . والمراد بها حضرة صاحب اللقب . قال الجوهري : وحضرة الرجل قرينه وفأوه . قال ابن قتيبة في «أدب الكاتب» : وتقال بفتح الحاء وكسرهما وضمها وأكثر ما تستعمل في المكاتبات . وهي من الألقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء . وكان يقال فيها «الحضرة العلية» و«الحضرة السامية» ، وتستعمل الآن في المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى بعض الملوك . ويقال فيها : «الحضرة الشريفة العلية» و«الحضرة الكريمة العلية» و«الحضرة العلية» بحسب ما تقتضيه الحال . قال ابن شيث في «معالم الكتابة» : وكانت مما يكتب بها لأعيان الدولة من الوزراء وغيرهم ، ولم يكن السلطان يكتب بها أحدا من الداخلين تحت حكمه والمنسحب عليهم أمره . وتُستعمل أيضا في مكاتبات ملوك الكُفَر ، ويقال فيه بعد الدعاء للحضرة : «حضرة الملك الحليل» ونحو ذلك على ماسياتي بيانه في موضعه . وقد تُستعمل في الولايات في نحو ما يكتب للبَطْرَك . فيقال : «حضرة الشيخ» أو «حضرة البَطْرَك» ونحو ذلك . قلت : وكثير من كتّاب الزمان يطنون أن هذه الألقاب الأصول أو أكثرها أحدثها القاضي شهاب الدين بن فضل الله وليس كذلك ، بل المجامع المذكور في مكاتبات القاضي الفاضل ومن عاصره بكثرة بل لا تكاد مكتبة من مكاتباته الملوكة تخلو عن ذلك . ومقتضى كلام ابن حاجب النعمان في «ذخيرة الكتّاب» أنه أول ما ابتدع في أيام بني بويه ملوك الديلم . والحناب موجود في مكاتبات القاضي الفاضل أيضا بقلّة .

وقد ذكره ابن شيث في مصطلح كتابة الدولة الأيوبية . والمقر موجود في كلام القاضي محي الدين بن عبد الظاهر . والمقام موجود في مكاتبات من قبل القاضي شهاب الدين المذكور ، نعم هذا الترتيب الخاص : وهو جعل أعلاها المقام ، ثم المقر ، ثم الحناب ، ثم المجلس ، ثم مجلس الأمير أو القاضي أو الشيخ ، لم أره إلا في كلام المقر الشهابي المشار إليه ومتابعيه ، ولا أدري أهو المقترح لهذا أم سبقه إليه غيره ؟ وقد أُلِيع الفضلاء بالسؤال عن وجه هذا الترتيب ، بل أخذوا في إنكاره على مرتبة من حيث إن هذه الألقاب متقاربة المعاني في اللغة ، فلا يتجه تقديم بعضها على بعض في الرتبة ، ولا يخفى أن واضع ذلك من المقر الشهابي أو غيره لم يضعه عن جهل على سبيل التسمي إذ لا يليق ذلك بمن عنده أدنى مُسْكَة من العلم . وقد ظهر لي عن ذلك أجوبة يستحسنها ذهن السليم إذا تُلْقِيَتْ بالإنصاف . ولا بد من تقديم مقدمة على ذلك : وهي أن تعلم أن الخطاب في المكاتبات ، والوصف في الولايات ، مبني على التفضيم والتعظيم ، على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ومن ثم أتى فيهما بالألقاب المؤدية إلى الرِّفْعَة كما تقدمت الإشارة إليه في أول الكلام على الألقاب . ثم أثبتوا هذه الألقاب بمعنى الأماكن كناية عن أصحابها من باب مجاز التجاورة ، وجعلوها رتبة بعد رتبة بحسب ما تقتضيه معانيها اللائحة منها على ما سيأتي بيانه ، فجعلوا أدناها رتبة الأمير والقاضي والشيخ ، التي وقع فيها التصريح بذكر الشخص ، وجعلوا فوق ذلك المجلس لتجرده عن الإضافة إلى ما هو في معنى القريب من التصريح ، وجعلوا فوق ذلك الحناب الذي هو الفناء من حيث إن فناء الرجل أوسع من مجلسه ضرورة ، بل ربما أشتمل على المجلس واستضافه إليه ، وجعلوا فوق ذلك المقر الذي هو موضع الاستقرار مع ما يقتضيه من شمول جميع المحلة أو البلد الذي هو مقيم فيه ، من حيث إنه يسوغ أن يقال مقره محلة كذا أو بلد كذا ، وتضمنه

معنى 'القرار الذي هو ضد الزوال على ما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ وجعلوا فوق ذلك المقام لاستعماله في المعنى العام، الذي هو أعم من موضع القيام كما أشار إليه الزمخشري، مع ما في معنى 'القيام من النهضة والشهامة الزائدة على معنى الاستقرار، من حيث إن القعود دليل العجز والقصور . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ وقال : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا أَوْ اطَّاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ فكان المقام باعتبار ذلك أعلى من المقر، ويوضح ما ذكرناه أنهم جعلوا المجلس أدنى المراتب والمقام أعلاها .

أما تخصيصه خطاب الخليفة بالديوان فليبعد تعلقه، مع كونه عنه تصدر مخاطبات وعليه ترد، على ماسياتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من الألقاب الأصوي ما يختص بالمكاتب دون الولايات، وفيه تسعة ألقاب)

الأول — الديوان . وقد تقدم الكلام على ضبطه ومعناه في الكلام على ترتيب ديوان الإنشاء في مقدمة الكتاب، ويصدر بالدعاء له في المكتبة إلى أبواب الخلافة المقدسة، ويقال فيه «الديوان العزيز» على ماسياتي في الكلام على المكاتب فيما بعد إن شاء الله تعالى . قال المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه "التعريف" : والمعنى به ديوان الإنشاء إذ الكتب وأنواع الخطابات إليه واردة، وعنه صادرة . قال : وسبب الخطاب بالديوان العزيز الخضوع عن خطاب الخليفة نفسه . ثم كُتب الزمان قد يستعملون ذلك في غير المكاتب مثل أن يكتب عن السلطان منشور إقطاع للخليفة فيقال : « أن يجري في الديوان العزيز » ونحو ذلك على ماسياتي في الكلام على المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى .

الثانى — الباسِطُ . وهو ما يُستعملُ فى المكاتبات بالتقبيل على ما سأتى ذكره إن شاء الله تعالى . وأصله فى اللغة فاعِلٌ من البَسَط ، والمراد بَسَطَ الكَفِّ بالبَدَل والعطاء . ومنه قوله تعالى : « **لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** » وهو من ألقاب اليد ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام وغيرهم . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيه « **الباسِطُ الشَّريفُ العالى** » و « **الباسِطُ الكريمُ العالى** » .

الثالث — الباسِطةُ بلفظ التأنيث . وهو بمعنى الباسِطِ إلا أن الباسِطة دُونَ الباسِطِ فى الرتبة لميزة التذكير على التأنيث .

الرابع — اليَدُ . وهى فى معنى الباسِطةِ إلا أنها دُونَها لقوات الوصف بالبَسَط فيها . قال فى "عرف التعريف" : ويقال فيها « **اليَدُ الشريفةُ العالِيَةُ** » و « **اليَدُ الكريمةُ العالِيَةُ** » واليد العالِيَةُ مجردة عنهما .

الخامس — الدَّارُ . وهى معروفة . وتجمع على آدِرٍ ، ودِيَارٍ ، ودُورٍ ، والمراد دار المكتوب إليه ، تزيهاً له عن التصريح بذكره كما فى الجَنَاب وغيره . وكانت مما يكتب به فى الزمن القديم فى ألقاب الخُلَفَاء ويقال : « **الدارُ العزيزةُ** » وما أشبه ذلك ، وربما كُتِبَ بها فى القديم أيضاً للخَوَاتِمِ من نساء الملوك وغيرهم . ومن كُتِبَ به لمن العلاء بن موصلاً صاحب ديوان الإنشاء فى أيام القائم العباسيِّ ، وعلى ذلك الأمر فى زماننا فى الكُتُب الصادرة إليهن من الأبواب السلطانية وغيرها ، وإنما كُتِبَ إليهن بذلك إشارةً إلى الصَّوْن لملازمتن الدَّورَ ، وعدم البروز عنها .

السادس — السَّتَّارةُ . وكُتِبَ الزمان يستعملونها فى نحو ما تُستعمل فى الدَّارِ ، ويَكُونُ بها عن المرأة الحليَّة القَدْر ، التى هى بصَدَد أن تُصَبَّ على بابها السَّتَّارةُ حجاباً .

السابع — الْجِهَةُ . وهو مستعملٌ في معنى الدار والسَّارة من المكتبات ، ويُعنى بها المرأةُ الجليلةُ القَدْر . وهى فى أصل اللغة أسمٌ للناحية ، فكُنُوا بها عن المرأة الجليلة ، كما كُنُوا عن الرجل الجليل بالجناب .

الثامن — البابُ . وهو من الألقاب المختصة بالعُنوان فى جليل المكتبات ، وأصلُ البابِ فى اللغة لما يَتَوَصَّلُ منه إلى المقصود ، ويجمع على أبوابٍ : كحالٍ وأحوالٍ ، وعلى يَبَينَ : بكارٍ وجيرانٍ ، والمراد بابُ دارِ المكتوبِ إليه ، وكأنه أجلُّ صاحبِ اللَّقب عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلَّ مكانه ورفعةُ محلِّه . ويقال فيه « البابُ الشريفُ العالى » و « البابُ الكريمُ العالى » و « البابُ العالى » مجزئاً عنهما ، واستعمله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الأفراد لما فى معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على يَبَينَ فلا يستعمله الكُتَّاب أصلاً .

التاسع — المُخَيَّم . وهو من الألقاب المختصة بالعُنوان للسافر ، والمراد المكان الذى تُضْرَبُ فيه خِيامُ المكتوبِ إليه ، أخذاً من قولهم خَيَّمْ بالمكان إذا أقام به ، أو خَيَّمَهُ إذا جعله كأنه خِيمة . والخِيمةُ فى أصل اللغة أسمٌ لبيتٍ تُنْشِئُهُ العرب من عِداٍ ثم تُوسَّعُ فيه فاستعمل فيما يُنْخَدُ من الجلود والقطن المنسوج ونحوه ، ويوصف بما يوصف به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالى .

قلت : وقد يُستعمل بعضُ هذه الألقاب كالدار والسَّارة والجهة فى غير المكتبات من الولايات وغيرها ولكن بقلَّةٍ ، والغالب استعمالُها فى المكتبات ، فلذلك خصَّصْتُها بها .

الجملة السادسة

(في بيان الألقاب المقررة على الأصول المتقدمة ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(في بيان أقسامها ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(المفردة ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان ، والملك ، والأمير ، والقاضي ، والشيخ ، والصدر ، والأجل ،
والكبير ، والعالم ، والعامل ، والأوحد ، والأكل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثاني

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطاني ، والملكي ، والأميري ، والقضائي ، والقاضي ، والشيخ ،
والصدري ، والأجلي ، والكبيري ، والعالمي ، والعامل ، والأوحد ، والأكلي ،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه :
كالقضائي ، لأنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي منأطها فصل

الحُكُومات الشرعية على ما تقدم؛ وتارة يُراد به المبالغة كالتقاضى، فإنه منسوب إلى القاضي نفسه مبالغةً . وفي معناه الأميرى نسبةً إلى الأمير، والوزيرى نسبةً إلى الوزير، والشيخى نسبةً إلى الشيخ، والكبرى نسبةً إلى الكبير، والعالمى نسبةً إلى العالم، وما أشبه ذلك .

والأصل فيه أن عادة العرب أنهم إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب في آخره للمبالغة في وصفه فيقولون في الأحمر إذا قصدوا المبالغة في وصفه بالحرارة أحمرى ونحو ذلك على ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة كالتهليل ونحوه . ثم منها ما يستعمل بالتجريد عن ياء النسب أو إثباتها : كالعالم، والعالمى ؛ ومنها ما يستعمل مجرداً عنها فقط كالأطباء والغوث من ألقاب الصوفية ؛ ومنها ما يستعمل بإثباتها فقط كالغياث . وبكل حالٍ فالألقاب التي قد تثبت ياء النسب في آخرها وقد لا تثبت كالأمير والأميرى إن كانت من ألقاب المجلس السامى بالياء فما فوقه من المجلس العالى والجناب العالى، والمقر والمقام على مراتبها تثبت الياء في آخرها، وإن كانت من ألقاب المجلس السامى بغير ياء فما دونه من مجلس الأمير ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس الصدر؛ والأمير، والقاضي، والشيخ، والصدر، لم تثبت الياء في آخرها . والألقاب المضافة إلى الدين، مثل «ناصر الدين» و«شمس الدين» و«نور الدين» و«عز الدين» و«ولي الدين» و«سيف الدين» وما أشبه ذلك إن كانت في ألقاب من تثبت الياء في ألقابه من المجلس السامى بالياء فما فوقه حذف المضاف إليه وأدخلت الألف واللام على المضاف وألحقته بياء النسب، فيقال في ناصر الدين «الناصري» وفي شمس الدين «الشمسي» وفي نور الدين «النوري» وفي عز الدين «العزي» وفي ولي الدين «الولي» وفي سيف الدين «السيفي» وما أشبه ذلك .

النوع الثانى

(المركبة)

وهى المعبر عنها بالتعوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالإضافة ، ثم تارة تكون
 بإضافة واحدة نحو « مَهْدُ الدُّوَل » وتارة تكون بإضافتين نحو « سَيِّدُ أَمْرَاءِ الْعَالَمِينَ »
 وتارة تكون بثلاث إضافات نحو « حَاكِمُ أُمُورِ وُلَاةِ الرِّمَانِ » وربما زيد على ذلك ،
 وتارة تكون بوصف المضاف ، نحو « بَقِيَّةُ السُّلَالَةِ الطَّاهِرَةِ » وتارة تكون بالعطف
 على المضاف إليه : إما بعطف واحد ، نحو « سَيِّدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » وإما بأكثر ،
 نحو « نَاحِ الْمَالِكِ وَالْأَقَالِمِ وَالْأَقْطَارِ » وتارة تكون بجارٍّ ومحجورٍ بعد المضاف إليه ،
 نحو « سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ » وربما توسطت التعتُّ بين المضاف إليه والجارِّ
 والمحجور ، نحو « سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ الْأَشْرَافِ فِي الْعَالَمِينَ » . وقد يكون التركيب بغير
 الإضافة إما بالجارِّ والمحجور ، نحو « الْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » وإما بغير ذلك
 مثل الْمُعَفَّى آلِ سَاسَانَ وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى .

[وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِقَبِّ الْأَصْلِ مُفْرَدًا نَحْوَ الْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ ، جَاءَتْ أَلْقَابُهُ وَنَعْوَتُهُ
 مُفْرَدَةً فَيَقَالُ « الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ » وَ « الْجَنَابُ الشَّرِيفُ » وَ « الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ » وَفِي نَعْوَتِهِ
 « سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ » وَنَحْوُ ذَلِكَ .

ثم إن كان مدَّكراً جاء بصيغة التذكير ، كما تقدَّم في ألقابِ الْمَقَرِّ ^(١) .

وإذا كان لقب الأصل فيه مؤنثاً كالجهة في ألقاب النساء ، أتت ألقابه ونعوته
 مؤنثَةً تبعاً له ، فيقال في ألقاب الجهة « الجهة الشريفة أو الجهة الكريمة العالمة »
 وفي النعوت « سَيِّدَةُ الْخَوَاتِمِينَ فِي الْعَالَمِينَ » وَنَحْوُ ذَلِكَ .

(١) هذه الجملة التي بين القوسين غير موجودة في الأصول ، فنقلناها عن الضوء للأولف لثم الفائدة .

وإن كان اللقب في الاصل مجموعاً ، نحو « مجالس الأمراء » كما يكتب في المطلقات ، جاءت الألقاب والنعوتُ مجموعةً في الألقاب الأجلاء الأكارِ وما أشبه ذلك ، وفي النعوت إن كان ذلك اللقب اسم جنس نحو « عضد الملوك والسلطين » أو مصدرًا ، نحو « عون الأمة » جاز إبقاؤه على الأفراد كذلك : لأن المصدر واسم الجنس لا يتنَّان ولا يُجمَعان ؛ وإن أُوحِظ فيه معنى التعدد ، جاز الجمع فيقال « أعوان الأمة » و « أعضاء الملوك والسلطين » ونحو ذلك . وقد أشار إلى ذلك المقرّر الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " في الكلام على كتابة المطلقات فقال ونحو عضد وأعضاء .

تم الجزء الخامس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السادس

بأوله المهيع الثاني

(في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كُتاب الزمان ، وبيان معانيها ، ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم ، وهي نوعان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(۲۰۰۰/۱۹۱۴/۵۴۹۶/۲۰۲)

السابع — الجهة . وهو مستعمل في معنى الدار والسَّتارة من المكاتب ، ويعني بها المرأة الخلية القدر . وهي في أصل اللغة اسمٌ للناحية ، فكُنُوا بها عن المرأة الخلية ، كما كنُوا عن الرجل الخليل بالجناب .

الثامن — الباب . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان في جليل المكاتب ، وأصل الباب في اللغة لما يتوصل منه إلى المقصود ، ويجمع على أبواب : كحال وأحوال ، وعلى بيان : كجارٍ وجيران ، والمراد باب دار المکتوب إليه ، وكأنه أجل صاحب اللقب عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلَّ مكانه رفعة محله . ويقال فيه « الباب الشريف العالی » و « الباب الكريم العالی » و « الباب العالی » مجزأً عنهما ، وأستعمله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الإفراد لما في معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على بيان فلا يستعمله الكتاب أصلاً .

التاسع — المقيم . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان للسافر ، والمراد المكان الذي تُضرب فيه خيام المکتوب إليه ، أخذنا من قولهم خيم بالمكان إذا أقام به ، أو خيمه إذا جعله كالخيمة . والخيمة في أصل اللغة اسمٌ لبيت تُشْثه العرب من عيدان ثم توسع فيه فاستعمل فيما يتخذ من الجلود والقطن المنسوج ونحوه ، ويوصف بما يوصف به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالي .

قلت : وقد يستعمل بعض هذه الألقاب كالدار والسَّتارة والجهة في غير المكاتب من الولايات وغيرها ولكن بقلّة ، والغالب استعمالها في المكاتب ، فلذلك خصصتها بها .

الجملة السادسة

(في بيان الألقاب المنفردة على الأصول المتقدمة ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(في بيان أقسامها ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(المفردة ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان ، والملك ، والأمير ، والقاضي ، والشيخ ، والصدر ، والأجل ،
والكبير ، والعالم ، والعاقل ، والأوحد ، والأكل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثاني

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطاني ، والملكي ، والأميري ، والقضائي ، والقاضي ، والشيخ ،
والصدري ، والأجلي ، والكبيري ، والعالمي ، والعاقلي ، والأكلي ،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحق بها ياء النسب تارة يُراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه :
كالقضائي ، لأنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي منأطها فصل

السابع — الجهة . وهو مستعمل في معنى الدار والسَّتارة من المكاتبات، ويعنى بها المرأة الجليلة القدر . وهى فى أصل اللغة اسمٌ للناحية ، فكَنُوا بها عن المرأة الجليلة ، كما كَنُوا عن الرجل الجليل بالجناب .

الثامن — الباب . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان فى جليل المكاتبات ، وأصل الباب فى اللغة لما يتوصل منه إلى المقصود ، ويجمع على أبواب : كحال وأحوال ، وعلى بيان : بكارٍ وجيران ، والمراد باب دار المكتوب إليه ، وكأنه أجل صاحب اللقب عن الوصول إليه والقرب منه ، لعلَّ مكانه رفعة محله . ويقال فيه « الباب الشريف العالى » و « الباب الكريم العالى » و « الباب العالى » مجزءا عنهما ، وأستعماله بلفظ الجمع على أبواب أعلى منه بلفظ الإفراد لما فى معنى الجمع من الشرف . أما الجمع على بيان فلا يستعمله الكتاب أصلاً .

التاسع — المقيم . وهو من الألقاب المختصة بالعنوان للسافر ، والمراد المكان الذى تُضرب فيه خيام المكتوب إليه ، أخذاً من قولهم خيم بالمكان إذا أقام به ، أو خيمه إذا جعله كالخيمة . والخيمة فى أصل اللغة اسمٌ لبيت تُنشئه العرب من عيدان ثم توسع فيه فاستعمل فيما يتخذ من الجلود والقطن المنسوج ونحوه ، ويوصف بما يوصف به الباب : من الشريف ، والكريم ، والعالى .

قلت : وقد يستعمل بعض هذه الألقاب كالدار والسَّتارة والجهة فى غير المكاتبات من الولايات وغيرها ولكن بقلَّة ، والغالب استعمالها فى المكاتبات ، فلذلك خصصتها بها .

الجملة السادسة

(في بيان الألقاب المنفردة على الأصول المتقدمة ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(في بيان أقسامها ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(المفردة ، وهي صنفان)

الصنف الأول

(المجردة عن ياء النسب)

كالسلطان ، والمَلِك ، والأمير ، والقاضي ، والشيخ ، والصَّدر ، والأجل ،
والكبير ، والعالم ، والعامل ، والأوحد ، والأكل ، وما أشبه ذلك .

الصنف الثاني

(الملحق بها ياء النسب)

كالسلطاني ، والملكي ، والأميري ، والفضائي ، والقاضي ، والشيخ ،
والصَّدري ، والأجل ، والكبير ، والعالم ، والعامل ، والأوحد ، والأكلي ،
ونحو ذلك .

ثم الألقاب الملحقة بها ياء النسب تارة يُراد بالنسب فيها النسب الحقيقي على بابه :
كالفضائي ، لأنه منسوب إلى القضاء الذي هو موضوع الوظيفة التي منأطها فصل

الحكومات الشرعية على ما تقدم، وتارة يراد به المبالغة كالقاصوي، فإنه منسوب إلى القاضي نفسه مبالغة. وفي معناه الأمير نسبة إلى الأمير، والوزير نسبة إلى الوزير، والشيخ نسبة إلى الشيخ، والكبير نسبة إلى الكبير، والعالم نسبة إلى العالم، وما أشبه ذلك.

والأصل فيه أن عادة العرب أنهم إذا أرادوا المبالغة في وصف شيء أدخلوا عليه ياء النسب في آخره للمبالغة في وصفه فيقولون في الأحمر إذا قصدوا المبالغة في وصفه بالحمرة أحمرى ونحو ذلك على ما هو مقرر في كتب النحو المبسوطة كالتهليل ونحوه، ثم منها ما يستعمل بالتجريد عن ياء النسب أو إثباتها: كالعالم، والعالمى؛ ومنها ما يستعمل مجزئاً عنها فقط كالتطرب والقوت من ألقاب الصوفية؛ ومنها ما يستعمل بإثباتها فقط كالغياثي. وبكل حال فالألقاب التي قد تثبت ياء النسب في آخرها وقد لا تثبت كالأمير والأميري إن كانت من ألقاب المجلس السامي بالياء فما فوقه من المجلس العالي والجناب العالي، والمقر والمقام على مراتبها تثبت الياء في آخرها، وإن كانت من ألقاب المجلس السامي بغير ياء فما دونه من مجلس الأمير ومجلس القاضي، ومجلس الشيخ، ومجلس الصدر، والأمير، والقاضي، والشيخ، والصدر، لم تثبت الياء في آخرها. والألقاب المضافة إلى الدين، مثل «ناصر الدين» و«شمس الدين» و«نور الدين» و«عز الدين» و«ولي الدين» و«سيف الدين» وما أشبه ذلك إن كانت في ألقاب من تثبت الياء في ألقابه من المجلس السامي بالياء فما فوقه حذف المضاف إليه وأدخلت الألف واللام على المضاف وألحقته به ياء النسب، فيقال في ناصر الدين «الناصري» وفي شمس الدين «الشمسي» وفي نور الدين «النوري» وفي عز الدين «العزي» وفي ولي الدين «الولي» وفي سيف الدين «السيفي» وما أشبه ذلك.

النوع الثاني

(المرتبّة)

وهي المعبر عنها بالنعوت . وأكثر ما يكون التركيب فيها بالإضافة ؛ ثم تارة تكون
 بإضافة واحدة نحو «ممهّد الدّول» وتارة تكون باضافتين نحو «سيدّ أمراء العالمين»
 وتارة تكون بثلاث إضافات نحو «حاكم أمور ولاية الرّمان» وربما زيد على ذلك ،
 وتارة تكون بوصف المضاف ، نحو «بقية السّلالة الطاهرة» وتارة تكون بالعطف
 على المضاف إليه : إما بعطف واحد ، نحو «سيدّ الملوك والسلاطين» وإما بأكثر ،
 نحو «فاتح الممالك والأقاليم والأقطار» وتارة تكون بجارٍّ ومجرور بعد المضاف إليه ،
 نحو «سيدّ الأمراء في العالمين» وربما توسط النعت بين المضاف إليه والجار
 والمجرور ، نحو «سيدّ الأمراء الأشراف في العالمين» . وقد يكون التركيب بغير
 الإضافة إما بالجارّ والمجرور ، نحو «المجاهد في سبيل ربّ العالمين» وإما بغير ذلك
 مثل المعنى آل ساسان وغير ذلك مما يجري هذا المجرى .

[وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِقَبُ الْأَصْلِ مَفْرَدًا نَحْوَ الْمَقَرِّ وَالْجَنَابِ ، جَاءَتْ أَلْقَابُهُ وَنَعْوَتُهُ
 مَفْرَدَةً فَيَقَالُ «الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ» وَ«الْجَنَابُ الشَّرِيفُ» وَ«الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ» وَفِي نَعْوَتِهِ
 «سَيِّدُ الْأَمْرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» وَنَحْوُ ذَلِكَ .

ثم إن كان مدّكراً جاء بصيغة التذكير ، كما تقدّم في ألقاب المقرّر^(١) .
 وإذا كان لقب الأصل فيه مؤنثاً كالجهة في ألقاب النساء ، أتت ألقابه ونعوته
 مؤنثَةً تبعاً له ، فيقال في ألقاب الجهة «الجهة الشريفة أو الجهة الكريمة العالية»
 وفي النعوت «سيدة الخواتين في العالمين» ونحو ذلك .

(١) هذه الجملة التي بين القوسين غير موجودة في الأصول ، فنقلناها عن الضوء لأؤلف لتم الفائدة .

وإن كان اللقب في الاصل مجموعاً ، نحو « مجالس الأمراء » كما يكتب في المطلقات ، جاءت الألقاب والنعوت مجموعةً في الألقاب الأجلاء الأكابر وما أشبه ذلك ، وفي النعوت إن كان ذلك اللقب اسم جنس نحو « عضد الملوك والسلطين » أو مصدرًا ، نحو « عون الأمة » جاز إبقاؤه على الأفراد كذلك : لأن المصدر واسم الجنس لا يثنان ولا يجعلان ؛ وإن لوحظ فيه معنى التعدد ، جاز الجمع فيقال « أعوان الأمة » و « أعضاء الملوك والسلطين » ونحو ذلك . وقد أشار إلى ذلك المقر الشهابي بن فضل الله في كتابه « التعريف » في الكلام على كتابة المطلقات فقال ونحو عضد وأعزاد .

تم الجزء الخامس . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء السادس

وأوله المهيم الثاني

(في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كتاب الزمان ، وبيان معانيها ، ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم ، وهي نوعان)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣٠٠٠/١٩١٤/٥٤٩٦/م٠م)

صنح الأربعة
٢٠١٢
١٤٧

الجزء الخامس

فهرست

الجزء الخامس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

صفحة

- المقصد الثاني — في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية، ويتوجه المقصد منها إلى ثلاثة أقطار ... ٥
- القطر الأول — اليمن ... وهو على قسمين ... ٦
- القسم الأول — التهام، وفيه أربع جمل (والصواب خمس) ... ٨
- الجملة الأولى — في ذكر ما أشتمل عليه من القواعد والمدن، وبه قاعدتان ٨
- القاعدة الأولى — تعز ... ٨
- » الثانية — زبيد ... ٩
- الجملة الثانية — في ذكر حيوانه، وحبوبه، وفواكهه، ورياحينه، ومعاملاته وأسعاره ... ١٦
- الجملة الثالثة — في الطريق الموصلة إلى اليمن ... ١٧
- » الرابعة — في ذكر ملوكه جاهلية وإسلاماً، أما ملوكه في الجاهلية فعلى عشر طبقات ... ١٧
- الطبقة الأولى — العادية ... ١٨
- » الثانية — القحطانية ... ١٩
- » الثالثة — التبابعة ... ٢١
- » الرابعة — الحبشة ... ٢٥
- » الخامسة — الفرس ... ٢٥
- » السادسة — عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ... ٢٦
- » السابعة — ملوكها من بني زياد ... ٢٧
- » الثامنة — من بني مهدي ... ٢٩
- » التاسعة — من بني أيوب ملوك مصر ... ٢٩
- » العاشرة — دولة بني رسول ... ٣٠

صفحة

- الجملة السادسة — (والصواب الخامسة) في ترتيب هذه المملكة على ما هي عليه في زمن بنى رسول الخ ... ٣٣
- القسم الثانى — من اليمن النجود وفيه أربع جمل ... ٣٧
- الجملة الأولى — فيما آشتلت عليه من النواحي والمدن والبلاد ... ٣٨
- » الثانية — في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة ... ٤٣
- » الثالثة — فيمن ملك هذه المملكة إلى زمن المؤلف ... ٤٤
- » الرابعة — (وكتبت الثالثة) في ترتيب مملكة هذا الإمام ... ٥١
- القطر الثانى — مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "بلاد البحرين" وفيه ثلاث جمل ... ٥٤
- الجملة الأولى — فيما تشتمل عليه من المدن ... ٥٥
- » الثانية — في ذكر ملوكها ... ٥٧
- » الثالثة — في الطريق الموصل إليها ... ٥٧
- القطر الثالث — مما هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية "اليمامة" وفيها ثلاث جمل ... ٥٨
- الجملة الأولى — فيما آشتلت عليه من البلدان ... ٥٩
- » الثانية — في ذكر ملوكها ... ٦٠
- » الثالثة — في الطريق الموصل إليها ... ٦١
- القطر الرابع — مملكة الهند ومضافاتها وفيه إحدى عشرة جملة ... ٦١
- الجملة الأولى — فيما آشتلت عليه هذه المملكة من الأقاليم ... ٦٢
- الإقليم الاول — إقليم السند وما انحدرت في سلكه ... ٦٣
- » الثانى — الهند وفيه قاعدتان ... ٦٧

صفحة

القاعدة الأولى — مدينة دلي	٦٨
» الثانية — مدينة الدواكير	٧٠
الجملة الثانية — في حيوانها	٨١
» الثالثة — في حبوبها وفواكهها ورياحينها وخضرأوتها وغير ذلك	٨٢
» الرابعة — في المعاملات	٨٤
» الخامسة — في الأسعار	٨٥
» السادسة — في الطريق الموصلة إلى مملكتي السند والهند	٨٦
» السابعة — في ذكر ملوك الهند	٨٨
» الثامنة — في ذكر عساكر هذه المملكة وأرباب وظائفها	٩١
» التاسعة — في زى أهل هذه المملكة	٩٣
» العاشرة — في أرزاق أهل دولة السلطان بهذه المملكة	٩٤
» الحادية عشرة — في ترتيب أحوال هذه المملكة	٩٥
الفصل الثانى — من الباب الرابع من المقالة الثانية في الممالك والبلدان	
الغربية عن مملكة الديار المصرية؛ وفيه أربع (ست) ممالك	٩٩
المملكة الأولى — مملكة تونس؛ وفيها آثنتان وعشرون جملة	٩٩
الجملة الأولى — في بيان موقعها من الأقاليم السبعة	٩٩
» الثانية — في بيان ما أشتملت عليه هذه المملكة من الأعمال؛	
وهو عملاقان	١٠٠
العمل الاثرل — أفريقية	١٠٠
» الثانى — بلاد بجاية	١٠٩
الجملة الرابعة — في ذكر زروعها وحبوبها وفواكهها وبقولها ورياحينها ^(١)	١١٢

(١) كذا في الأصول وحقيقتها الثالثة ثم يتسلسل العدد .

صفحة

- الجملة الخامسة — في مواشيا ووحوشها وطيورها ... ١١٣
- » السادسة — فيما يتعلق بمعاملاتها من الدنانير والدرهم والأرطال ... ١١٤
- والمكايل والأسعار ... ١١٤
- » السابعة — في ذكر أسعارها ... ١١٥
- » الثامنة — في صفات أهل هذه المملكة في الجملة ... ١١٥
- » التاسعة — في ذكر من ملكها جاهلية وإسلاما ... ١١٦
- الطبقة الأولى — الخلفاء ... ١١٧
- » الثانية — العبيديون ... ١٢٢
- » الثالثة — ملوكها من بنى زيرى ... ١٢٤
- » الرابعة — الموحدون ... ١٢٦
- الجملة العاشرة — في مسمى ملوك هذه المملكة القائمين بها من الموحدين ... ١٣٣
- » الحادية عشرة — في ترتيب المملكة بها من زى الجند وأرباب ... ١٣٣
- الوظائف ... ١٣٧
- الجملة الثانية عشرة — في ذكر الأرزاق المطلقة من جهة السلطان ... ١٤٠
- » الثالثة عشرة — في لبس سلطان مملكة تونس ولبس أشيخه ... ١٤٠
- وسائر جنده وعاقبة أهل بلده ... ١٤١
- » الرابعة عشرة — في شعار الملك بما يتعلق بهذا السلطان ... ١٤٣
- » الخامسة عشرة — في جلوس سلطان هذه المملكة في كل يوم ... ١٤٣
- » السادسة عشرة — في جلوسه للظالم ... ١٤٤
- » السابعة عشرة — في خروجه لصلاة الجمعة ... ١٤٥
- » الثامنة عشرة — في ركوبه لصلاة العيدين أو للسفر ... ١٤٦
- » التاسعة عشرة — في خروج السلطان للتنزه ... ١٤٧

صفحة

- الجملة العشرون — في مكاتبات السلطان ... ١٤٨
- » الحادية والعشرون — في البريد المقرّر في هذه المملكة ... ١٤٨
- » الثانية والعشرون — في الخلع والتشريف في هذه المملكة ... ١٤٩
- المملكة الثانية — من ممالك بلاد المغرب مملكة تلمسان ، وفيها جملتان ١٤٩
- الجملة الأولى — في ذكر حدودها وقاعدتها وما آشتلت عليه من المدن
- والطريق الموصلة إليها ... ١٤٩
- » الثانية — في حال مملكتها ... ١٥١
- المملكة الثالثة — من بلاد المغرب الغرب الأقصى ، ويقال له بر
- العدوة ، وفيه ثلاثة [أربعة] مقاصد ... ١٥٢
- المقصد الأول — في بيان موقعها من الأقاليم السبعة وذكر حدودها
- وما آشتلت عليه من المدن والجبال المشهورة ، وفيه
- أربع جمل ... ١٥٢
- الجملة الأولى — في بيان موقعها من الأقاليم السبعة ... ١٥٢
- » الثانية — في بيان قواعدها وما آشتلت عليه هذه المملكة من
- الأعمال الخ ... ١٥٣
- القاعدة الأولى — فاس ... ١٥٣
- » الثانية — سبتة ... ١٥٧
- » الثالثة — مدينة مراکش ... ١٦١
- » الرابعة — سجلماسة ... ١٦٣
- الجملة الثالثة — في ذكر جبالها المشهورة ... ١٧٣
- » الرابعة — في ذكر أنهارها المشهورة ... ١٧٤
- المقصد الثاني — في ذكر زروعها وحبوبها وفواكهها الخ ، وفيه خمس جمل ١٧٥

صفحة

- الجملة الأولى — في ذكر زروعها وجوبها الخ ... ١٧٥
- » الثانية — في مواشيها ووحوشها وطيورها ... ١٧٦
- » الثالثة — فيما تتعامل به من الدنانير والدرهم والأوزان والمكييل ... ١٧٧
- » الرابعة — في ذكر أسعارها ... ١٧٨
- » الخامسة — في صفات أهلها في الجملة ... ١٧٨
- المقصد الثالث — في ذكر ملوكها وما يندرج تحت ذلك ؛ وهم على طبقات ... ١٧٩
- الطبقة الأولى — ملوكها قبل الإسلام ... ١٧٩
- » الثانية — نواب الخلفاء من بني أمية وبني العباس ... ١٧٩
- » الثالثة — الأدارسة ... ١٨٠
- » الرابعة — ملوك بني أبي العافية من مكاسة ... ١٨٢
- » الخامسة — بنو زيري بن عطية ... ١٨٥
- » السادسة — المرابطون من المثلثين من البربر ... ١٨٨
- » السابعة — ملوك الموحيدين ... ١٩١
- » الثامنة — ملوك بني عبد الحق من بني مرين ... ١٩٤
- المقصد الرابع — في بيان ترتيب هذه المملكة ؛ وفيه عشر جمل ... ٢٠٣
- الجملة الأولى — في ذكر الجند وأرباب الوظائف الخ ... ٢٠٣
- » الثانية — في زى السلطان والأشياخ الخ ... ٢٠٣
- » الثالثة — في الأرزاق المطلقة من قبل السلطان على أهل دولته ... ٢٠٤
- » الرابعة — في جلوس السلطان في كل يوم ... ٢٠٥
- » الخامسة — في جلوسه للظالم ... ٢٠٦
- » السادسة — في شعار السلطان بهذه المملكة ... ٢٠٦

صفحة

- الجملة السابعة — في ركوبه لصلاة العيد... ٢٠٧
- » الثامنة — في خروج السلطان للسفر... ٢٠٨
- » التاسعة — في مقدار عسكر هذه المملكة... ٢٠٩
- » العاشرة — في مكاتبات السلطان... ٢١٠
- المملكة الخامسة — من بلاد المغرب جبال البربر... ٢١٠
- » السادسة — من ممالك بلاد المغرب جزيرة الأندلس؛ وفيها ست جمل ٢١١
- الجملة الأولى — في ذكر سمك أرضه وحدوده... ٢١٢
- » الثانية — فيما أشتمل عليه من المدن؛ ويشتمل على عدة قواعد ٢١٣
- القاعدة الأولى — غرناطة... ٢١٣
- » الثانية — أشبونة... ٢٢٢
- » الثالثة — بطليوس... ٢٢٣
- » الرابعة — إشبيلية... ٢٢٥
- » الخامسة — قرطبة... ٢٢٦
- » السادسة — طليطلة... ٢٢٧
- » السابعة — جيان... ٢٢٩
- » الثامنة — مرسية... ٢٣٠
- » التاسعة — بلنسية... ٢٣١
- » العاشرة — سرقسطة... ٢٣٢
- » الحادية عشرة — طرطوشة... ٢٣٣
- » الثانية عشرة — برشونة... ٢٣٣
- » الثالثة عشرة — ينبلونة... ٢٣٤

صفحة	
٢٣٤	الجملة الثالثة — في ذكر أنهارها
٢٣٦	» الرابعة — في الموجود بالأندلس
٢٣٦	» الخامسة — في ذكر ملوك الأندلس ؛ وهم على طبقات
٢٣٦	الطبقة الأولى — ملوكها بعد الطوفان
٢٣٧	» الثانية — الاشبانية
٢٣٨	» الثالثة — الشبوتقات
٢٣٨	» الرابعة — القوط
٢٤١	» الخامسة — ملوكها على أثر الفتح الإسلامي
٢٤٤	» السادسة — بنو أمية
٢٤٧	» السابعة — ملوك بني حمود من الإدارة
٢٤٨	» الثامنة — ملوك الطوائف بالأندلس
٢٥٨	الطائفة (وصوابه الطبقة) التاسعة ملوك المرابطين من لتونة
٢٦٠	» () العاشرة بنو الأحمر
٢٧٠	مملكة قشتالة
٢٧٠	» البرتغال
٢٧٠	» برشالونة
٢٧١	» نبرة مماليق قشتالة
٢٧١	الجملة السادسة — في ترتيب هذه المملكة (مملكة الأندلس)
	الفصل الثالث — (أى من الباب الرابع) من المقالة الثانية في الجهة
	الجنوبية عن مملكة الديار المصرية : من مصر والشام
٢٧٣	والحجاز ومضافاتها والمشهور منها ست ممالك

صفحة

٢٧٣	المملكة الأولى — بلاد البجا
٢٧٥	» الثانية — النوبة
٢٧٩	» الثالثة — البرنو
٢٨٠	» الرابعة — الكانم
٢٨٢	» الخامسة — مالى ومضافاتها وفيها ثمان جمل
٢٨٢	الجملة الأولى — فى ذكر أقاليمها ومدنها
٢٨٧	» الثانية — فى الموجود بهذه المملكة
٢٩٢	» الثالثة — فى معاملة هذه المملكة
٢٩٢	» الرابعة — فى ذكر ملوك هذه المملكة
٢٩٨	» الخامسة — فى أرباب الوظائف بهذه المملكة
٢٩٩	» السادسة — فى عساكر سلطان هذه المملكة وأرزاقهم
٢٩٩	» السابعة — فى زى أهل هذه المملكة
٣٠٠	» الثامنة — فى ترتيب هذه المملكة
	المملكة السادسة — من ممالك بلاد السودان مملكة الحبشة
٣٠٢	وهى على قسمين
٣٠٣	القسم الأول — بلاد النصرانية ويشتمل على ست جمل
٣٠٤	الجملة الأولى — فى ذكر قواعدها
٣٠٤	» الثانية — فى الموجود بها
٣٠٧	» الثالثة — فى ذكر معاملاتهم وأسعار بلادهم
٣٠٧	» الرابعة — زعيمهم وسلاحهم
	» الخامسة — بطارقة الإسكندرية الذين عن توليتهم تنشأ
٣٠٨	ولاية ملوك الحبشة

صفحة

- الجملة السادسة — في ترتيب مملكتهم ... ٣٢٣
- القسم الثاني — من بلاد الحبشة ما بيد مسلمي الحبشة؛ ويشتمل على ست جمل ... ٣٢٤
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من القواعد والأعمال ... ٣٢٥
- » الثانية — في الموجود بهذه الممالك (أى ممالك السودان) ... ٣٢٩
- » الثالثة — في معاملاتهم وأسعارهم ... ٣٣١
- » الرابعة — في ملوكهم ... ٣٣٢
- » الخامسة — في زى أهل هذه المملكة ... ٣٣٣
- » السادسة — في شعار الملك وترتيبه ... ٣٣٤
- الفصل الرابع — من الباب الرابع من المقالة الثانية فى الجهة الشمالية عن ممالك الديار المصرية ومضافاتها خلا ما تقدم ذكره؛ وينقسم إلى قسمين ... ٣٣٨
- القسم الأول — ما بيد المسلمين مما فى شرق الخايج القسطنطينى فيما بينه وبين أرمينية وهى البلاد المعروفة ببلاد الروم؛ وفيه خمس جمل ... ٣٣٨
- الجملة الأولى — فيما أشتملت عليه من القواعد؛ وهى على ضربين ... ٣٤٠
- الضرب الأول — القواعد المستقرّة بها الملوك والحكام ... ٣٤٠
- » الثانى — من هذه البلاد ما لم يسبق إلى صاحبه مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ... ٣٤٩
- الجملة الثانية — فى ذكر الموجود بهذه البلاد ... ٣٥٦
- » الثالثة — فى معاملاتها وأسعارها ... ٣٥٧

صفحة

- الجملة الرابعة — في ذكر من ملك هذه البلاد ؛ وأشتهر من ملوكهم
طوائف ... ٣٥٨
- الطائفة الأولى — أولاد قرمان ... ٣٦٥
- » الثانية — بنو الحفيد ... ٣٦٦
- » الثالثة — بنو أيدين ... ٣٦٧
- » الرابعة — بنو منتشا ... ٣٦٧
- » الخامسة — بنو أورخان بن عثمان جق ... ٣٦٧
- الجملة الخامسة — في زى أهل هذه المملكة وترتيب الملك بها ... ٣٦٩
- القسم الثانى — من الجهة الشمالية عن الديار المصرية مايد ملوك
النصارى ؛ وهو ثلاثة أضرب ... ٣٦٩
- الضرب الأول — جزائر بحر الروم ... ٣٦٩
- » الثانى — ماشمالى بحر الروم ؛ وهو جهران ... ٣٧٦
- الجهة الأولى — ماهو فى جهة الغرب عن الخليج القسطنطينى ؛
وهو قطران ... ٣٧٦
- القطر الأول — ماين الخليج المذكور وبين جزيرة الأندلس ؛ ويشتمل
على ممالك كبار وممالك صغار ... ٣٧٦
- المملكة الأولى — (من الممالك الكبار) مملكة القسطنطينية ؛
وملوكتها طبقات ... ٣٧٦
- الطبقة الأولى — من ملك منهم قبل القياصرة ... ٣٨٣
- » الثانية — القياصرة قبل ظهور النصرانية فيهم ... ٣٨٤

صفحة

- الطبقة الثالثة — القياصرة المنتصرة إلى الفتح الإسلامي ... ٣٩٢
- » الرابعة — ملوك الروم بعد الفتح الإسلامي ... ٣٩٧
- المملكة الثانية — مملكة الألمان ... ٤٠٣
- » الثالثة — مملكة البنادقة ... ٤٠٤
- » الرابعة — » الجنويين ... ٤٠٥
- » الخامسة — بلاد رومية ... ٤٠٦
- المملكة الأولى — (من الممالك الصغار) مملكة المرا ... ٤٠٩
- » الثانية — بلاد الملفجوط ... ٤٠٩
- » الثالثة — بلاد إققرنس ... ٤١٠
- » الرابعة — مملكة بولية ... ٤١٠
- » الخامسة — بلاد قلقرية ... ٤١٠
- » السادسة — بلاد التسقان ... ٤١١
- » السابعة — بلاد اليازنة ... ٤١١
- القطر الثاني — مما غربى الخليج القسطنطيني الأرض الكبيرة ؛
وفيه ثلاث ممالك ... ٤١٢
- المملكة الأولى — مملكة الفرنج القديمة ... ٤١٢
- » الثانية — » الجلائقة ... ٤١٤
- » الثالثة — » اللبردية ... ٤١٥
- الجهة الثانية — ماشمالى مدينة القسطنطينية وبحر نيطش الخ ... ٤١٦

المقالة الثالثة

في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتب والولايات؛ وفيها أربعة أبواب ... ٤٢٣

الباب الأول — في الأسماء والكنى والألقاب؛ وفيه فصلان ... ٤٢٣

الفصل الأول — في الأسماء والكنى؛ وفيه طرفان ... ٤٢٣

الطرف الأول — في الأسماء؛ وفيه جملتان ... ٤٢٣

الجملة الأولى — في أصل التسمية والمقصود منها وتوزيع الأسماء

وما يستحسن منها وما يستقبح ... ٤٢٤

» الثانية — في مواضع ذكر الأسماء في المكاتب والولايات؛

وفيها أربعة أنواع ... ٤٢٧

النوع الأول — اسم المكتوب عنه ... ٤٢٧

» الثاني — » إليه ... ٤٢٨

» الثالث — » بسببه ... ٤٢٩

» الرابع — » من تصدر إليه الولاية ... ٤٣٠

الطرف الثاني — في الكنى؛ وفيه ثلاث جمل ... ٤٣٠

الجملة الأولى — في جواز الكنية؛ وهي على نوعين ... ٤٣١

النوع الأول — كنى المسلمين ... ٤٣١

» الثاني — كنى أهل الكفر والفسقة والمبتدعين ... ٤٣٢

الجملة الثانية — فيما يكنى به؛ وهو على نوعين ... ٤٣٣

النوع الأول — كنى الرجال ... ٤٣٣

» الثاني — كنى النساء ... ٤٣٥

صفحة

الجملة الثالثة — في التكني في المكاتب والولايات به وهو على ثلاثة

أنواع ... ٤٣٦

النوع الأول — تكني المكتوب عنه ... ٤٣٦

» الثاني — تكني المكتوب إليه ... ٤٣٧

» الثالث — » » بسببه ... ٤٣٧

الفصل الثاني — من الباب الأول من المقالة الثالثة في الألقاب

وفيه طرفان ... ٤٣٨

الطرف الأول — في أصول الألقاب به وفيه جملتان ... ٤٣٨

الجملة الأولى — في معنى اللقب والنعمة وما يجوز منه وما يمتنع ... ٤٣٨

» الثانية — في أصل وضع الألقاب والنعوت المؤدية إلى المدح ... ٤٤٠

الطرف الثاني — في بيان معاني الألقاب به وفيه تسع جمل ... ٤٤٤

الجملة الأولى — في الألقاب الخاصة بأرباب الوظائف المعتمدة التي بها

انتظام أمور المملكة وقوامها به وهي قسمان ... ٤٤٤

القسم الأول — الألقاب الإسلامية به وهي نوعان ... ٤٤٤

النوع الأول — » القديمة المتداولة الحكم إلى زمان المؤلف به

وهي صنفان ... ٤٤٤

الصنف الأول — ألقاب أرباب السيوف ... ٤٤٤

» الثاني — » أرباب الأقلام ... ٤٥١

النوع الثاني — الألقاب المحدثه به وهي أربعة أصناف ... ٥٥٣

الصنف الأول — المفردة به وهي ضربان ... ٥٥٣

الضرب الأول — ما فظله عربي ... ٤٥٣

» الثاني — » عجمي ... ٤٥٤

صفحة

- الصف الثاني — المركبة ؛ وهي ثلاثة أضرب ... ٤٥٥
- الضرب الأول — ما تمحض تركيبه من اللفظ العربي ... ٤٥٥
- » الثاني — » » » العجمي ؛ ولهذا الضرب
- حالتان ... ٤٥٦
- الحالة الأولى — أن تكون الإضافة إلى لفظ دار ... ٤٥٧
- » الثانية — » » إلى غير لفظ دار ... ٤٦٠
- الضرب الثالث — ما تركب من لفظ عربي ولفظ عجمي ؛ وله حالتان ... ٤٦١
- الحالة الأولى — أن يصدر بلفظ أمير ... ٤٦١
- » الثانية — أن لا يصدر اللقب بلفظ أمير ... ٤٦٢
- الصف الثاني — ألقاب أرباب الأقلام ؛ وهي على خمسة أضرب ... ٤٦٣
- الضرب الأول — » » الوظائف من العلماء ... ٤٦٣
- » الثاني — » » الكتاب ... ٤٦٤
- » الثالث — ألقاب أرباب الوظائف من كتاب الأموال ... ٤٦٥
- » الرابع — » » » من أهل الصناعات ... ٤٦٧
- » الخامس — » » » من الأتباع والخواشي
- والخدم ؛ وهم طائفتان ... ٤٦٨
- الطائفة الأولى — الأعوان ، وهم نبطان ... ٤٦٨
- التمط الأول — ما تمحضت ألفاظه عربية ... ٤٦٨
- » الثاني — ما تمحض لفظه عجميا ... ٤٦٨
- الطائفة الثانية — أرباب الخدم ؛ وهم نبطان ... ٤٦٩
- التمط الأول — ما يضاف إلى لفظ الدار ... ٤٦٩
- » الثاني — ما لا يتقيد بالاضافة إلى دار ولا غيرها ... ٤٧٠

صفحة

القسم الثانى — من ألقاب أرباب الوظائف ألقاب أرباب الوظائف

من أهل الكفر، والمشهور منهم طائفتان ... ٤٧٢

الطائفة الأولى — النصارى ... ٤٧٢

» الثانية — اليهود ... ٤٧٤

الجملة الثانية — فى ذكر الألقاب المرتبة على الأصول العظام، وهى نوعان ٤٧٥

النوع الأول — ألقاب الخلفاء المرتبة على لقب الخليفة، وهى صنفان ٤٧٥

الصف الأول — ماجرى منها مجرى العموم ... ٤٧٥

» الثانى — ألقاب الخلافة الخاصة بكل خليفة، وهى خمس طوائف ٤٧٧

الطائفة الأولى — خلفاء بنى العباس ... ٤٧٧

» الثانية — خلفاء بنى أمية بالأندلس ... ٤٧٨

» الثالثة — الخلفاء الفاطميون ببلاد الغرب ثم بالديار المصرية ٤٧٨

» الرابعة — الخلفاء الموحدون الذين ملوك إفريقية بتونس من

بقاياهم على عهد المؤلف ... ٤٧٩

» الخامسة — جماعة من ملوك الغرب من لاشبهة لهم فى دعوى

الخلافة ... ٤٧٩

النوع الثانى — ألقاب الملوك المختصة بالملك، وهى صنفان ... ٤٨٠

الصف الأول — الألقاب العامة، وهى ضربان ... ٤٨٠

الضرب الأول — الألقاب القديمة، والمشهور منها ألقاب ست طوائف ٤٨٠

الطائفة الأولى — التبابعة ملوك اليمن ... ٤٨٠

» الثانية — ملوك الفرس ... ٤٨١

» الثالثة — مصر من بعد الطوفان من القبط ... ٤٨٢

صفحة

٤٨٢	الطائفة الرابعة — ملوك الروم
٤٨٣	» الخامسة — » الكنعانيين بالشام
٤٨٣	» السادسة — » الحبشة
		الضرب الثانى — الألقاب المستحدثة ؛ والمشهور منها ألقاب
٤٨٤	ست طوائف
٤٨٤	الطائفة الاولى — ملوك فرغانة
٤٨٤	» الثانية — » أشروسنه
٤٨٤	» الثالثة — » الجلائقة
٤٨٥	» الرابعة — » فرنسة
٤٨٥	» الخامسة — » البندقية
٤٨٥	» السادسة — » الحبشة فى زماننا
٤٨٦	الصفى الثانى — من النوع الثانى الألقاب الخاصة
٤٨٨	الجملة الثالثة — فى الألقاب المفرعة على الأسماء ؛ وهى أربعة أنواع
٤٨٨	النوع الأول — ألقاب أرباب السيوف ؛ وهم صنفان
٤٨٨	الصف الأول — ألقاب الجند من الترك ومن فى معنائهم
٤٨٩	» الثانى — » الخدام الخصيان
٤٨٩	النوع الثانى — ألقاب أرباب الأقلام ؛ وهى على صنفين
٤٨٩	الصف الأول — ألقاب القضاة والعلماء
٤٩٠	» الثانى — » الكتاب من القبط
٤٩٠	النوع الثالث — ألقاب عامة الناس من التجار والغلمان السلطانية ونحوها
٤٩٠	» الرابع — » أهل الذمة من الكتاب والصيارف

صفحة

الجملة الرابعة — في أصل وضع الألقاب الجارية بين الكتاب ثم انتهائها	
إلى غاية التعظيم ومجاوزتها الحد في التكثير	٤٩١
» الخامسة — في بيان الألقاب الأصول، وذكر معانيها وأشقاقها؛	
وهي صنفان	٤٩٣
الصنف الأول — ما يقع في المكاتبات والولايات	٤٩٣
» الثاني — من الألقاب الأصول ما يختص بالمكاتبات دون	
الولايات	٥٠٠
الجملة السادسة — في بيان الألقاب المفترعة على الأصول المتقدمة؛	
وفيها مهيجان	٥٠٣
المهيح الأول — في بيان أقسامها؛ وهي على نوعين	٥٠٣
النوع الأول — المفردة؛ وهي صنفان	٥٠٣
الصف الأول — المجردة عن ياء النسب	٥٠٣
» الثاني — الملحق بها ياء النسب	٥٠٣
النوع الثاني — المركبة	٥٠٥

استلغات للقارئ — وقع في ص ٣٣ س ٦ من هذا الجزء بياض وحقيقته كما ذكره في "بغية المستفيد"
(وولي بعده ابنه الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف الح)

(تم فهرست الجزء الخامس من كتاب صبح الأعشى)